

تاريخ الدولة العربية الإسلامية

دكتور عبد الحميد حسين حمودة

الدار الثقافية للنشر



منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموى

دكتور

دكتور عبد الحميد حسين حمودة

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد

كلية التربية جامعة القاهرة فرع الفيوم

مُقَدِّمَة

الحمد   رب العالمين، ذو العـرش العظـيم، والصـلاة والسلام على أمام المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى الأمـين وعلى آله وصحابته وتابعيه أجمعين. وأشهد ألا الـه الا ا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسـوله خـاتم المرسلين، ورحمة العالمين .... وبعد.

يتناول هذا الكتاب تاريخ الدولة العربية الإسلامية حيـث يؤرخ لأهم فترة فى تاريخ العرب منذ فجر البشرية وحتـى الأن ويحتوى على موضوعات هامة عالجتهـا فـى ثنايـا الكتاب.

يتناول الفصل الأول جغرافيا بـلاد العـرب، واقسـامها الطبيعية.

وخصصت الفصل الثانى للعرب وطبقاتهم حيث أشـرت إلى أصل كلمة العرب والتفسيرات المختلفة حول أصل تلـك الكلمة وذكرها فى النصوص القديمة ثم أنتقلت إلى طبقـات العرب وتنقسم إلى ثلاثة أقسام البائدة، والعاربة، والمستعربة.

أما الفصل الثالث فيعرض لممالك العرب فى اليمن قبـل

الإسلام فقد أشرت إلى الدور التمهيدى الذى يعرف بالـدور الخرافى، ثم أشرت إلى مملكة معين، وسبأ، وحمير.

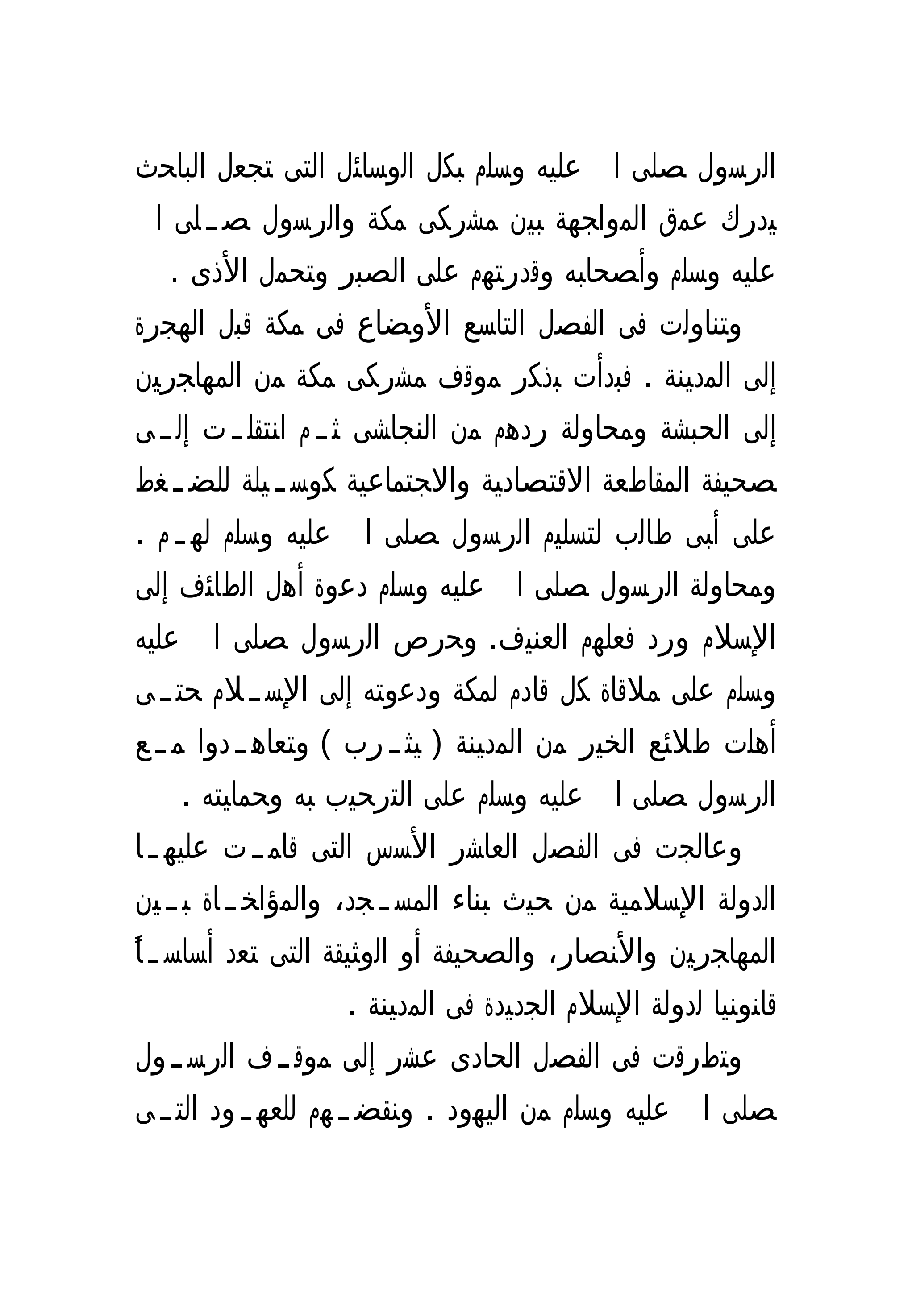
وعالجت فى الفصل الرابع ممالك العرب فى شمال شـبه الجزيرة قبل الإسلام وهى: مملكة الأنباط، ومملكة تـدمر، ومملكة الغساسنة، ومملكة المناذرة (الحيرة).

وذكرت فى الفصل الخامس حواضر الحجاز قبل الإسلام وهى مكة، ويثرب، والطائف .

وعرضت فى الفصل السادس لأحوال العرب قبل الإسلام فأشـرت للأحـوال السياسـية، والدينيـة، والاقتصـادية، والأجتماعية، والثقافية .

وخصصت الفصل السابع لحياة محمد {ﷺ} فـى البيئـة المكية التى نشأ فيها صلى ا عليه وسلم فى بيت من أشرف بيوت العرب متتبعا حياته منذ الطفولة والشـباب، وإشـتغاله بالرعى وسفره إلى الشام ونظرة المجتمع المكى لمحمد صلى ا عليه وسلم . ودوره فى القضايا المهمة حتى نال احتـرام الجميع فلقبوه بالصادق الأمين .

وأشرت فى الفصل الثامن لدراسة الدعوة الإسلامية فـى مكة وموقف المجتمع المكى منها بين مؤيد ومعارض وقسوة مشركى مكة على الذين دخلوا فـى الإسـلام . ومحاربـة



الرسول صلى ا   عليه وسلم بكل الوسائل التى تجعل الباحث يدرك عمق المواجهة بين مشركى مكة والرسول صـلى ا عليه وسلم وأصحابه وقدرتهم على الصبر وتحمل الأذى .

وتناولت فى الفصل التاسع الأوضاع فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة . فبدأت بذكر موقف مشركى مكة من المهاجرين إلى الحبشة ومحاولة ردهم من النجاشى ثـم انتقلـت إلـى صحيفة المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية كوسـيلة للضـغط على أبى طالب لتسليم الرسول صلى ا   عليه وسلم لهـم . ومحاولة الرسول صلى ا   عليه وسلم دعوة أهل الطائف إلى الإسلام ورد فعلهم العنيف. وحرص الرسول صلى ا   عليه وسلم على ملاقاة كل قادم لمكة ودعوته إلى الإسـلام حتـى أهلت طلائع الخير من المدينة (يثـرب) وتعاهـدوا مـع الرسول صلى ا   عليه وسلم على الترحيب به وحمايته .

وعالجت فى الفصل العاشر الأسس التى قامـت عليهـا الدولة الإسلامية من حيث بناء المسـجد، والمؤاخـاة بـين المهاجرين والأنصار، والصحيفة أو الوثيقة التى تعد أساسـاً قانونيا لدولة الإسلام الجديدة فى المدينة .

وتطرقت فى الفصل الحادى عشر إلى موقـف الرسـول صلى ا   عليه وسلم من اليهود . ونقضـهم للعهـود التـى

عقدوها مع الرسول صلى ا   عليه وسلم ورد فعله تجاههم .

وأفردت الفصل الثانى عشر إلـى الصـراع بـين مكـة والمدينة الذى أسفر عن خوض عدة معارك بـين المسـلمين ومشركى مكة . وخرجت المدينة ظافرة منتصرة حتى أصبح لها السيادة على سائر مدن الحجاز .

وذكرت فى الفصل الثالث عشر فتح مكة وغزوة حنيـين والطائف ونجاح الإسلام فى القضاء علـى مشـركى مكـة وحلفائهم .

أما الفصل الرابع عشر فقد خصصته للرسائل التى بعـث بها الرسول صلى ا   عليه وسلم إلى الملوك والأمراء داخل الجزيرة العربية وخارجها للتأكيد على عالمية الإسلام . كما أشرت أيضا إلى توحيد شمال الجزيرة العربية ودخولها فـى الإسلام .

وأشرت فى الفصل الخامس عشر إلى خلافة أبـو بكـر الصديق وأهم أعماله والفتوحات الإسلامية لـبلاد العـراق، وفارس، وبلاد الشام .

وخصصت الفصل السادس عشر إلى خلافة عمـر بـن الخطاب فذكرت تنظيماته الإدارية والمالية ثم أنتقلـت إلـى الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس، وبلاد الشام، ومصر، وبرقة

وطرابلس .

وعالجت فى الفصل السابع عشر خلافة عثمان بن عفـان مبينا توليه الخلافة، وأهم أعماله كتدوين المصحف وتوسـيع المسجد الحرام والمسجد النبوى، ثم أشرت إلـى الفتوحـات الإسلامية كفتح أرمينية، بلاد فـارس، قبـرص، أفريقيـة، وأسهبت فى معالجة موضوع الفتنة من حيث أسبابها والـرد على تهم المغرضين بالحجة والبرهان .

وتناولت فى الفصل الثامن عشر خلافة علـى بـن أبـى طالب فأشرت إلى نسبه، وإسلامه، وجهاده فـى الإسـلام، وبيعته بالخلافة، وموقفه من قضية إستشهاد الخليفة عثمـان بن عفان، وعزل ولاة عثمان، والمكاتبات التـى دارت بـين على ومعاوية وموقفة من خروج السيدة عائشـة رضـى ا عنها وطلحة والزبير إلى البصرة، وموقعة الجمل، ثم صفين .

أما الفصل التاسع عشر فقد خصصـته لخلفـاء الدولـة الأموية وأشرت إلى ظروف قيام الدولـة الأمويـة، ونبـذة تاريخية عن كل خليفة على حدة من حيـث توليتـه وأهـم إصلاحاته والصعاب التى واجهتهم وأنهيـت هـذا الفصـل بأسباب سقوط الدولة الأموية .

وذكرت فى الفصل العشرون الحركات المعادية لبنى أمية كالخوارج، والشيعة، وثورة عبدا بـن الزبيـر، والثـورة العباسية .

وأنهيت هذا الكتاب بالفصل الحـادى والعشـرون حيـث عرضت إلى الفتوحات الإسلامية فى العصر الأموى كفتوح المغرب، وفتح الأندلس، وفتح

بلاد السند، وفتح بلاد مـا وراء النهـر، ثـم اختتمـت بالحصار الإسلامى للقسطنطينية .

وا ولى التوفيق،

القاهرة فى ١٦ من شوال ١٤٢٥ هـ

المـوافق ٢٩ نـوفمـــــــبر ٢٠٠٤ م

دكتور

دكتور عبد الحميد حسين حمودة

الفصل الأول

جغرافيا بلاد العرب

تقع بلاد العرب فى الجزء الجنوبى الغربى مـن أسـيا . وهى شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهـات: البحـر الأحمر غرباً، والمحيط الهندى جنوباً، والخلـيج الفارسـى (العربى) شرقاً[1]. والحد الشمالى لجزيـرة العـرب غيـر واضح، وهو يمتد تقريباً باتجاه الخط الذى يبدأ مـن مدينـة غزة ماراً بجنوب البحر الميت، ثم يمر بدمشق ومنهـا إلـى الفرات[2]

ويسمى العرب بلادهم بأسم الجزيرة ، وهذه التسمية ليست صحيحة تماما. لأن الماء لا يحيط بها من جميـع جهاتهـا .

---

(١) أحمد الشريف: مكه والمدينة، دار الفكر العربى، القاهرة د. ت ص ١٣ .

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب قبل الاسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية

(د. ت)، ص ٦٤.

على إبراهيم حسن: التاريخ الاسلامى العام، النهضة المصرية، القاهرة (د. ت)، ص ٢٣.

(٢) لوبون: حضارة العرب، ترجمة / عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠ م، ص ٣٩.

ويفسر الجغرافيون العرب تسميتها بالجزيرة بقولهم: "لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أطرافها وأقطارهـا فصـاروا فيها مثل الجزيرة من جزائر البحر، وذلك أن الفرات أقبـل من بلاد الروم فظهر بناحية قنسرين ثم أنحط على أطـراف الجزيرة وسواد العراق حتى روفع فى البحـر فـى ناحيـة البصرة والأبلة وامتد إلى عبادان وأخـذ البحـر فـى ذلـك الموضع مغرب مطيفا ببلاد العرب منعطفا عليها إلى بـلاد عمان والشحر وحضرموت إلى تهائم اليمن ويمضـى إلـى ساحل مكة وساحل المدينة ثم ساحل الطور وخلـيج القلـزم والنيل حتى بحر الروم الـذى يقـع عليـه سـواحل الأردن وبيروت وسواحل دمشق وسواحل قنسرين وهى الناحية التى أقبل منها الفرات منحطاً إلى أعلى أطراف الجزيرة وسـواد العراق"[٣].

ولموقع الجزيرة العربية أهمية عظيمة حيث يمثل حلقـة وصل بين بلاد جنوب آسيا وشرقها من ناحية، وبين بـلاد حوض البحر المتوسط من ناحية أخرى، وعبر أراضى تلك الجزيرة وبين دروبها نقلت التجـارة، ونمـت الحضـارة،

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، الجزء الثالث، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٣٧ .

وتوثقت الصلات[1].

وتتميز الجزيرة العربية باتساعها وببعض الخصائص التى تجعلها بأن تكون قارة لوحدها . فرغم أنها جزء من آسـيا، فهى تتصل بأفريقيا عن طريـق صـحراء سـيناء . وفـى الماضى قبل شق البحر الأحمر مجراه ؛ لعزل آسـيا عـن أفريقيا، كان القسم الغربى من جزيرة العـرب جـزءاً مـن الأرض الأفريقية، وما زلنا نلحظ حتى اليـوم أن النصـف الجنوبى من القسم الغربى من الجزيرة يشترك فى كثير مـن الصفات مع مقاطعات أفريقيا الشرقية كالصومال و الحبشة و هو أقرب إلى هذه المناطق الافريقية منه إلى القسم الشـمالى من الجزيرة .[2]

وبلاد العرب عبارة عن هضبة مرتفعة لا يقل أرتفاع أى جزء فيها عن ١٥٠٠ قدم عن سطح البحر .

وهذه الهضبة تنحدر أنحدارين أحدهما نحـو الغـرب و الآخر نحو الشرق ويبدأ الانحداران من سلسلة جبال السراتة

---

(١) على حسين السليمان: النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى الطبعة الأولى، الأنجلو المصرية، القاهرة (د . ت)، ص ١٣.

(٢) نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣ م، ص ١٨ – ١٩ .

التى تقع فى غرب شبه الجزيرة وتمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب حيث تصل إلى أعلى أرتفاعها وهو عشـرة آلاف قدم(أو أكثر من ٣٠٠ م) . و انحدار الأرض من هذه القمم الشامخة إلى الشرق تدريجى ويمتد إلى مدى بعيد . أما الانحدار الغربى فهو شديد، وتحصر سلسلة الجبال فيما بينها وبين ساحل البحر الأحمر واد ضيق متوسط عرضه خمسـة عشر ميلا واقصى اتساع له ثلاثون ميلا وتتخلله عدة وديان.

وفى الجنوب الشرقى من الجزيرة تبرز سلسلة من الجبال فى عمان وهى السلسلة المعروفة باسم الجبل الاخضر[٣].

وتتنوع الصحراء العربية وتختلف من موضع إلـى آخر، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ – الحرات أو الحرار

الحرة هى حجارة سوداء مستديرة الشكل كأنها محروقـة بالنار . والحرار تكونت بفعل البراكين وهى كثيرة فى شـبه الجزيرة . وتبتدى من شرقى حوران، وتمتد متنـاثرة حتـى المدينة ونتذكر منها أيضا على سبيل المثال لا الحصر حرة

---

(١) نبيه عاقل، ص ١٩ – ٢٠ .

تبوك، وحرة رماح بالدهناء[١] .

٢- الدهناء أو صحراء الجنوب

تشغل هذه الصحراء مساحة كبيـرة مـن شـبه جزيـرة العرب، فهى تمتد من صحراء النفود، المسماة قـديما باديـة السماوة، شمالاً إلى حضرموت فى الجنوب، ومن اليمن غربا إلى عمان شرقاً . وتعرف الأجزاء الجنوبية منها فى الوقـت الحاضر باسم الربع الخالى لخلوها من النـاس، أمـا القسـم الغربى من الدهناء فيطلق عليـه اسـم الأحقـاف . وأرض الدهناء على الرغم من جفافها وخلوها من المـاء كانـت إذا سقطت عليها الأمطار الموسمية نبتت فيها الأعشـاب مـدة ثلاثة أشهر .

٣ – صحراء النفود

كانت تسمى قديماً بادية السماوة أو رملة عالج . وتقع فى شمال الجزيرة العربية، وتمتاز بكثبانها الرملية الناعمة اللينة التى يصعب على المرء أن يسير فيها[٢] .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، ص ٦٦ – ٦٧ . حتى وآخرون: تاريخ العرب، الجزء الأول، دار الكشاف، بيروت، ١٩٤٩ م، ص ١٩ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٦٥ . حتى وآخرون ١ / ١٧ .

المناخ

يسود الجفاف شبه جزيرة العرب بوجه عام، والمطر يندر سقوطه، ولذلك فإن أكثر أراضى جزيرة العرب صحراوية . ومع ذلك هناك أو دية كثيرة تسيل فيها الميـاه فـى موسـم الأمطار وهى أودية شديدة الانحدار تصب فى البحر الأحمر أو فى بحر العرب، والأمطار تسقط فى الخريـف والشـتاء بينما تسقط فى بلاد اليمن فى فصل الصيف .[٢]

وتهب على شبة الجزيرة رياح تختلف باختلاف المنـاطق والبحار التى تجاورها ففى الجزء الشرقى من الجزيرة تهب رياح شرقية تتحول إلى شمالية فى بعض الأحيان . أما نجد فتهب عليها رياح شديدة جداً من مختلف الجهات . أما الرياح الموسمية التى تهب من المحيط الهندى فتصل إلى المنـاطق الجنوبية من الجزيرة ولها تأثير كبير على حياة السكان هناك[١] .

المياه

تخلو شبه الجزيرة العربية من نهر كبير دائم الجريـان، فأن بعض أجزاء الوديان فى الجنوب تظل ممتلئـة بالمـاء طوال السنة و ذلك بسبب وقوعها فى منطقة الرياح الموسمية

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، ص ٧٥ .
(٢) نبيه عاقل، ص ٢٣ .

التى تجلب الأمطار الموسمية الغزيرة . ومن أشهر وديـان شبة الجزيرة العربية وادى السرحان، وتصب فيـه وديـان صغيرة على طول مجراه . وهناك واد آخـر اسـمه وادى الحمض يصب فى البحر الأحمر .

والمصدر الثانى للمياه فى شبه الجزيرة هو وجود عـدد من البحيرات يقع أهمها فى مناطق الخرج والأفلاج وتتشكل هذه البحيرات أيضا فى بعض الواحات كواحة الحسا .

أما المصدر الثالث هو الأبار التى يوجد عدد كبير منهـا فى الصحارى علاوة على العيون المتنـاثرة فـى الواحـات والتى تقوم حولها فى العادة حياة مستقرة(٢).

النباتات

من أشهر المحاصيل الزراعية فى شبة الجزيرة العربيـة النخيل، والكروم فى الطائف، والـيمن، والرمـان والتفـاح والمشمش والبرتقال والليمون والبطيخ والموز، كـذلك زرع القمح والشعير فى الواحات . كما كان ينمو الأرز فى عمان والإحساء، واشتهرت مناطق جنوب الجزيرة بشـجر اللبـان الذى ينمو على الهضاب المحاذية للساحل الجنوبى، لا سـيما

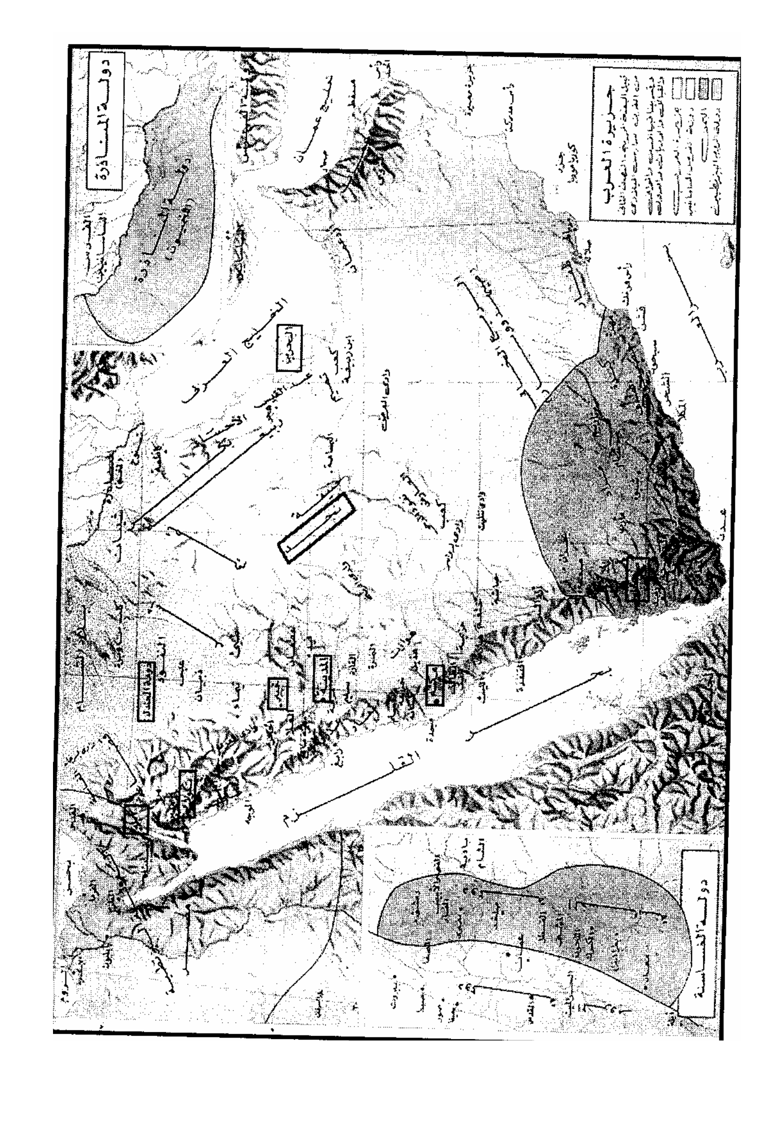
---

(١) نبيه عاقل، ص ٢٤ – ٢٦ .

مهرة . واشتهرت عسير بالصمغ العربى[٣]. وأمـا شـجرة البن التى تشتهر بها اليمن الآن فقد أدخلت إلى جنوب بـلاد العرب من الحبشة فى القرن الرابع عشر الميلادى .

---

(١) محمد بيومى مهران: تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٨٩م،ص ١٢٦ . - نبيه عاقل، ص ٢٦ .



خريطة شبة الجزيرة العربية قبل البعثة

الثروة الحيوانية

اشتهرت شبه الجزيرة العربية بالحيوانات البريـة وهـى الأسد، والفهد، والنمر، والضبع، والذئب، والثعلب .

أما الحيوانات الأليفة فأشهر ما يوجد منها الأبل والخيـل، والشياه والماعز، والبقر، والقردة، والنسانيس، والحمير .

ومن الطيور النعام والقطا والغـراب والبجـع والهدهـد والنسر والعقاب[١] .

بلاد العرب فى نظر الجغرافيين القدامى

قسم جغرافيو اليونان والرومان بلاد العرب إلـى ثلاثـة أقسام طبيعية هى:

١- **بلاد العرب الصخرية:** وتقع فى الشـمال مـن بـلاد العرب جنوبى غرب بادية الشام .

٢- **بلاد العرب الصحراوية**: وكانت تطلق علـى باديـة الشام وحدها ثم أطلق على شبه الجزيرة العربية ككل .

---

(١) محمد بيومى مهران، ص ١٣٢ – ١٣٣ .- نبيه عاقل، ص ٢٧ حتى وآخرون ١ / ٢٣ – ٢٤ .

- شوقى ضيف: العصر الجاهلى، الطبعة الثامنة عشر، دار المعارف، القاهرة (د . ت)، ص ٢١ .

٣- **بلاد العرب السعيدة** [٢]: ويقصد بها بلاد اليمن التى تسـمى الأرض الخضـراء لكثـرة إشـجارها، وثمارهـا، وزرعها[٢].

تقسيم العرب لبلادهم:-

قسم جغرافيو العرب شبه الجزيرة العربية إلـى خمسـة أقسام هى: تهامة، والحجاز، ونجـد، والعـروض، والـيمن وسنلقئ الضوء على كل قسم منها على حدة.

١- اليمن

سميت اليمن يمناً لأنها تقع يمين الكعبة، أو لأنهـا بـلاد

---

(١) جرجى زيدان: العرب قبل الاسلام، تعليق / حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة (د . ت)، ص ٣٨.
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام، الجزء الأول، الطبعة الثامنة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م ، ص ٩ .
السيد عبد العزيز سالم، ص ٦٥-٦٦. نبيه عاقل، ص ٢٨ – محمد بيومى، ص ٩٥-٩٦.
أحمد أبو الفضل: دراسات فى العصر الجاهلى، المجلس الأعلى للفنون،القاهرة(د.ت)،
ص ١٦ – ١٧ .
(٢) الهمدانى، صفة جزيرة العرب، تحقيق / محمد بن على الأكوع، الطبعة الثالثة، بيروت،١٩٨٣م، ص ٩. - ياقوت ٥ / ص ٤٧٧.

اليمن، والخير وعرفت باسم بلاد العرب السعيدة. أو اليمن الخضراء لكثرة إشجارها، وثمارها. وتمتد حدود اليمن من نجد إلى المحيط الهندى، والبحر الأحمر غرباً، ومن الشرق حضرموت، والشحر وعمان .

وتتكون بلاد اليمن من عدة أقسام صغرى، أهمها: حضرموت، والشحر، وعمان، ونجران، وتنفرد الشجر من هذه الأقسام بإنتاج البخور . وأهم مدن اليمن صنعاء، وهى مدينة قديمة جداً ذات موقع ممتاز .

ويرجع إزدهار اليمن وخصبها إلى الجبال التى تقع فى داخلها، والتى تصد الرياح الموسمية فتسبب الأمطار التى تجعل أرض اليمن تجود بالبن أهم حاصلاتها وبالفاكهة والقمح والأعناب والتوابل[١].

٢- الحجاز

يقع الحجاز فى غرب شبه الجزيرة على الساحل الغربى للبحر الأحمر، ويحده شرقاً نجد، وشمالاً بادية الشام، واليمن جنوباً[٢].

---

(١) محمد مبروك نافع: عصر ما قبل الإسلام، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٢ م، ص ١٩ – ٢٠ .

(٢) على حسين السليمان، ص ١٦. – نبيه عاقل، ص ٢٩ – ٣٠ .

وعرف الحجاز بهذا الاسم، لأنـه يحتجـز بـين تهامـة ونجد[1]، وفيه المدينتان المقدستان مكة والمدينـة[2]، ويبلـغ طول الحجاز من الشمال إلى الجنوب حـوالى ٧٠٠ ميـل. وعرضه من الشرق إلى الغرب ٣٥٠ ميلاً[3].

٣- تهامة

ورد اسم تهامـة فـى النصـوص العربيـة الجنوبيـة " تهمت"[4]، وسميت بهذا الاسم لشدة حرها وركود الـريح[5]، وتسمى أيضاً بالغور؛ لانخفاض أرضها عن أرض نجـد[6]، وحددها ابن حوقل[7]، بقوله: " تهامة قطعة من اليمن، وجبال مشتبكة أولها مشرف على بحر القلزم. ممـا يلـى غربيهـا وشرقيها بناحية صعدة، وجرش، ونجران، وشماليها حـدود مكة وجنوبيها صنعاء" . وهى تطلق على الأرض الممتدة من غرب جبال السراة إلى ساحل البحر الأحمر، وفيهـا كـان

---

(١) ياقوت ٢ / ص ٦٣.
(٢) حسن ابراهيم حسن ١ / ص ١٠.
(٣) أحمد الشريف، ص ٢٤.
(٤) محمد بيومى مهران، ص ١٠٠.
(٥) ياقوت ٢ / ٦٣.
(٦) حسن ابراهيم حسن ١ / ١٠.
(٧) صورة الأرض، الطبعة الثانية، ليدن ١٩٣٨م، ص ٣٦.

يجرى طريق القوافل الغربى الذى يمتد متاخما لساحل البحر الأحمر، ومعظم مدنها فى الوقت الحاضر ثغور، أهمها جدة التى بناها عثمان بن عفان وهى فرضة مكة وينبـع وهـى فرضة المدينة[٥].

٤- نجد

تشمل المنطقة التى تقع شرقى الحجاز، وتمتد حتى الخليج العربى. [٢] ونجد هو اسم للمنطقة التى أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام.[٣]

وتختلف منطقة نجد فى الارتفاع ما بين سـتة آلاف قـدم إلى أربعة آلاف قدم ما بين عسير والطائف. [٤] وحـدودها ليست معروفة تماماً فى كتب العرب الجغرافية لكثرة الأقوال وتعددالآراء . وهى ليست قاحلة تماماً كما يتصورها معظـم الكتاب وهى تشتهر بمراعيها الجيدة التى تربى عليها أجـود الخيول التى تشتهر بها بلاد العرب[٩].

---

(١) محمد مبروك نافع، ص ٢١ .

(٢) نبيه عاقل، ص ٣١.

(٣) ياقوت ٥ / ٢٦.

(٤) أحمد الشريف، ص ١٥.

(٥) محمد مبروك نافع، ص ٢١ .

٥- العروض

وتعرف باليمامـة، وسـميت تلـك الناحيـة عروضـاً؛ لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق[1] .

---

(١) ياقوت ٤ / ١١٢حسن ابراهيم حسن ١ / ٩ .
- نبيه عاقل ، ص ٣١. محمد بيومى مهران، ص ١٠٤.

الفصل الثانى

العرب وطبقاتهم

أولاً: أصل العرب

أن أصل كلمة " عرب " غير معروفـة بالتحديـد رغـم التفاسير المختلفة التى يقدمها علماء اللغـة والفيلولوجيـون ***Philologistsc*** . ويقول بعضهم أن الكلمة مشتقة مـن أصـل سامى معناه " الغرب " وأن سكان بلاد ما بين النهرين كانوا أول من أطلقها على الأقوام التى تسكن غربى منطقـة وادى الفرات . وهذا القول يصعب علينا اثباته واعطاء حجج كثيرة تؤيده[1] .

وان كلمة "عرب" فى رأى فريق من العلماء ذات صـلة بكلمة ***Arabha***

"عرابا" العبرية التى تعنى "الأرض المظلمة" أو "السهوب" أو بكلمة ***Erebh*** "عريب" العبرية أيضا التى تدل على الحيـاة "الفوضى" أو "غير المنظمة" أو من كلمة ***Abhar*** "عابر" وتعنى بالعبرية "تحرك" أو "عب " ومنها اشتق اسم اللغة "العبرية"[2]

---

(١) نبيه عاقل، ص ٤٦ .

(٢) نبيه عاقل، ص ٤٦ – ٤٧ .

(.

وقيل أن لفظة " عرب: مشتقة من أسم جد أعلـى كـان يسمى " يعرب بن قحطان " أو من فعل " يعـرب " بمعنـى يفصح تدليلاً على ما كان العرب يعتزون به مـن فصـاحة البيان ثم القول باشتقاقها من أسم " عربة " وهو أحد أسماء " مكة " التى شب "إسماعيل " عليه السلام على أرضها، أو هو أسم لجزء منها [٣] .

واختلفت التفسيرات بين العلماء حول أصل كلمة " عرب " وسوف نورد تلك التفسيرات حسب الترتيب الزمنى:

١ – الوثائق الأشورية والبابلية

أقدم نص وردت فيه كلمة " عرب "، بكثرة هى الوثـائق الأشورية، والبابلية منذ القرن الثامن قبل الميلاد فـى صـيغ متعددة منها (***Urbi. Arib***) بمعنى البادية الواقعة غرب الرافدين وهى بادية العراق.

---

(١) عبد العزيز صالح: تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (د . ت) ، ص ٨ .
محمد عبد الجواد الاصمعى: العرب واطوارهم، الجزء الأول، الطبعة الأولى،مصر (د . ت)، ص ١٨ .

٢ – النصوص المصرية القديمة

استخدمت بعض النصوص المصـرية القديمـة لفظـة " أربابا " تحريفاً فيما يبدو عن "عربية " أو " العربية " للدلالـة على المنطقة القريبة من الحدود المصرية فى شبه الجزيـرة العربية[١].

٣ – النصوص الفارسية

وردت كلمة " عـرب " أو " عرابـة " (*Arabya*) فـى النصوص الفارسية فى القرن السادس قبل الميلاد فى عهـد الملك دار الأول (٥٢٢-٤٨٦ق. م) المعروف باسم " نقـش بهستون" بمعنى البادية الفاصلة بين العراق والشام بمـا فيـه شبه جزيرة سيناء .

٤ – التوراة والتلمود

وردت كلمة " عرب " فـى التـوراة بمعنـى البـدو [٢]،

---

(١) عبد العزيز صالح، ص ٨ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٣.

جواد على: تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزأ الأول، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد،١٩٥٥، ص ١٦ – ٢٠ .

حسن ابراهيم حسن ١ / ص ٧ على ابراهيم حسن، ص ٣٠.

نبيه عاقل، ص ٤٧-٤٨ .

والأعراب بمعنى الفقر والجفاف فى مواضع كثيرة[1]، وردت فى التلمود كلمة "عرب" و"عريم" و"عرينم" وهو نفس المعنى الذى ورد فى التوراة . فى حين كان السكان الحضر يسمون باسماء قبائلهم أو بأسماء المواضع التى ينزلون فيها.[2]

٥ – الكتابة الكلاسكية

أقدم إشارة إلى العرب وجزيرتهم فى الكتابات الكلاسـكية نجدها عند اسكيلوس أنجيلوس (٥٢٥-٤٥٦ ق. م) الـذى تحدث عن الجزيرة العربية ويصفها بأنها أرض نائية يـأتى منها محاربون يحملون حراباً مدببـة حـادة .[3] ثـم جـاء هريودوت(٤٨٤-٤٣٠ق. م) وتحدث عن العرب بطريقـة تدل على علمـه بهم . كما أطلق على بلاد العرب لفظ ***Araba*** ويعنى بها البادية وشبـه جزيـرة العـرب وهـى الأرض الواقعة إلى الشرق من نهر النيل.[4]

---

(١) محمد بيومى مهران، ص ١٤٥.
(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٣-٤٤.
محمد بيومى مهران، ص ١٤٦.
(٣) نبيه عاقل، ص ٤٨ جواد على ١ / ص ٢١.
صالح أحمد العلى: محاضرات فى تاريخ العرب، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٨م، ص ١٥.
(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٤.

٦ – نقوش جنوب وشمال شبة الجزيرة

ورد لفظ العرب فى النقوش السبئية فى القرن الأول قبـل الميلاد بمعنى الأعراب فى حين كان أهل المـدن يعرفـون بمدنهم أو قبائلهم.

أما أقدم ذكر للعرب فى نقوش مستخرجة مـن شـمال الجزيرة العربية فيوجد فى نقش النمارة الذى يرجـع للقـرن الرابع للميلاد مدون عليه اسم امرؤ القـيس" ملـك جميـع العرب" وهذا النقش مكتوب بالخط الآرامى البنطى" [١].

٧ – القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم هو أول مصدر ورد فيه لفـظ العـرب للتعبير عن الجنس العربى، مما يدل على وجود كيان قومى خاص يشيراليه هذا اللفظ قبل نزول القرآن الكريم، بوقـت، لايمكننا تحديده حيث وردت فيه كلمة " اعرب" عشر مرات، وكلمة " عربى" احدى عشر مرة[٢].

نبية عاقل، ص ٤٨.

محمد بيومى مهران، ص ١٤٨.

(١) السيد عبد العزيز سالم، ص٤٤.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٤. قارن أحمد أبو الفضل، ص ٢٢
.

٨ – علماء العبرية

يرى بعض علماء العبرية أن كلمة "عبرى" ترتبط بكلمـة "عربى" ارتباطا لغوياً متينا لأنهما مشتقان من أصـل واحـد وتدلان على معنى واحد وأنهما مشتقان من الفعـل الثلاثـى "عبر" بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادى أو النهر من عبره إلى عبره أو من عبر السبيل شقها وذلك لأن العـرب والعبرانيين كانوا فى الأصل من الأمم البدوية الصـحراوية التى لا تستقر فى مكان بل ترحل من مكان إلى آخر للبحـث عن الماء والمراعى(١).

٩ – تسميات أخرى

سمى أهل الجزيرة بأسماء أخرى منذ القدم وبقى بعضـها مستعملا إلى اليوم مـن لفـظ(***Sarcnus***) أو (***Saraceni***) (سراكينى) فى اليونانية و اللاتينية . وكان يطلق فـى البـدء على القبائل العربية التى تقيم فى بادية الشام وفى شبه جزيرة سيناء، ثم توسع مدلوله بعد الميلاد وخصوصا فـى القـرن الرابع والخامس والسادس الميلادى فأطلق على العرب عامة

---

(١) محمد مبروك نافع، ص ١٣ . أحمد أبو الفضل، ص ٢١ .
ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ م، ص ١٦٤ – ١٦٥

. وأقدم من ذكر هذه التسمية هو ديوسقوريدس اليونانى فـى منتصف القرن الأول للميلاد وكثر استعمالها فـى القـرون الوسطى حيث أطلقه المسيحيون على جميع العرب وأحيانـا على جميع المسلمين عربا كانوا أم غير عرب .

واختلف فى تفسير هذا الأسم فمنهم من قال إنه مركب من كلمتين هما (سارى وقين) ومعناه القينة سـارة (أى العبـد سارة) إشارة إلى أن قسما كبيراً من العرب وهم من نسـل إسماعيل عليهما السلام ينتمون إلى هاجر جارية إبراهيم .

وهناك من يرى أن الكلمة من مادة (شرق) بناء على أن العرب كانوا يسكنون شرقى أرض النبط أو شـرقى مـؤاب وعمون وفلسطين وخصوصا عرب بادية الشام الذين كـان يطلق عليهم فى التوراة (***Beneqadem***) (بنى قدم) أى بنـو المشرق ويفسر آخرون هذا اللفظ بأنه تحريف بالنسبة إلـى سراة، والمراد أهل جبل السراه أى جبل الحجاز الفاصل بين تهامة ونجد[٢] .

ثانياً: - طبقات العرب

قسم المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام: بائدة، وعاربة، و مستعربة وهناك تقسيم أخر للعرب: بائدة، و باقية .

---

(١) أحمد أبو الفضل، ص ٢٧ – ٢٨ .

١ - العرب البائدة:

هم الذين بادوا ودرست أثارهم، وانقطعت عنـا تفاصـيل أخبارهم ولم يبق من ذكرها إلا النذر القليل؛ لتقادم عهـدهم وهم عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وجـرهم[١]، وسـوف نتناول كلمة موجزة عن كل عنصر على حدة .

١ – عاد

هم قوم هود عليه السلام، و عاد الأولى التى بادت قبـل سائر ممالك العرب كلها . ومصداق ذلك قوله عز وجـل: ﴿ **وأنه أهلك عاداً الأولى** ﴾ **[النجم آية: ٥٠]**، وهذا يدل علـى تقدمهم، وأن هناك عاداً ثانية، وقد أخبـر ا عـن ملكهـم، ونطق بشدة بطشهم، وما بنوه من الأبنية الضخمة التى تدعى على مر الدهور العادية[٢]. وقد أخبر ا تعالى عـن قـول نبيه هود عليه السـلام وخطابه إياهم: ﴿ **أتبنون بكـل ريـع آيةً تعبثُون (١٢٨) وتتخِذُون مصانِع لعلكُم تخلُدون (١٢٩) وإذا بطشْتُم بطشْتُم جبارين (١٣٠)** ﴾ **[الشعراء آيـة: ١٢٨ -**

(١) أبو الفداء: المختصر فى إخبار البشر، الجزء الأول، تقديم / حسين مؤنس، تحقيق / محمد زينهم وأخرين، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلد الثانى، الطبعة الخامسة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣ م، ص ٤٠ .

١٣٠]، وكان عاد رجلاً جباراً عظيم الخلقة، وهو عـاد بـن عوص بن إرم ابن سام بن نوح، وكان عـاد يعبـد القمـر، وذكروا أنه رأى من صلبه أربعة آلاف ولد، وكانـت بـلاده متصلة باليمن، وهى بلاد الأحقاف، وبلاد صـحارى هـى وبلاد عمان إلى حضرموت .

وقد ذكر جماعة من الأخباريين أن عاداً لما توسط العمر واجتمع له الولد وولد الولد وظهور الكثرة مع تشييد الملك و استقام الأمر، غمر إحسانه الناس، وقرى الضيف، وأحوالـه منتظمة، والدنيا مقبلة عليه، فعاش ألف سنة . وكان الملـك بعده فى أكبر ابناءه وهو " شديد بن عاد " ثم ملك بعده أخوه " شداد بن عاد " وسيطر على معظم ممالك العـالم . وهـو الذى بنى مدينة إرم ذات العماد . [١]

وهذه عاد الثانية التى ذكرها ا تعالى بقوله: ﴿**ألـم تـر كيفَ فَعلَ ربك بِعادٍ (٦) إِرم ذَاتِ العِمادِ (٧)** ﴾**[الفجر آيـة: ٦ -٧]**.

وكان لشداد بن عاد طواف فى البلاد وحروب كثيرة فـى ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب .[٢]

واشار ابـو الفـداء (ت ٧٣٢ هـ ـ / ١٣٣١ م) إلـى

---

(١) المسعودى ٢ / ٤٠ – ٤١ .

(٢) المسعودى ٢ / ٤١ .

اضطراب الاخبار الواردة عن عاد والاختلاف فى ذكـرهم مما دعاه للانصراف عن الكتابة عنهم .[3]

٢ – ثمود

ثمود هم قوم النبى صالح . وكان ملك ثمود بن عابر بـن إرم بن سام بين الشام والحجاز إلى ساحل البحـر الحبشـى وديارهم بفج الناقة وبيوتهم منحوتة فى الجبـال ورسـومهم باقية، وآثارهم بادية، وذلك فى طريق الحاج للقادم من الشام بالقرب من وادى القرى .

وبعث ا صالحاً نبياً وهو غلام حدث لثمود، فدعاهم إلى ا ، وملكهم يومئذ هو جندع بن عمرو، فلم يجب صالحا من قومه إلا نفر يسير، وكبر صالح ولم يزد قومه من الإيمـان إلا بعداً[4].

وورد ذكر ثمود فى القرآن الكريم فى كثير مـن سـوره وأنهم هلكوا على أثر تفجير بركان صحبته رجفة عنيفـة أو زلزال [5]، قال ا تعالى: ﴿ **فَأَخَذَتْهم الرجفَةُ فَأَصبحوا فِـي دارِهِم جاثِمِين** ﴾ **[الأعراف آية: ٧٨]**، و قال تعالى: ﴿ **وَأَخَـذَ الَّذِين ظَلَموا الصيحةُ فَأَصبحوا فِي دِيـارِهِم جـاثِمِين (٦٧)**

---

(١) ابو الفداء ١ / ١٢٥ .

(٢) المسعودى ٢ / ٤٢ – ٤٣ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم، ص ٥٧ .

كأن لم يغنَوا فِيها ألاَ إِن ثمود كفَروا ربهم ألاَ بعـداً لثمـود (٦٨) ﴾ [هود آية: ٦٧ - ٦٨].

٣ – طسم وجديس

طسم وجديس، وكانت مساكن هاتين القبلتين فى اليمامـة من جزيرة العرب [١]، وكانت اليمامة من أخصـب الـبلاد وأكثرها خيراً وكان ملك طسم غشوما لا ينهاه شئ عن هواه [٢]. وساءت العلاقات بين القبلتين ؛ بسبب تمـادى طسـم على جديس حتى اتفقت جديس على التخاص من هذا الملـك حتى اهتدوا إلى حيلة دفنوا سيوفهم فى الرمال ودعوه إلـى طعام . فلما حضر فى خواصه من طسم عمدت جديس إلـى سيوفهم وقتلوا الملك وغالبت طسم، فهرب رجل من طسـم وشكا إلى تبع ملك اليمن . وقيل هـو حسـان بـن أسـعد واستنصر به وشكا ما فعلته جديس بملكهم، فسار ملك اليمن إلى جديس و أوقع بهم وأقناهم، فلم يبق لطسم وجديس ذكـر بعد ذلك .

٤ – جرهم

---

(١) ابو الفداء ١ / ١٢٧ .

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المجلد الثانى، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩ م، ص ٢٤ .

جرهم من بنى أرفخشدين بن يقطن بن عابر بن شـالح، وكانت ديارهم اليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية . ولما تغلـب يعرب بن قحطان على اليمن من عاد وملكه من أيديهم وولى أخويه على الاقاليم وولى جرهم على الحجاز، وولى بلاد عاد الأولى وهى الشحر عاد بن قحطان فعرفت به وولى عمـان يقطن بن قحطان . وقيل ان جرهم نزلت الحجـاز ؛ لقحـط أصاب اليمن فلم يزالوا بمكة حتى جاء إسماعيل بن إبـراهيم وأقام معهم . وآمنوا بدعوته وورثوا ولاية البيت عنه حتـى مجئ قبيلة خزاعة وكنانة وتغلبت على مكة فخرجت جـرهم من مكة ورجعوا إلى ديارهم باليمن . [٣]

٥ – العمالقة

ينسب العماليق إلى " عمليق بن لاون بن سام " ونزلـت العمالقة بصنعاء من اليمن . ثم انتقلوا إلى الحـرم وتغلبـوا على من قاتلهم من الأمم . وكان من العمالقة جماعة بالشام . وكان منهم من ملك يثرب، وخيبر وتلك النواحى .[٤]

---

(١) ابن خلدون ٢ / ٣٠ .

(٢) ابو الفداء ١ / ١٢٥ .

٢ - العرب الباقية:

تنقسم إلى قسـمين همـا: العـرب العاربـة، والعـرب المستعربة

١ - العرب العاربة

هم عرب اليمن من أبناء قحطان ومـن أشـهر قبـائلهم جرهم، وبنو سبأ تفرع منهم حمير وكهلان وبنـو عمـرو، وأشعر، وعاملة.

ومن بطون حمير قضاعة بن مالك وتفرع منهـا قبائـل كلب، وبلى، وبهراء، وجهينة، وبنو سليح، وبنو نهد.

أما عن بطون بنى كهلان المشهور منها سبعة هم: الأزد، وطيئ، ومذحج، وهمدان، وكندة، ومراد، وأنمار.

ومن بطون بنى عمرو، لخم، وجذام. ومن بطـون بنـى الأشعر، الاشعريون وهم رهط أبى موسى الأشعرى، وأمـا بنو عاملة فمن بطونها عدى بن الرقاع .

ولقد هاجرت هذه القبائل من اليمن صوب الشمال بسـبب إنهيار سد مـأرب [١] .

٢ - العرب المستعربة:

ويعرفون بعرب الشمال، أو العرب العدنانية، أو عـرب الحجاز، أو العرب الإسماعيلية . ويغلب فى تواريخ تسميتهم

---

(١) ابو الفداء، ص ١٢٧-١٣٣.

بالعرب العدنانية نسبة إلى عدنان من سلالة إسماعيل [٢] .

وهم ولد إسماعيل بن ابراهيم، وسموا بهـذا الاسـم لأن إسماعيل كان يتكلم العبرانية. ولم يلبث أن تكلم العربية عندما سكن إسماعيل وأمه هاجر مكه. مع قبيلة جرهم وتزوج منهم وتعلم هو وأبناؤه العربية. وهم جمهور العرب مـن البـدو والحضر،الذين بسكنون أواسط جزيرة العرب، وبلاد الحجاز إلى بادية الشام . ولما أنها رسد مأرب خالطهم عرب اليمن . [٢]

ويستنتج أحد الباحثين أن نشأة العرب المسـتعربة كانـت تعاصر أواخر أيام الأسرة الثانية عشرة المصـرية وأوائـل عهد الهكسوس[٤].

أما عن الفروق بين العرب العاربة والمسـتعربة يرجـع بعضها إلى البيئة الطبيعة أو نظام الاجتماع أو اللغة أو الدين أو غير ذلك ويمكن أن نوجزها فيما يلى [١]:

(١) كان أهل الجنوب يعيشون عيشة مستقرة، أما أهـل الشمال فغلبت عليهم البداوة والتنقل .

---

(١) محمد مبروك نافع، ص ٤٤ .

(٢) ابو الفداء ١ / ١٣٣ . حسن ابراهيم حسن ١ / ١٤.

(٣) محمد مبروك نافع، ص ٤٦ .

(٤) محمد مبروك نافع، ص ٤٦ .

(٢) كانت لغة اليمنيين تخـالف لغـة العـدنانيين فـى أوضاعها، وتصاريفها.

(٣) كان لسان أهل الجنوب يشمل لهجات شتى أهمهـا: المعينية والسبئية والقتبائية والأوسانية والحضـرمية، وهـى قريبة من اللهجات الحبشية السامية . وكان لسان أهل الشمال يشمل عدة لهجات نستطيع أن نميز بين أربعة أنـواع منهـا وهى اللبحانية والثمودية، والصفوية والنبطية.[(١)]

(٤) كان يشترك الشعبان فـى الوثنيـة وفـى عبـادة الأصنام، ولكن آلهة الجنوب كانت تمت بصلة إلى آلهة بابل على عكس آلهة الشمال .

(٥) أنفراد كل من الشعبين بأسماء تخالف أسماء الشعب الآخر

(٦) أهل الشمال مستطيلو الرءوس أشد شـبها بأجنـاس البحر المتوسط . أما أهل الجنوب فمستديرو الرءوس ويمتازون بالفك العريض والأنف الأقنى .

(٧) أنشأ أهل الجنوب حضارة بحكم أستقرارهم، أما أهل الشمال فيرجع الفضل إلى الإسلام، فى أن كون مـنهم دولـة ووحدهم لأول مرة فى التاريخ[(٣)].

---

(١) على ابراهيم حسن، ص ٣٤.

(٢) محمد مبروك نافع، ص ٤٧ .

الفصل الثالث

الممالك العربية قبل الأسلام فى اليمن

لم يكن ببلاد العرب قبل الاسلام نظام سياسى موحد. ولا حكومة مركزية تدير كأفة شئونها . وإنما اكتظت بالوحـدات السياسية المستقلة التى عرفت بالقبائل التى تنتشر فى كافـة أنحاء شبه الجزيرة العربية. وثمة دليل على ذلك أن الشـعر الجاهلى مملوء بالشعر القبلى فالعربى يمدح قبيلتـه ويشـيد بانتصارها ويعدد محاسنها، ويهجو القبيلة الأخرى من أجـل قبيلته[1].

وقامت بالجزيرة العربية قبـل الاسـلام عـدة دول فـى الجنوب ممالك اليمن، وفى الشمال، وفـى وسـط الجزيـرة العربية ببلاد الحجاز. وسوف نفرد الحديث بالتفصيل عن كل هذه الممالك.

وجدت أقدم حضارات الجزيرة العربية فى اليمن. وكانت بلاد اليمن مقسمة إلى مخاليف، وكل مخلاف يحكمـه قيـل. ويقسم المخلاف إلى محافد، وكل محفد يحكمه ذو[2] و كـان

---

(١) على ابراهيم حسن، ص ٣٥-٣٦.

(٢) ناجى معروف:إصالة الحضارة العربية، الطبعة الثالثة،دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥،ص٤٨.

هذا اللفظ يضاف إلى اسم المحفد فيقال" ذو غمـدان[٣]" أى صاحب معين[٢] وكان مخلاف صـنعاء أعظـم المخـاليف وأخصبها وكان رؤساؤه يدعون بالملوك. ومنهم كان التبابعة. وتبع التى ورد ذكرها فى القـرآن الكـريم لقـب الملـوك كالأمبراطور[٣].

ويمكننا تقسيم تاريخ اليمن إلى عدة دول هى:

١ – الدور الخرافى

يبدأ هذا الدور فى اليمن بظهور الملك قحطان بن عـابر جد عرب الجنوب. ونسب قحطان هذا متصل بسام بن نـوح عليه السلام . ويذكر المؤرخون العرب أن قحطـان أتخـذ صنعاء حاضرة له ولبس التاج وحكم رعيته بالعدل .

وبعد قحطان جاء ابنه يعرب الذى يقال عنه أنه أول مـن تكلم العربية ويدعى البعض أن يعرب كان كثير الفتوحـات وأنه غزا الحجاز وولى أخاه جرهم عليها . كما ولـى أخـاه

---

(١) أقدم قصور اليمن وأهمها . الهمدانى: الأكليل، الجزء الثامن، حقيق / نبية أمين، فارس،لندن، ١٩٤٠، ص ٣ .

(٢) محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربى، القاهرة،١٩٦٤م، ص ٢٣.

(٣) ناجى معروف، ص ٨٤.

عاد بن قحطان على جبال الشحر، وعماد بن قحطان علـى أرض عمان . ولما مات ملك من بعده إبنه يشجب بن يعرب [(١)]

٢- مملكة معين (١٣٠٠-٦٣٠ق . م)

يعتبر المعينيون أقدم الشعوب التى حملت لواء الحضـارة فى بلاد العرب الجنوبية[(٢)] ويرجع أصـل المعينيـين إلـى عمالقة العراق، الذين عاشوا فيما بين النهـرين، واختلطـوا بجيرانهم السومريين أو الأكاديين من سكان أعلـى جزيـرة العرب، ولما ضاقت بهم سبل العيش بظهور دولة حمورابى فى بابل هاجروا مـع غيـرهم إلـى جزيـرة العـرب[(٣)]. ومصادرنا عن دولة معين هى النقوش التى كشفت حديثاً فى جزيرة العرب، والتوراة . فضلا عن كتابات الرحالة القدامى من الاغريق والرومان من امثال ديو دور الصقلى من القرن الأول الميلادى، وسترابو (٦٦ ق . م – ٢٤ م)[(٤)].

وأسفر البحث الأثرى عن كشف عدد كبير مـن النقـوش ومعظمها له صلة بالقرابين والعطايا . وقام مولر بدراسة هذه

---

(١) ابن خلدون ٢ / ٣٠ . نبيه عاقل، ص ٨٠ . محمد مبروك نافع، ص ٥١ – ٥٢.

(٢) نبيه عاقل، ص ٨٤ .

(٣) محمود عرفه محمود: العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى، عين للدراسات، القاهرة، ١٩٩٥ م .

(٤) محمد بيومى مهران، ص ٢١٤ حتى وآخرون١ / ٦٨ .

النقوش دراسة علمية ومنها تبين ان عدد ملـوك معـين ٢٦ اسما يتوزعون على خمس أسرات[٥]، وذهـب المستشـرق فيلبى (*Philby*) إلى أن عددهم ٢٢ ملكا، ويتكونون من خمس سلالات، وان الحكم فيهم كان وراثيا .[٦]

وقامت هذه المملكة فى منطقة الجوف الجنـوبى شـرقى صنعاء وحاضرتها القرن، ويسميها اليونان" كارنا" أو " قارنا"[٣] وبنيت مستطيلة فى مساحة صغيرة نسبيا نحو مائة ألـف متر مربع، وسورت بسور ضخم ذى مدخلين تحميها الأبراج الحجرية، وبقى جزء من البرجين الـذين يحفـان بمـدخلها الشرقى[١] .

نظام الحكم

وكان نظام الحكم فى معين وراثياً ينتقل مـن الأب إلـى الابن . وقد يشترك الأثنان معاً فى الحكـم. وعثـر بعـض

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٠٢. حتى وآخرون ١ / ٧١ محمود عرفه، ص ١١٣ .

(٢) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٠ م، ص ٦٠ .

(٣) حسن ابراهيم حسن ١/ص ٢٣. محمد جمال الدين سرور، ص ٣٧-٣٨

ناجى معروف، ص ٨٤على ابراهيم حسن، ص ٣٧-٣٨.

السيد عبدالعزيز سالم، ص ١٠١ .

(٤) عبد العزيز صالح، ص ٨١ .

المنقبين على ستة عشر ملكاً من ملوك هذه الدولة[1]

وكان ملوك هذه الدولة يلقبون بعدة ألقاب هى مـزواد[2]، وفسر أحد الباحثين هذا اللقب بمعنى من يزود المعبودات أو المعابد بقرابينها، أو من يزود دولته بخيراتها واعتمـد هـذا الترجيح على بقاء هذا اللقب " مزود " ضمن ألقـاب حكـام معين المتأخرين حتى بعد أن تلقبـوا بألقـاب الملـوك [4]، ويطوع أى المخلـص، وصـدوق أى العـادل، وريـام أى المضئ[4]

وكانت للمدن المعينية مجالس تدير شئوونها فـى السـلم والحرب وتعرف باسم "مسود"[5]

كانت المدن التى تتبع معين تتمتع بالاستقلال الذاتى ويدير شئونها رؤساء ينتخبون لمدة سنة قابلة للتجديـد، يسـاعدهم مجالس من رؤساء الأسر، ولرؤساء الأسـر هـؤلاء مكانـة رفيعة فقد كانت تدون أسماهم فى سجلات المدينة أو المعابد

---

(١) جرجى زيدان، ص ١٣١. حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٤
محمد جمال الدين سرور، ص ٢٤. على ابراهيم حسن ، ص ٣٨.

(٢) جرجى زيدان ، ص ١٣١.

(٣) عبد العزيز صالح، ص ٨١ – ٨٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٠٢.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، ص١٠٦.

وترد اسماؤهم فى وثائق المؤرخين . حتى أن بعض الملوك كانوا يؤرخون توليتهم ويحددونها بذكر الرئيس الـذى كـان يتولى الإدارة فى المدينة آنذاك .[٧]

٣ - سـبأ

أ – أصل السبئيين

أختلف المؤرخون فى أصل السبئيين فقيل أنها تنسب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . واسمه عبـد شـمس، وتفسير تسميته أنه كان يسبئ الذرارى والأطفال[١]. وقيـل أن التسمية ربما تكون راجعة إلى اسم قبيلة فى اليمن أو اسم جد لليمنيين[٢]. وهناك رأى يقول بأن السبئيين مـن أصـل حبشى[٣].

---

(١) نبيه عاقل، ص ٩١ .

(٢) ا لاصفهانى: تاريخ سنى ملوك الارض والأنبياء، برلين (د . ت) ص ٨١ .

أبو الفداء ١ / ١٢٧ . السيد عبد العزيز سالم، ص ١٠٨.على إبراهيم حسن، ص ٤٠ .

محمد بيومى مهران، ص ٢٦١ . نبيه عاقل، ص ٩٣ . محمود عرفه محمود ، ص ١١٩ .

(٣) جواد على ٢ / ١٠٠ . عبد المنعم ماجد ١ / ٧١ .

(٤) نبيه عاقل، ص ٩٣ .

واغلب الظن أن السبئيين كانوا فى الأصل شعب بـدوى ينتقل بين شمال شبه جزيرة العرب وجنوبها، ثم استقر هـذا الشعب فى بلاد اليمن فيما يقرب مـن عـام (٨٠٠ ق . م) نتيجة لضغط الأشوريين عليهم من الشمال فاستقروا فى اليمن واستغل السبئيين ضعف المعينيين، العسكرى، وأقاموا دولتهم على أنقاضها[٤]. وورثوا لغتها وديانتهـا وتقاليـد شـعبها، وخلفوهم فى الاشتغال بنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق[٥]

ب – مصادر سبأ

ورد ذكر سبأ فى التوراة وفى كتب اليونـان والرومـان، وفى الكتابات الأشورية[٦].

ولقد مرت مملكة سبأ بعصرين متتـابعين العصـر الأول يبدأ من (٨٠٠-٦٥٠ق. م) كان ملوكها يلقبون بلقب مكـرب سبأ. [٤]. وكان يقوم بوظيفة الملك والكاهن معاً . [١]

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٠٨ . نبيه عاقل، ص ٩٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٠٨ .

(٣) جواد على ٢ / ١٠٢ .

(٤) جرجى زيدان، ص ١٣٨حتى آخرون ١ / ٧١ .

السيد عبد العزيز سالم، ص ١٠٩-١١٠ محمد بيومى مهران، ص ٢٧١.

ومن أعظم انجازات العصر الأول تشييد سد مأرب أعظم السدود فى فجر التاريخ، وساعد على رى المنطقة المجاورة للسد طول العام يبلغ طوله ٨٠٠ ذراع وعرضه ١٥٠ ذراع . وبنى بالحجارة والتراب ينتهى أعلاه بسطحين ماثلين على شكل زاوية منفرجة تكسوها طبقة من الحصى تمنع انجراف التراب عند تدفق المياه، ويرتكز السد على جبلين تتفرع منه قنوات لرى سطح الجبلين ثم تقفل. [٢]

إما لقب ملوك العصر الثانى (٦٥٠-١١٥ق. م) ملك سبأ [٣]

وقامت مملكة سبأ بنقل السلع النفيسة من الطيوب وغيرها التى ترد إلى سواحلها من الهند والحبشة إلى مصر والشـام والعراق. [٤]

ومن أروع إنجازات مملكة سبأ تفـوقهم الملاحـى فـى

---

(١) صالح أحمد العلى ١ / ٢١.

(٢) صالح أحمد العلى، ص ٢٣.

السيد عبد العزيز سالم، ص ١١١.

(٣) جرجى زيدان ، ص ١٣٨. صالح أحمد العلى ١ / ٢١،

السيد عبد العزيز سالم، ص ١١٢. محمد بيومى مهران، ص ٢٧١-٢٧٢

حتى وأخرون ١ / ٧٢.

(٤) جرجى زيدان ، ص ١٤٠ .

حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٦.

المحيط الهندى والبحر الغربى حيث كانوا يسـيرون سـفنهم حسب الرياح الموسمية وقد نقل الرومان خبرة أهل اليمن فى فن الملاحة ومنذ ذلك الوقت قل الاهتمام نسبياً بطرق التجارة البرية التى تربط بين اليمن والحجاز. [1]

وقد اهتم السبئيون اهتماماً كبيراً بالزراعة. فأنشئوا السدود ومن أشهرها سد مأرب. [2]

وكان إنهيار سد مأرب من أبرز العوامل التـى عجلـت بسقوط مملكة سبأ الذى كان سبباً فى إزدهار الزراعة ورقى بلادهم، حيث ترتب على تصدع السد هجرة أعداد كبيرة من أهل سبأ إلى شمال الجزيرة وشرقها. [3]

٣- مملكة حمير (١١٥ق. م- ٦٢٨م)

لما دب الضعف فى مملكة سبأ، بدأت حمير يشتد ساعدها وتغلبوا على سبأ. واتخذوا مدينة ظفار مقراً لاقامتهم. [4]

---

(١) صالح أحمد العلى ١ / ٢٦.
ناجى معروف، ص ٨٨.
(٢) حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٦.
(٣) حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٧.
على ابراهيم حسن، ص ٤٤.
(٤) جرجى زيدان، ص ١٤٠.

وقد ورث الحميريون المعينين والسـبئيين فـى الثقافـة والتجارة واللغة [1] ولم يلبثوا أن وسعوا نفوذهم علـى كـل جنوب الجزيرة العربية، وامتدت سيطرتهم إلى تهامة والبلاد الواقعة على ساحل البحر الأحمر، من أجل إحكام قبضـتهم على الطرق التجارية البرية والبحرية معاً.

ويمكن تقسيم حكم مملكة حمير إلى عصرين متسـاويين العصر الأول (١١٥ق.م -٣٠٠م) ولقب ملوكها بـ " ملـك سبأ وذى زيدان" أما العصر الثانى (٣٠٠م- ٥٢٥م) اتخـذ ملوكها لقب " ملك سبأ وذى زيدان وحضرموت ويمنت)[2]

ومؤسس مملكة حمير الأولى هو ال شرح يحصب الـذى بنى قصد غمدان أشهر قصور اليمن[3] .

وأدى تفوق مملكة حمير البحـرى وامتلاكهـا إسـطولاً ضخماً ينقل البضائع من الهند والصـين والصـومال إلـى

---

(١) حتى وآخرون ١ / ٧٣. حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٨ على ابراهيم حسن، ص ٤٧.

(٢) جرجى زيدان، ص ١٤١ حتى آخرون ١ / ٧٣-٧٩ صالح أحمد العلى ١ / ٢٧ حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٨ السيد عبد العزيز سالم، ص ١١٤. على ابراهيم حسن، ص ٤٦.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، ص ١١٤.

موانيها فى عدن سبباً فى تنافس الفـرس والرومـان علـى الاستيلاء عليها. [1]

وارد الرومان الحد من نفوذ حمير فأرسلت حملة للقضاء عليها بقيادة اليوس جالوس حاكم مصر الرومانية فـى سـنة ٢٤ق. م وسائد الأنباط تلك الحملة بتقديم كافـة المسـاعدات وجعل الملك النبطى وزيرة صالحاً تحت تصرف الحملة التى خرجت من ميناء لويكة سالكة الطريق البرى عبر الحجـاز ووصلت إلى نجران بعد مضئ ستة أشهر. ولم يكتـب لهـا النجاح بسبب وعورة الطريق وتفشى الوبـاء بـين الجنـد وعادت الحملة إلى مصر عن طريق نجـران بعـد أن فقـد معظم رجاله ولقد كان لهذه الحملة نتائج عظيمـة لجزيـرة العرب حيث صرفت أنظارهم عن فتحها[2]. ويعزو الرومان سبب فشل الحملة الى عوامل المناخ ولا ريب أن هذا تبريراً لفشلهم، إذ الراجح أن سبب فشلها مقاومة اليمنيين[3].

وأخر ملوك حمير الأولى يدعى ياسر يهنعم، ويعرف فى المصادر العربية باسم ناشر النعم الذى ينسب الـرواه إليـه

---

(١) عبد المنعم ماجد، ص ٧٣.

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، ص ١١٥.
صالح أحمد العلى ١ / ٢٦.

(٣) صالح أحمد العلى ١ / ٢٦.

الفتوحات العظمى فى المغرب والحبشة وعبر بجنـوده إلـى أرض الصقالية[١].

ومن أبرز ملوك حميـر الثانيـة(٣٠٠- ٥٢٥ م) هـو شمرير عش الذى غزا العراق وفارس وخراسان والصغد[٢].

وقام أسعد أبوكرب الذى غزا أذربيجـان وهـزم ملـك الفرس، ووصل بجيوشه إلى بلاد الصين وحاصر روما [٣]

الغزو الحبشى لليمن

كانت علاقة الحبشة واليمن ضاربة فى أعماق التـاريخ . حتى أن القدماء يعدون اليمن والحبشة بلداً واحـداً وذهـب بعض العلماء إلى أن الحبشة مهد الساميين وأصل منبتهم. [٤]

وكانت العلاقات بين الحبشة واليمن على غير ما يـرام، لعدة أسباب:

١) كان عرب اليمن يقومون بخطف الأحباش من سواحل الحبشة ويبيعونهم أرقاء فى الجزيرة العربية حيث يوجد

---

(١) السيد عبد العزيز، ص ١١٧.

(٢) جرجى زيدان، ص ١٤١-١٤٤ صالح أحمد العلى ١ / ٢٧. حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٩. محمد جمال الدين سرور، ص٢٦ . السيد عبد العزيز سالم، ص ١١٨. على ابراهيم حسن، ص ٤٩

(٣) جرجى زيدان، ص ١٤٥ صالح أحمد العلى ١ / ٢٧. حسن ابراهيم، ص٢٩.

(٤) جرجى زيدان، ص ١٤٦.

الجيش فى الحجاز. [١]

٢) سيطرة الحمير بين على ساحل أزاينا وتفوقهم تجارياً على الحبشة [٢] وليس غريبا فى ظل هذا التوتر بين البلدين أن يقوم الأحباش بغزو بلاد اليمن عدة مرات منذ أوائل القرن الثانى للميلاد وحتى القرن الرابع الميلادى [٣]

أما عن فتح الأحباش الأخير لليمن والذى حدث فى سنة ٥٢٥م، بسبب اضطهاد اليهود للنصارى فى اليمن ومن المعروف أن اليهودية قد دخلت على يد أحد ملوك حمير[٤] .

وفى عهد الدولة الحميرية بدأت المسيحية تنتشر فى اليمن تدريجياً على أيدى المبشرين وخاصة اليعاقبة الذين قدموا من الحبشة وأنشأوا لهم كنائس فى عدن وظفار ونجران[٥]

وشن الأحباش هجوما على اليمن فى سنة ٣٤٠م وسقطت فى أيديهم وقد اتخذ الأحباش من نصارى اليمن سنداً قويا لهم غير أن الحكم الحبشى لم يدم طويلاً على اليمن[٦]

وتولى مقاليد الحكم فى مملكة حمير فى أوائل القرن

---

(١) عبد المنعم ماجد، ص٧٣.
(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص١٢٠. - جرجى زيدان، ص ١٤٩.
(٣) جرجى زيدان، ص ١٤٧.
(٤) جرجى زيدان، ص ١٤٧.
(٥) صالح أحمد العلى ١ / ٢٨
(٦) صالح أحمد العلى ١ / ٢٨.

السادس للميلاد ملك يدعى ذونواس كان شديد التعصب لليهودية وقاوم الديانة المسيحية [1] بشدة على اعتبار أن الأحباش هم الذين يرجون لها وأضطهد النصارى وشن هجوماً عنيفاً على نجران فى سنة ٥٢٢م، وقيل سنة ٥٣٤م[2]

وخير أهلها الذين كانوا يدينون بالمسيحية بين الأرتداد عن دينهم أو الاستشهاد فوقفوا منه موقفاً صارماً تحت رئاسة أمرائهم وقساوستهم فأبيدو دون رحمة فى الخنادق التى اعدت لإحراقهم. [3] وعرفوا بأصحاب الأخدود وورد ذكرهم فى القرآن الكريم:

﴿ قُتِلَ أَصحاب الأُخْدودِ (٤) النار ذَاتِ الوقُودِ (٥) إِذْ هم عليها قُعود (٦) وهم على ما يفْعلُون بِالْمؤْمِنين شُهود (٧)﴾[البروج آية: ٤ - ٧].

ونجا من العذاب رجل يدعى دوس ثعلبان ومضى إلى الإمبراطور البيزنطى يخبره بما صنع ذو نواس بنجران وأهلها . ولكن الأمبراطور البيزنطى جستيان اعتذر عن إرسال نجدة عاجلة لانقاذ نصارى الحبشة، لبعد المسافة بين

---

(١) ناجى معروف، ص ٨٩.

(٢) حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٩.

(٣) محمد جمال الدين سرور، ص٢٧. عبد المنعم ماجد ١ / ٧٤ . أحمد شلبى: التاريخ الاسلامى، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، النهضة المصريةالقاهرة١٩٧٠،
ص ٤٩-٥٠.

بيزنطة واليمن. [1] ولكنه طلب من النجاشى غزو الحبشة وإنقاذ المسيحيين . [2] وكان جستيان يهدف من وراء ذلك لتحقيق غرضين:

الأول: سياسى

اتخاذ بلاد اليمن طريقاً لتجارته إذ وقعت فى يد حلفائه الأحباش ليقضى على تجارة منافسة الفرس.

الثانى: دينى جعل السيادة للدين المسيحى فى اليمن.[3]

وجهز الأحباش حملة للاستيلاء على اليمن بقيادة أرياط . وتمكن من القضاء على الحميريين بقيادة ذو نواس.

وعندما ضبط أرباط شئون اليمن كثرة الأموال فى يده وأختص بها أعوانه المقربي[4] ولذاك دب الخلاف بين الأحباش . وقامت المنافسة بين أرباط وأبرهة أحد قادة الجيش وتبارزا القائدان وقتل أرباط فخلفه أبرهه على اليمن برضاء النجاشى. [5] وقد جرح أبرهه فى هذه المبارزة وشجت شقته فلقب بالأشرم.

---

(١) جرجى زيدان، ص ١٤٨.

(٢) جرجى زيدان، ص ١٤٨حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٩.

(٣) حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٩.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص١٣٥.

(٥) لما علم النجاشى غضب من ابراهه. ولكنه لم يلبث أن عفا عنه المسعودى: مروج الذهب، الجزئ الثانى، ص

وشيد أبرهه كنيسه فى صنعاء سماها القليس زينها بالذهب والفضة والزجاج والفسيفساء[1] . وسخر ابرهه أهل اليمن فى بنائها وأرسل إلى النجاشى أنى قد بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك من قبلك[2]

وكان غرض أبرهة من بناء كنيسه صنعاء جعلها مركزاً للعرب يحجون إليها بدلا من مكة[3]

وتحدث العرب بذلك فغضب رجل من بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبه وعزم على تدنييس الكنيسة ببعض القاذورات، وعلم بذلك أبرهه فغضب وأقسم ليسير إلى الكعبة لهدمها وأعد جيشاً كبيراً تتقدمه الفيل[4]

ولما مر أبرهة بالطائف بعثت معه قبيلة ثقيف رجلاً يدعى أبا رغال ليخبره بالطريق السهل لمكه ولم يلبث أن هلك أبا رغال فى موضع يقال له المغمس بين الطائف ومكة فرجم قبره بعد ذلك[5]

وعندما وصل أبرهه إلى مكة وأراد هدم الكعبة، أرسل ا عليهم طيراً مع كل طير ثلاثة أحجار تسقطها عليهم .

---

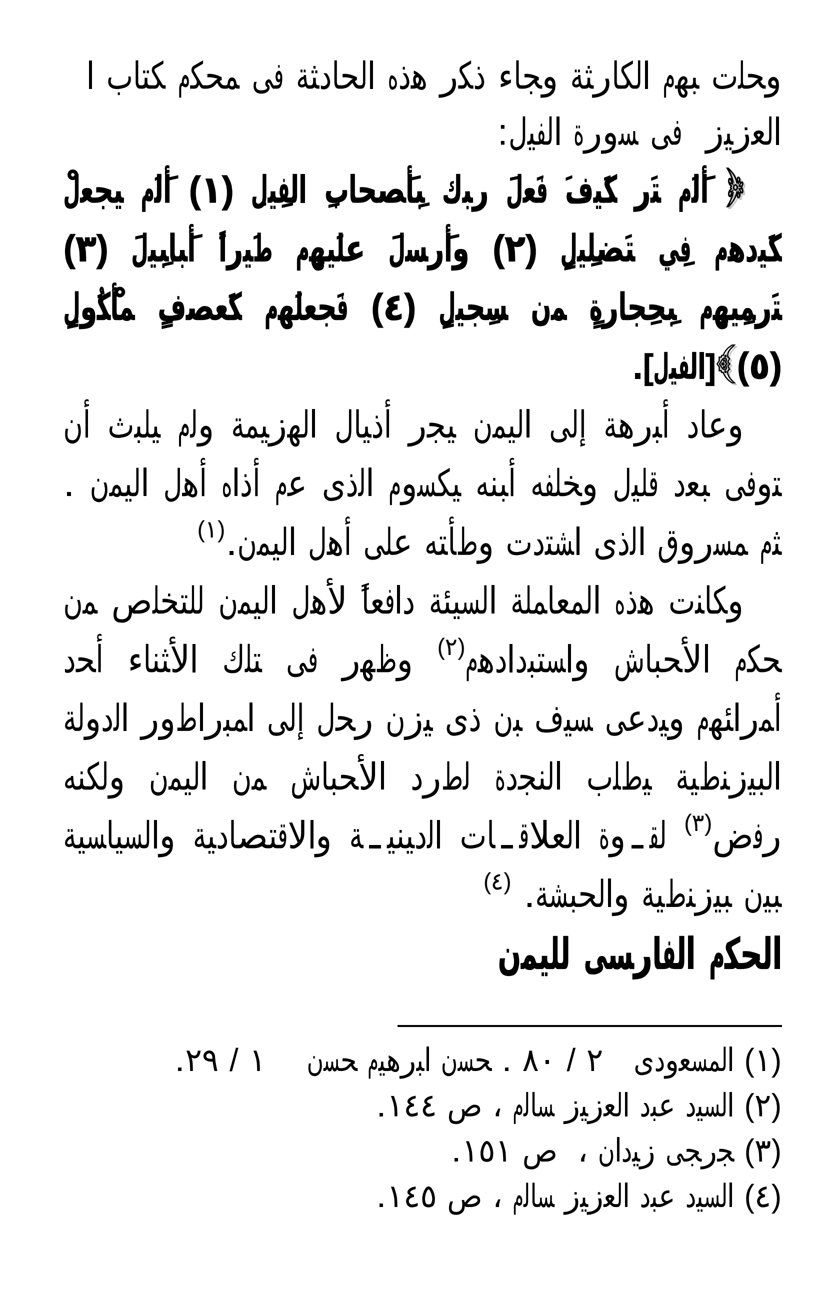
(١) جرجى زيدان، ص١٥١ .

(٢) جرجى زيدان، ص ١٥١ . السيد عبد العزيز سالم، ص ١٣٩.

(٣) عبد المنعم ماجد ١ / ٧٥السيد عبد العزيز سالم ، ص١٣٩.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص١٣٩.

(٥) المسعودى ٢ / ٧٨.



وحلت بهم الكارثة وجاء ذكر هذه الحادثة فى محكم كتاب ا العزيز فى سورة الفيل:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥)﴾[الفيل].

وعاد أبرهة إلى اليمن يجر أذيال الهزيمة ولم يلبث أن توفى بعد قليل وخلفه أبنه يكسوم الذى عم أذاه أهل اليمن . ثم مسروق الذى اشتدت وطأته على أهل اليمن.[1]

وكانت هذه المعاملة السيئة دافعاً لأهل اليمن للتخلص من حكم الأحباش واستبدادهم[2] وظهر فى تلك الأثناء أحد أمرائهم ويدعى سيف بن ذى يزن رحل إلى امبراطور الدولة البيزنطية يطلب النجدة لطرد الأحباش من اليمن ولكنه رفض[3] لقـوة العلاقـات الدينيـة والاقتصادية والسياسية بين بيزنطية والحبشة.[4]

الحكم الفارسى لليمن

---

(١) المسعودى ٢ / ٨٠ . حسن ابرهيم حسن ١ / ٢٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، ص ١٤٤.

(٣) جرجى زيدان ، ص ١٥١.

(٤) السيد عبد العزيز سالم ، ص ١٤٥.

ولما يئس سيف بن ذى يزن من استجابة الامبراطور البيزنطى لمطالبه ذهب إلى المنذرين ماء السماء أمير الحيرة يطلب منه مساعدته عند كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٨م) لطرد الأحباش من بلاده. وأمده بجند تحت قيادة وهرز وتمكن من اخراج الأحباش وبعث اليه بجواهر وعنبر وكتب إليه أن يخلف سيف ابن ذى يزن على ملك اليمن ويقدم إليه.[١]

ولما استقر لسيف بن ذى يزن حكم اليمن، جلس فى قصر غمدان وقدمت عليه القبائل العربية لتهنئته[٢] .

وقتل سيف بن ذى يزن كثيراً من الأحباش فى بلاد اليمن، وانتهى الأمر بمقتله على يد رجل حبشى . فلما علم كسرى بعث وهرز إلى بلاد اليمن فى أربعة آلاف من الفرس، وسيطر على زمام الأمور.

ولما هلك وهرز خلفه ابنه المرزبان، وكان أخر ولاة اليمن من قبل كسرى هو باذان وعاش إلى عهد النبى صلى ا عليه وسلم ودخل فى الاسلام[٣].

---

(١) حتى وآخرون ١ / ٨٦. حسن ابراهيم حسن ١ / ٣٠ .
جرجى زيدان، ص ١٥١ . المسعودى ٢ / ٨٢ .
(٢) جرجى زيدان، ص ١٥١. المسعودى ٢ / ٨٧ – ٨٨ .
(٣) حسن ابراهيم حسن ١ / ٣١.

الفصل الرابع

الممالك العربية فى شمال الجزيرة العربية

١- مملكة الأنباط (١٦٩ق.م - ١٠٥م)

قامت مملكة الأنباط على مشارف الشام. فى الجنوب الشرقى من فلسطين وتمتد من حدود فلسطين إلى رأس خليج العقبة. ويحدها من الغرب وادى عرابة، ومن الجنوب بادية الحجاز، ومن الشرق بادية الشام، ومن الشمال فلسطين.[١]

ولقد هيأ هذا الموقع الجغرافى الفريد، للأنباط القيام بدور هام فى النشاط التجارى حيث أصبحت محطة للقوافل التجارية بوادى موسى التى تقع شرق الأردن حيث تتوفر فيها المياه، وتحيط بها الجبال. مما جعلها صالحة لنزول القوافل للاستراحة والتزود بحاجتها الكافية من المياه. [٢]

---

(١) جرجى زيدان ، ص٨١.

(٢) نبيه عاقل، ص ١٠٩.

ومن أشهر ملوك الأنباط:

الحـــارث الأول (١٦٩-١٤٦ق. م) كـــان معاصـــراً لبطليموس السادس ملك مصر. وقد لجأ إلى بلاطه جاسـون كبير كهنة اليهود فى بيت المقدس، ودخل الحارث فى حلـف مع جيرانه المكابين ضد السلوقين لأسباب تتعلـق بمصـالح دولته التجارية. [1]

والحـارث الثـانى (١١٠-٩٦ ق.م) كـان معاصـراً لبطليموس الثامن [2]، وفى عهده بلغت مملكة الأنباط درجـة كبيرة من القوة جعلت جيرانه يلجأون إليه طالبين النجدة ضد خصومهم. [3]

والحارث الثالـث (٨٧-٦٢ ق. م) مـن أعظـم ملـوك الأنباط، فتوسعت الدولة فى عهده على منطقة البقاع بسوريا، ودعاه الدمشقيون ليتولى أمرهم، وحاصر أورشليم [4]

ومن ملوك الانباط عبادة الثالث (٣٠-٩ ق.م) الذى شهد فى عهده حملة اليوس جالوس الرومانى على بـلاد العـرب وتولى صالح الوزير النبطى مهمـة إرشـاد الحملـة علـى

---

(١) نبيه عاقل، ص ١١٣.

(٢) جرجى زيدان، ص ٨٧.

(٣) نبيه عاقل، ص ١١٣.

(٤) جرجى زيدان، ص ٨٧.

الطريق البرى .[1]

واخر ملوك الانباط هو مالك الثالث (١٠١-١٠٦م) وفى عهده قضى الإمبراطور الرومانى تراجان على مملكة الأنباط وغدت هذه المملكة جزءاً من المقاطعة العربية التى أقامهـا الرومان فى سورية. [2]

حضارة الأنباط

كشفت الحفائر الأثرية الحديثة أن موقـع البتـراء كـان مأهولاً منذ العصر الحجرى القديم . كما وجدت كهوف وأثار مستعمرات سكنية تعود إلى العصر الحجرى الحديث.[3]

وازدهرت البتراء فى أواخر القرن الرابع قبـل المـيلاد، وظلت نحو أربع مائة سنة تشغل مركزاً هاماً علـى طريـق القوافل الذى يقطع الصحراء بين جنوب شبه الجزيرة وبـين ثغور بحر الروم. [4]

وفرض الأنباط اتاوات على هذه القوافل ضماناً لسلامتها وحمايتها. [5] واستعمل الانباط الآرامية لغة للعلـم والأدب،

---

(١) جرجى زيدان، ص ٨٨.   نبيه عاقل، ص ١١٣.
(٢) نبيه عاقل، ص ١١٨.
(٣) نبيه عاقل، ص ١١٩.
(٤) حتى وأخرون ١ / ٨٩.
(٥) نبيه عاقل، ص ١١٠.

وتطور الخط النبطى. وأصبح فى القرن الثالث للميلاد الخط المألوف فى لغة عرب الشمال. وقدد جعل هذا التطور مـن الخط النبطى القديم خطاً نسجياً مستدير الشكل.

وكانت حضارة الأنباط مركبة فهى عربيـة فـى لغتهـا، وآرامية فى كتابتها، وسامية فى ديانتها، ويونانية فـى فنهـا وهندستها المعمارية. [1]

أما عن عبادة الأنباط، فلقد عبدو آلهة عديـدة منهـا ذو الشرى واللات هما أكبر آلهتهم[2] ومن أهم عوامل سـقوط الأنباط اتجاه أهل الملاحة من الرومان إلى السفر بحراً إلـى الهند . وتحول خط القوافل بين الشرق والغرب إلى منطقـة الشمال. مما أضعف من شأن البتراء ورفع شأن تدمر. [3]

---

(١) نبيه عاقل، ص ١١٩.

(٢) نبيه عاقل، ص ١٢١-١٢٢.

(٣) حتى وأخرون ١ / ٩٦. أحمد شلبى ١ / ٥٣.

٢- مملكة تدمر

تدمر مملكة عربية قامت فى البادية العربية فى المنطقـة المحصورة بين العراق والشام[١] فى بقعة غنية بالمياه وتمثل ملتقى للقوافل التجارية بين الجنوب والشمال . ويكثـر فـى نقوشها القديمة ذكر عبارة زعيم القافلة وزعيم السوق.[٢]

وكانت السيادة فى تدمر للعرب . علـى الـرغم مـن أن الآراميين المتأثرين بالحضارة الإغريقية كانوا يؤلفون غالبية السكان فيها.[٣]

واختلف المؤرخون فى عوامل تسمية هذه المملكة باسم " تدمر" فقيل أن تدمر سميت بتدمر بنت حسان بن أذينة. وقيل أن تدمر تخفيف " تـدمرتا" بالآرميـة ومعناهـا الأعجوبـة والمعجزة وقيل أن تدمر مأخوذة من كلمة " التمر" الآرامية. ومعناها مدينة النخل أو مدينة التمر لكثرته فيهـا. وأن لفـظ بلميرا ***Polmero*** يعنى النخلة.[٤]

وأشهر ملوك تدمر الملك أذينة الذى عبر الفرات واستولى

---

(١) جرجى زيدان، ص ٩٨. ناجى معروف، ص ٩٦.

(٢) حتى وأخرون ١ / ٩٧.

(٣) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، الطبعة الخامسة دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٢٢.

(٤) على إبراهيم حسن، ص ٨٦-٨٧.

على الجزيرة وزاحف إلى فارس وحـارب الفـرس أعـداء الرومان [١]، ومنحه الرومان لقب إمبراطور الشرق[٢]

وتمكن أذينة من السيطرة على آسيا الصغرى، ومصـر، والشام وشمال الجزيرة، وبلاد آرمية.[٣]

وانتقل الملك بعد وفاة أذينة إلى وهب اللات تحت وصاية أمه زنوبيا التى عرفت عند الاخبـار بـين العـرب باسـم الزباء.[٤]

وسارت على سياسة زوجها، واشرفت على شئؤون الدولة بحزم، واتخذت لنفسها لقب ملكة الشرق، وكانت تسـتعرض جندها فى الميادين وترتدى لباس الحرب.[٥]

وحاولت توسيع حدود مملكة تدمر على حساب جيرانهـا فى مصر والشام والعراق وآسيا الصغرى، وغضب عليهـا الإمبراطور الرومانى أورليان وأرسل حملة للقضـاء علـى

---

(١) حتى وأخرون ١ / ٩٩ أحمد شلبى ١ / ٥٤.

(٢) حتى وأخرون ١ / ٩٩ بروكلمان، ص ٢٢٧.

(٣) حتى وأخرون ١ / ٩٩.

(٤) جرجى زيدان، ص ١٠١-١٠٤

- عباده كحيلة، العقد الثمين فى تاريخ المسلمين، دار الكتاب الحديث،الكويت،١٩٩٠م، ص ٣٧ .

(٥) جرجى زيدان، ص ١٠٣.

تدمر وتغريق شمل زنوبيا [١]. واستطاع أن يأسرها ويفـتح تدمر . وقد حاولت زنوبية أن تفلت من أسـرها وتسـتنجد بالساسانين ولكنها لم تفلح.

أما تدمر فبعد أن فتحا أورليان جعلها مركز أمامياً يصـد الخطرالساسانى واكتفى بتعيين حاكم رومانى وحامية صغيرة وفرض عليها غرامة، ولكن سرعان ما ثارت ضـده تـدمر فاضطر الإمبراطور الرومانى أن يعود بفتحها مـرة ثانيـة وأخذ زنوبيا أسيرة إلى روما[٢]

حضارة تدمر

كانت حكومة تدمر لها مجلس من الشيوخ يرأسه منفـذ، مجلس للعشائر يضم كافة أفراد العشائر.[٣] وكـان للمدينـة رئيس يعهد إليه إدارة المدينة يساعده عدد مـن المـوظفين للشئون المالية والقضائية.[٤] وقوة بوليس لحمايـة القوافـل والطرق من غزوات البدو.

وكانت تدمر مركز التجارة والسياسية فى الشرق، فكانوا يحملون من جزيرة العرب الذهب والشب واللبان والصـمغ، ويحضرون من العراق لآلئ البحرين كما كان للتـدمر بـين

---

(١) جرجى زيدان، ص ١٠٣.

(٢) نبيه عاقل، ص ١٤٣.

(٣) ناجى معروف، ص ٩٦.

(٤) ناجى معروف، ص ٩٦.

نقود عليها اسماء ملوكهم وصورهم.[1]

وكان لتدمر عدد كبير من الالهة تحمل أسـماء عربيـة وإرامية من أشهرها بعل وشمس واللات.[2] وتمتـع رجـال الدين فى تدمر بنفوذ كبير وكان بعضهم يقيم فـى المعابـد الرئيسة، وبعضهم الأخر يعيش مع القبائل.[3]

من أهم أثار تدمر الباقية هى:-

١- هيكل الشمس أو هيكل بعل:

وهو بناء مربع الشكل طوله كل ضلع من أضـلاعه، ٢٢ متراً، يحيط به سورا ارتفاعه ٢١ متراً.

٢- الرواق الأعظم:

كان يتألف من شارع أوسط وشارعين جـانبيين، ويمتـد على طول المدينة من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى.

٣- المدافن:-

تنوعت أشكالها، ويبلغ عددها مائة مدفن، وتتآلف من أربع طبقات.[4]

---

(١) جرجى زيدان، ص ١٠٧-١٠٨ عبد المنعم ماجد، ص ٨٧ حتى وأخرون ١ / ٩٩-١٠٠.

(٢) ناجى معروف، ص ٩٧.

(٣) نبيه عاقل، ص ١٤٢.

(٤) جرجى زيدان، ص ١٠٥-١٠٦ . ناجى معروف، ص ٩٧-٩٨.

٣ – الغساسنة

ينتمى الغساسنة إلى غسان أحد بطون الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان . هاجروا من اليمن؛ بسبب إنهيار سد مأرب إلى الشام . ونزلوا على منطقة مـاء غسان فنسبوا إليه. [(١)] وكـان يسـكن فـى هـذه المنطقـة الضجاعمة من قبائل بنى سليح بن عمرو بن حلـوان مـن قضاعة. ودانوا لحكم البيـزنطيين، واعتنقـوا النصـرانية. واعترفت الدولة البيزنطية بهم. وجعلـتهم تحـت حمايتهـا واتخذتهم أعواناً لها ضـد المنـاذرة والفـرس فـى زمـن الامبراطور انستاسيوس حوالى القرن الخامس الميلادى.[(٢)]

ولما نزل الغساسنة فى منطقة البلقاء طالبهم الضـجاعمة بالإتاوة وظل الغسانيون يؤدونها على كره منهم حتى تغلبـوا عليهم وانفردوا بالحكم وطردوا الضجاعمة. واقاموا لأنفسهم دولة فيما بين البلقاء وحوران عرفت بدولة الغساسنة.[(٣)]

ودخل الغساسنة فى دائرة النفوذ البيزنطى السياسى فقـد

---

(١) أبو الفداء ١ / ٩٦.

(٢) محمد بيومى مهران ، ص ٥٦٤.

(٣) جرجى زيدان، ص ٢٠٧. حسن ابرهيم حسن ١ / ٣٧. محمد جمال الدين سرور، ص ٣٢. صالح أحمد العلى ١ / ٥٦. ناجى معروف، ص ٩٩نبيه عاقل، ص ١٥٢. محمود عرفة محمود ، ص ٩٨.

جعلوها حاجزاً لرد هجمات البدو على الأراضى البيزنطية[1] وحليفا يستعينوا بهم فى صراعهم مع الفرس والمناذرة[2]

اختلف المؤرخون فى عدد ملوك الغساسنة، فقيل إنهم نحو ٣٢ ملكاً، حكموا نحو ستمائة سنة، وقيل إن عددهم عشـرة ملوك أقدمهم حكم فى آخر القرن الخامس للميلاد[3]

واتفقت الروايات التاريخية العربية علـى أن أول ملـوك الغساسنة، هو جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن مزيقيا الذى تمكن من إخضاع قضاعة ودانت له بلاد الشام[4]

ولما توفى جفنة تولى بعده ابنه عمرو بن جفنة الذى بنى بالشام ديرحالى ودير أيوب ثم تولى ثعلبة بن عمـرو الـذى بنى صرح الغدير فى أطراق حوران[5]

وكان الحارث بن جبلة أعظم أمراء بنى جفنة تولى ملـك الغساسنة فى عهد الامبراطور جستنيان[6] الذى جعلـه فـى

---

(١) حتى وأخرون ١ / ١٠٣ بروكلمان، ص٢٣.

محمود عرفه محمود، ص ٩٨.

(٢) محمد بيومى مهران، ص٥٦٢.

(٣) جرجى زيدان، ص ٢٠٩ حتى وأخرون ١ / ١٠٢.

محمد بيومى مهران، ص٥٦٣.

(٤) أبو الفداء ١ / ٩٦. حسن ابراهيم حسن، ص٣٧.

(٥) ابو الفداء ١ / ٩٦.

(٦) حسن ابراهيم حسن ١ / ٣٧ بروكلمان ، ص٢٣.

مرتبة الملوك وبسط سلطانه على جميع عرب الشام واشتعل فتيل الحرب بين الحارث بن جبلة والمنذر أميـر الحيـرة، بسبب النزاع على شريط من الأراضى ممتد علـى جـانبى الطرق الحربية من دمشق إلى تدمر حيث زعم أمير الحيـرة أن القبائل العربية القاطنة بتلك النـواحى تـدين لسـلطانه. ونافسه الحارث على هذه المنطقة، ونشبت الحرب بينهما.

وأسفرت عن وقوع أحد أبناء الحارث أسيرا فى يد المنذر ثم دارت بينهما معركة بالقرب من قنسرين حقق فيها الحارث انتصاراً على أمير الحيره وقتله سنة ٥٤٤م[١] .

وسافر الحارث إلى القسطنطينية سنة ٥٦٣م للتفاوض مع الامبراطور البيزنطى حول من يخلفه من أولاده على سورية وأعجب الحارث، بما شاهده من مظاهر العظمة والترف[٢] .

وتولى عرش الحكم بعد وفاة الحارث ابنه المنـذر الـذى حارب الحيرة عندما شنوا هجوماً على سورية عقـب وفـاة

نبيه عاقل، ص ١٥٥.

(١) جرجى زيدان، ص ٢١٦. حسن ابراهيم حسن ١ / ٣٩.
صالح أحمد العلى، ص٥٧. نبيه عاقل، ص ١٥٦.
محمد بيومى مهران، ص ٥٦٧ محمود عرفة محمود، ص١٠٠.

(٢) جرجى زيدان، ص ٢١٧. حسن ابراهيم حسن ١ / ٣٩.
صالح أحمد العلى ، ص ٥٨محمد جمال الدين سرور، ص٣٤-٣٥.
محمود عرفه محمود، ص ١٠١.

أبيه.

وتأزمت العلاقة بين المنذر والبيزنطيين، بسـب اعتنـاق المنذر للمذهب المونوفيزى مذهب الطبيعة الواحـدة، وهـو المذهب الغالب فـى سـوريا وقطـع البيزنطيـون إرسـال الأمدادات إلى المنذر مدة ثلاث سنوات وأحـس المنـذر أن بيزنطية تدبر مؤامرة لاغتياله فغادر حاضرة ملكه وتوغـل فى الصحراء . وأعلن العصيان على الروم.

ولما علم المناذرة بذلك انتهزوا تلـك الفرصـة وشـنوا غارات متتالية على بلاد الشام، الأمر الـذى جعـل الدولـة البيزنطية تعيد حساباتها لتهدئة الوضع. وطلبوا من المنـذر العودة إلى حاضرة ملكه، وعقد صلح بـين الطـرفين سـنة ٥٧٨م(١) .

ولم يلبث أن شك الإمبراطور البيزنطى فى ولائه ونفـاه إلى صقلية . ولكن أبناءه سخطوا على البيـزنطين ووحـدوا جهودهم تحت قيادة أخيهم الأكبر النعمان. وأخـذوا يشـنون الغارات من الصحراء على الأراضى البيزنطيـة، غيـر أن القائد البيزنطى تمكن من القبض على النعمان.

وأسره إلى القسطنطينية. وقد تلاشت عرى دولة الغساسنة

---

(١) نبيه عاقل، ص ١٦١-١٦٢.

وأختارت كل قبيلة أميراً لها[١].

وكان جبلة بن الأبهم أخر أمراء الغساسنة، أسلم فى خلافة عمر بن الخطاب ولم يلبث أن عاد إلى النصـرانية وتـرك بلاده ليستقر فى بلاد البيزنطيين.[٢]

حضارة الغساسنة

كان للغساسنة حضارة مزدهرة متأثرة إلـى حـد كبيـر بالحضارتين الساسانية والبيزنطية. واهتم الغساسنة بالزراعة، وعمرو القرى والضياع. كما اهتموا بالعمران والبنيان[٣].

واقتبست الغساسنة كثيراً من الكلمات التى لم تكن معروفة بها مثل الكنيسة والراهب[٤].

٤- المناذرة

تقع الحيرة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة. [٥] واختلفـت الأراء فى تفسير اسم الحيرة فقيل سميت بذلك من الحيـرة-

---

(١) حسن ابراهيم حسن ١ / ٣٩. نبيه عاقل، ص ١٦٣. محمود عرفه محمود، ص١٠٣.

(٢) أبو الفداء ١ / ٩٦-٩٧ حسن ابراهيم حسن ١ / ٤٠ . محمد بيومى مهران، ص ٥٧٥.

(٣) السيد عبد العزيز سالم ١ / ٢١١.

(٤) حسن ابراهيم حسن ١ / ٤٠.

(٥) جرجى زيدان، ص ٢٢١.

أى الضلال- لأن أحد ملوك اليمن لما بلغ الحيرة ضل دليله وتحير وزعم أخرون أن مالكاً لما نزلها جعلهـا حيـراً أى حظيرة أو بستان وقيل سميت الحيرة من الحوار أى البياض لبياض أبنيتها. وفى حقيقة الأمر أن لفظ الحيرة سريانى معناه الحصن أو المعقل حوله الخندق وهى والحير العربيـة مـن أصل [1] واحد.

أما عن سكان الحيرة الأصليين، فكانوا من قبائل شتى من بطون العرب، اعتنقوا النصرانية على المذهب النسـطورى وعرفت هذه القبائل باسم العباد، لأنهم اتخذوا شعاراً لهم: يـا أل عباد ا حين حاربهم سابور الأكبر كسرى الفرس.

ولما قامت الدولة الساسانية فى فارس حاولت التخلص من العرب القاطنين على حدود دولتها لكنها لم تتمكن من ذلـك، فمالت إلى اصطناعهم وأسست إمارة الحيـرة سـنة ٢٤٠م وعين عمراً بن عدى بن نصر بن ربيعة بـن لخـم أميـراً عليها. وظلت أسٍرته تتولى زمام الحكم فيها حتى دخلت فـى حوزة الدولة العربية الاسلامية فى خلافة أبى بكر الصديق. [2]

وكانت العلاقة بين دولة فارس وإمارة الحيرة قائمة علـى

---

(١) جرجى زيدان، ص ٢٢٤ محمود عرفه محمود، ص ٨٩.
(٢) محمد جمال الدين سرور، ص ٢٩.

أساس أن يقدم عرب الحيرة الطاعة لكسرى وهو يولى عليهم أمير من بينهم؛ وعليهم صد الغارات من ناحيتهم على بلاد الفرس، مقابل اعفائهم من دفع الإتاواة.[1]

ومن أشهر ملوك الحيرة عمرو بن عدى (٢٦٨-٢٨٨م) الذى اتخذ الحيرة منزلاً له ولأهله . وامرؤ القيس بن عمرو (٢٨٨-٣٢٨م) والذى اتسع سلطانه، وهو أول من وقف المنقبون على اسمه من ملوك لخم منقوشاً على قبره وفيه تاريخ وفاته. [2]

والمنذر بن النعمان بن امرؤ القيس (٤٣١-٤٧٣م) واشتبك مع الحارث ابن أبى شمر الغسانى على الأراضى الواقعة جنوبى تدمر وكان يدعى كل أمير منهما سلطته على القبائل العربية النازلة بها .

وكانت الحرب سجالاً بينهما، ففى سنة ٥٤١م تجدد القتال بينهما وأسر المنذر أحد أبناء الحارث ثم انتهت الحرب بهزيمة المنذر وقتله فى موقعة مرج حليمة سنة ٥٥٤م. ولم يلبث أن تجدد القتال بين الحيرة والغساسنة سنة فى موقعة عين أباغ وقتل فيها ملك الحيرة سنة ٥٧٠م.[3]

---

(١) محمد جمال الدين سرور، ص ٢٩.

(٢) جرجى زيدان، ص ٢٢٦.

(٣) حسن ابراهيم حسن ١ / ٣٣-٣٥ .

والنعمان بن المنذر الذى قتله كسرى فـى سـنة ٦٠٢م، ومدحه النابغة الذبيانى بعدة قصائد. [1]

وأقام كسرى على بلاد الحيرة إياس بن قبيصة،ولم يكـن من البيت الحاكم واشـرك معـه رجـلاً فارسـياً اسـمه " التحيرجان" .

ولقد قامت حرب ذى قار بين إياس بـن قبيصـة حـاكم الحيرة تؤيده حكومة فارس وبين العرب فكان النصر للعرب وهزم الفرس وأمير الحيرة. [2]

وانفرد بالملك فى الحيرة ازاذ بن يابيان الهمذانى ثم تولى بعده النذر بن النعمان بن المنذر الذى ملك الحيرة لمدة ثمانية أشهر حتى قدم عليه خالد بن الوليد.[3]

حضارة المناذرة

كان للحيرة دور حضارى كبير فى الحضارة العربيـة ؛ فقد عملوا بالتجارة فى كافة أرجاء شبه الجزيـرة العربيـة، وكانوا اشتغلوا بتعليم القراءة والكتابة وساعدوا علـى نشـر

ماجى معروف، ص ١٠٠.

(١) أبو الفدا ١ / ٩٥.

(٢) حسن ابراهيم حسن ١ / ٣٧.

(٣) أبو الفدا ١ / ٩٥ .

حسن ابراهيم حسن ١ / ٧٣.

النصرانية فى بلاد العرب. [1]

يقسم المؤرخون سكان الحيرة إلى ثلاثـة أقسـام عـرب الضاحية والعباد والأحلاف فأما عرب الضاحية فهـم مـن القبائل العربية التى استقرت فى الحيـرة أو فـى أطرافهـا وتسكن فى بيوت الشعر والخيام وتشتغل بالرعى أو تسـتقر وتبنى البيوت ويطلق النسابون عليهم تنوخ.

أما العباديون فهم قوم من النصارى. وقد لعب العبـاديون دوراً كبيراً فى مفاوضة خالد بـن الوليـد وفـى مسـاعدة المسلمين عند الفتح الاسلامى أما الأحلاف فهم القبائل العربية التى حالفت المناذرة واعترفت بسيادتهم وتجولت فى أطراف الحيرة أو استقرت عندها[2]

وفى ميدان الصناعة ازدهـرت فـى الحيـرة صـناعة المنسوجات، واكتسبت سيوف الحيرة شـهرة كبيـرة بـين العرب.

وقد عرفوا النجارة والتنجيد وصناعة الخـزف وأوانـى الفخار والنقوش[3] .

---

(١) حسن ابراهيم حسن ١ / ٣٢-٣٣.

(٢) صالح أحمد العلى ١ / ٧٤.

(٣) صالح أحمد العلى ١ / ٧٧.

الفصل الخامس
حواضر الحجاز

١- مكة

اختلف الإخباريون فى اشتقاق كلمة مكة. فقيل أنها سميت مكة لأنها تمك الجبارين، أى تذهب نخوتهم، وقيـل سـميت مكة لازدحام الناس بها. وقيل مكة اسم المدينة وبكـة اسـم البيت، وقيل مكة لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول لايـتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فنمك فيه، وقيل سـميت مكـة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهى هبطة بمنزلة المكوك[1] وقيل أن اسم مكة بابلى من " مكا" أى " البيت" وهـو اسـم الكعبة عند العرب[2] .

ورد فى القرآن الكريم اسم آخر لمكة. فذكرت بكـة فـى قولة تعالى: ﴿**إِن أَولَ بيتٍ وضِع ِللناس للَذِي ِببكةَ مباركـاً وهدى للْعـالمِين** ﴾**[آل عمـران ٩٦].** وفسـر الإخبـاريون المقصود ببكة هى موضع البيت وموضع القرية مكة. وقيـل

---

(١) ياقوت ٥ / ص١٨١-١٨٢ (مادة مكة) . السيد عبد العزيز سالم ، ص ٢٩٤.

(٢) جرجى زيدان، ص ٢٧٥.

سميت بكة لأن الاقدام تبك بعضها بعضاً. وقيل بكة موضـع البيت ومكة هو الحرم كله. وقيل بكة الكعبة والمسجد[1] .

وجاء ذكر مكة بأسماء أخرى فى محكم كتابه العزيـز أم القرى: ﴿ **ولتُنذِر أُم القُرى ومـن حولهـا** ﴾ **[الأنعـام: ٩٢].** وسميت البلد الأمين قال تعالى: ﴿**والتين والزيتُون(١) وطُور سِينِين (٢) وهذَا البلدِ الأَمِين (٣)**﴾ **[التين: ١ – ٢ - ٣].**

تقع مكة فى بطن وادى ببطن مكة . وتشرف عليها الجبال من جميع الجهات حول الكعبة، وعرفت المناطق المنخفضـة نسبياً عن ساحة مكة باسم البطحاء وتندر المياه فـى مكـة. واعتمد أهله على الشرب من الآبار البعيدة وكان عماد حيـاة أهل مكة على التجارة وكانوا يستوردون حاجتهم من السـلع الزراعية من الطائف[2] .

تأسست مكة فى منتصف القرن الخامس المـيلادى فـى وادى ضيق طويل مجدب على مقربة من بئر زمزم. وكـان العمالقة أول من سكن مكة ثم نزحت قبيلة جرهم من الـيمن وسكنت مكة ولم يلبث أن تغلبت جرهم على العماليق.

ونزل على جرهم إسماعيل وأمه وصاهرهم. ولما مـات

---

(١) ياقوت ٥ /١٨٢ (مادة مكة).

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٢٩٧-٣٠١.

تولى البيت بعده ابنه ثابت وهو أكبر أولاده ثم تولى ولاة من جرهم استمرت ولايتهـم إلى سنة ٢٠٧م.

ووفدت على مكة قبيلة خزاعة من اليمن على إثر انهيـار سد مأرب وانتزعت السيادة من جرهم[١] .

وكان زعيم خزاعة عمرو بن لحى، وهو أول من نصب الأصنام حول الكعبة وعبدها، فأطاعتـه العـرب وعبـدوها معه[٢] .

وتمكنت خزاعة بمساعدة كنانة وهم بطن من مضر مـن طرد جرهم عن الكعبة .

وبعد ذلك تنازعت خزاعة وكنانة على السيادة على الكعبة فتمكنت كنانة من التغلب على خزاعة. واستقلت بأمور الكعبة وأعطت قبيلة مضر بعض وظائف الحج وتفرع مـن كنانـة ومضر فروع كثيرة وصارت قريش وهى بطن مـن كنانـة فرقتين" قريش البطاح" و"قريش الظواهر" ويقصـد بقـريش البطاح: البطون التى كانت تسـكن بمكـة، وبيـد رجالهـا:

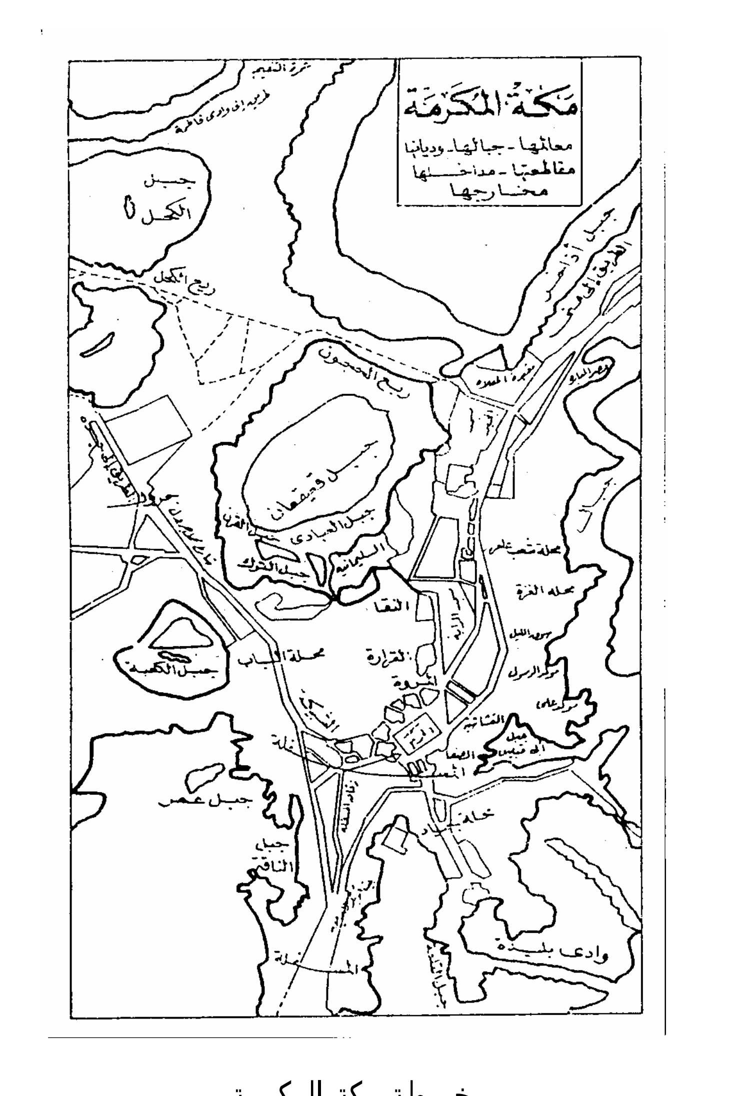
---

(١) حسن ابرهيم حسن ١ / ٤١.
أنور الرفاعى، ص ٥٠
(٢) أبو الفداء ١ / ٩٩-١٠٠
حسن ابراهيم حسن ١ / ٤١.
أنور الرفاعى، ص ٥٠-٥١.

الوظائف الكبرى والتجارة، وأما قريش الظواهر فهم الـذين كانوا يسكنون فى أطراف مكة وكان للقرشيين أحـلاف مـع قبائل مختلفة.

وأصبحت الرئاسة فى قريش إلى قصى بن كلاب وكـان حكيماً، ذا سياسة ودهاء وعمد فى أوائـل القـرن الخـامس الميلادى إلى تنظيم أمور مكة والاهتمام بشئون القريشـيين . حيث أنزل قريش بمكة وفرقتهم كل جماعة تسكن فى مكـان خاص. بنوافيها مساكنهم. وجمع بطون قريش كلها وألف من رؤسائهم مجلساً يعرف بـ " الملأ" تولى رئاسته، وكان هذا " الملأ" ينظر فى شئون الكعبة، وأمور التجـارة، وتجهيـز القوافل التجاريـة، ودخـول الحـرب، وعقـد الاتفاقيـات والمعاهدات.[1]

(١) ناجى معروف، ص ١٠٨-١٠٩. جرجى زيدان، ص ٢٧٦-٢٧٧.



خريطة مكة المكرمة

المصدر: ناجى معروف: مدارس مكة، بغداد، ١٩٦٦ م .

ومن مظاهر الرئاسة لقصى بن كلاب

١- دار الندوة

فى الضلع الشمالى من الكعبة، وجعل بابها إلى المسـجد ويجتمع فيها شيوخ قريش، وأشرافها للتشاور فـى الأمـور الهامة، وكان لايسمح للدخول فيها إلا لمن بلغ أربعين سنة.

٢- الحجابة

وهى حجابة الكعبة أو سدانتها،فلا يفتح بابهـا إلا هـو، ويقوم على خدمتها.

٣- اللواء

وهى قيادة الجيوش . واللواء: هو العلم الذى يحمل فـى الحروب

٤- السقاية

نقل الماء من الأبار بالقرب ووضعها فى حيـاض مـن "أدم" - الجلود - توضع بفناء الكعبة، فى منى، وعرفة. وكان هذا الماء يمزج بالزبيب ويحلى بالتمر أحياناً، وظلت السقاية على هذا الحال إلى أن حفرت بئر زمزم. وكانت السقاية فى بنى هاشم.

٥- الرفادة

كانت قريش تقدم المعونات إلى قصى فى كل موسم مـن مواسم الحج، لاعداد الطعام لفقراء الحجاج الذين لايملكـون زاداً.[1]

٦- قيادة الجيوش

وهى إمارة الركب

٧- الأعنة

وهى أعنة الخيل وصاحبها يتولى خيـل قـريش ويـدبر شئونها فى الحرب.

٨- الأشناق

وهى الديات والمغارم

٩- القبة

وهى قبة كانوا اذا خرجوا نصبوها ويضعوا فيهـا مـا يجهزون به الجيش من ألة وعتاد.

---

(١) الأزرقى: أخبار مكة، الجزء الأول، تحقيق رشدى الصالح ملحس، الطبعة الثالثة دارالثقافة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٠٩- ١١١. ،ياقوت ٥ / ١٨٦ (مادة مكة)
ناجى معروف ، ص ١٠٩-١١٠ حسن ابراهيم حسن ١ / ٤٣.
أنور الرفاعى، ص ٥١. السيد عبد العزيز سالم، ص ٣١٥- ٣١٦.

١٠- المشورة

وكان رئيسها يستشار فى الأمور المهمة

١١- السفارة

كانت قريش اذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وجنحوا إلى الصلح أرسلوا سفيراً يفاوضها وكان آخر سفير لقريش فى الجاهلية عمر بن الخطاب.

١٢- الايسار

وهى الازلام التى كانوا يستقسمون بها اذا هموا بأمر هام من سفر أو قتال

١٣- الحكومة

الفصل بين الناس فى المنازعات، وهى أشبه بالقضاء فى الاسلام

١٤- الأموال المحجرة

وهى أموال كانوا يخصصونها لآلهتهم وفيها النقد والحلى.

١٥- العمارة

ويراد بها المحافظة على المسجد الحرام، وصيانة حرمته، ومنع الرفث فيه[١]

---

(١) ناجى معروف، ص ١١٠-١١١.

ولما توفى قصى بن كلاب عهد من بعده لابنه عبد الدار بما كان له من الحجابة واللواء، والندوة، والرفادة، والسقاية. وبعد موت عبد الدار توارث أبناؤه هذه الوظائف، غيـر أن بنى عبد مناف نافسوهم عليها. وتفرقت قريش إلى اثنا عشر بطنا، وأصبحت المناصب التى كانت لبنى عبد الـدار عبـد شمس وبنى عبد الدار، وتعاقدت الاحزاب فيما بينهما علـى الحرب بحلف سموه بالطيب. ،احضر بنو عبد مناف جفنـه مملوءة طيباً غمسوا أيديهم فيها فسمى هذا الحلـف " حلـف المطببين" وتأهبوا للحرب، غير أنهم تنادوا للصـلح واتفقـوا على تقسيم الوظائف فيما بينهم. علـى أن تكـون السـقاية والرفادة لبنى عبد مناف، والحجابة واللواء لبنى عبد الدار [١]

وكانت أشهر الحج عندهم أشهراً حرامـاً يقيمـون فيهـا أسواقهم حول الحرم. ولم يجرؤ أحد على الإخـلال بحرمـة البيت. ولما قامت الحرب بين قريش وكنانـة . اضـطرت قريش إليها وسمتها العرب" حرب الفجار" لما فيها من انتهاك حرمة الحرم.

ومما ساعد على سيادة قريش واحتـرامهم عنـد جميـع العرب" حلف الفضول" فقد أخذت فيه قريش على نفسـها الأ

---

(١) ناجى معروف، ص ١١١-١١٢. أنور الرفاعى، ص ٥١-٥٢ جرجى زيدان، ص ٢٧٨.

تجد مظلوماً فى مكة إلا نصروه ولا غريباً إلا أووة[1] .

وفى عهد عبد المطلب تعرضت مكة لحملة أبرهة الحبشى الذى بنى كنيسة عظيمة فى صنعاء وقصد أن يصرف إليهـا حج العرب بدلاً من الكعبة فغضب أحـد الأعـراب ودنـس جدران الكنيسة. ولما علم بذلك أبرهة غضب وأقسم ليهـدمن الكعبـة . وسار بجيشه ومعه الفيل.

ولما اقترب من الكعبة أرسل ا على جيشه طيراً أبابيـل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجـار فـى منقـاره ورجليه تقذف بها على الجيش فلم يصب أحداً منهم إلا هلك . وأرسل ا تعالى سيلاً فألقاهم فى البحر

والذى سلم منهم عاد هارباً مع أبرهة إلى اليمن. وأصيب أبرهه فى جسده وتوفى بعد أن وصل إلى صنعاء وخلفه على حكم اليمن ابنه يكثوم، ثم أخوه مسروق[2] .

٢- يثرب

يثرب مدينة رسول ا صلى ا عليه وسلم، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية. ولما هاجر إليها رسول ا صلى ا عليه وسلم سماها طيبة وطابة

---

(١) حسن ابراهيم حسن ١ / ص ٤٤.

(٢) أبو الفداء ١ / ص ١٣٨- ١٣٩.

كراهية للتثريب، وسميت مدينة الرسول لنزوله بها[1] .

ويثرب من مدن الحجاز المتحضره تقع شمال مكة. [2] على هضبة بلاد العرب الوسطى، وتقع فى منتصف مجموعة من الجبال ترتفع على شكل حدوة الحصان تاركه جهتها المفتوحة فى جنوبها الشرقى. ومن أشهر هذه الجبال جبل أحد وثور يقعان فى الشمال. [3]

وكان أول من نزل يثرب بعد الطوفان، قوم يقال لهم صعل وفالح فغزاهم داود عليه السلام حتى هلكوا[4] والمشهور عند العرب أن العماليق هم أول من نزلهم[5] ثم قدم اليهود فى ظروف غامضة إلى يثرب، ومن المرجح أنه زمن الاضطهادات الأشورية ثم السلوقية والرومان[6] .

ولم تظهر هجرة اليهود بشكل واضح إلا فى القرنين الأول والثانى الميلاديين على إثر الحروب التى شنها

---

(١) ياقوت ٥ / ٤٣٠ (مادة يثرب) .

(٢) محمد جمال الدين سرور، ص ٤٣.

(٣) على ابراهيم حسن، ص ١١٩.

(٤) على ابراهيم حسن، ص ١٢٠.

(٥) جرجى زيدان، ص ٢٨٠.

محمد أحمد زيود: تاريخ العرب والاسلام، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٥، ص ١٧.

(٦) أنور الرفاعى، ص ٥٥.

الرومان ضدهم بسوريا والتى انتهت بطردهم منها وتشتت شملهم فى أنحاء متفرقة فهاجر منهم بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع، وتأثر اليهود بالعرب المقيمين بيثرب فى حياتهم الاجتماعية. كما استحوذ اليهود على مجريات النشاط الاقتصادى؛ فاشتغلوا بالزراعة والتجارة وبرعوا فى صياغة الذهب وصناعة الأسلحة[١].

ثم نزل يثرب قبائل الأوس والخزرج الذين نزحوا من اليمن فى جملة النازحين بعد إنهيار سد مأرب، واستبد اليهود بهم فاستنجد الأوس والخزرج بالغساسنة، وقيل بالتبايعة فأعانوهم وقتلوا رؤساء اليهود وجرت بينهم عدة حروب[٢].

وعمد اليهود إلى تدبير المكائد بين الأوس والخزرج ليضعفوا شوكتهم وتكون بهم الكلمة العليا فى يثرب[٣] ووقعت بينهم عدة حروب، وكان النصر فى معظم الأحيان للخزرج، وكان آخر تلك الأيام يوم " بعاث" وعرفت هذه الحروب بحرب فجار يثرب أو فجار الأوس والخزرج بسبب قتل الخزرج لغلمان الرهائن من اليهود وانتهى الأمر بانتصار الأوس وأخيراً اتفقوا على أن يقوم عليهم عبد ا بن

---

(١) محمد جمال الدين سرور، ص ٤٤.

(٢) جرجى زيدان، ص ٤٤.

(٣) محمد جمال الدين سرور، ص ٤٥.

أبى سلول الخزرجى، ثم حدثت هجرة الرسول صلى ا عليه وسلم . فالغى هذا الاتفاق، ودخل عبد ا بن أبى سلول فى الاسلام وهو غير راضٍ. ولهذا أصبح رأس النفاق فى المدينة. ولم يكن صحيح الإسلام[(١)] .

٣- الطائف

كانت الطائف تسمى وجا نسبة إلى وج بن عبد الحى من العماليق، الذين سكنوها وتقع على بعد (١٢ فرسخا بما يعادل ٩٠ كيلو متر) شرقى مكة. وتشتهر بكثرة مياهها وزراعتها المتنوعة من نخيل وعنب وموز وسائر الفواكه[(٢)] .

وتقع الطائف على طريق التجارة الذى يربط بلاد اليمن بشمال الجزيرة العربية ومن العراق إلى اليمن .وكانت هناك صلات قوية بين أهل الطائف وأهل مكة . فكان أثرياء مكة يمتلكون منازل لهم بالطائف. وكانت قبيلة ثقيف من أشهرها

---

(١) محمد أحمد زيود، ص ١٨.
(٢) ياقوت ٤ / ٩ (مادة الطائف)
محمد جمال الدين سرور، ص ٤٦.
محمد بيومى مهران، ص٤٨٣
محمود عرفه محمود، ص ١٥٩-١٦٠
محمد أحمد زيود، ص ١٨.

،اكبر سكان الطائف[1].

وصارت الطائف بعد الفتوحات الإسلامية تابعة لمكة،وتفوقت عليهما المدينة واتسع نفوذها وصارت الزعامة إليها على مدن الحجاز[2] .

---

(١)محمد جمال الدين سرور، ص ٤٦-٤٧. محمود عرفه محمود، ص ١٥٩-١٦٠ .

– محمد أحمد زيود، ص ١٨.

(٢) على ابراهيم حسن، ص ١٣٠.

الفصل السادس
أحوال العرب قبل الإسلام

١- الحياة الدينية

نقل عمرو بن لحى الخزاعى الأصنام[1] من الشام ووضعها فى جوف الكعبة وأخذت عبادة الأصنام تنتشر بين سكان الحجاز وكان لكل قبيلة من قبائل العرب صنم خاص تتعبد له.

ومن أشهر أصنام العرب مناة أقدم هذه الأصنام وهى آلهة القضاء. واللات فى الطائف ومعناها الاله وكانت عبارة عن صخرة مربعة والعزى فى وادى نخلة . وسواع قـام علـى سدانته بنولحيان. وكان يغوث لمذحج. واتخذت حمير نسـراً وهو صنم مقام بصنعاء[2] .

---

(١) الأصنام مفردها صنم، وهو تمثال وكلمة صنم مأخوذة من كلمة صلم العبرانيةأو الآرامية بمعنى تمثال. أما وثن الصنم الذى يرمز إلى االاله......... انظر

السيد عبد العزيز سالم، ص ٤١٢.

(٢) حسن ابراهيم حسن ١ /٦٠-٦٢.

على ابراهيم حسن، ص ١٣٩.

كما انتشرت عبادة مظاهر الطبيعة من نجـوم وكواكـب انتشرت فى بلاد اليمن وحران وأعالى العراق[١] .

وعرف العرب عبادة النار أو المجوسـية عـن طريـق الفرس فى الحيرة واليمن وكانت المجوسـية عنـد عـرب الجاهلية فى تميم[٢].

وانتشرت الديانة اليهودية فى جزيرة العرب قبل الاسـلام فى اليمن عن طريق اتصال ملوك حمير بيهود يثرب[٣]. ومن مراكز اليهودية وادى القرى وخيبر وتيماء حيث سكنها قبائل بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع[٤] .

وعرفت بلاد العرب الديانة المسيحية التى انتشـرت فـى قبائل تغلب وغسان وقضاعة فى الشمال وفى بلاد اليمن.

وانقسمت النصرانية فى جزيرة العـرب إلـى فرقتـان: النسطورية فى الحيرة واليعقوبية فى غسان وسـائر قبائـل الشام. [٥]

محمد جمال الدين سرور، ص ١٤٣.

(١) حسن ابراهيم حسن ١ / ٦٢.

(٢) السيد عبد العزيز سالم، ص ٤٢٨.

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٤٣٣.

(٤) حسن ابراهيم حسن ١ / ٦٣.

(٥) حسن ابراهيم حسن ١ / ٦٣.

ووجد بجزيرة العرب فريق نبذ عبادة الأوثان، ودعوا إلى التخلص منها من عادات الجاهلية. وكانوا يعتقدون فى البعث بوجود اله واحد يحاسب الناس على أعمالهم .

ويطلق على اتباع هذه النزعة التحنف وعلـى أصـحابها الحنفاء.(١)

٢ – الحياة الاقتصادية

كان الرعى يمثل الحرفة الرئيسة فى شبه الجزيرة، وكانوا ينتقلون من مكان لآخر بحثاً عن مواطن الكلأ والماء. (٢)

ومارس أهل مكة تربية الماشية من إبل وغـنم وأبقـار، وكانوايرعونها فى الوديـان والشـعاب المجـاورة لمنطقـة مكة.وقد ورد فى كتب السيرة أن النبى كان يرعى الغنم وإن عمر بن الخطاب كان يرعى إبل أبيه بجوارمكة. (٣)

اشتهرت اليمن بالزراعة حيث أقاموا سد مأرب وفى أماكن العيون الجارية مثل الطائف،ووادى فاطمة حيث تزرع

---

(١) حسن ابراهيم حسن ١ / ٦٣.
السيد عبد العزيز سالم ، ص ٤٣٤.
محمد محمد زيتون ، ص ١٢.

(٢) محمد محمد زيتون: السراج المنير فى سيرة سيد المرسلينن القاهرة ١٩٩٤م، ص ١٣.

(٣) أحمد الشريف، ص ٢٣٨.

أنواع الخضر والفواكه والنخيل بكافة أنواعه. كمايزرع التبن والعنب والرمان[1]

وقامت الزراعة فى يثرب لوجود الوديان الكثيرة التى تفيض بمياه السيول فى الحرات الشرقية والجنوبية فى فترات مختلفة من السنة.وأهم الزراعات النخيل وكانوا ينتفعون بكل شئ فى النخلة ويأكلون جمارها ويستخدمون جريدها فى سقوف منازلهم ويستخدمون الخوص فى صناعة القفاف. كما زرع بيثرب الغلة والكروم وبعض أنواع الفواكه[2] .

وقامت فى اليمن صناعة السيوف ودباغة الجلود وعمل النساء بغزل الصوف[3] .

أما عن التجارة فقد جمع أهل سبأ ثروة ضخمة من احتكارهم التجارة وعلى الأخص فى العطور كالبخور الذى كان شائعاً فى المعابد بمصر والحبشة وكانت قوافل سبأ تحمل هذه الحاصلات وغيرها إلى البلاد الشمالية. وبلغت اليمن درجة عظيمة من المدنية والحضارة[4] .

وبرع أهل مكة فى النشاط التجارى بحكم موقعها فى منتصف طريق التجارة ووجود البيت الحرام بها. وقد كانت

---

(١) محمد محمد زيتون، ص ١٣.

(٢) أحمد الشريف، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٣) محمدمحمد زيتون، ص ١٣.

(٤) حسن ابراهيم حسن ١ / ٥٤.

مكة قبل القرن السادس تقتصر على التجارة الداخلية حيث كان النشاط التجارى الخارجى فى يد اليمن وكان أهل مكة يتاجرون فى حاصلات الجزيرة العربية[1] .

واهتمت قريش بالتجارة وكانوا يقومون برحلتين فى العام رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام.

وكان بنو عبد مناف الأربعة يتوجهون إلى البلاد المختلفة للتجارة فكان هاشم يتوجه إلى الشام، وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن،ونوفل إلى فارس.

واقتضى عمل قريش بالتجارة أن يكونوا على دراية بما يحدث حولهم من العلاقات بين الفرس والروم وبين اليمن والحبشة[2] .

ومما يدل على أهمية التجارة لأهل مكة أن كثيراً من الألفاظ المتعلقة بالتجارة جاء ذكرها فى القرآن الكريم مثل حساب، ميزان، قسط، ذرة، مثقال.

ولم تقتصر مهنة التجارة علىالرجال بـل اشـتغلت بهـا بعض النساء كالسيدة خديجة بنت خويلد، وهند بنـت عبـد المطلب[3] .

---

(١) أحمد الشريف ، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) حسن ابراهيم حسن ١ / ٥٥

(٣) نبيه عاقل وآخرون: تاريخ الدولة العربية الاسلامية الأولى، الطبعة الثالة مطبعة دارالكتاب، دمشق ١٩٩١م، ص ١١.

وكانت أشهر الحج أشهر احرما يقصد العرب فيها أسواقهم ومن أشهرها سوق عكاظ بين نخلة والطائف وتفد إليه التجارة من العراق والحيرة واليمن ومصر والشام، وسوق مجنه قرب مكة وسوق ذى المجاز قرب عرفة.

وكان يجلب إلى هذه الأسواق من أفريقيا: الصمغ والعاج والعنبر ومن اليمن الجلود والبخور والثياب ومن الهند الذهب والقصدير والزعفران ومن مصر والشام الزيوت والغلال والأسلحة والحرير والخمور[1] .

٣-الحياة الاجتماعية

ينقسم سكان جزيرة العرب إلى قسمين: _ **بدو وحضر**

البدو يعيشون على انتاج ماشيتهم من لحم ولبن وصوف . ويغذون ماشيتهم على أعشاب الصحراء التى تنمـوا فـى مواسم المطر.وبعض البدو كان يعيش على الغارة والسـلب والنهب.

والحضر هم سكان المدن ويعيشون علـى التجـارة أو الزراعة أو الصناعة[2] .

والاساس الاجتماعى عند العرب القبيلة، ويقوم النظام فيها

---

(١) محمد محمد زيتون، ص ١٣-١٤.

(٢) محمد محمد زيتون، ص ١٤.

على أساس رابطة الدم وعلى وجود شيخ يتولى مهامها ويرأسها فى السلم والحرب وتتآلف القبيلة من مجموعة أسر أو عشائر تربطها أواصر النسب والقربى والمصالح المشتركة.

ومن مبادئ القبيلة "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " والفرد كان يتبع القبيلة فى كل الأمور.

وكانت القبيلة تتكون من ثلاث طبقات، الأحرار أبناء القبيلة الصرحاء أبناء الدم الواحد، وطبقة الموالى وهم أحرار انضموا إلى القبيلة من غير أبنائها بطريق الحلف أو الجوار أو العتقاءمن الرقاء فيها، ثم طبقة الارقاء ممن أسروا أو اشتروا وهم فى أدنى درجات السلم الاجتماعى[1] .

أما عن الاخلاق العربية فهى نتيجة مباشرة للوضع الاجتماعى والاقتصادى وصدى لتلك البيئة القبلية القليلة الموارد.

فقد تميز العربى بالشجاعة لحماية القبيلة المهددة دوماً بالغزو وحماية الجار والوفاء بالعهد واغاثة الملهوف وحماية الضعيف والعفو عند المقدرة وإلى جانب هذه العادات الطيبة وجدت عادات أخرى كالاستسقام بالازلام عند هبل، والأدمان

---

(١) محمد أحمد زيود، ص ١١ وانظر كذلك.
صالح أحمد العلى، ص ١٣٤-١٣٦.

على الخمر، واستباحة النساء والقمار[١] .

أما عن مكانة المرأة فى العصر الجاهلى.كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية وتشارك الرجل فى كثير من المهام[٢].

وكانت مكانة المرأة كبيرة تتناسب مع الخدمات التى تقوم بها[٣] .

وكان للعرب نظام ثابت فى الزواج فكان جمهورهم يقرنون بالزوجة بعد رضاء أهلها.

وهناك أنواع أخرى من الزواج سادت المجتمع العربى فى العصر الجاهلى.لم تكن محل استحسان من جمهور العرب لما عرف عنهم من غيره على الأهل ومحافظة على الشرف [٤] .

ومن العادات الاجتماعية السيئة وأد البنات مخافة المذلة أوالعار ولم تكن هذه العادة شائعة بين كل العرب فحسب بل انحصر فى بنى أسد وتيم[٥] .

---

(١) أنور الرفاعى، ص ٢٥-٢٦.

(٢) حسن ابراهيم حسن ١ / ٥٦.

(٣) صالح أحمد العلى ١ / ١٣٦.

(٤) حسن ابراهيم حسن ١ / ٥٦.

(٥) حسن ابراهيم حسن ١ / ٥٧.

٤ - الحياة الثقافية

قبل أن نتعرف على أحوال العرب فى ميدان الثقافية ينبغى علينا أن نشير إلى كلمة الجاهلية التى تطلق على العصر الذى سبق الاسلام. وقد ظن كثيرون أنها مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم والمعرفة ولكن هذا الرأى لا أساس له من الصحة. عندما نعلم أن الجاهلية مشتقة من الجهل بالدين الحق، ومن الجهل الذى هو ضد الحكم والعقل[(١)].

وكان العرب فى الجاهلية على جانب كبير من الثقافة والمعرفة فقد ذكرت عنهم الأمم القديمة كاليونان والرومان والبابلين والأشوريين كثير من أخبارهم فى الكتب الدينية المقدسة.

وعثر المستشرقون وعلماء الأثار والرحالة على نصوص وأثار منقوشة أو مكتوبة فى اليمن والحجاز وبقية اجزاء الجزيرة العربية تدل على ما وصلت إليه حضارتهم.[(٢)]

ويرد لوبون على من وصف العرب بالهجمية قبل ظهور الاسلام أن ذلك لايصمد أمام الحقيقة لأن ظهور حضارة أمة ولغتها بغتة على مسرح التاريخ لايكون هذا إلا نتيجة نضج

---

(١) ناجى معروف، ص ١١٣.

(٢) ناجى معروف، ص ١١٧.

بطئ.

وإذا ما ظهرت أمة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ قلنا إن هذه الحضارة ثمرة ماضى طويل.[1]

ومن معارف العرب، الشعر، والقصص والأمثال

١- الشعر:-

كان الشعراء فى الجاهلية " هم أهل المعرفة" فى نوع معيشتهم ومعرفة الانساب ومثالب القبيلة ومناقبها.[2]

وكان الشعر "ديوان العرب" سجلوا فيه اخلاقهم، وعاداتهم، وديانتهم وعقليتهم وحروبهم واستدلوا على جزيرة العرب ومافيها من بلاد وجبال، وسهول، ووديان، ونبات، وحيوان.[3]

وكان الشعراء يتبارون بشعرهم فى الأسواق التجارية التى تعقدفى مواسم الحج. وتدل قصائدهم على عمق معرفتهم بفنون الشعر ونظمة.[4]

٢ – الخطابة:-

كانت الخطابة العربية فى الجاهلية يغلب عليها السجع

---

(١) لوبون، ص ٨٧ .

(٢) أحمد أمين: فجر الاسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٨٩.

(٣) أحمد أمين، ص ٩١.

(٤) أحمد أمين، ص ١٠٥.

ليسهل الحفظ وتحفل بالحكم والأمثال. [1]

٣ – الأنساب:

تفاخر العرب بالأنساب، لأن المجتمع القبلى يقوم على رابطة الدم والرحم ومن أشهر علماء النسب دعقل بن حنظلة الدوس، وعبد ا بن حصين وأبو بكر الصديق[2].

٤ – الرياضيات:-

عرف العرب من اسماء الاعداد، والآحاد، والعشرات، والمئات، والألوف وكثير ذلك فى الشعر الجاهلى، وفى علم الجبر عرف العرب المعادلة البسيطة

٥ – الفلك:-

كان للعرب فى الجاهلية بعض المعارف الفلكية منها النجوم وأسمائها ومواضعها وخصائصها وتمرسوا بذلك حتى دخلت أسماء النجوم فى لغتهم وأمثالهم وأسمائهم وقد خاطب القرآن الكريم العرب المعاصرين بالقسم بالنجوم فى آيات كثيرة[3] .

وقد احتاج العرب إلى علم النجوم للمسير بالليل وللتنجـيم وعبدت لديهم بعذ الأفلاك وكان لعرب الشمال باعاً طـويلاً

---

(١) أنور الرفاعى، ص٣٣.

(٢) أنور الرفاعى، ص ٣٦-٣٧.

(٣) محمد أحمد زيود، ص ٢٥.

فى معرفة النجوم فهناك المجرة والفرقدان.....الخ بل أن أبا الحسين عبد الرحمن الصوفى (٣٧٦هـ - ٩٨٦م) أثبت نحو ٥٢٠ اسماً لمختلف النجوم عند عرب الجاهلية [(١)] .

٦ - علم الانواء:-

كان العرب الصحراء معرفة باوقات اللخصب والمحل، والحر والبرد وتفصيل الأزمنة، وسقوط االأمطار، وهبوب الريح وكان العرب على دراية بالكهانة والعراق والكتابة والطب [(٢)]

---

(١) أنور الرفاعى، ص ٣٤.

(٢) أنور الرفاعى، ص ٣٥-٣٨

محمد أحمد زيود، ص ٢٥-٢٨.

الفصل السابع
حياة محمد {ﷺ}
منذ الميلاد حتى البعثة

١- نسب الرسول {ﷺ}:

محمد بن عبد ا بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة. ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.[(١)]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، المجلد الأول، دار صادر، بيروت ١٩٥٧م، ص ٥٥-٥٩.

- ❖ الطبرى:تاريخ الطبرى، المجلد الأول، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١، ص ٤٩٧-٥١٥.
- ❖ المسعودى: مروج الذهب، المجلد الثانى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الفكر، بيروت ١٩٧٣، ص ٢٧٢.
- ❖ ابن حزم: جوامع السيرة النبوية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، ص٤
- ❖ ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، الجزء الثانى، دارسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا وآخرون، راجعة وصححه نعيم زرزور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٩٥.
- ❖ ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، المجلد الثانى، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨، ص ٢-٢١.

أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.[2]

* أسماعيل راجى الفاروقى وآخرون ، ص ١٩٣ .

ولقد شهد أبو سفيان بعلو شرف نسب الرسول {ﷺ} عنـد ملك الروم قائلا: "فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه".[1] رد ملك الروم قائلا: "كذلك الرسل

- ❖ أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر، الجزء الأول، تقديم حسين مؤنس، تحقيق محمد زينهم عزب وآخرين، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٤٢.
- ❖ النويرى:نهاية الأرب،الجزءالسادس عشر،المؤسسة المصرية للتأليف،القاهرةد.ت، ص ٦٧
- ❖ ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م، ص ٩٥.
- ❖ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد فى هدى خير العباد، الجزء الأول، دار الريان للتراث، القاهرة د.ت، ص ٢١.
- ❖ المقريزى: إمتاع الأسماع، الجزء الأول، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم النمسى، مراجعة وتعليق محمد جميل غازى، الطبعة الأولى، دار الانصار، القاهرة ١٩٨١، ص ٣٠.

(٢)ابن سعد: ١/ ٩٥-٦٠

البلاذرى: أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد حميد ا ، دار المعارف، القاهرة د.ت، ص ٩١.

المسعودى: ٢/ ٢٨٠.، ابو الفداء: ١٤٠/١. ابن الوردى ٩٣/١. ، المقريزى: ٣٠/١.

(١) ابن قيم الجوزية، ٢١/١.

تبعث فى أنساب قومها.[٢]

وروى عن الرسول {ﷺ} :" أن ا اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى هاشما مـن قريش، واصطفانى من بنى هاشم".[٣]

٢-زواج عبد ا بن عبد المطلب :

لما فرغ عبد المطلب من أمر الإبل التى نحرها [٤] فـداء لعبد ا قام بخطبة آمنة من والدها وهب بن عبد منـاف[٥]. وهى يؤمنذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعاً فتزوج بها عبد ا .[٦] وعقب الزواج حملت آمنة منه[٧] البذرة الطاهرة الرسول {ﷺ} .

وفـــاة عبد ا :

---

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثانى، دار أحياء الكتب العربية، بيروت د.ت، ص ٣٠٩.

(٣) ابن كثير ٢٦٨/٢.

(٤) ذكر اليعقوبى أن الزواج عبد ا بعد الفداء بسنة.

اليعقوبى: تاريخ اليعقونى، المجلد الثانى، دار صادر، بيروت د.ت، ص ٩.

(٥) الطبرى، ٤٤٩/١.، ابن الأثير، ٤/٢-٥

(٦) الطبرى، ١/ ٤٤٩

(٧) الطبرى، ٤٤٩/١. ، ابن الأثير ٥/٢ ، ابن كثير ٣٠٧/٢

تعددت الروايات التى نص أصحابها على أسباب وفاة عبد ا بن عبد المطلب ومنها ما ذكره ابن سعد من أنه خرج فى تجارة قريش إلى بلاد الشام. ولما فرغوا من تجارتهم عادوا. وفى أثناء عودتهم أشتد المرض به، ولم يتمكن من مواصـلة السير إلى مكة، فبقى عند أخواله من بنى عدى بن النجـار، ومكث مريضاً شهراً.

وبمجرد وصول أصحابه إلى مكة، أخبروا عبد المطلـب بمرض ابنه عبد ا وخلفه فى يثرب، وأرسل أكبـر أبنائـه ويدعى (الحارث) لإحضار عبد ا . فوجده قد فارق الحيـاة، ودفن فى دار النابغة، عن عمر يناهز الخامسـة والعشـرين عاما.[8]

أما الرواية الثانية فتشير إلى أن عبد المطلب بعـث ابنـه عبد ا ليمتار له تمراً بيثرب، فمات[1]. ونـص الـبلاذرى

---

(٨) ابن سعد، ٩٩/١، الطبرى، ٥٠١/١ ابن الجوزى، ٢٤٤/٢، ابن كثير، ٣٢٢/٢

(١) البلاذرى ، ص ٩٢.، الطبرى ٥٠٠/١ ، ابن الجوزى ٢٤٤/٢
ياقوت: معجم البلدان، المجلد الأول، دار صادر، بيروت ١٩٧٩، ص ٧٩.
ابو الفداء ١٣٩/١.، ابن الوردى ٩٣/١.، ابن كثير، ٣٢٢/٢

على أن عبد ا ذهب إلى يثرب، زائـراً عنـد أخوالـه.[2] فمات.. ولما علم عبد المطلب بوفاة ابنه عبد ا تألم بشدة[3] فى الوقت الذى كانت فيه زوجه آمنة قد حملت منـه بابنهـا محمدٍ..[4]

وقيل إن هذه الوفاة كانت بعد ميلاد الرسول بشهرين[5] ، وقيل: بسبعة أشهر[6]، وقيل: ثمانية وعشرين شهراً[7] ولكن

---

(٢) البلاذرى ، ص ٩٢.

(٣) ابن كثير، ٣٢٢/٢.

(٤) ابن سعد ٩٩/١ ، البلاذرى، ص ٩٢، المسعودى ٢٨٠/٢، ابن الجوزى ٢٤٤/٢،

ابن الأثير ٥/٢ ،ابو الفداء ١٣٩/١، ابن الوردى ٩٣/١ ،ابن كثير ٣٢٢/٢

ابن كثير: الفصول فى سيرة الرسول، تحقيق وتعليق محمد العيد الخطراوى ومحى الدين مستر، الطبعة الرابعة، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٩٨٥، ص ٩٢.

المقريزى، ٣٢/٨ ، ابن قيم الجوزية ٢٣/١.

(٥) اليعقوبى ١٠/٢، ابو الفداء ١٣٩/١ ابن الوردى ٩٣/١، المقريزى ٣٣/١

- ذكر ابن خلدون : العبر، جـ٢، ص٤. أن وفاة عبد ا قبل ميلاد الرسول بأشهر قلائل.

- ابن حجر العسقلانى: فتح البارى بشرح صحيح البخارى، الجزء السابع، الطبعة الأولى، رقم كتبه محمد فؤاد عبد الباقى، قام بإخراجه/ محى الدين الخطيب، مراجعة/ قصى محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٩٩.

ثقاة المؤرخين رجحوا صحة الرأى الأول. على الرغم مـن ذكرهم روايات أخرى.[8]

ميلاد الرسول {ﷺ} :

ولد الرسول {ﷺ} فى مكة بدار ابن يوسف[1] من شـعب بنى هاشم[2] واتفقت المصادر على أن ميلاد الرسـول {ﷺ} فى شهر ربيع الأول عام الفيل[3] بعد حادثة الفيل المشـهورة بخمسين يوما.[4]

---

(٦) ابن سعد ١٠٠/١، البلاذرى ، ص ٩٢. ابن الجوزى ٢٤٥/٢، ابن قيم الجوزية ٢٣/١.

(٧) ابن سعد ١٠٠/١، البلاذرى، ص ٩٢.

ابن حبيب: كتاب المحبر، تصحيح إيلزه ليختن، منشورات دار الآفاق الجديدة،بيروت،د.ت ص ٩

المسعودى ٢٨٠/٢، ابن الجوزى ٢٤٥/٢.، ابن كثير: الفصول، ص ٩٢.

(٨) ابن سعد ١٠٠/١، البلاذرى، ص ٩٢ ، ابن الجوزى ٢٤٤/٢.

ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص ٣٢٣. ابن قيم الجوزية ٢٣/١، المقريزى ٣٣/١.

(١) المسعودى ٢٨٠/٢، ابن كثير: البداية، جـ٢، ص ٣٢٠.، المقريزى ٣١/١.

(٢) المقريزى ٣١/١

(٣) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق/ أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧، ص، ٥٣. ابن هشام: السيرة النبوية،

ولكن المصادر اختلفت فى تحديد اليوم الذى ولد فيه فقيل لليلتين خلتا[5] من ربيع الأول، وقيل: يوم الثلاثاء[6] لثمـان خلون من ربيع الأول، وقيـل: تاسع[7] ربيع الأول، وقيـل:

الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق لجنة التحقيق ، دار التقوى القاهرة ١٩٩٩ م، ص ١٠٢.

- ابن سعد ١٠١/١

-البلاذرى،ص٩٢،اليعقوبى،٧/٢،-المسعودى،٢٧٤/٢،

- ابن الجوزى، ٤٥/٢،

-ابن قيم الجوزية ٢٣/١، ابن كثير: البداية، جـ٢، ص ٣٢١-٣٢٢

- ابن كثير: الفصول ، ص ٩١ - المقريزى، ٣١/١

(٤) ابن سعد، ١٠١/١ ، اليعقوبى ٧/٢. المسعودى، ٢٨٠/٢ ابن كثير: البداية، جـ٢، ص ٣٢١

ابن كثير: الفصول، ص ٩١. المقريزى: ٣١/١

(٥) البلاذرى، ص ٩٢اليعقوبى، ٧/٢ ابن حبيب: ص ٩ ابن الجوزى ٢٤٥/٢ ابن كثير: البداية، جـ٢، ص ٣٢٠. ابن كثير، الفصول، ص ٩١ ، المقريزى، ٣١/١

(٦) اليعقونى ٧/٢، ابن حبيب، ص ٩المسعودى، ٢٨٠/٢ ابن كثير، البداية ، جـ٢، ص ٣٢٠ ، المقريزى، ٣١/١

(٧) محمد الخضرى: نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين، الفتح للأعلام العربى، القاهرة، ١٩٩٢، ص٧. المباركفورى: الرحيق المختوم، دار الصحابة، جدة ١٩٩٠، ص ٦٢.

فايد حماد عاشور وأخرون: تاريخ دولة الاسلام الأولى، الطبعة الأولى، دار قطرى بن الفجاءة، قطر ١٩٨٩، ص ٣٩.

عاشر[8] ربيع الأول، وقيل: إحدى عشرة ليلة[9] خلـت مـن ربيع الأول، وقيل: لاثنى عشرة ليلة[10] خلـت مـن ربيـع الأول.

وكان أمر الفيل هداية ساقها ا تعظيما وتكريمـا للنبـى وإلى بيته ويسوق ابن قيم الجوزية تفسيراً منطقياً لـذلك. أن أصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خيـراً من دين أهل مكة حينذاك. لأنهم كانوا عبدة أوثان، فنصرهم ا على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه إرهاصـات، وتقدمة النبى {ﷺ} ، الذى خرج من مكة، وتعظيمـا للبيـت الحرام.[1]

ولما وضعته {ﷺ} أمه آمنة بعثت إلى جده عبد المطلـب تبشره بميلاده {ﷺ} فقدم على عجل ، ونظر إليه ثم أخبرتـه بما حدث لها أثناء الحمل ، وما أخبرت به فى تسـميته، ثـم

---

(٨) ابن سعد، ١/١٠٠-١٠١، البلاذرى، ص٩
ابن الجوزى، ٢٤٥/١ ابن كثير، الفصول، ص ٩١
المقريزى، ٣١/١
(٩) ابن الجوزى، ٢٤٥/٢.
(١٠) ابن هشام، ١/ ١٠٢، البلاذرى، ص ٩٢، ابن كثير، ٣٢٠/٢
ابن خلدون، ٤/٢، المقريزى، ٣١/١
(١) ابن قيم الجوزية ٢٣٠/١

حمله عبد المطلب، وطاف به فى الكعبة ، وقام يـدعو ا ، ويشكره على ما أعطاه ، وبعد ذلك أعاده إلى أمه.[٢]

ألقاب الرســـول:

كان الرسول {ﷺ} يسمى محمداً، وأحمد، والماحى الـذى يمحى به الذنوب والمعاقب، والحاشر الذى يحشر ا النـاس على عقبه[٣] صلى ا وعليه وسلم.

ويكنى أبا القاسم[٤] وفى ذلك يقول الشاعر:

ممن قد برا صفـ ـوة ∴ وصفوة الخلق بنو هاشم

وصفوة الصفوة من هاشم ∴ محمد النور أبو القاسـم[٥]

---

(٢) ابن هشام، ١٠٣/١ ، ابن سعد ١٠٣/١.

(٣) ابن سعد ١٠٤/١-١٠٥، المسعودى ٢٧٤/٢

ابن سيد الناس: عيون الاثر فى فنون المغازى والشمائل والسير، الجزء الأول،

مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٠.

النويرى، ٦٣/١٦. ابن كثير: الفصول، ص ٨٣.

(٤) ابن سعد ١٠٦/١، المسعودى ٢٧٤/٢ ابن كثير: الفصول، ص ٨٣.

(٥) المسعودى ٢٧٤/٢.

مرضعات الرسـول:

أ - ثويبــة :

كانت ثويبة مولاة أبى لهـب أول مرضـعة للرسـول {ﷺ}.[1] وكان لثويبة ابن اسمه مسـروح فأرضـعت معـه رسول ا ، وأرضعت حمزة بن عبد المطلب عـم الرسـول {ﷺ} ، وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى فهما أخوا رسول ا {ﷺ} من الرضاع.[2]

ب - حليمة السعدية :

اعتاد أثرياء مكة على إرسال أطفالهم للمرضـعات فـى البادية ليكون أنجب للولد. وكانوا يقولون ان المربـى فـى المدن يكون كـليل الذهن فاتر العزيمة[3]. وسـبب إرسـال

---

(١) ابن سعد، ١٠٩/١، البلاذرى، ص ٩٤، ابو الفداء، ١٤٣/١، ابن الوردى، ٩٥/١

النويرى، ٨٠/١٦ ، ابن قيم الجوزية، ٢٦/١ ابن كثير: البداية، جـ٢، ص ٣٣٢. المقريزى، ٥/١

(٢) ابن سعد، ١٠٨/١-١٠٩، ابن الفداء، ١٤٣/١

ابن الوردى، ٩٥/١، ابن قيم الجوزية، ٢٦/١

(٣) محمد الخضرى ، ص٧. فايد حماد عاشور وأخرون ، ص ٤٠

الأطفال إلى البادية، سبب صحى يتعلق بنقاء الهواء وسـعة الصحراء[٤]، بعيدا عن الوباء والوخم فى مكة من ناحيـة[٥]. وسبب يتعلق بتعلم اللغة العربية الفصحى وسلامة النطـق[٦] بعيدا عن تأثيرات الوافدين على مكـة مـن شـتى القبائـل والأجناس فى المواسم الدينية. مما يؤثر على عادات أهلهـا ولهجائها وعلى الأخص فى هذه المرحلة المبكرة من حيـاة الرسول {ﷺ}.[٧]

---

(٤) محمد محمد زيتون: السراج المنير فى سيرة سيد المرسلين، القاهرة ١٩٩٤، ص ٢٤.

(٥) هاشم يحيى الملاح: السيرة النبوية والخلاقة الراشدة، مطبعة جامعة الموصل ١٩٩١، ص ٨٢.

عماد الدين خليل: دراسات فى السيرة، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، د.ت، ص ٣٨

(٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام، الجزء الأول، الطبعة الثامنة، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٦، ص ٦٥.

نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق ١٩٨٣، ص ٣٦١. المباكفورى ، ص ٦٣.

نبيه عاقل ونجدة خماش: تاريخ الدولة الإسلامية الأولى، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الكتاب، دمشق، ١٩٩١، ص ١٤.

(٧) هاشم يحيى الملاح ، ص ٨٢.

خرجت السيدة حليمة السعدية مع زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بصحبة عشرة نسوة من بنى سعد تلـتمس الرضعاء فى سنة مجدبة حتى قدمت مكة تلتمس الرضـعاء. وعرض رسول ا {ﷺ} على جميع المرضعات فأبين. لمـا علمن أنه يتيم وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف مـن أبـى الصبى، فكنا نقول: يتيم ! وما عسى أن تضع أمه وجـده ! فكنا نكرهه لذلك. وأخذت كل مرضعة رضـيعا إلا حليمـة. فلما عزمت على العودة، كرهت أن تعود إلى ديارها بـدون رضيع وأخبرت زوجها برغبتها فى أخذ ذلك اليتيم، فوافـق زوجها على ذلك، راجيا من ا البركة والخير على دياره.

ولقد عم الخير على السيدة حليمة فدرت الشـياه بـاللبن، وسبق ركب السيدة حليمة ركب رفقائها: حتى أن صـواحبها ليقلن لها: يا ابنة أبى ذؤيب، ويحك أربعى علينا، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها؟ فقالت لهن : بلى وا إنهـا لهى هى فيقلن: وا إن لها لشأناً!".[1]

---

(١) ابن هشام،١/١٠٤-١٠٥ ، ابن سعد، ١/١١١

ابن كثير ٢/٣٣٣-٣٣٤، ابن سيد الناس، ١/٤٨-٥٠ ابن خلدون ٢/٥.

ثم قدمت المرضعات ديارهن بنى سعد، وكانت أرضهم جدباء فعم الخير والبركة. ولما مضت سنتان أعادته السيدة حليمة إلى أمه فى مكة، وهى أحرص على بقائه معهم؛ لما حل عليهم من الخير، وألحت على والدته فى عودته معهم، فلم تزل بها حتى أخذته معها.

وبعد عودته {ﷺ} بأشهر وبينما هو يرعى الغـنم خلـف بيوت بنى سعد مع أخيه فى الرضاعة أتاه رجـلان عليهمـا ثياب بيض، بطست من ذهب مملوءة بالثلج ثم أخذاه وشـقا بطنه، واستخرجا من قلبه علقة سوداء، فطرحاها، ثم غسـلا قلبه وبطنه بذلك الثلج حتى نقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنه بهم فوزنهم. ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنه بهم فوزنهم ثم قال: زنه بألف من أمته. فوزنـه بهـم فوزنهم . فقال: دعه، فوا لو وزنته بأمته لوزنها".[٢]

وأخبر أخوه بما رأه السيدة حليمة وزوجها فخشيت السيدة حليمة عليه وأشار عليها زوجها بضرورة عودته " فاحتمله،

---

(٢) ابن هشام ، ١/١٠٥-١٠٦، ابن سعد، ١/١١٢
ابن كثير، ٢/٣٣٥ ، ابن سيد الناس، ١/٥٠-٥١.

فقدما به على أمه فقالت ما أقدمك بـه ياظئـد، وقـد كنـت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟

فقلت : قد بلغ ا بابنى وقضيت الذى علـى، وتخوفـت الأحداث عليـه، فأديته إليك، كما يجب، قالت: ما هذا شأنك ، فاصديقنى خبرك، فلم تدعها حتى أخبرتها. قالت أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: نعم[1] وقالت: إن لا نرده إلا علـى جد آنفنا، ثم رجعت به، ومكـث عندها عاما حتى أعادته إلـى أمه فى سن الخامسة.[2]

وفاء الرسول لمرضعاته

كان الرسول {ﷺ} يصل ثويبة وهى بمكة، وكانت السيدة خديجة تكرمها، وهى يومئذ مملوكة، وطلبت من أبى لهـب شراءها لتعتقها فرفض. ولما هاجر رسـول ا {ﷺ} إلـى المدينة أعتقها أبو لهب، وكان رسول ا {ﷺ} يبعث إليهـا بصلة وكسوة حتى جاءه خبرها أنهـا توفيـت فـى السـنة السابعة[3] بعد الهجرة.

---

(١) ابن هشام، ١٠٦/١ ابن الفداء، ١٤٤/١،
ابن الوردى، ٩٦/١ ابن كثير،٣٣٤/٢-٣٣٥.
(٢) ابن سعد، ١١٢/١.
(٣)ابن سعد، ١/ ١٠٨-١٠٩.

وأكرم الرسول {ﷺ} السيدة حليمة السعدية عندما جاءت إلى مكة بعد زواجه من السيدة خديجة، تشـكو مـن جـدب البلاد، وهلاك الماشية فأخبر الرسول السيدة خديجـة بـذلك فأعطتها أربعين[٤] شاة وبعيراً.[٥]

الرسول {ﷺ} مع والدته:

أعادت السيدة حليمة السعدية الرسول {ﷺ} إلى أمه آمنة بنت وهب، واهتمت برعايته. ولما بلـغ رسـول ا السـنة السادسة[١] توفيت أمه بالأبواء[٢] بين مكة والمدينة.

وكانت قد قدمت به إلى المدينة على أخواله من بنى عدى بن النجار لزيارتهم، فماتت وهى عائدة بـه إلـى مكـة.[٣]

---

(٤)وردت عشرين راسا من غنم. انظر ابن سيد الناس، ٥٣/١.

(٥)ابن سعد، ١١٣/١-١١٤، ابن سيد الناس، ٥٣/١.

(١) كان عمر الرسول ست سنوات وثلاثة اشهر:انظر اليعقوبى: ١٠/٢.

(٢) الأبواء عرفت بهذا الاسم لتبوء السيول بها.وهى قرية من أعمال المدينة ياقوت: ٧٩/١.

(٣) ابن هشام، ١٧٠/١ ، ابن سعد، ١١٦/١ ، ابن الجوزى، ٢٧٢/٢ ياقوت، ٧٩/١ ، ابو الفداء، ١٤٤/١ ،ابن الوردى ٩٦/١ ، ابن سيد الناس، ٥٥/١.

ورجعت به أم أيمن على البعير بين الـذين قـدموا عليهـا مكة.[٤]

الرسول {ﷺ} فى كفالة جده عبد المطلب:-

انتقل الرسول {ﷺ} بعد وفاة أمه إلى كفالـة جـده عبـد المطلب. وكان يشفق على الرسول {ﷺ} وقربه منه وسـمح للرسول {ﷺ} بالدخول عليه إذا نام وإذا خلا.[5] وكان رسول ا {ﷺ} مع جده عبد المطلب. وكان يوضع لعبـد المطلـب فراش فى ظل الكعبة ويجلس بجواره بنوه حولـه لا يجلـس عليه أحد من بنيه إجلالا له.

فكان رسول ا {ﷺ} يجلس عليه فيمنعه أعمامه، وكـان عبد المطلب ينهاهم عن ذلك، قائلا دعوا ابنى، فوا إن لـه لشأنا ! [٦] وقيل إنه ليؤنس ملكا[٧] ثم يجلسـه معـه علـى الفراش ويمسح ظهره بيده.[٨]

---

(٤) ابن سعد، ١/ ١١٦.

(٥) ابن سعد، ١/ ١١٨ ، ابن الجوزى، ٢٧٤/٢.

(٦) ابن هشام، ١٠٨/١ ، ابن سيد الناس، ٥٥/١.

(٧) ابن سعد، ١١٨/١ ، ابن الجوزى، ٢٧٤/٢.

(٨) ابن هشام ١/ ١٠٨.

الرسول {ﷺ} فى كفالة عمه أبى طالب:-

لما بلغ عمر رسول ا {ﷺ} ثمانى سنوات، توفى جده عبد المطلب. وقام بكفالته عمه أبو طالب[1] لأن أبا طالب ووالد الرسول {ﷺ} عبد ا كانا أشقاء من أمهما[2] وقيل بسبب وصية عبدالمطلب لأبى طالب،وقيل إنهما اقترعا، وخرجت القرعة على أبى طالب، وقيل إن رسول ا اختار عمه أبا طالب.[3]

وعلى الرغم من قلة مال أبى طالب احتضن الرسول {ﷺ} وكان يحبه حبا شديداً. وكان لا ينام إلا بجانبه، ويخرج معه،

---

(١) ابن هشام ١١٤/١. ابن سيد الناس، ٥٩/١.

(٢) الطبرى: ٥١٩/١ ابن الفداء، ١٤٤/١ ، ابن الوردى، ٩٦/١.

ابن كثير: الفصول ، ص ٩٣ ، ابن حجر العسقلانى، ٢٣٣/٧

(٣) ابن الجوزى، ٢٨١/٢.

ويخصه بالطعام، وكان إذا أكل عيال أبى طالب جميعا، أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول ا {ﷺ} شبعوا.[٤]

الرحلة إلى الشام

لما تهيأ ركب قريش التجارى المتجه إلى بلاد الشام، خرج فيه أبو طالب وتعلق به الرسول {ﷺ} وأصر على عدم فراقه[5]. واختلفت الروايات التاريخية فى عمر الرسول {ﷺ} حينئذ قيل: تسع سنوات،[٦] وقيل: اثنتا عشرة سنة،[٧] وقيل: ثلاث عشرة سنة،[٨] وقيل: سبع عشرة سنة[٩].

وعلى أية حال فقد رق أبو طالب وقال: وا لأخرجن به معى، ولا يفارقنى، ولا أفارقه أبدا.

---

(٤) ابن سعد، ١١٩/١.

(٥) ابن هشام، ١١٥/١.

(٦) الطبرى، ١/ ٥١٩ ، ابن حبيب، ص ٩ .

ابن الجوزى، ٢٨٩/٢ ، ابن الأثير ٢٣/٢ ، ابن سيد الناس، ٦١/١.

(٧) ابن كثير: الفصول، ص ٩٣ ابن سيد الناس ٦١/١.

(٨) المسعودى، ٢٨١/٢ ، ابو الفداء، ١٤٤/١ ، ابن الوردى، ٩٧/١ ، ابن خلدون ٥/٢.

(٩) ابن خلدون، ٥/٢.

واستصحب أبو طالب معه الرسول {ﷺ} ، فلما نزل الركب بصرى فى طريق الشام لقى راهباً يقال له "ببحيرا" فى صومعة له. وكان على علم أهل النصرانية.

فلما نزلوا ذلك العام "ببحيرا، وكانوا كثيراً ما يمرون به، قبل ذلك، فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبا من صومعته، صنع لهم طعاماً كثيراً. وذلك لأشياء رآها فى الرسول، حين أقبل عليه الركب، فوجد أن غمامة تظله، من بين القوم، ثم أقبلوا، فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة، حين أظلت الشجرة، ومالت أغصان الشجرة على رسول ا ، حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك "بحيرا" نزل من صومعته. ثم أرسل إليهم فقال: إنى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم.[1]

وأعد "بحيرا" الطعام إكراما لرسول ا {ﷺ}. فلما اجتمعوا للطعام تخلف رسول ا {ﷺ} ،من بين القوم، لحداثة سنه، فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر "بحيرا" فى القوم لم ير الصفة التى يعرف، ويجد عنده فقال: يا معشر

---

(١) ابن هشام، ص ١١٥، الطبرى، ٥١٩/١ ، ابن الأثير، ٢٣/٢.

قريش ، لا يختلفن أحد منكم عن طعامى. قالوا يابحيرا، ما تخاف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك الإغلام، وهو أحدث القوم سنا فتخاف فى رحالهم. فقال: لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، ولما رآه "بحيرا" جعل يلحظه بعناء شديد، وإلى أشياء فى جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم، وتفرقوا قام إليه "بحيرا" فقال له: يا غلام، أسالك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتى عما أسالك عنه. وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا أن رسول ا {ﷺ} قال له: لا تسألنى باللات والعزى، فوا ما أبغضت شيئا قط بغضهما ! فقال له بحيرا: فبا إلا ما أخبرتنى عما أسالك عنه. فقال له: سلنى ما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه، وهيئته، وأموره، فأخبره رسول ا فوافق ذلك ما عند "بجيرا" من صفته. ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة، فى كتفه على موضعه، من صفته، التى عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى، فال له بجيرا: ما هو يا بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا. قال: فإنه ابن أخى.

قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به. قال: دقت، فارجع بابن أخيك إلى بلاده واحذر عليه يهود، فوا لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبخنه شراً فأسرع به إلى بلاده.[1]

ويدل حديث "بجيرا" عن رسول ا {ﷺ} على أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى كان عندهم علم ببعثة الرسول {ﷺ} ومعرفة بعلامته، وذلك بواسطة ما جاء فى التوراة والإنجيل من خبر بعثته وأوصافه وساق علماء السيرة فى ذلك أدلة كثيرة[2] سنذكرها فيما بعد.

والتجارة تربى فى التاجر صفات لا تقل عن صفات القائد فى الجيش، إذ يحتاج التاجر المسافر فى القافلة لحراسة بضاعته وحمايتها من هجوم بعض الأعراب، وقد اتسعت معرفته وتجربته، بما شاهد من أحوال بلاد الشام وطرق التعامل وأخلاق الناس. ومظاهر الحياة فى البيئة الرومانية.

---

(١) ابن هشام، ١١٦/١١٥ ، الطبرى، ٥١٩/١ ، ابن الأثير، ٢٤/٢.

(٢) محمد سعيد رمضان البوطى: فقه السيرة النبوية، الطبعة العاشرة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١، ص ٧٧.

كما وقف على أساليب الناس فى البيع والشراء؛ مما كان له أعظم الأثر فى التشريعات بعد الرسالة.(٣)

رعايـة الغنــم

عمل رسول ا {ﷺ} برعى الغنم، وعنه قال {ﷺ} ، ما بعث ا عز وجل نبيا، إلا رعى الغنم قال له أصحابه وأنت يا رسول ا ؟ قال نعم وأنا رعيتها لأهل مكة على القراريط.(٤)

ورعى الغنم حرفة تجعل الإنسان يميل إلى التفكير فى الكون وخالقه وخاصة عندما يخلو فى الصحراء والخلاء(5)، كما أكسبته التواضع وتمجيد العمل(٦)، ويبدو أنه مارس هذه المهنة فى مكة، بعد انتقاله، إلى بيت عمه أبى طالب بهدف مساعدته اقتصاديا.(٧)

---

(٣) حسن إبراهيم حسن ١ / ٦٥-٦٦.

(٤) ابن سعد، ١٢٥/١ ، ابن سيد الناس، ٦٧/١ ، ابن كثير، ٣٦٠/٢ ، المقريزى، ص ٣٦.

(5) محمد محمد زيتون ، ص ٢٧

(٦) أحمد ابراهيم الشريف: مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٧١.

(٧) هاشم يحيى الملاح ، ص ٨٧.

حماية الرسول {ﷺ} من عادات الجاهلية

تجلت العناية الإلهية فى حفظ الرسول {ﷺ} من عادات الجاهلية. ومشاركة شباب مكة فى ليالى السمر، والشرب، والضرب بالدفوف. مما نستدل عليه من قوله: "ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملون به، غير مرتين وكل ذلك يحول ا بينى وبين ما أريد من ذلك. ثم ما همت بسوء حتى أكرمنى ا عز وجل برسالته".[1]

حـــروب الفجار:

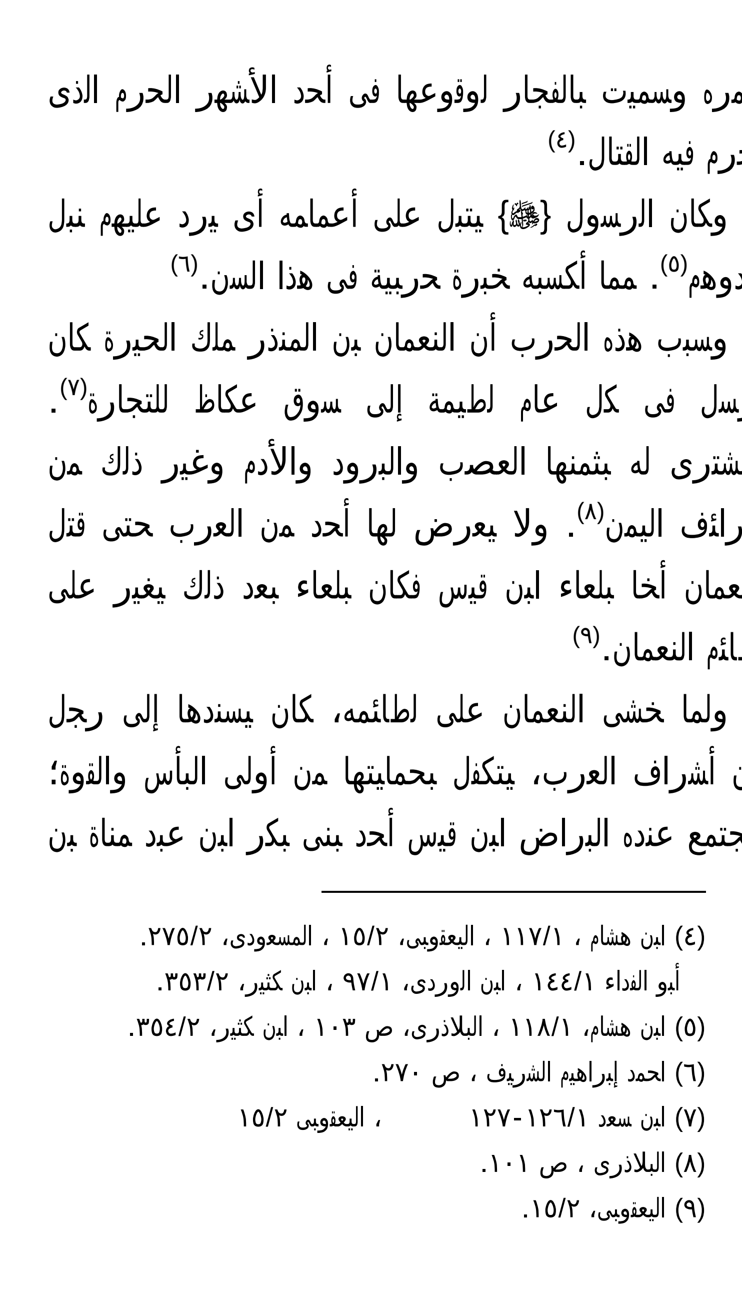
حضر الرسول {ﷺ} حرب الفجار بين قبيلتى قيس عيلان وكنانة، وهو فى العشرين[2] وقيل: فى السابعة عشرة[3] من

---

(١) الطبرى، ٥٢٠/١ ، ابن الأثير، ٢٤/٢. ، ابن سيد الناس، ٦٥/١-٦٦. ابن كثير، ٣٥٠/١-٣٥١.

(٢) ابن هشام، ١١٧/١، ابن سعد ١٢٨/١، اليعقوبى ١٥/٢ ، ابن كثير ٣٥٣/٢.

(٣) اليعقوبى ١٥/٢ وقيل لما بلغ الرسول أربع عشرة أو خمس عشرة سنة (ابن كثير ٣٥٣/٢)



عمره وسميت بالفجار لوقوعها فى أحد الأشهر الحرم الذى يحرم فيه القتال.(٤)

وكان الرسول {ﷺ} يتبل على أعمامه أى يرد عليهم نبل عدوهم(٥). مما أكسبه خبرة حربية فى هذا السن.(٦)

وسبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يرسل فى كل عام لطيمة إلى سوق عكاظ للتجارة(٧). ويشترى له بثمنها العصب والبرود والأدم وغير ذلك من طرائف اليمن(٨). ولا يعرض لها أحد من العرب حتى قتل النعمان أخا بلعاء ابن قيس فكان بلعاء بعد ذلك يغير على لطائم النعمان.(٩)

ولما خشى النعمان على لطائمه، كان يسندها إلى رجل من أشراف العرب، يتكفل بحمايتها من أولى البأس والقوة؛ فاجتمع عنده البراض ابن قيس أحد بنى بكر ابن عبد مناة بن

---

(٤) ابن هشام ، ١١٧/١ ، اليعقوبى، ١٥/٢ ، المسعودى، ٢٧٥/٢.
أبو الفداء ١٤٤/١ ، ابن الوردى، ٩٧/١ ، ابن كثير، ٣٥٣/٢.

(٥) ابن هشام، ١١٨/١ ، البلاذرى، ص ١٠٣ ، ابن كثير، ٣٥٤/٢.

(٦) احمد إبراهيم الشريف ، ص ٢٧٠.

(٧) ابن سعد ١٢٦/١-١٢٧ ، اليعقوبى ١٥/٢

(٨) البلاذرى ، ص ١٠١.

(٩) اليعقوبى، ١٥/٢.

كنانة. وكان خليعا خلعه قومه فرحل إلى النعمان بن المنذر. وعروة الرحال سمى بالرحال لرحلته إلى الملوك وتنازعا فى الإشراف على القافلة فقال البراض تجيرها على بنى كنانة يا عروة قال: نعم، وعلى الناس كلهم. وأثرها البراض فى نفسه محاولا التخلص من عروة. فلما وصل ركب القافلة إلى جانب الفدك فى منطقة أوارة نام عروة، ووجد البراض فرصته فشد عليه وقتله.[١]

وأخذ البراض العير، وأرسل إلى قريش مع بشر بن إبـى خازم الأسدى الشاعر يخبر مقتل عروة وحـذره أن يسـبق الخبر إلى قيس عيلان حتى يأخذوا بثأرهم ويقتلوا رجلا من رؤساء قريش.

واستعدت قريش لمناصرة حليفتها كنانة وعبئـة حلفائهـا الأحابيش وهم بنوا الدئل، والقارة، وبطون من خزاعة. وكان حرب بن أمية فى القلب، وعبد ا بن جدعان فى المجنبتين وهشام بن المغيرة فى الأخرى. وبلغ الخبر عامر بن مالـك من آخر النهار.

---

(١) البلاذرى، ص ١٠١ ، ابن كثير، ٣٥٣/٢.

فركب فيمن حضر عكاظ من هوازن يريد القوم، فأدركهم بنخلة فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم وجن عليهم الليل.[٢]

وأجلت الحرب إلى العام القابل بعكاظ ، ولم تقم فى تلك السنة سوق عكاظ. ولما انصرم العام استعدت كل قبيلة بحلفائها والتقت فى ساحة الوعى[٣] قيس عيلان ، وكنانة كانت الدائرة فى أول النهار لقيس على قريش. وكنانة ثم تحولت دفة القتال فى آخر النهار لصالح قريش وكنانة على قيس[٤] وقتل من قيس خلق كثير.

ودعا عتبة بن ربيعة إلى الصلح فاستجابوا ووضعت الحرب أوزارها بين الفريقين.[٥]

حلف الفضول:

كان حلف الفضول[١] بعد حرب الفجار بأربعة أشهر، وكان هذا الحلف نتيجة طبيعية لحاجة مكة إلى الأمن

---

(٢) البلاذرى، ص ١٠١ ، ابن كثير، ٣٥٤/٢.

(٣) ابن سعد، ١٢٧/١.

(٤) ابن هشام، ١١٨/١ ، ابن سعد، ١٢٧/١ ، البلاذرى، ص ١٠٢.
ابو الفداء، ١٤٤/١ ، ابن الوردى، ٩٧/١ ، ابن كثير، ٣٥٣/٢.

(٥)ابن سعد، ١٢٨/١ ، ابن كثير، ٣٥٤/٢.

والاستقرار، بعد حرب الفجار، لأن حياة أهل مكة تقوم على الوافدين إليها من الحجاج والتجار.[٢]

وأول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلـب، واجتمعـت قبائل بنى هاشم، وزهرة، وتيم بن مرة فى دار عبد ا بـن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا فى ذى القعدة فى الشـهر الحرام، فتعاقدوا وتعاهدوا با ، ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه.[٣]

---

(١) اختلفت آراء المؤرخين القدماء فى سبب تسمية هذا الحلف بهذا الإسم فيشير. النويرى نقلا عن الواقدى أن أحدا لم يسبق بنى هاشم بهذا الحلف وأن سبب تسمية هذا الحلف حلف الفضول أن قوما من قريش قالوا فى هذا الحلف هذا وا فضل من الحلف فسمى حلف الفضول. (النويرى ٩٥/١٦).

وقال آخرون تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جرهم فى هذا الأمر لا يقرون ظلما ببطن مكة إلا غيروه وأسماؤهم الفضل بن شراعة والفضل بن قضاعة، والفضل بن سماعة. (النويرى ٩٥/١٦)

أما اليعقوبى: فقد ذكر أن قريشا قالت هذا فضول من الحلف فسمى حلف الفضول، وقال بعضهم حضرة ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاعة، والفضل بن جشاعة، والفضل بن بضاعة فسمى لهذا حلف الفضول. وقد قيل أن هؤلاء النفر حضروا حلفا لجرهم فسمى حلف الفضول. (اليعقوبى ١٨/٢).

(٢) عماد الدين خليل ، ص ٤٢.

(٣) ابن كثير ٣٥٦/٢ . ، المسعودى ٢٧٧/٢ . ، ابن الاثير ٢٦/٢

ابن هشام ٨٧/١ . ، النويرى ٩٤/١٦ . ، ابن سعد ١٢٨/١-١٢٩.

وعقد الحلف فى دار عبد ا بن جدعان لشرفه وسنه،[٤] وكان هذا الحلف اشرف حلف[٥]، وتحالفوا فى التآسـى فـى المعاش،[٦] وهو على غرار أحـلاف سابقة كانت لقريش مع غيرها من القبائل الأخرى على الحمية والمنعة.[٧]

وشهد الرسول {ﷺ} هذا الحلف قائلاً: "لقد شهدت فى دار عبد ا بن جدعان حلفا. ما أحب أن لى به حمر النعم، ولـو أدعى به فى الإسلام لأجبت".[٨]

خروج الرسول {ﷺ} إلى الشام

كانت السيدة خديجة بنت خويلد رضى ا عنهـا امـرأة تاجرة، وذات شرف ومال تسـتأجر الرجـال فـى مالهـا وتضاربهم بشئ تجعله لهم.[١]

---

(٤) ابن هشام ٨٧/١ . ، ابن الاثير ٢٦/٢.

(٥) ابن سعد ١٢٨/١ . ، النويرى ٩٤/١٦.

(٦) ابن سعد ١٢٩/١ . ، ابن كثير ٣٥٦/٢.

(٧) اليعقوبى ١٧٠/٢.

(٨) ابن هشام ٨٧/١ ، اليعقوبى ١٧/٢ ، ابن سعد ١٢٩/١. ابن الأثير ٢٦/٢ ، النويرى ٩٤/١٦.

(١) ابن هشام، ١١٩/١ ، الطبرى، ٥٢١/١ ، البلاذرى، ص ٩٧ ، ابن الاثير، ٢٤/٢.

ويشير ابن سعد[٢] إلى أن أبا طالب هو الذى قدم الرسول {ﷺ} للسيدة خديجة قائلاً له: "أنا رجل لا مال لى، وقد اشتد الزمان علينا، وهذه عير قومك، وقد حضر خروجهـا إلـى الشام. وخديجة بنت خويلد تبعث رجلا من قومك فى عيرها، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك. وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له. فأرسلت إليه فى ذلك، وقالت له أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك".

ووافقت السيدة خديجة على خروج الرسول فى تجارتهـا إلى الشام، لما عرفت من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، وبعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أجراً أفضل من غيـره مـن التجـار. ووافق الرسول {ﷺ} على عرض السيدة خديجة، وخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم الشام.[٣]

---

(٢) الطبقات الكبرى، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، ص ١٥٦.

ابن سيد الناس ٦٩/١ ، النويرى ٩٥/١٦-٩٦.

(٣) ابن هشام ١١٩/١. ، ابن سعد ١٥٦/١ . ، الطبرى ٥٢١/١ . ، البلاذرى، ص ٩٧.

ابن الأثير ٢٤/٢. ، النويرى ٩٦/١٦ . ، أبو الفداء ١٤٥/١. ، ابن الوردى ٩٧/١.

ونزل رسول ا {ﷺ} فى أثناء رحلته يستظل فى شـجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فنظر إلى ميسرة فقـال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ قـال لـه ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى.

وأنجز الرسول {ﷺ} مهمته فباع سلعته التى خرج بهـا، واشترى. ولم يلبث أن قفل عائدا إلى مكة بصحبة ميسـرة. ولما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به وربحـت من ذلك مكاسب تجارية ضعف ما كانت تربحه من قبل.(٤)

ولا جدال فى أن العلاقة التجارية بـين السـيدة خديجـة والرسول {ﷺ} قد مهدت الطريق بينهما للحياة الزوجية.

زواج الرسول {ﷺ} بالسيدة خديجة:

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى امراة حازمة شريفة، وهى يومئـذ أوسـط قـريش نسـبا،

---

(٤) ابن هشام، ١١٩/١. ، ابن سعد، ١٣٠/١-١٣١.
الطبرى، ٥٢١/١ . ابن الاثير، ٢٤/٢-٢٥. النويرى، ٩٦/١٦-٩٧.

وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكانت محل تقـدير رجـال قريش[1] " لشرفها ويسارها".[2]

ولما عاد ميسرة من رحلته إلى الشام مع الرسـول {ﷺ} حكى للسيدة خديجة عن أمانته، وطهارته، وما يقـول أهـل الكتاب فيه.[3]

واشتد إعجاب السيدة خديجة بالرسول {ﷺ} وأرسلت إليه نفيسة بنت منية[4] لإبلاغ الرسول {ﷺ} بحقيقة حبها له فوافق الرسول {ﷺ} وقالت السيدة خديجة للرسول: " يابن عم أنـى قد رغبت فيك لقرابتك، وسطتك فى قومك، وأمانتك ، وحسن خلقك، وصدق حديثك".[5]

---

(١) ابن سعد، ١٣١/١. ، ابن هشام، ١١٩/١. ، الطبرى، ٥٢١/١.
ابن الأثير، ٢٥/٢. ، النويرى، ٩٧/١٦. ، ابن سيد الناس، ٧١/١.

(٢) البلاذرى، ص ٩٨.

(٣) البلاذرى، ص ٩٧ . ، قارن ابن حبيب، ص ٧٧.

(٤) ابن سعد، ١٣١/١ . ، النويرى ٩٧/١٦. ، ابن سيد الناس، ٧١/١.

تشير المصادر إلى الحوار الذى دار بين نفيسة بنت منبة والرسول {ﷺ} وقولها له: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدى ما أتزوج به قالت: فإن كفيت لك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فمن هى؟ قالت خديجة. قال وكيف لى بذلك؟ قالت على، فأنا أفعل فذهبت فأخبرتها. ابن سعد ١٣١/١ . ، النويرى ٩٧/١٦-٩٨ . ، ابن سيد الناس ٧٢/١.

(٥) ابن هشام ١١٩/١ . ، النويرى ٩٧/١٦-٩٨ . ، ابن سيد الناس ٧١/١.

ومن المعروف أن السيدة خديجة تزوجت مـرتين قبـل الرسول {ﷺ} ، فالأول يدعى عتيق بن عايد بـن عبـدا ، والثانى أبو هالة التميمى من بنى أسيد بن عمرو[٦]

وكان عمر الرسول {ﷺ} فى الخامسة والعشرين، عنـدما تزوج السيدة خديجة وعمرها يومئذ أربعين سنة.[٧]

وخرج الرسول {ﷺ} لخطبة السيدة خديجة ومعـه عمـاه حمزة[١] وأبو طالب[٢] حتى دخلاً على أبيها خويلد بن أسد[٣]، وقيل: ابنه عمرو بن خويلد بن أسد، وهو الأصح.

---

(٦) ابن سيد الناس ٧٣/١.

(٧) ابن سعد ١٣٢/١، البلاذرى، ص ٩٨،الطبرى ٥٢١/١. ابن الأثير ٢٤/٢ ابن سيد الناس ٧٢/١ ،أبو الفداء ١٤٥/١ النويرى، ٩٨/١٦ ، ابن الوردى ٩٧/١.

ويشار نبيه العاقل: إلى أن سن السيدة خديجة وقت زوجها من الرسول {ﷺ} مبالغ فيه. فمن المعروف أن سن البلوغ للبنات فى المناطق الحارة يكون مبكرا عنه فى البلدان البادرة وكذلك سن اليأس وانقطاع الطمث. تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، ص ٣٦٦.

(١) ابن هشام ١٢٠/١ . ، البلاذرى، ص ٩٧ . ، الطبرى، ٥٢١/١. ابن حبيب، ص ٧٨ ، ابن الاثير، ٢٥/٢ . ، ابن سيد الناس، ٧١/١.

(٢) البلاذرى، ص ٩٧. ، ابن الأثير ، ٢٥/٢.

(٣) ابن هشام، ١٢٠/١ . ، البلاذرى، ص ٩٧ . ، الطبرى، ٥٢١/١. ابن الأثير، ٢٥/٢ . ، ابن سيد الناس، ٧١/١.

وحضر خطبة الرسول {ﷺ} مع أعمامه رؤساء مضر وخطب أبو طالب يمتدح خصال الرسول {ﷺ} قائلاً: "الحمد الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وخئصنى معد، وعنصر مضر، وجعلنا حفنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا، وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخى هذا لمحمد بن عبد ا لا يوزن به رجل الإرجح به، فإن كان فى المال قل فإن المال ظل زائل، وأمر حائل ولمحمد من قد عرفتم قرابت "[٤]

وكانت السيدة خديجة أولى زوجات الرسول {ﷺ} ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى ا عنها. وفى هذا خير دليل على سعادة الحياة الزوجية بينهما وأنجبت للرسول {ﷺ} الطاهر، والطيب، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. وتوفى القاسم، والطيب الطاهر فى الجاهلية أما بناته فكلهن إدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه.[٥]

---

(٤) البلاذرى، ص٩٧. ، النويرى، ٩٨/١٦.

(٥) ابن هشام ١٢٠/١ . ، الطبرى ٥٢١/١. ، ابن الأثير ٢٥/٢. ابن قيم الجوزية، ٣٦/١.

وقد وفر زواج الرسول {ﷺ} من خديجة حياة الاستقرار والطمأنينة، ولم يعد العمل من أجل توفير سبل العيش يقلقه، فقد أعنته خديجة عن ذلك، وأن كان ذلك اك يصرفه عن العمل.[٦] ويرأى الدكتور حسين مؤنس غير ذلك وأن الرسول {ﷺ} لم يعش على مالها، وإنما ظل يعمل فى التجارة، على طريقة كبار المكيين، وكلام السيدة خديجة له بعد نزول الوحى عليه خير شاهد على ذلك فقد قالت له: (إتك أنه يحمل الكل وبكسب المعدوم ويعين على نوائب الدهر) ومعنى هذا أنه كان رجلا ميسور الحال. ولو كان الرسول {ﷺ} ينفق كل هذا من مالها لما ذكرته له . ولكن الكلام واضح وصريح فى أن هذا كان من ماله هو.[٧]

---

(٦) هاشم الملاح ، ص ٩٤.

(٧) دراسات فى السيرة النبوية، الطبعة الثالثة، الزهراء للأعلام العربى،القاهرة، ١٩٨٨، ص ٣٤.

مشاركة الرسول {ﷺ} فى بناء الكعبة

لما بلغ الرسول {ﷺ} خمسا وثلاثين سنة، عزمت قـريش على رفع جدران الكعبة[1] ليسقفوها. وعلى الأخص عنـدما توفرت لهم الأخشاب اللازمة من إحدى السفن التى قذف بها البحر إلى جدة؛ لرجل من تجار الروم.

وشاركت قبائل مكة فى إعادة بناء الكعبة فكان شق الباب لبنى عبد مناف، وزهرة، وما بين الركن الأسـود والـركن اليمانى لبنى مخزوم، وقبائل من قريش. وكان ظهر الكعبـة لبنى جمح، وسهم. وشق الحجر بين عبد الدار قصى ولبنـى أسد بن عبد العزى، ولبنى عدى بن كعب.[2]

ولما وصل البنيان إلى موضع الحجر الأسـود. اختلفـت القبائل فيما بينها حول شرف وضع الحجر الأسود موضـعه

---

(١) كانت ولاية الكعبة إلى إبراهيم عليه السلام ثم انتقلت إلى ابنه إسماعيل وكان إبراهيم نزح إلى مكة وسكن فيها وتزوج إسماعيل من قبيلة جرهم، ثم تحولت مقاليد الكعبة إلى جرهم، واستحلوا حرمتها. وأكلوا مال الكعبة حتى تغلبت على مكة خزاعة وتولت امر البيت.

الطبرى ٥٢٣/١ ، ابن الاثير ٢٧/٢.

(٢) ابن هشام، ١٢٢/١ ، ابن سعد ١٤٥/١-١٤٦ الطبرى ٥٢٥/١-٥٢٦ ، ابن الأثير٢٩/٢

النويرى ٩٩/١٦-١٠١ ، ابن كثير ٣٦٨/٢-٣٦٩

حتى تهيئوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملؤه دما ثـم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت، وأدخلوا ايـديهم فى ذلك الدم فى الجفنة فسموا بذلك لعقت الدم.[٣]

وكاد القتال ينشب بين القبائل حول الكعبة لكنهم ارتضـوا بمشورة أبى أمية ابن المغيرة الذى قال: "يا معشر قـريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من بـاب هـذا المسجد يقضى بينكم فيه". ففعلوا فكان أول من دخـل هـو رسول ا {ﷺ} ، فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضيناه. فلمـا علم بالأمر قال النبى {ﷺ}: "هلم إلى ثوبا". فأتى بـه، فأخـذ الركن منه بيده، وأمر كل قبيلة أن تأخذ بناحية من الثوب، ثم رفعوه جميعا، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثـم بنـى عليه.[٤]

---

(٣) ابن هشام ١٢٣/١، الطبرى ٢٥٦/١ ابن سيد الناس ٧٥/١ ، ابن كثير ٣٧٠/٢

(٤) ابن هشام ١٢٤/١.، ابن سعد ١٤٦/١ البلاذرى، ص ٩٩-١٠٠. الطبرى ٥٢٦/١،

المسعودى ٢٧٨/٢-٢٧٩ ، ابن الأثير ٢٩/٢. ابن سيد الناس، ٧٥/١ ، أبو الفداء، ١٤٦/١،

ابن الوردى ٩٧/١-٩٨. النويرى، ١٠١/١٦-١٠٣ ، ابن كثير ٣٧١/٢ ، ابن خلدون ٥/٢-٦.

ويظهر لنا هذا الموقف مكانة الرسول {ﷺ} المتميزة فى مجتمع مكة قبل الإسلام حيث ارتضاه الجميع حكما، ورضوا بحكمه ويدل هذا الموقف على سرعة بديهـة الرسـول {ﷺ} على تقديم الحل المناسب فى أصعب الظروف.(١)

كما كشفت عن مكانة النبى {ﷺ} الأدبيـة فـى الوسـط القرشى حيث تمكن من رفض الخصـومة ووقـف القتـال المتوقع بين قبائل قريش. وقد ارتضاه الجميع حكما إذ هـو الأمين الذى لا يظلم ، ولا يجابى ، وهو الأمين على البيـت والأرواح والدماء (٢)

ثقافة الرسول {ﷺ} وحياته الروحية قبل البعثة

لم تكن معايشة الرسول {ﷺ} للسيدة خديجة رضى ا عنها خالية من الآفاق الفكرية والروحية. وذلك لأن السيدة خديجة، كانت ذات خبرة واسعة بشئون المجتمع المكى آنذاك.

ابن حجر العسقلانى ١٨١/٧.

(١) أحمد إبراهيم الشريف ، ص ٢٧١ هاشم الملاح ، ص ٩٥.

(٢) على محمد الصلابى : السيرة النبوية ، الجزء الأول ، ص ٧٨ ، الطبعة الأولى ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص ٧٨ .

وكانت ترتبط بعلاقة قرابة بورقة بن نوفـل بـن أسـد، وعثمان بن الحويرث وهما من الأشخاص الـذين رفضـوا عبادة الأصنام والدعوة إلى التوحيد، والبحـث عـن الـدين الحقيقى، دين أبينا إبراهيم عليه السلام.

وعلى هذا الأساس فمن المرجح وجود اتصـال وحـوار فكرى بين السيدة خديجة وبين ابن عمها ورقة بن نوفل وأنه كان أول من ذهبت إليه لاستشارته بأخبار نزول الوحى.[٣]

وليس من المستبعد أن تكون السيدة خديجة من الموحدين الذين عرفوا بالأحناف. وذلك لأنه لم تصل إلينا أيـة أخبـار عن تقديسها للأصنام، أو عبادتها لها. وأنها كانت على وفاق تام مع الرسول {ﷺ} وتوجهاته الروحية قبل البعثة.[٤]

ورفض الرسول {ﷺ} عبادة الأصنام ولم يشارك أهل مكة قط فى هذا الأمر، وآثر التحنث- التعبد فى غار حراء[٥] كما كان يفعل متعبدو وذلك الزمان[٦] حيث يقيمون شهراً فى غار

---

(٣) هاشم الملاح ، ص ٩٧-٩٨

(٤) هاشم الملاح ، ص ٩٨.

(٥) ابن سعد ١٩٤/١ ، البلاذرى، ص ١٠٥ النويرى ١٧٠/١٦ ، ابن كثير: الفصول، ص ٩٥ .

(٦) ابن كثير: الفصول ، ص ٩٥

حراء[1]، بينما يشير ابن هشام ان جوار الرسول لمدة شـهر كان فى الكعبة، ويقوم بعد انتهاء الشـهر بـالطواف سـبعة أشواط حولها.[2]

(١) البلاذرى، ص ١٠٥ ، النويرى ١٧٠/١٦

(٢) ابن هشام، ١٤٧/١-١٤٨ ، النويرى ١٧٠/١٦

الفصل الثامن
نزول الوحى على الرسول
صلى ا عليه وسلم

لما بلغ الرسول {ﷺ} أربعين سنة بعثه ا رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً للناس كافة. وكان أول ما بدئ به رسـول ا {ﷺ} من النبوة حينما أختصه ا بكرامته ورحمة العباد بـه، الرؤيا الصادقة وحبب ا تعالى إليه الخلوة[1].

فجاءه الملك جبريل عليه السلام في يوم الاثنـين لسـبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان[2].

فقال : اقرأ، فقال : ما أنا بقارئ. قال : فأخذنى فغطنـى حتى بلغ الجهد ثم أرسلنى. فقال اقرأ. فقلت : ما أنا بقـارئ

---

(١) ابن هشام ١٤٦/١. ابن سعد ١٩٤/١. البلاذرى، ص ١٠٥
ابن عبد البر، ص ٣١. الطبرى ٥٣٠/١
السهيلى : عروض الألف، المجلد الأول، تعليق / مجدى بن منصور، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ص ٣٩٦.
ابن الاثير ٣١/٢. ابن سيد الناس١/١١١-١١٢. ابن كثير / ٥/٣ابو الفداء ١٤٦/١. ابن الوردى ٩٨/١. النويرى ١٦٨/١٦، ١٧٣. ابن خلدون ٦/٢

(٢) ابن سعد ١٩٤/١. البلاذرى، ص ١٠٤

فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ فى الجهد. ثم أرسلنى فقـال اقراء، فقلت : ما أنا بقارئ فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلـغ منى الجهد[٣]. فقال : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ ربك الَّذِي خَلَقَ** ﴾**[العلـق آية: ١]**. وسمع الرسول{ﷺ} صوتا وهو فى وسط الجبـل. يقول : يامحمد، أنت رسول ا وانا جبريل[٥] !

وعاد الرسول {ﷺ} إلى خديجة يرتجف من هيبة ما رأى قائلا. زملونى، زملونى حتى ذهب عنه الروع[١].

وحاولت السيدة خديجة تهدئة الرسول {ﷺ}. وأخبرها بما رأى من عظم الموقف – فقالت أبشر فـوا لا يخزيـك ا ابدا ووا إنك لتصل الرحم، وتصـدق الحـديث، وتـؤدى

---

(٣) ابن هشام ١٤٨/١. ابن عبد البر : ص ٣١-٣٢. الطبرى ٥٣/١. النويرى١٧٣/١٦،١٧٠. ابن كثير : الفصول، ص٩٦ ابن كثير٥/٣.

(٥) ابن هشام ١٤٨/١. ابن سعد ١٩٤/١-١٩٦.الطبرى ٥٣٣/١ ابو الفداء ١٤٦/١ . ابن الوردى ٩٨/١. النويرى ١٧٠/١٦

(١) الطبرى ٥٣١/١. ابن الاثير ٣١/٢ابن سيد الناس ١١٤/١ ابن كثير ٥/٣.

الأمانة، وتحمل الكل، وتقـرى الضـعيف، وتعـين علـى النوائب[٢].

وقالت السيدة خديجة أبشر يا ابن عم واثبت، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة[٣].

ويبرز هذا الموقف قوة يقين السـيدة خديجـة ورجاحـة عقلها، لانها صدقت الرسول{ﷺ}من أول وهلة[٤].

وذهبت السيدة خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل. وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب. وسمع من أهل التوراة والإنجيل فاخبرته ؛ بما أخبرها به رسول ا {ﷺ} أنـه رأى وسـمع فقال ورقة : قدوس قدوس. والذى نفس ورقة بيده لئن كنـت صدقتنى، ياخديجة لقد جاءه الناموس الأكبـر الـذى يـأتى موسى، وإنه لنبى هذه الأمة. فقولى له فليثبـت[٥]. وعـادت

---

(٢) الطبرى ٥٣١/١. ابن عبد البر، ص ٣٢. ابن سيد الناس ١١٤/١ – ١١٥.
ابن كثير ٥/٣، ٦ . النويرى ١٧٤/١٦.

(٣) ابن هشام ١٤٨/١.الطبرى ٥٣٣/١. ابو الفداء ١٤٦/١.
ابن الوردى ٩٨/١ النويرى ١٧١/١٦.

(٤) ابن حجر العسقلانى ٦٧/٧.

(٥) ابن هشام ١٤٨/١ – ١٤٩. الطبرى ٥٣٣/١.
ابو الفداء ١٤٦/١ . ابن الوردى ٩٨/١ النويرى ١٧/١٦.

السيدة خديجة إلى رسول ا {ﷺ} وأخبرته بما قال ورقة بن نوفل فهون عليه بعض ما هو فيه من الهم بما جاءه وتوجـه الرسول {ﷺ} إلى الكعبة للطواف. فلقيه ورقة وهو يطـوف بالكعبة فقال : يا بن أخ أخبرتى بالذى رأيت وسمعت فقـص عليه الرسول {ﷺ} خبره[٦].

وقال ورقة بن نوفل ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال الرسول {ﷺ}: امخرجى هم ؟ قال نعم : إنه لـم يجـئ رجل قط بما جئت به إلا عودى، ولئن أدركت يومك أنصرك نصرا موزراً (١).

ونخرج مما سبق بنتجتين هما :

١ – حسن تصرف السيدة خديجة إزاء ما وقع للرسـول {ﷺ} فى الغار يدل على رجاحة عقلها، وفضـلها وسـلامة فطرتها.

---

(٦) ابن إسحاق ٢ / ١٠٢.

(١) الطبرى ٥٣١/١ابن عبد البر، ص ٣٢-٣٣. ابن الأثير ٣١/٢ ابن سيد الناس ١١٥/١ابن كثير ٦/٣. النويرى ١٧٢،١٧٤/١٦.

٢ – تحليل ورقة بن نوفل لظاهرة ما حدث للرسول {ﷺ} بالغار على صحة علمه وفضله [٢].

وبعد ذلك فتر الوحى عن الرسول {ﷺ} حتى شق عليـه وحزنا لذلك حزنا شديدا[٣]

واختلف الرواة فى مدة انقطاع الوحى التى حـددها ابـن سعد بعدة أيام[٤]، أما السهيلى فقدرها بسنتين ونصف[٥].

ويبدو من سياق الأحداث أن غياب الـوحى لـم يسـتمر طويلا، وأن ما ذهب اليه ابن سعد أقرب إلى الدقة.

وأنتهز المشركين فرصة غياب الوحى لينالوا من الرسول {ﷺ}. وقالوا " ودعه ربه وقلاه[٦] " وقد أنـزل ا سـبحانه

---

(٢) مهدى رزق ا أحمد : السيرة النبوية، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ١٩٩٢ م، ص ١٤٩.

(٣) ابن هشام ١٥١/١ . ابن سعد ١٩٦/١. البلاذرى، ص١٠٨ النويرى ١٧٦/١٦ . ابن كثير ٦/٣.

(٤) ابن سعد ١٩٦/١. اشارت بعض المصادر الى انقطاع الوحى لمدة ١٢ يوما، ١٥ يوما أو ٢٥ يوما أو اربعين يوما. ابن سيد الناس ١١٥/١ النويرى ١٧٦/١٦.

(٥) السهيلى ٤٢٠/١.

(٦) السهيلى ١ / ٤٢٢. النويرى ١٦ / ١٧٦. هاشم الملاح ، ص ١٠٧.

وتعالى سورة الضحى يقسم له وهو الذى أكرمه بما أكرمـه به، ما ودعه وما قلاه.

مراحل الدعوة الإسلامية فى مكة

يمكن تقسيم الدعوة الاسلامية فى العهد المكى لمرحلتين رئيسيتين :

١- الدعوة السرية

دعا الرسول {ﷺ} إلى الإسلام سراً، كل من يثـق فيـه، فدخل فى الاسلام على بن ابى طالب(١) وهـو صـبى لـم يتجاوز العاشرة(٢). ثم أسلم زيـد بـن حارثـة(٣) مـولى

---

(١) كان على بن ابى طالب يعيش مع الرسول {ﷺ}، وجعفر بن أبى طالب مع عمه العباس تخفيفا عن ابى طالب لأنه ذو عيال كثير ... لمزيد من التفاصيل انظر :

ابن هشام ١/١٥٣-١٥٤. الطبرى ١/٥٣٨-٥٣٩

ابن الأثير ٢/٣٧ . ابن سيد الناس ١/١٢٤-١٢٥

النويرى ١٦/١٨١ . ابن كثير ٣/٣٤.

(٢) اختلاف المؤرخون فى سن على بن ابى طالب عندما دخل فى الاسلام، فقيل تسع سنين، وقيل احدى عشرة سنة. ابن الاثيير ٢/٣٧. ابو الفداء ١/١٤٧. ابنى الوردى ١/٩٩.

(٣) قدم حكيم بن خزام من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة، واختارت السيدة خديجة من ابن أخيها حكيم زيد بن حارثة عندما

الرسول {ﷺ}. واسلم أبو بكر الصديق ؛ واظهر إسلامه ودعا إلى ا ورسوله. وكان أبو بكر رجلا محببا سـهلاً، وكـان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها، وكان رجلا تاجراً ذا خلق معروف، وكان رجال قومه يأتونـه ويألفونـه لعلمـه وتجارته، وحسن مجالسته. ودعا كل من يثق فيه من قومـه، ممن يغشاه ويجلس إليه. فأسلم بدعائه عثمـان بـن عفـان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبـى وقاص، وطلحة بن عبيد ا . فكان هـؤلاء النفـر أول مـن دخلوا فى الاسلام وصدقوا به(٤). ثم أسلم أبو عبيـدة بـن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبى الأرقـم، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبد ا ، وعبيـدة بـن الحارث وسعيد بن زيد بن عمرو، وامرأته فاطمة أخت عمر

عرض عليها الاختيار. ولم تلبث ان استوهبت السيدة خديجة زيدا للرسول {ﷺ}

ابن هشام ١٥٥/١ . ابن سيد الناس ١٢٦/١. النويرى ١٨٤/١٦.

(٤) ابن هشام ١٥٥/١-١٥٦. الطبرى ٥٤١-٥٤٠/١. ابن عبد البر، ص ٣٨-٣٩. ابن سيد الناس ١٢٦/١-١٢٧. ابو الفداء ١٤٧/١. ابن الوردى ٩٩/١. النوييرى ١٨٧/١٦.

المسعودى ١٨٧/١٦. ابن كثير ٣٩/٣. ابن خلدون ٧/٢.

بن الخطاب، وأسماء بنت أبى بكر، وعائشة بنت أبى بكـر، وخباب بن الأرت، وعمير بن أبى وقاص، وعبـد ا بـن مسعود، ومسعود بن القارى. وسليط بن عمرو وعياش بـن أبى ربيعة(١).

ولقد وصل عدد المسلمين فى نهاية المرحلة السرية إلـى اثنين وخمسين مسلما ومسلمة. وكان الرسـول {ﷺ} يـؤدى الصلاة فى شعاب مكة ومعه على بن ابى طالب بعيداً عـن مراقبة مشركى مكة(٢).

كما كان أصحاب رسول ا يصلون فى الشعاب مستخفين عن قومهم، وبينما كان سعد بن ابى وقاص فـى نفـر مـن أصحاب رسول ا فى شعب من شعاب مكة، ظهر علـيهم نفر من المشركين وهم يصلون، فعابوا عليهم ما يصـنعون، حتى قاتلوهم فضرب سعد بـن أبـى وقـاص رجـلا مـن

---

(١) ابن هشام، ١٥٦/١-١٦٠. ابن عبد البر، ص ٣٩-٤٠
ابن سيد الناس، ١٢٧/١-١٢٨. النويرى ١٨٨/١٦-١٨٩،١٩٠،١٩١
ابن خلدون، ٧/٢.

(٢) ابن هشام، ١٥٥/١ . الطبرى ٥٣٩/١ . ابن الاثير ٣٧/٢-٣٨. ابن سيد الناس، ١٢٥/٢. ابن خلدون ٦/٢.

المشركين بلحى بعير فشـجه، فكـان أول دم هريـق فـى الاسلام(٣).

واتخذ الرسول {ﷺ}، من دار الأرقم بن أبى الأرقم مـن بنى مخزوم مقراً سريا للدعوة إلى الاسلام. وكانـت علـى مقربة من جبل الصفا(٤).

ولقد حالف التوفيق الرسول {ﷺ} فـى ذلـك الاختيـار، لموقعها القريب من المسجدالحرام.فضلا عن قـوة عشـيرته التى تضمن له الحماية من أذى المشركين(٥)

وتعد الفترة التى قضاها الرسول {ﷺ} فى هذه الدار فترة هامة فى تاريخ الدعوة إلى الاسلام بمكة(٦).

ونلحظ من هذه المرحلة السرية أن رسـول ا {ﷺ} لـم يتوان فى تبليغ دعوة ربه، وأنه بدأ بالأقرب فالاقرب ممـن يحظون بثقته. وان المستجبين للإسلام كانوا موزعين علـى

---

(٣) ابن هشام، ١٦١/١ . البلاذرى، ص ١١٦
الطبرى، ٥٤١/١ . ابن الأثير ٤٠/٢. النويبرى ١٩٥/١٦.

(٤) المقريزى، ٣٤/١.

(٥) هاشم يحي ، ص ١٢١.

=أحمد فؤاد سيد : تاريخ الدعوة الإسلامية، الطبعة الثالثة، مكتبة الدعوة بالأزهر، القاهرة، ١٩٩٩ م، ص ٥٤.

(٦) حسن إبراهيم حسن ١ / ٦٩.

القبائل المختلفة. كما أن الانضمام إلى الاسلام لم يقتصر على الضعفاء والفقراء والموالى وإنما استجاب لنداء الرسول {ﷺ} ولبى دعوته عدد غير قليل من بيوتات قريش وذووى النسب والحسب والشرف (١).

ولعل الدافع الذى جعل المسلمين الأوائل يعتنقون الإسلام، وترك ديانة آبائهم وأجدادهم، وربما يرجع ذلك إلى الظروف الدينية والاقتصادية والسياسية التى نشأت فى إطارها الدعوة الإسلامية ودراسة طبيعة التعاليم التى جاء بها الاسلام، فـى بداية نزول الوحى على الرسول {ﷺ}.

كما أن المسلمين الذين دخلوا فى الاسلام وجد كل واحـد منهم فيه جوانب معينة من تعاليمه ما يشبع حاجته وتطلعاتـه فى الحياة(٢).

ويبدو أن مشركى مكة كانوا على علم بـدعوة الرسـول {ﷺ} حتى كثر من آمن به، وكفار قريش من وجوهها غيـر منكرين لما يقول. وكان إذا مر علـيهم فـى مجالسهـ ـ ـم

---

(١) عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح : المسلمون فى عصر الرسالة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ١٢٢.
(٢) هاشم يحى، ص ١٢١-١٢٢.

يشيرون إليـه، ويقولـون إغـلام بنـى عبـد المطلب يكلم من السماء(٣).

٢- الجهر بالدعوة

دخل فى الاسلام عدد كبير من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الاسلام فى مكة وتحدث به الناس. وأمر ا عز وجـل رسوله {ﷺ} أن يصـدع بمـا جـــاء منــه. وأن يبــادئ النـاس بأمـره وأن يـدعـو إليــه بعـد أن دامـت الدعــوة الإسلاميـة تنتشـر فـى الخفـاء لمـدة ثـــلاث سـنين(١) قـال تعـالى: ﴿ **فَاصدع بِما تُؤْمر وأَعرض عن المشْركِين** ﴾[الحجر آيـة: ٩٤]**،** وقال تعالى:﴿ **وأَنذِر عشِيرتَك الأَقْربِين(٢١٤) واخْفِض جنَاحك لِمن اتبعك مِن المؤْمِنين (٢١٥) فَإِن عصوك فَقُـلْ إِني برِيء مما تَعملُـون (٢١٦)**﴾**[الحشـر آيـة: ٢١٤ - ٢١٦]**.

---

(٣) البلاذرى : ص ١١٥ . النويرى ١٩٦/١٦.

(٤) ابن هشام ١٦٠/١ . الطبرى ٥٤١/١
ابن الأثير ٤٠/٢ . ابن خلدون ٧/٢

ولما جاء الأمر الإلهى بإعلان الدعوة إلى الإسلام. صعد الرسول {ﷺ} إلى جبل الصفا على الطريقة المتبعة لدى أهل مكة عند الإعلان عن أمر هام. واجتمعت إليه قريش، ونادى فيهم قائلا : أرايت أن اخبرتكم إن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونى ؟ قالوا : نعم. أنت عندنا غير متهم.. مـا جربنـا عليك كذبا قط. قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد.

ونادى الرسول فى جموع الحاضرين كل قبيلة باسمها من بنى عبد المطلب وبنى مناف، وبنو زهرة حتى عدد الأفخـاذ من قريش وأخبرهم أن ا أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين وأنى لا إملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصـيبا إلا أن تقولوا لا إله الا إ .

ونهض أبو لهب ساخرا : تباً لك ! الهـذا جمعتنـا(١) !

فانزل ا عز وجل:﴿ **تَبتْ يدا أَبِي لهبٍ وتَب (١) ما أَغْنَـى عنْه مالُه وما كَسـب (٢) سيصـلَى نَـاراً ذَاتَ لَهـبٍ (٣) وامرأَتُه حمالةَ الحطَبِ (٤) فِي جِيدِها حبلٌ مـن مسـدٍ (٥)** ﴾**[المسد]،.**

---

(١) ابن سعد ٢٠٠/١. البلاذرى، ص ١٢٠. الطبرى ٥٤٢/١ ابن الاثير ٤٠/٢. النويرى ١٩٧/١٦ . ابن كثير ٥١/٣.

٣- موقف المجتمع المكى من الدعوة الإسلامية

انقسم المجتمع المكى امام الدعوة الاسلامية، وصـاحبها واتباعه إلى طائفتين، طائفة تؤيد الدعوة وتدافع عنها، وطائفة تعارضها، وتضع العراقيل فى طريق انتشارها.

والمؤيدون للدعوة نجدهم نوعين أيضا :

أولهما : فريق آمن بها وصدق صاحبها، وبذل فى سـبيل ذلك النفس النفيس وآخرهما فريق لم يؤمن بها. ولكنه دافـع عن صاحبها، لصلته وقرابته مثل أبى طالـب، أو لشـعوره بالظلم والغبن والقسوة التى لحقت بأتباع محمـد {ﷺ} مثـل المطعم بن عدى(٢).

١ - موقف المؤيدين للدعوة من المؤمنين

نال الرسول {ﷺ} واتباعه الكثير من الأذى علـى يـدى مشركـى مكة. فإذا صلوا ذهبوا فى الشعاب للاختفاء عـن أعين المشركين. وقد مر بنا أن سعد بن أبى وقاص كان فى نفر من أصحاب رسول ا {ﷺ} فى شعب من شعاب مكـة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصـلون، فنـاكروهم

(٢) محمد محمد زيتون ، ص ٤١.

وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم. فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين، بلحى بعير فشجه (١).

وعندما عاب الرسول {ﷺ} على مشركى مكة، عبـادتهم للاصنام، أخذوا موقفاً متشدداً من الرسـول {ﷺ}. وحـاولوا التخلص منه حيث وثبوا عليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به. فنهض أبو بكر مدافعا عنه، وبكى(٢) قائلاً " أتقتلون رجـلاً أن يقول ربى ا وقد جاءكم بالبينات من ربكم(٣).

ويحكى عبد ا بن مسعود رضى ا عنه أنه شـاهد : " الرسول {ﷺ} قائماً يصلى عند الكعبة، وجمع من قريش فـى مجالسهم إذ قال قائل منهم : ألا تنظرون إلى هذا المرائـى ؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلـى فرثهـا ودمهـا

---

(١) ابن هشام ١٦١/١ . البلاذرى، ص ١١٦.
الطبرى ٥٤١/١ . ابن الأثير ٤٠/٢.
النويرى ١٩٥/١٦ . ابن كثير ٥٠/٣.

(٢) ابن هشام ١٧٦/١-١٧٧. الطبرى ٥٤٨/١. ابن عبد البر، ص ٤٣
ابن الأثير ٥٣،٥٤/٢. ابن حجر العسقلانى ٢٠٣،٢٠٧/٧.
النويرى ٢٠٦/١٦-٢٠٧
المقريزى ٤٤/١ . ابن كثير ٦١/٣.

(٣) سورة غافر : الآيات (٢٨)

وسلاها، فيجئ به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيـه. وثبت النبى {ﷺ} ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضـهم إلـى بعض من الضحك. فانطلق منطلق إلى فاطمة فأقبلت تسعى، وثبت النبى {ﷺ} حتى ألقته عنه. وأقبلت عليهم تسبهم. فلمـا قضى رسول الله {ﷺ} قال " : اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش.

ثم تسمى : اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، وعمارة بن الوليد، فقال عبد الله بـن مسـعود : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليـب – قليب بدر – ثم قال رسول الله {ﷺ}: وأتبع أصحاب القليـب لعنه(١) ".

وقد رأى الدعوة أن يسمعوا قريشا القرآن لأنهم لم يسمعوا القرآن يجهر لهم به. فقال ابن مسعود أنا أجهر لهم بالقرآن. فقال أصحابه إنا نريد رجلا له عشيرة يضعونه من القوم إن

---

(١) ابن كثير من ٥٨/٥٩.
أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية، الطبعة الخامسة، الجزء الاول، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٣.

أرادوه. فقال ابن مسعود : إن الله سيمنعنى، فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، وقريش فى أنديتها ثم بدأ يقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم " رافعا بها صوته : " الرحمن علـم القرآن " ثم استمر فى القراءة فقالت قريش ماذا قال ابـن أم عبد ؟ فقالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد. فقاموا إليـه فجعلوا إليه فجعلوا يضربونه فى وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثروا فى وجهه فقالوا: هذا الذى خشيناه عليك فقال: ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلهـا غـداً وقالوا: لا. حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون(٢)

وكان المشركون يبلغون فى تعذيب من دخل فى الإسـلام لإجبارهم عن ترك دينهم، ويجيعونهم، ويعطشـونهم حتـى كان لا يقدرون على الجلوس من شدة الضرب، ليرتد عـن دينه حتى يقولوا لهم : اللات والعزى إلهك مـن دون الله ؟ فيقول : نعم. حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون لـه : أهـذا

---

(٢) ابن هشام ١/١٩٢-١٩٣. ابن الأثير ٥٧/٢.
حسن ابراهيم حسن ١ / ٧٢.
محمد محمد زيتون، ص ٤٢.

الجعل إلهك من دونه ؟ فيقول : نعم، أفتداء منهم مما يبلغون من جهده وقد فرق القرآن بين هؤلاء وبين من ارتـد عـن الأيمان وانشرح صدره للكفر(٣) بقوله: ﴿ **إلا من أُكْرِه وقَلْبه مطْمِئِن﴾[النحل آية: ١٠٦].**

وكان بنو مخزوم يخرجون عمار بن ياسر وأباه وأمه فى وقت حمية الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة. فيمر بهم رسول ا {ﷺ} فيقول : صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة(٤) "

وكان أبو جهل إذ سمع بإسلام من ذوى الشـرف حـذره وهدده بتسفيه شرفه، وإذا كان تاجرا بتكسـيد تجارتـه، وإن كان ضعيفاً أغرى به(١). وامتـد أذى قـريش إلـى بـلال الحبشى، وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أميـة بـن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهـره فـى بطحاء مكة، ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له : لا وا لا تزال هكذا حتـى تمـوت أو تكفـر

---

(٣) حسن ابراهيم حسن ١ / ٧١.

(٤) ابن هشام ١٩٦/١-١٩٧. ابن عبد البر، ص ٤٧. ابن الأثير ٤٥/٢
النويرى ٢٣٠/١٦ . ابن كثير ٧٦/٣.

(١) البلاذرى، ص ١٩٨. ابن الاثير ٤٧/٢. النويرى ٢٣١/١٦

بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد !! ولما مر أبو بكر ووجد بلال يعذب طلب من أمية بن خلف ان يشترى منه بلالاً وأطلق سراحه. كما أعتق أبو بكر بأمواله عامر بن فهيرة، وأم عبيس وزبيدة، والنهدية وبنتهـا وجارية بنى مؤمل. وقال أبو قحافة لأبى بكر: يـابنى إنـى أراك لا تعتق إلا رقابا ضعافا، فلو أنـك إذ فعلـت أعتقـت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر : ياأبت إنى إنما أريد ما أريد ا عز وجل(٢).

وكان من المؤيدين للدعوة حمزة بن عبد المطلـب الـذى دافع عن الرسول {ﷺ} حينما شتمه أبو جهل عنـد الصـفا، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، ولم يكلمه الرسول {ﷺ}. وانصرف أبو جهل إلى نادٍ من قريش عنـد الكعبـة فجلس معهم.

وفى تلك الأثناء عاد حمزة بن عبد المطلب من صيد لـه حاملاً قوسه، وكان أعز فتى فى قريش قويا شديد الشـكيمة

---

(٢) ابن الاثير ٤٥/٢-٤٧. النويرى ٢٢٩/١٦-٢٣٠. ابن عبد البر، ص ٤٥-٤٦.

وأخبرته مولاة لعبد ا بن جـدعان بمـا حـدث للرسـول {ﷺ} من أبى جهل.

فغضب لما سمع بذلك ومضى يبحث عن أبى جهل حتـى وجده جالسا فى القوم، فأقبل نحوه وضربه وأخبره أنه علـى دين محمد. وحاول رجال من بنى مخزوم نصرة أبو جهـل على حمزه فنهاهم لانه سب الرسول {ﷺ}. ولما أسلم حمـزه عرفت قريش أن رسول ا قد عـز وامتنـع، وأن حمـزه سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه(٣).

كان المسلمون يرغبون فى الدفاع عن أنفسهم، ويبـدو أن الموقف السلمى جعل بعضهم يشتكى إلى الرسول {ﷺ} ممثلا فى قـول عبد الحمن بن عوف : " يانبى ا كنا فـى عـزة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فرد النبى {ﷺ}: " إنى امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم "(١)

---

(٣) ابن هشام ١/١٧٧-١٧٨. ابن عبد البر، ص ٤٠
الطبرى ١/٥٤٨-٥٤٩.ابن الأثير ٢/٥٦. أبو الفداء ١/١٤٩
ابن الوردى ١/١٠٠
.ابن سيد الناس ١/١٣٨. النويرى ١٦/٢٠٨
ابن كثير ٣/٣٣-٤٥ .ابن خلدون ٢/٩

(١) على محمد الصلابى ١ / ١٩٥.

وقد أمر الرسول {ﷺ} أصحابه بضبط الـنفس والتحلـى بالصبر، وعدم مقارعة القوة بالقوة، والعـدوان بالعـدوان، حرصاً على حياتهم ونظراً لمستقبل الدعوة وإمساكاً بزمامها الوليدة أن يئدها الشر، وهى لا تزال غضة طريـة، ولعـل المشركين كانوا يحرصون على مواجهة حاسمة مع الـدعوة تنهى أمرها لكن الحكمة الإسلامية فوتت عليهم الفرصة.

وكان الرسول {ﷺ} يربى أصحابه على عينه، ويـوجههم نحو توثيق الصلة بالله، والتقرب إليه بالعبادة(٢)، ثم نزلـت هذه الأيات فى المرحلة المكية : "ياأيها المزمل قم الليـل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتـل القـرآن ترتيلا إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا إن ناشئة الليل هـى أشـد وطئا وأقوم قيلا(٣) ".

٢- موقف المؤيدين للدعوة من غير المؤمنين بها

كان أبو طالب بن عبد المطلب عم الرسول {ﷺ} من أكبر المدافعين عن الرسول{ﷺ} فقد أيده وناصره ومنع عنـه أذى

---

(٢) أكرم ضياء العمرى ١ / ١٥٩.

(٣) سورة المزمل : الايات (١-٦).

قريش(٤) فعطف عليه وحماه من قومه مما هيـأ للرسـول {ﷺ} المضى فى الدعوة مظهراً أمر ا . وبـدأت مقاومـة قريش العلنية للرسول {ﷺ} عندما عاب آلهتهم فمشى نفر من قريش إلى أبى طالب يشكون : ياأبا طالب إن ابن أخيك قـد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه ؟ فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه(٥).

واستمر الرسول {ﷺ} فى تبليـغ الـدعوة بـين النـاس، واكتسبت الدعوة أتباعاً جدداً وشعرت قريش بالمخـاوف(١) وعادت مرة ثانية إلى أبى طالب قائلة : ياأبا طالب إن لـك سنا وشرفا، ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك. فلم تنهه عنا وإنا وا لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه

---

(٤) ابن هشام ٤٦/٢.

(٥) ابن هشام ١٦٢/١ . الطبرى ٥٤٣/١ . ابن الأثير ٤٢/٢.
ابو الفداء ١٤٨/١ . ابن الوردى ١٠٠/١
النويرى ١٩٩/١٦ . ابن سيد الناس ١٣١/١ابن كثير ٦٢/٣-٦٣

(١) ابن هشام ١٦٢/١ . الطبرى ٥٤٤/١ ابن الاثير ٤٣/٢.

أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإيـاك فـى ذلك حتى يهلك أى الفريقين(٢).

وعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يـرض بتسليم رسول ا {ﷺ} لهم ولا خذلانه(٣).

وبعث أبو طالب إلى رسول ا {ﷺ} فقال له : " يا ابـن أخى إن قومك قد جاءونى. فقالوا إن ابن أخيك شتم اباءنـا، وسفه احلامنا، وعيب الهتنا. فابق على وعلـى نفسـك. ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق.

واعتقد الرسول {ﷺ} أن عزيمة عمه قد فترة عن نصرته. وربما يسلمه إلى قريش. فقال رسول ا {ﷺ}: ياعم وا لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره ا أو أهلك فيه، مـا تركتـه ! ثـم استعبر رسول ا {ﷺ} فبكى ثم قام. فلما ولـى نـاداه أبـو

---

(٢) ابن هشام ١٦٢/١ .الطبرى ٥٤٤/١
البلاذرى، ص ٢٣١.ابن الاثير ٤٣/٢. ابو الفداء ١٤٨/١
ابن الوردى ١٠٠/١. النويرى ٢٠٠/١٦ابن كثير ٦٣/٣
(٣) ابن هشام ١٦٢/١ .الطبرى ٥٤٤/١. ابن كثير ٦٣/٣.

طالب. فقال : أقبل يا ابن أخى، وقل ما أحببـت، فـوا لا أسلمك لشئ أبدا(٤).

وعلمت قريش أن أبا طالب رفض خذلان الرسـول {ﷺ} وتسليمه لهم وتحداهم. فعادوا إليه يعرضون عليـه إعطـاءه عمارة بن الوليد من أجمل شباب قريش ليتخذه ولدا. مقابـل تسليم الرسول {ﷺ} الذى خالف دينك، ودين الآباء، وفـرق أمر قريش وسفه أحلامهم ليقتلوه، مقابل أن يأخذ عمارة بـن الوليد رجلاً برجل. فقال : وا لبئس ما تسومننى ! أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكـم إبنى تقتلونـه؟ هـذا وا مـالا يكون أبداً!.

وقال المطعم بن عدى : وا يا أبا طالب لقـد أنصـفك قومك، وجهدوا على التخاص مما تكرهه. فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً. فقال أبو طالب للمطعم : وا ما أنصـفونى

---

(٤) ابن هشام ١٦٢/١-١٦٣. البلاذرى، ص ٢٩٩-٢٣٠
الطبرى ٥٤٥/١ .ابن الأثير ٤٣/٢ .ابو الفداء ١٤٨/١
ابن الوردى ١٠٠/١. النويرى ٢٠٠/١٦. ابن كثير ٥٦/٣، ٦٣.
ابن خلدون ٧/٢-٨.

ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على، فاصنع ما بدا لك(١).

واشتد الأمر بين الرسول {ﷺ} وأصـحابه مـن ناحيـة، ومشركى مكة من ناحية أخرى. وحميت الحرب وتنابذ القوم. ونهضت قريش على من فى قبائلها من أصحاب رسـول ا الذين أسلموا معه. فوثبت كل قبيلة علـى مـن فـيهم مـن المسلمين يعذبونهم بغرض فتنتهم وإبعادهم عن دينهم ومنـع رسول ا {ﷺ} بعمه أبى طالب.

ولما وجد أبو طالب موقف قريش من بنى هاشـم وبنـى المطلب دعاهم إلى حماية الرسول {ﷺ} للدفاع عنه وحمايته. فلبوا دعوته وساندوه فيما عدا ابا لهـب(٢).

وجاء وفد من مشركى مكة إلى أبـى طالـب لمسـاومة الرسول {ﷺ} فأرسل إليه أبو طالب فجاء الرسول {ﷺ}، فقال

---

(١) ابن هشام ١٦٣/١. البلاذرى، ص ٢٣١. اليعقوبى ٢٤/٢-٢٥
ابن سعد ٢٠٢/١. الطبرى ٥٤٥/١. ابن الأثير ٤٣/٢.
النويرى ٢٠٠/١٦-٢٠١. ابن كثير ٦٣/٣.

(٢) ابن هشام ١٦٣/١-١٦٤. الطبرى ٥٤٥/١
ابن الاثير ٤٣/٢-٤٤. ابن سيد الناس ١٣٢/١-١٣٣.
ابن كثير ٦٤/٣.

: ياابن أخى هؤلاء عمومتك وأشـراف قومـك وقـد أرادوا ينصفونك، فقال رسول ا {ﷺ}: قولوا أسمع، فقالوا تـدعنا وآلهتنا، وندعك وإلهك، فقال أبو طالب : قد أنصـفك القـوم فاقبل منهم. فقال رسول ا {ﷺ}: أرأيتم إن أعطيتكم هذه هل أنتم معطى كلمة إن أنتم تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانـت لكم بها العجم ؟ فقال أبو جهل : إن هذه لكلمة مربحة، نعـم وأبيك لنقولها وعشر أمثالها، قـال : قولـوا لا إلـه الا ا ، فاشمأزوا وتقروا منها وغضـبوا وقـاموا وهـم يقولـون : اصبروا على آلهتكم. إن هذا لشئ يراد. وعزم المشـركون على قتل الرسول {ﷺ}.

وغاب الرسول {ﷺ} فى مساء تلك الليلة. وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه. فجمع فتيانا من بنـى هاشـم وبنى المطلب ثم قال : ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة ثم ليتبعنى إذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلـى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية، يعنى أبا جهل، فإنه لم يغب عن شر إن كان محمد قد قتل، فقال الفتيـان : نفعـل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحـال، فقـال يازيد أحسست ابن أخى ؟ قال : نعم كنت معه آنفا، فقال أبو

طالب : لا أدخل بيتى أبدا حتى أراه، فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول ا ، {ﷺ}، وهو فى بيـت عنـد الصـفا ومعـه أصحابه يتحدثون. فأخبره الخبر، فجاء رسول ا {ﷺ}، إلى أبى طالب، فقال : ياابن أخى أين كنت ؟ أكنت فـى خيـر ؟ قال : نعم قال : ادخل بيتك، فدخل رسول ا {ﷺ}، فأخـذ بيده فوقف به على أندية قريش، ومعه الفتيـان الهاشـميون والمطلبيون، فقال : يامعشر قريش هل تدرون ما هممت به ؟ قالوا : لا، فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان : اكشفوا عمـا فـى أيديكم، فكشفوا، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال : وا لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم وكان أشدهم انكساراً أبو جهل(١).

٣- - المعارضون للدعوة الإسلامية

فى بداية الدعوة لم يتصد كفار قريش للدعوة الإسـلامية وإنما كانوا يشيرون إلى الرسول {ﷺ} إذ مـر علـيهم فـى مجالسهم ويقولون : إن غلام بنى عبد المطلب لـيكلم مـن السماء. واستمر ا الأمر كذلك حتى عاب على آلهتهم التـى يعبدونها من دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر

---

(١) ابن سعد ١/٢٠٢-٢٠٣.

وعند ذلك حميت قريش للدفاع عن دينها وحماية ابنائهم مما يرميهم به من الكفر والضلال(٢).

وسلكت قريش عدة أساليب لمقاومة الدعوة الإسلامية بكل الوسائل منها :

١ - أسلوب الدعاية ضد الدعوة

كان الوليد بن المغيرة بن عبد ا من بنى مخزوم، يكنى أبا عبد شمس (٣). وكان ذا سن فيهم، وقد حضر موسم الحج، واجتمع إليه نفر من قريش، فقال لهم : يامعشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر دعوة الرسول {ﷺ}، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضاً.

قالوا : نقول كاهن، أو مجنون، أو شاعر، أو ساحر. فرد عليهم الوليد قولهم وأنه ليس مما قلتم فيه. وقال الوليد : وا إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة. وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه

---

(٢) محمد محمد زيتون ، ٥٣.

(٣) ابن الاثير ٤٨/٢.

لأن تقولوا : ساحر جاء بسحر يفرق بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته(١).

وحاولوا صد الناس الوافدين فى موسم الحج، فكان لا يمر بهم أحد الا حذروه إياه وذكروا لهم أمره : فأنزل ا تعـالى فى الوليد بن المغيـرة : " ذرنى ومن خلقت وحيداً، وجعلت له مالاً ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمـع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً(٢) ".

وأثمر تصدى مشركى مكة لوفود الحجاج وتحذيرهم مـن دعوة الرسول {ﷺ} عن نتائج ايجابية لصالح الدعوة حيـث عادوا إلى بلادهم وانتشر امر الرسول {ﷺ} فى بلاد العرب كلها(٣).

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كـان يؤذى رسول ا {ﷺ} وينصب له العداوة، وكـان قـد قـدم

---

(١) ابن هشام ١٦٥/١ . البلاذرى، ص ١٣٣
ابن الاثير ٤٨/٢. ابن سيد الناس ١٣٣/١-١٣٤. ابن كثير ٧٨/٣-٧٩.
النويرى ٢٠٣/١٦-٢٠٥. ابن خلدون ٨/٢.

(٢) سورة : المدثر : الآيات (١١-١٦).

(٣) ابن هشام ١٦٥/١ ابن سيد الناس ١٣٤/١.
النويرى ٢٠٥/١٦.

الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، ورستم، وإسـفنديار فكان إذا جلس رسول ا {ﷺ} مجلسا فذكر فيه ا ، وحـذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة ا ، خلفـه فـى مجلسه إذا قام ثم قال : أنا وا يامعشر قريش أحسن حـديثا منه، فهلم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه". ثم يحدثهم عـن ملوك فارس، ورستم، وإسفنديار، ثم يقول : بمـاذا محمـد أحسن حديثا منى ؟ وكان ابن عباس يقول : نزل فيه ثمـانى آيات من القرآن(١) " قول ا عز وجل ﴿**إِذَا تُتْلَـى عليْـهِ آياتُنَا قَالَ أَساطِير الأولِين** ﴾**[القلم آية: ١٥].**

٢- أسلوب الإغراء والتحدى

لجأ المشركون إلى أسلوب الإغراء والتحدى فى مقاومـة الدعوة الإسلامية فحدث أن عتبة بن ربيعة أحد سادة قـريش قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول ا جالس فـى المسجد وحده : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمـد فأكلمـه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيهـا شـاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسـول

---

(١) ابن هشام ١٨٢/١-١٨٣

ا {ﷺ} يزيدون فقالوا : بلى يا أبا الوليد، قم إليـه فكلمـه.
فقال للرسول {ﷺ} يا ابن أخى، إن كنت تريد مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شـرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أمراً دونك وإن كنت تريـد بـه ملكا ملكناك علينا. وإن كان هذا الذى يأتيك رئيـا تـراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيـه أموالنـا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجـل حتـى يداوى منه.

وأنصت الرسول {ﷺ} لقول عتبة. ولما فرغ تـلا عليـه الرسول {ﷺ} " **بسم ا الرحمن الرحيم. ﴿ حم (١) تَنزِيـلٌ من الرحمن الرحِيمِ (٢) كِتَاب فُصلتْ آياتُه قُرآناً عربِيا لقَومٍ يعلَمون (٣) بشِيراً ونَذِيراً فَأَعرض أَكْثَرهم فَهم لاَ يسمعون (٤) وقَالُوا قُلُوبنَا فِي أَكِنةٍ مما تَدعونَا إِلَيهِ وفِي آذَانِنَا وقْر ومِن بينِنَا وبينِك حِجاب فَاعملْ إِننَا عامِلُون (٥)﴾[فصلت: ١ - ٥].**

ومضى الرسول {ﷺ} يقرؤها عليه، وعتبة ينصت للتلاوة.

وعاد عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم : نحلف با لقـد جاءكم عتبة بغير الوجه الذى ذهب به. واخبرهم عتبة بحقيقة

وقعت على سمعهم كالصاعقة. قائلا : إنى سمعت قولا وا
ما سمعت بمثله قط، وا ما هو بالشعر، ولا بالسـحر، ولا
بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعونى واجعلوها بى، وخلوا بين
هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوا ليكونن لقولـه
الذى سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقـد كفيتمـوه
بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عـزكم
وكنتم أسعد الناس به !.

قالوا : سحرك وا يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيى فيه
فاصنعوا ما بدا لكـم(١)

فاجتمع أشراف قريش من كل قبيلة، وهم عتبة بن ربيعة،
وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث،
وأبو البخترى بن هشام، والأسود بن المطلب وغيرهم. بعـد
غروب الشمس عند ظهر الكعبة. وأجمعـوا أمـرهم علـى
محادثة الرسول{ﷺ}. وعرضوا عليـه المـال، والشـرف،
والملك، والعلاج مما يأتيه. فقال لهم رسول ا {ﷺ}: " مـا
بى ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلـب أمـوالكم، ولا

---

(١) ابن هشام ١/١٧٨-١٧٩. ابن سيد الناس ١/١٣٩-١٤٠
النويرى ١٦/٢٠٩-٢١٠. ابن كثير ٣/٨١-٨٢.

الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن ا بعثنى إليكم رسولا، وأنزل على كتابا، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، قالوا : يامحمد، فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضـنا عليـك فإنك قد علمت أن ليس من الناس أحد أضيق بلادا، ولا أقـل ماء، ولا أشد عيشا منا، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا، وليبسـط لنـا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق(٢).

وكان عبد الأسود بن يغوث من المسـتهزئين. وكـان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه : "قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر. ويقول للنبى {ﷺ}: أما كلمـت اليوم من السماء يامحمد ؟ (٣) ".

٣- تعذيب المسلمين

ذكرنا أن مشركى مكة اعتدوا على من أسلم، ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، وكانوا ينزلون بهم أصناف العذاب من الضرب والجوع والعطش، وبرمضـاء مكـة إذا اشتد الحر، بقصد فتنتهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شـدة

---

(٢) ابن هشام ١٨٠/١. الطبرى ٥٥٠/١. النويرى ٢١٤/١٦-٢١٥.
(٣) البلاذرى، ص ١٣١-١٣٢.ابن الأثير ٤٨/٢.

البلاء الذى يصيبه، ومنهم من يصلب لهـم، ويعصـمه ا منهم(٤). ومن هؤلاء بلال بن رباح الحبشى، وعمـار بـن ياسر، وصهيب بن سنان الرومى، وعامر بن فهيرة(٥).

٤ - أسلوب الجدل والأسئلة التعجيزية

بعث مشركو مكة مع النضر بن الحارث عقبة بـن أبـى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا اعطونا شيئا نسأل عنـه محمداً.

فقالت لهم أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث، فـان أخبـركم بهن فهو نبى مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول وسلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول، وعن رجل طـواف قـد بلـغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح. فإذا أخبركم بـذلك فهو نبى فاتبعوه. ورجع النضر وعقبة إلى قريش وقال لهـم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمـد وأخبـروهم الخبـر، فجاءوا إلى النبى {ﷺ} وسألوه عن ذلك، واعطاهم الرسـول {ﷺ} موعداً للإجابة على أسئلتهم. فجاءه جبريل وأخبره بها.

---

(٤) ابن الأثير ٤٥/٢. النويرى ٢٢٩/١٦.

(٥) ابن الأثير ٤٥/٢-٤٦.

الفتية الذين ذهبوا هم أهل الكهف، والرجل الطواف هو ذو القرنين أى الإسكندر المقدونى، وعن الروح قل من أمر ربى(١).

فلما جاءهم الرسول {ﷺ} بما عرفوا من الحق وعرفوا صدق ما حدثهم وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب سألوه عما سألوا عنه حال الجد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصديقه فعتوا على ا وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر(٢) فقال قائلهم : ﴿ **لاَ تَسمعوا لِهذَا القُرآن والْغَوا فِيهِ لَعلَكُم تَغْلِبون**﴾**[فصلت: ٢٦].**

٥ - اعتراض من يأتى مكة وإقناعه بالعدول عن الدعوة الإسلامية

وقد حدث هذا مع الطفيل بن عمرو الدوسى حين قدم مكة فمشى إليه رجال من قريش يحذرونه من رسول ا {ﷺ} وقالوا له : يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا وفرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما

---

(١) ابن هشام ١٨٣/١-١٨٨. ابن سيد الناس ١٤٢/١-١٤٣ الحلبى ٥٠٠/١. ابن كثير ١٨/٣ قارن البلاذرى، ص ١٤٢.

(٢) ابن هشام ١٩١/١.محمد محمد زيتون ، ص ٦٠.

قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبـين أخيه وبين الرجل وبين زوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا.

وقد أجمع الطفيل ألا يكلم الرسول {ﷺ} أو يسـتمع منـه حتى حشا أذنه قطنا. ولكن ا هداه من بعد فسمع القـرآن من رسول ا {ﷺ} فأسلم وأسلمت دوس على يديه(١).

٦ - الاستهزاء والتهكم والسخرية والهجاء

قصدت قريش خذل المسلمين، وتوهين قواهم المعنويـة، فرموا النبى {ﷺ} بتهم وشـتائم سـفيهة، فكـانوا ينادونـه بالجنون(٢)، ﴿ **وقالُوا يا أَيها الَّذِي نُزلَ علَيهِ الـذكْر إِنـك لَمجنُون** ﴾**[الحجر: ٦].** ويصـمونه بالسـحر والكـذب: ﴿ **وعجِبوا أَن جاءهم منذِر منْهم وقَالَ الكَافِرون هـذَا سـاحِر كَذاب** ﴾**[ص: ٤]،** وكانوا يشيعونه بنظرات ملتهمـة ناقمـة، وعواطف منفصلة هائجة: ﴿ **وإِن يكَاد الَّذِين كَفَروا لَيزلِقُونَك بِأَبصارِهِم لَما سمِعوا الذكْر ويقُولُون إِنه لَمجنُون** ﴾**[القلـم: ٥١].**

---

(١) ابن هشام ٢ / ٢٣.

(٢) المبار كفورى ، ص ٩٧.

ومن المستهزئين أبو لهب عبد العزى بن عبـد المطلـب الذى كان شديداً على الرسول {ﷺ}. وعلى المسلمين فكـان يطرح القاذروات والنتن على باب النبى {ﷺ}. وكان جـاره. وكان رسول ا {ﷺ} يقول : أى جوار هـذا يـابنى عبـد المطلب(٣).

وكان منية ومنبه ابنا الحجاج السهميان من أشد المـؤذين للرسول {ﷺ} والطعن عليه. وكان يلقيانه فيقولان اما وجـد ا من يبعثه غيرك ؟ أن ههنا من هو أسن منك وأيسر(٤).

٧- المطالبة بالمعجزات لإثبات النبوة

اشتد عناد المشركين للرسول {ﷺ}، وتحديهم له ومطالبته إياه بمعجزات تثبت نبوته.

قال عبد ا بن عباس : " قالت قريش للنبـى : ادع لنـا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال : وتفعلـون ؟ قال : نعم. قال فدعا فأتاه جبريل فقال : إن ربك عز وجـل يقرأ عليك السلام ويقول : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبـا. فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبـه أحـداً مـن

---

(٣) ابن الاثير ٤٧/٢.
(٤) ابن الأثير ٤٩/٢٢-٥٠.

العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة ؟ قال : بل التوبة والرحمة "(١).

قال ابن عباس : " فأنزل ا عز وجل هذه الآيات: ﴿ **وما منَعنَا أَن نرسِلَ بِالآياتِ إِلا أَن كَذب بِها الأولُون وآتَينَا ثَمود الناقَةَ مبصِرةً** ﴾**[الإسراء: ٥٩].**

وكان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم شديد العـداوة فلقـى النبى {ﷺ} فقال ياابن أخى بلغنى عنك أمر ولست بكـذاب. فإن صرعتنى علمت أنك صادق. ولم يكن يصـرعه أحـد فصرعه النبى {ﷺ} ثلاث مرات ودعاه إلى الإسلام فقـال لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة. فقال رسـول ا {ﷺ} أقبلـى فأقبلت تحد الأرض. فقال ركانة : ما رأيت سحراً أعظم من هذا مرها فلترجع فامرها فعادت فقال هذا سحر عظيم(٢).

٨- المساومات

حاول مشركو مكة اللجوء إلى بعض المسـاومات لكـى يلتقى الإسلام والجاهلية فى منتصف الطرييق بـأن يتـرك

---

(١) ابن كثير ٦٨/٣. أكرم ضياء العمرى ١ / ١٦١.

(٢) ابن الأثير ٥١/٢. ابن كثير ١٢٨/٣.

المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبى {ﷺ}. بعض مـا هو عليه " ودوا لو تدهن فيدهنون ".

وهناك موقف آخر يفيد أن المشـركين عرضـوا علـى رسول ا {ﷺ} أن يعبد آلهتهم عاما، ويعبدون ربـه عامـا. ورواية أخرى لعبد بن حميد تفيد أنهم قالوا : لو قبلت آلهتنـا نعبد إلهك.

فاعترض رسول ا {ﷺ} وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطلب بن أسد. فقالوا يامحمد هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد مـا نعبد فنشترك نحن وأنت فى الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد(٣) ......

---

(٣) المبار كفورى ، ص ٩٩.

أولاً : أسباب مقاومة المشركين للدعوة الإسلامية

ناصبت قريش العداء للرسول {ﷺ} ودعوته الجديدة بشتى الوسائل لعدة أسباب هى من أهمها :-

١ - سبب اقتصادى.

أدى وجود البيت الحرام فى مكة إلى ازدهار اقتصـادى هناك، فلقد تمكن زعماء قريش فى الاستفادة من الحرم المكى والأشهر الحرم بتنظيم تجارة القوافل بـين الـيمن والشـام والعراق عبر نظام الإيلاف(١).

وكان بنو عبد مناف الأربعة يتوجهون إلى البلاد المختلفة للتجارة هاشم يتوجه إلى الشام، وعبد شـمس إلـى الحبشـة والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس.

وكان تجار قريش ينتقلون إلـى هـذه الامـاكن دون أن يتعرض لهم أحد بسوء. وكان كل أخ منهم يأخذ من ملك البلد الذى يقصده أمانا له ولمن معه(٢).

وأدرك زعماء قريش أن تخلى قبيلة قريش عن الشـرك وعبادة الأصنام سيدمر الأسس التى قامت عليهـا " إيـلاف

---

(١) هاشم يحى ، ص ١٢٥.

(٢) حسن ابراهيم حسن ١ / ٥٥.

قريش " وسيدخلها فى صراع مستمر مـع أغلبيـة القبائـل العربية المشتركة، وقد عبر المشركون عن تخوفهم من هـذه النتيجة(٣) كما يذكرنا ذلك القرآن الكريم بقوله : " وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا(٤).

٢ - سبب اجتماعى.

تغير نظام الحياة الاجتماعية التى اعتادها مشركو مكة فى حياتهم الخاصة والعامة وهذا ليس بالأمر الهـين أن يتخلـوا عنها بسهولة(٥) من عدة نواح :

أ- عارض مشركو مكة دعوة الرسول {ﷺ} من منطلـق التطاول على عبـادة الأجداد

التى تعودوا عليها منذ أن جاءت قريش إلى مكة(٦).

كما دعت دعوة الاسلام إلى التوحيد وترك الشرك تكفيـرا وتسفيها لما كان عليه آباؤهم وأجدادهم(١).

---

(٣) هاشم يحى ، ص ١٢٥.

(٤) سورة القصص : الأيات ٥٧.

(٥) نبيه العاقل : تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، ص ٣٩٢.

(٦) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية، ج١، الطبعة الثانية، الأنجلو المصرية،القاهرة ١٩٦٠م، ص ١٠٢

(١) هاشم يحى ، ص ١٢٦.

ب – السيادة القبلية والتنافس عليها. بحيث لـم تسـتطع قريش أن تفرق بين السيادة أو بين النبوة والملك وحسبوا ان التسليم بدين محمد {ﷺ} التسليم بالزعامة له ولآله من بنـى عبد المطلب(٢). وعد ذلك تهديدا لوحدة المجتمع وتفريقا له، وعبر المشركون عن ذلك عندما جاءوا إلـى أبـى طالـب ليكلموه فى أمره(٣).

ج – المساواة بين السادة والعبيد

كان هناك تمايز طبقى شديد فى الجزيرة وبانتشار الإسلام بين كل الطبقات يجعل المساواة بين الناس أساساً هاماً مـن أسسها وتساوى بين السيد وعبده(٤).

وأن مقياس التفاضل التى جاء بها الإسـلام قـائم علـى التقوى والعمل والصالح وشعر مشركو مكة بخطـورة هـذا الأمر على نفوذهم ونظامهم الاجتماعى، الذى يسـتند علـى النسب والثروة(٥).

---

(٢) أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج١، الطبعة الخامسة، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٠، ص ١١٨.

(٣) هاشم يحى ، ص ١٢٦.

(٤) أحمد شلبى ١ / ١١٨.

(٥) هاشم يحى ، ص ١٢٦.

٣ - سبب سياسى.

لقد شكل نزول الوحى على الرسول {ﷺ}، ودعوة القرآن الكريم الناس إلى طاعة الرسول {ﷺ} تهديداً قوياً للزعامـة القبلية فى مكة، لأن من شأن انتشار الاسلام، أن يؤدى إلـى انتقال القيادة إلى الرسول {ﷺ} بصورة تلقائية، لذا فقد أبـدى زعماء قريش معارضتهم الشديدة من نزول الرسـالة علـى رجـــل ليس من فئة زعماء مكة. ومن ثم فقـد راحـوا يسخرون من الرسول {ﷺ} (٦). ﴿ **وقَالُوا لَولا نُـزلَ هـذَا القُرآن علَى رجلٍ من القَريتَين عظِيمٍ** ﴾**[الزخرف: ٣١].**

٤ - سبب دينى

جاء الاسلام ليؤكد بالدرجة الأولى على عبادة إله واحـد منزه، ويستبعد كافة مظاهر الشـرك بالوثنيـة، ولا يمكـن التوفيق بين ما جاء به وما كان يدين به أهل مكة. فانتصـار الإسلام كان يستلزم ضرورة إزالة المعتقدات والعبادات التى اعتنقوها.

---

(٦) هاشم يحى ، ص ١٢٦انظر كذلك - نبيه العاقل ، ص ٣٩٢.

ولم يكن لأهل مكة فكرة حية واضحة عندم لديانتهم ولـم يوجد رجال دين يتحمسون فى الدفاع عن هـذه الديانـة(١). وأشار القرآن الكريم إلى تردى ذلك الدين فى قلوب الناس.

قال تعالى:﴿ **وذَرِ الذِين اتخَذُوا دِينَهم لعِباً ولهواً وغَرتْهم الحياةُ الدنْيا** ﴾ **[الأنعام: ٧٠].**

والواقع أن المشركين أقـاموا تحـاملهم علـى مبـدأين أساسيين، أحدهما على فكرة الوحدانيـة الخالصـة، وعلـى شخصية الرسول {ﷺ}. والثانى هو أن دينهم قد ورثوه عـن آبائهم(٢).

ثانيا : المفاهيم الجديدة فى الدعوة الإسلامية

قدمت الدعوة الاسلامية للعرب مفاهيماً جديدة لم يكونـوا يعرفونها من قبل هى :

---

(١) صالح أحمد العلى : محاضرات فى تاريخ العرب، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٨م، ص ٣٤٠.

(٢) صالح أحمد العلى ، ص ٣٤٠-٣٤١.

١- الوحدانية.

هذه الوحدانية تظهر للإنسان بالنظر العقلى فـى إثبـات وجود ا   ووحدانيته، من خلال التأمل فى مخلوقاته، وترابط الوجود، وقوانين الطبيعة، وما يقول على الأرض من إنسان وحيوان ونبات. وفى ذات الانسان نفسه ؛ فى خلقه وفى عقله ووجدانه(١).

وعندما دعا الرسول {ﷺ} بشكل صريح وقوى إلى توحيد ا   تعالى وحده والابتعاد عن عبادة الأصنام؛ لأنهـا ليسـت آلهة وهى غير جديرة بالعبادة؛ ولا تنفع ولا تضر غضـب المشركون من ذلك وشرعوا فى تعـذيب مـن دخـل فـى الاسلام(٢).

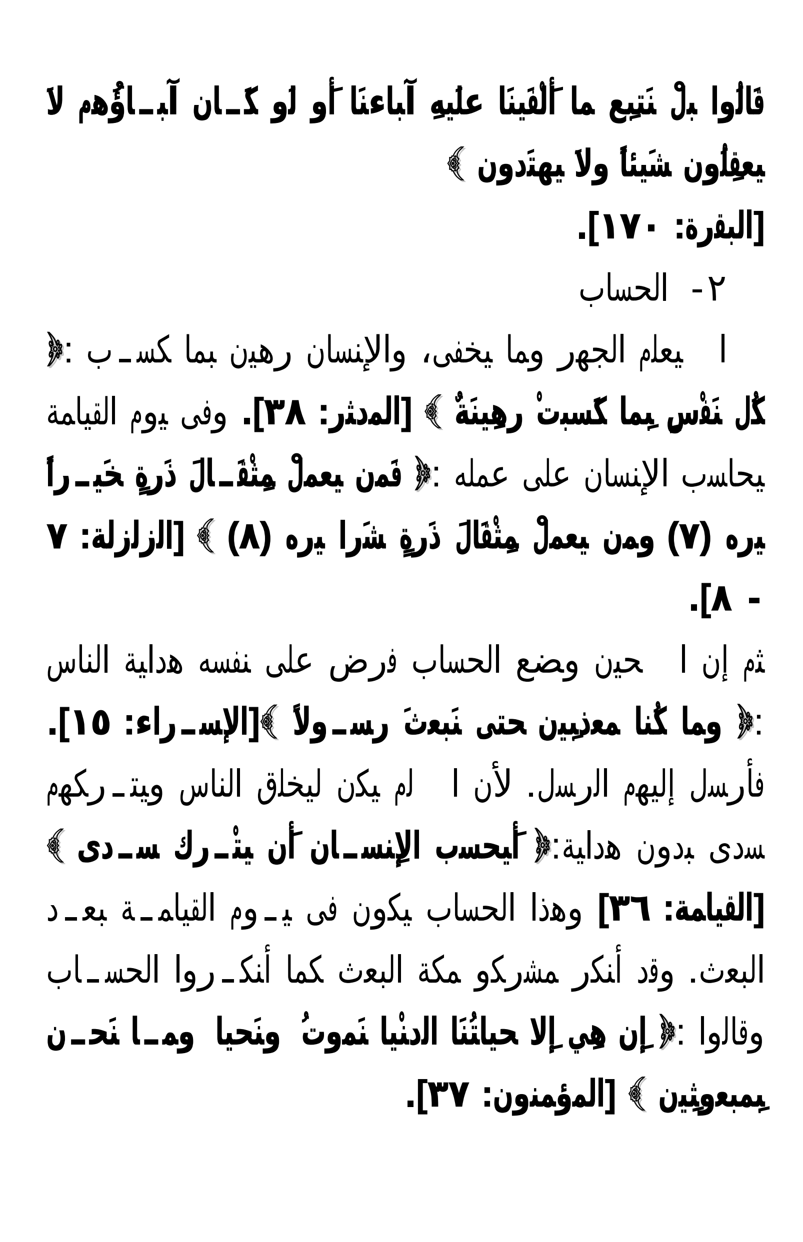
وانتقد القرآن الكريم المشركين وأخذ عليهم إهمالهم، وعدم الاسترشاد بهدى عقولهم وجمـودهم علـى تقاليـد آبـائهم وأجدادهم من غير تمييز بين الصالح والطالح(٣) فيها العديد من الآيات نحو قوله :﴿ **وإذَا قِيلَ لهم اتبِعوا ما أَنـزلَ اللـه**

---

(١)   أحمد إبراهيم الشريف ، ص ٢٧٣.

(٢)   هاشم يحى ، ص ١٣٤.

(٣)   هاشم يحى ، ص ١٣٤.



قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾
[البقرة: ١٧٠].

٢- الحساب

ا يعلم الجهر وما يخفى، والإنسان رهين بما كسب :﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ [المدثر: ٣٨].** وفى يوم القيامة يحاسب الإنسان على عمله :﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨) ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].**

ثم إن ا حين وضع الحساب فرض على نفسه هداية الناس :﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾[الإسراء: ١٥].** فأرسل إليهم الرسل. لأن ا لم يكن ليخلق الناس ويتركهم سدى بدون هداية:﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ [القيامة: ٣٦]** وهذا الحساب يكون فى يوم القيامة بعد البعث. وقد أنكر مشركو مكة البعث كما أنكروا الحساب وقالوا :﴿ **إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ [المؤمنون: ٣٧].**

والمهم فى فكرة الحساب أنها تجعل المرء من نفسه وازعاً يزعه فيتجه به إلى الخير ما أمكن " وفزع مشركو مكه مـن البعث ومن عذاب جهنم ويوم الحساب، فقد عكفوا على اللهو مسرفين فيه، يتخذون من التجارة والربا إليه الوسـيلة ٠ ولا يرى الغنى منهم فى شىء من اشياء رذيلة يتجـافى عنهـا، وكانوا يتقدمون إلىالأصنام بتقديم القرابين لتمحوا ذنوبهم (١) !

وهم فى حل من أن يقتل وينهب ويرتكب الفحشاء مادام قديرا على رشوة هذه الآلهة بالقرابين والنحور !

ويخبرهم الرسول {ﷺ} بآيات القرآن الكريم التى تحذرهم من العذاب يوم الحساب وأنهم مبعوثون فى اليوم الآخـر خلقـا جديدا، وأن أعمالهم هى وحدها الشفيع لهم:

﴿ فَإِذَا جاءتِ الصاخةُ (٣٣) يوم يفِر المرء مِن أَخِيهِ (٣٤) وأُمهِ وأَبِيهِ (٣٥) وصاحِبتِهِ وبنِيهِ (٣٦) لِكُل امـرِئٍ مـنْهم يومئِذٍ شأْن يغْنِيهِ (٣٧) وجوه يومئِذٍ مسفِرةٌ (٣٨) ضاحِكَةٌ مستَبشِرةٌ (٣٩) ووجوه يومئِذٍ علَيها غَبرةٌ (٤٠) تَرهقُهـا

---

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد {ﷺ}، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٩١ – ١٩٢.

قَتَرةٌ (٤١) أولَئِك هم الكَفَرةُ الفَجرةُ (٤٢)﴾ [عبس: ٣٣ - ٤٢].

وقال تعالى : ﴿ **يوم تكُون الســماء كَالْمهـل (٨) وتكُـون الجِبالُ كَالْعِهن (٩)**

ولاَ يسأَلُ حمِيم حمِيماً (١٠) يبصرونَهم يـود المجـرِم لَـو يفْتَدِي مِن عذَابِ يومِئذٍ بِبنِيهِ (١١) وصاحِبتِهِ وأَخِيهِ (١٢) وفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) ومن فِي الأَرضِ جمِيعاً ثُم ينجِيهِ (١٤) كَلا إِنها لَظَى (١٥) نَزاعةً للشوى (١٦)

تَدعو مـن أَدبـر وتَـولى (١٧) وجمـع فَـأَوعى (١٨)﴾ [المعارج: ٨ - ١٨].

لم يكن أهل مكه يعرفـون البعـث ولا يتوهمـون أنهـم مجزون عن أعمالهم بعـد الموت وكانت الحياة عندهم غاية الحياة . فكان كل همهم منصرفا لجمـع أسباب الاسـتمتاع فيها ودفع كل ما يخشونه منها (١).

---

(٢) محمد حسين هيكل، ص ١٩٣ .

الفصل التاسع
الأوضاع فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة

الهجرة إلى الحبشة

كانت الهجرة إلى الحبشة هى أول هجرة فى الإسلام بناء على موافقة الرسول{ﷺ} بسبب الاضطهاد والتعذيب الذى لحق بالمسلمين[1]. وخوفا عليهم من خطر الفتنة على أيدى مشركى مكة.[2]

ولقد وقع اختيار الرسول {ﷺ} على الحبشة بخاصة لعدة عوامل هـ ـى:-

---

(١) البلاذرى، ص ١٩٨. ، اليعقوبى ٢٩/٢. ، الطبرى ٥٤٧/١. ، ابن عبد البر،ص ٤٨
ابن الاثير ٥١/٢. ، ابن كثير ٨٤/٣-٨٥، النويرى ٢٣٢/١٦ ، ابن سيد الناس ١٥١/١
ابن قيم الحوزية ٣٢/١، الحلبى ٣/٢
(٢) الطبرى ٥٤٧/١ ، ابن عبد البر، ص ٤٨ ، ابن الاثير ٥١/٢
ابن كثير ٨٥/٣ ، النويرى ٢٣٢/١٦ ، ابن قيم الحوزية ٣٢/١. الحلبى ٣/٢

أولا- عدل النجاشى:

أفاض كتاب السيرة فى وصف النجاشى[٣] بالعدل، وعدم الظلم وأن أرض الحبشة أرض صدق.[٤]

ثانيا- عامل اقتصادى:

لم يغب عن ذهن الرسول {ﷺ} مكانة الحبشة الاقتصادية وأهميتها لمكة. وصرح بذلك الطبرى[٥]: قائلا: "كانت أرض الحبشة متجراً لقريش، يتجرون فيها، ويجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً ومتجراً حسناً ".

ثالثا- عامل سياسى:

كان الرسول {ﷺ} يومئ إلى قريش بأن عدوانها على المسلمين يجعلهم يلجؤون إلى قوة خارجية لحمايتهم. وعلى الأخص إذا علمنا أنه كان للحبشة مطامع قديمة فى منطقة الحجاز،عندما قدم أبرهة على رأس حملة لهدم الكعبة، وصرف أنظار الحجاج إلى كنيسة (القليس) التى بناها فى

---

(٣) أصحمة بن أبحر. السهيلى ٩٠/٢

(٤) الطبرى ٥٤٧/١ ، ابن الاثير ٩١/٢

(٥) تاريخ الطبرى ٥٤٦/١.

صنعاء. وعلى رغم فشل هذه الحملة. لكن الظروف الجديدة فى مكة كان من الممكن أن تجدد مطامع الحبشة لغزو مكة مرة أخرى.(١)

وكما يبدو أن الرسول {ﷺ} رغب فى الاستفادة من الظروف الدولية الراهنة حينذاك. بتقوية علاقته مع الحبشة حلفاء بيزنطة والتى سخطت على قريش، عندما تخلت عن حيادها إزاء الصراع بين القوى الكبرى آنذاك. وهما الروم (البيزنطيين) والفرس. وعقدت صفقات تجارية مع الفرس الذين استردوا سورية، وفلسطين، ومصر من البيزنطيين، منذ منتصف القرن السادس الميلادى وحتى زمن هيرا كليوس. وأثار هذا الأمر حفيظة بيزنطة على قريش حليفها القديم.(٢)

كما أن هذه الهجرة أحدثت دويا فى الحجاز وخارجها، ونقلت الأخبار من مكة بخروج هؤلاء المهاجرين فرارا بدين حرصوا عليه أكثر من حرصهم على أنفسهم.(٣)

---

(١) أحمد الشريف ، ص ٢٩٤-٢٩٥

(٢) نبيه العاقل ، ص ٤٠٤-٤٠٥

(٣) محمد أحمد زيود: تاريخ العرب والإسلام، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٥، ص ٤٥.

ونجد أنفسنا فى مواجهة سؤال يطرح نفسه عن السبب الذى صرف الرسول{ﷺ} عن التفكير فى إرسال المهاجرين إلى داخل الجزيرة العربية أو بلاد الشام.

فلا جدال، فى أن الرسول صلى ا عليه وسلم كان محقاً فى عدم إرسال المهاجرين إلى داخل الجزيرة العربية أو بلاد الشام لعدة أسباب من أهمها:

١- القبائل العربيـ ـة :

لم يفكر الرسول {ﷺ} فى إرسال المهاجرين إلى إحدى القبائل العربية الضاربة فى شبه الجزيرة لأن تلك القبائل كانت ترتبط بعلاقات وطيدة مع قريش. وخير دليل على ذلك رفضها الدخول فى الإسلام فى مواسم الحج مجاملة لقريش.(٤)

٢- يثـ ـ ـرب :

لم يحاول الرسول {ﷺ} إرسال المهاجرين إلى يثرب لأنها كانت تعانى من خلافات داخلية شديدة بين قبائلها سواء بين العرب واليهود من ناحية أو بين الأوس والخزرج من

---

(٤) حسن ابراهيم حسن ، ٧٥/١
أحمد الشريف ، ص ٢٩٣-٢٩٤ أحمد شلبى ١ / ١٢١.

ناحية أخرى. وكانت كل من القبيلتين تحاول كسب ود قريش فى صراعهما معا.[1]

٣- الطائــــف :

كان من المستحيل إرسال المهاجرين إلى الطائف لأن أهلها لم يكونوا مهيئين لقبول الدعوة الإسلامية والتخلى عن الوثنية. وخير دليل على ذلك عندما لجأ إليهم الرسول {ﷺ}، رفضوا دعوته عن بكر أبيهم ولم يحاولوا التعرف على جوهر الدعوة الإسلامية ووصل بهم الأمر إلى حد السخرية والاستهزاء وإلحاق الأذى بالرسول {ﷺ}.[2]

٤- شمال الجزيرة العربية :

كان يسودها الاضطراب فى منطقتى الحيرة والغساسنة وكان بينهما حروب طاحنة تذكى نيرانها قوتان كبيرتان هما الفرس والروم. وبرغم ذلك كانت كل من الحيرة والغساسنة على علاقات تجارية وطيدة مع قريش. فإذا علمت قريش بوجود المسلمين عندهما ستبذل قصارى مساعيها لتسليمهم. كما فعلت مع النجاشى.

---

(١) أحمد الشريف ، ص ٢٩٤ .

(٢) ابن هشام ٢/٤٧-٤٨ ، البلاذرى، ص ٢٣٧ ، الطبرى ١/٥٥٤

٥- اليمـــن :

كانت مستعمرة فارسية ولم يطمئن الرسول {ﷺ} لإرسال المسلمين إليها. وأثبتت الأحداث بعد نظره. فقد كتب كسرى فارس إلى باذان عامله على اليمن: "ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين جادين من عندك فليأتيانى به".[٣]

خرج الذين هاجروا إلى الحبشة متسللين سرا، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة حتى إلى ميناء الشعبية على البحر الأحمر، وركبوا سفينتين حملوهم إلى أرض الحبشة بنصف دينار وكان مخرجهم فى السنة الخامسة من البعثة.[٤]

وأولى من هاجر من المسلمين عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول ا {ﷺ}. وأبو حذيفة بن عيينة وامراته سهلة بنت سهيل، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة ابن عبد الأسد، وامراته أم سلمة بنت أبى أمية، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعه معه امراته ليلى بنت أبى حثمة، وأبوسبرة بن درهم

---

(٣) حسن ابراهيم حسن ١ / ٧٥ أحمد الشريف ، ص ٢٩٣-٢٩٤ أحمد شلبى ١/ ١٢١.

(٤) ابن سعد ٢٠٤/١ ، الطبرى ٥٤٦/١ ، النويرى ٢٣٢/١٦ ابن سيد الناس ١٥٢/١ ، الحلبى ٥/٢.

وسهيل بن بيضاء، فكان هؤلاء العشرة والأربع نسوة أول من هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة.[1]

كان لهجرة المسلمين إلى الحبشة أثر كبير فى نشر الإسلام وترغيب الناس فيه فلقد ذاع بين العرب أن فريقا من القرشين هاجروا إلى الحبشة فرارا بالدين الإسلامى، وبذلك سمع عن الدين الإسلامى من لم يسمع من قبل.[2]

ولما علم المهاجرون بخبر إسلام قريش، عزموا على العودة وقالوا: عشائرنا أحب إلينا. فخرجوا راجعين إلى مكة. ولما دنوا منها سألوا المارة من كنانة عن قريش وحالهم. فأخبروهم أن محمداً ذكر آلهتهم بخير فتابعه الملأ. ثم استدعتها فعاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر.

فرغبوا فى العودة إلى أرض الحبشة ثم قالوا: قد بلغنا ندخل فننتظر ما فيه قريش. ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم يرجع ودخلوا مكة مستجرين أو مستخفين إلا ابن مسعود فإنه

---

(١) ابن سعد ٢٠٤/١، الطبرى ٥٤٦/١-٥٤٧، ابن عبد البر، ص ٤٨-٤٩

ابن كثير ٨٥/٣، ابن سيد الناس١٥١/١-١٥٢

ابن خلدون ٨/٢، الحلبى ٣/٢-٥ .

(٢) محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية، ص ٧٦.

مكث قليلا ثم رجع إلى أرض الحبشة وكان مجيئهم إلى مكة فى شوال فى السنة الخامسة من البعثة.[٣]

وكانوا قد مكثوا فى أرض الحبشة بقية شهر رجب وشعبان ورمضان.[٤] لقى أصحاب الرسول صلى ا عليه وسلم العائدون من الحبشة أذى شديداً من قومهم وسطت كل عشيرة تعذب أتباعها.[٥]

حتى أذن الرسول {ﷺ} فى الخروج إلى الحبشة فخرج جعفر بن أبى طالب رضى ا عنه. وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها من خرج بأهله، ومنهم من خرج بنفسه. ووصل عدد المهاجرين إلى الحبشة من المسلمين حوالى ثلاثة وثمانين رجلاً [١].

ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وسبع غرائب. ولما سمعوا بمهاجرة الرسول{ﷺ} رجع إلى المدينة منهم ثلاثة

---

(٣) ابن سعد ٢٠٥/١-٢٠٦، الطبرى ٥٥١/١، النويرى ٢٣٤/١٦-٢٣٥
الحلبى ٩/٢-١٠
(٤) الحلبى ٥/٢
(٥) ابن سعد ٢٠٧/١
(١) ابن هشام ٢٠٤/١، ابن كثير ٨٧/٣-٨٨
ورد هذا العدد اثنين وثمانين عند ابن الاثير ٥٣/٢

وثلاثون رجلا، ومن النساء ثمانى نسوة.[٢]

وكان المهاجرون إلى الحبشة من مختلف القبائل مما يدل على أن الذين دخلوا فى الإسلام كانوا من مختلف قبائلها. ويمكننا أن نرتبهم وفقا للقائمة التى أوردها البلاذرى:

١- بنى هاشم واحد.
٢- بنى أمية بن شمس أربعة ومن حلفائهم سبعة.
٣- بنى نوفل واحد ومن حلفائهم واحد.
٤- بنى أسعد بن عبد العزى بن قصى أربعة.
٥- بنى عبد قصى واحد.
٦- بنى عبد الدار بن قصى سبعة.
٧- بنى زهرة بن كلاب ستة ومن حلفائهم ثلاثة.
٨- بنى تيم بن مرة اثنين.
٩- بنى مخزوم بن يقظة سبعة ومن حلفائهم اثنين.
١٠- بنى جمح بن عمرو بن هصيص ثمان ومن حلفائهم واحد [٣]
١١- بنى سهم بن عمرو بن هصيص احد عشر ومن حلفائهم واحد.
١٢- بنى عدى بن كعب من لؤى ثلاثة ومن حلفائهم اثنين.

---

(٢) ابن سعد ٢٠٧/١

(٣) البلاذرى، ص ١٩٨ - ٢١٤، النويرى ١٦ / ٢٤٢ - ٢٤٤

١٣- بنى عامر بن لؤى بن غالب ثمان.

١٤- بنى الحارث بن فهر بن مالك ثمان.[٤]

وفد قريش إلى الحبشة لتسليم المهاجرين

أرادت قريش ملاحقة المهاجرين بالحبشة لتسليمهم إياها، وبعثت رجلين من قريش جادين هما عمرو بن العاص، وعبد ا بن أبى ربيعة وقيل عبد ا بن أمية.[١] وحملوا معهم هدايا قيمة مما يستطرف من متاع مكة من الأدم كميات كبيرة وقدموا هدايا إلى كل البطارقة ثم قدموا هدية إلى النجاشى، وطلبوا من البطارقة أن يساعدوهم عند النجاشى فى تسليم المهاجرين قائلين: إنه قد جاء إلى بلادكم منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم، جاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردوهم إليهم، على أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم.

وكان أبغض شئ إلى عمرو بن العاص وعبد ا بن ربيعة أن يسمع كلامهم النجاشى، فقالت بطارقته حوله. صدقا أيها الملك، قومهم أعلم بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم

---

(٢) البلاذرى، ص ٢١٤ - ٢٢٧، النويرى ١٦ / ٢٤٤ - ٢٤٦

(١) ابن الاثير ٢ / ٥٤

قيل عمارة بن الوليد البلاذرى، ص ٢٣٢ اليعقوبى ٢ / ٢٩

فأسلمهم إليهما فليردهم إلى بلادهم وقومهم. فغضب النجاشى رفضاً تسليمهم وهم بجواره وفى بلاده حتى يطلع على حقيقة أمرهم.

وأرسل إلى أصحاب رسول ا {} بحضور الأساقفة ثم سألهم عن الدين الذى جعلهم يفارقون من أجله بلادهم.

وتقدم جعفر بن أبى طالب يخبره بذلك، فقال: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث ا إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى ا لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد ا وحده فلم نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من ا ، فعبدنا ا وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليرودنا إلى عبادة الأوثان عن

عبادة ا تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا،وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألا تظلم عندما أيها المالك!

فقال له النجاشى: هل معك مما جاء به عن ا من شئ؟ فقال له جعفر: نعم. وطلب من جعفر أن يقرأ عليه بعضا منه. فقلرأ عليه صدرا من "كهيعص" قالت: فبكى وا النجاشى حتى أفضلت لحيته. وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال لهم النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاه واحدة ! انطلقا، فلا وا لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون ! وفشل وفد قريش فى تحقيق هدفه وفكروا فى حيلة أكثر دهاء وقالوا للنجاشى أنهم يتقولون على المسيح عليه السلام. ويزعمون أنه عبد ! فارسل إليهم النجاشى فسألهم عما يقولون فيه.

فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا {ﷺ}. يقول: هو عبد ا ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشى بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا، ثم قال: وا ماعدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود.

ورفض النجاشى هدية وفد قريش. فى عودة المهاجرين من الحبشة. وخرجوا من عنده مقبوحين، مردودا عليهما ما جاءوا به. وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار.[1]

إسلام عمر بن الخطاب

اسلم عمر بن الخطاب بعد خروج المهاجرين إلى الحبشة. وكان سبب إسلامه إسلام اخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد فى السر. كما أسلم نعيم بن عبد ا النحام، من بنى عدى بن كعب، وكان أيضا يخفى إسلامه عند قومه خشية بطشهم.

وكان خباب بن الأرت يتردد إلى بيت فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر ذات يوم متوشحا سيفه يريد الانتقام من الرسول {ﷺ}وأصحابه.[2] فلقيه نعيم بن عبد ا . وسأله: أين تريد يا عمر؟ فقال أريد محمداً الذى فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله فقال له نعيم: وا لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض. وقد

---

(١) ابن هشام ١ / ٢٠٥ - ٢٠٨ ، ابن الاثير ٢ / ٥٤ - ٥٥
ابن كثير ٣ / ٩٢ – ٩٤ ، النويرى ١٦ / ٢٤٧ - ٢٥٠
ابن سيد الناس ١ / ١٥٥ ، اليعقوبى ٢ / ٢٩

(٢) ابن هشام ١ / ٢١٢ ، ابن الاثير ٢ / ٥٧ - ٥٨

قتلت محمداً ، أفلا ترجع إلى أهل بينك فتقيم أمرهم؟ قال: وأى أهل بيتى؟ قال: أختك فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بن عمر. فقد وا أسلما وتابعا محمداً، وعلى دينه، فعليك بهما.

وعاد عمر على وجه السرعة إلى بيت أخته فاطمة وكان خبـاب بن الأرت.[1] وهى تميمى بالنسب، وهـو خزاعـى بالولاء. يعلمها وزوجها سعيد بن زيد القرآن فـى صـحيفة مكتوب فيها سورة " طه" فلما سمعوا صوت عمـر يطـرق الباب أختفى الخباب فى داخـل البيـت وأخفـت فاطمـة الصحيفة. وكان عمر سمع صوت الخباب، وهـو يقرئهمـا القرآن وسألهم عن حقيقة الصوت الذى سمعه فانكروا هـذا الصوت وأخبرهم أنه علم بدخولهم فى الإسلام. وبطش عمر بسعيد بن زيد ونهضت فاطمة لتكفه عن زوجهـا فضـربها وسال منها الدم وأخبراه أنهما دخلوا فى الإسلام، وأمنا بـا ورسوله. فاصنع ما بداك ! فلما رأى عمر الدم ينزف مـن أخته رق قلبه وندم عمر وطلب الصحيفة ليطلع عليها وكـان عمر يجيد القراءة. ورفضت فاطمة إعطاءه الصحيفة خشـية أن يعبث بها . ولكنه التزم بردها إليها وشـرطت عليـه أن

---

(١) كان رسول ا {ﷺ}،يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة يكونان معه يصيبان من طعامه وقد ضم إلى سعيد بن زيد الخباب ورجل آخر. أنظر السهيلى ١٢٢/٢.

يتطهر قبل أن يمس الصحيفة. فقام عمر واغتسل وأعطتـه الصحيفة وتلى بعض الآيات من سورة طه: ﴿ **طـه (١) مـا أنزلنَا علَيك القُرآن لِتَشْقَى (٢) إلا تَذْكِرةً لمن يخْشَـى (٣) تَنزيلاً ممن خَلَقَ الأَرض والسمواتِ العلى (٤) الرحمن على العرش استَوى (٥)** ﴾ **[طه: ١- ٥].**

ولما فرغ عمر من القراءة: قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! وسمع خباب قول عمر فخرج إليه من مخبئه. قائلا: يا عمر، أرجو أن يكون ا قد خصك بدعوة نبيه، فإنى سمعته أمس وهو يقول: "اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب". وتوجه عمر من تلقاء نفسه لملاقاة الرسول {ﷺ} معلنا إسلامه.(٢)

ذهب عمر إلى بيت الأرقم عند الصفا فطرق الباب، ونهض رجل من صحابة رسول ا {ﷺ} ليرى من الطارق من ثـقب الباب، فوجد عمر متوشحا بسيفه فأخبر رسول ا بأن الطارق عمر متوشحا سيفه على الباب. فقال حمزة بن

---

(٢) ابن هشام ٢١٢/١-٢١٣ ، ابن الاثير ٥٨/٢ النويرى ٢٥٥/١٦ ، ابو الفداء ١٤٩/١ ،

قارن ابن سيد الناس ١٥٩/١-١٦٠ ابن الوردى ١٠١/١ الحلبى ١٢/٢-١٣

عبد المطلب إذن له، فإن كان قادما لخير منحته وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه.

وأذن الرسول {ﷺ} بدخول عمر، وسأله عن سبب مجيئه. فقال عمر: يا رسول ا جئتك لأومن با وبرسوله وبما جاء من عند ا !.

وأعلن عمر إسلامه، [(١)] وعز الإسلام بعمر بن الخطاب حيث أمر المسلمين بالصلاة عند الكعبة وتحدى مشركى مكة من أن يقتربوا من المسلمين.[(٢)] والأكثر من ذلك أنه مر على بيوتات مشركى مكة يخبرهم بدخوله فى الإسلام.[(٣)]

وقال عبد ا بن مسعود إن إسلام عمر كان فتحاً ، وأن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة.

---

(١) ابن هشام ٢١٣/١ – ٢٢٤ ،ابن الاثير ٥٨/٢ ، النويرى ٢٥٦-٢٥٥/١٦
ابن سيد الناس ١٦٠/١-١٦١ ، الحلبى ١٣/٢-١٤ ، ابوالفداء ١٤٩/١
ابن الوردى ١٠١/١
(٢) ابن هشام ٢١١/١ ابن الاثير ٥٧/١ ،النويرى ٢٥٧/١٦
ابو الفداء ١٤٩/١ ابن خلدون ٩/٢
(٣) ابن هشام ٢١٦/١

وكان إسلام عمر فى ذى الحجة من السنة السادسة من البعثة النبوية، وعمره يومذاك ستة وعشرون سنة.[٤]

صحيفة المقاطعة

فرضت قريش مقاطعة اقتصادية واجتماعية على بنى هاشم وبنى عبد المطلب، للضغط عليهم لكى يسلموا لهم الرسول {ﷺ} ليقتلوه للأسباب التالية:-

١- رأت قريش أن أصحاب رسول ا {ﷺ}. قد اطمانوا فى الحبشة.

٢- عودة وفد قريش دون تحقيق هدفه عند النجاشى بتسليمهم المسلمين، ورد النجاشى هديتهم.[١]

٣- حماية أبى طالب للرسول {ﷺ}. ورفضه تسليم الرسول {ﷺ} لهم.[٢]

---

(٤) النويرى ٢٥٧/١٦-٢٥٨

رفاعة رافع الطهطاوى: نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز، الجزء الأول، حققه عبد الرحمن حسن محمد وآخرين، مكتبة الآداب ، القاهرة، د.ت ، ص ٩٨.

(١) ابن هشام ٣/٢ ، الطبرى ٥٤٩/١ ، ابن الأثير ٥٩/٢

ابو الفداء ١٥٠/١ ، ابن الوردى ١٠١/١ ، ابن كثير ١٠٨/٣

ابن حجر العسقلانى ٢٣١/٧ ، المقريزى ٤٧/١-٤٨ ، الحلبى ٢٦/٢

(٢) اليعقوبى ٣١/٢

٤- إسلام عمر بن الخطاب وحمزة بن عبـد المطلـب الذين كانا بمنزلة قوة للمسلمين[٣]

٥- انتشار الاسلام بين مختلف القبائل بكثرة.[٤]

اجتمعت قريش وكتبت كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم، وبنى عبد المطلب على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم[٥]. ولا يكلموهم ولا يجالسوهم[٦]، ولا يبيعـوا شـيئا ولا يبتـاعوا منهم.[٧]

---

(٣) ابن هشام ٣/٢ ، ابن كثير ١٠٨/٣ ، النويرى ٢٥٨/١٦ ، الحلبى ٢٥/٢

(٤) ابن هشام ٣/٢ ، الطبرى ٥٤٩/١ ، ابن عبد البر، ص ٥٢ ، ابن الأثير ٥٩/٢

ابن كثير ٨/٣ ، النويرى ٢٥٨/١٦ ، ابن خلدون ٩/٢ ، الحلبى ٢٦/٢

(٥) ابن هشام ٣/٢ ، ابن سعد ٢٠٨/١-٢٠٩ ، البلاذرى، ص ٢٣٤

اليعقونى ٣١/٢ ، الطبرى ٥٤٩/١ ، ابن عبد البر، ص ٥٢

ابن الأثير ٥٩/١ ، السهيلى ١٦١/٢ ، ابن كثير ١٠٥/٣-١٠٨

النويرى ٢٥٨/١٦ ، ابن خلدون ٩/٢ ، الحلبى ٢٥/٢

(٦) ابن عبد البر، ص ٥٢ ، البلاذرى، ص ٢٣٤

(٧) ابن هشام ٣/٢ ، اليعقونى ٣١/٢ ، البلاذرى، ص ٢٣٤

الطبرى ٥٤٩/١ ، ابن الاثير ٥٩/٢ ، ابن كثير ١٠٨/٣

ابن كثير: فصول: ص ١٠٢ ، النويرى ٢٥٨/١٦ ، ابو الفداء ١٥٠/١

ابن الوردى ١٠١/١ ، ابن سيد الناس ١٦٥/١ ، الحلبى ٢٥/٢

ودونت قريش هذه المقاطعة فى صحيفة وتعهدت بتنفيـذ شروطها بكل صرامة. وتوكيدٍ لذلك علقوهـا فـى جـوف الكعبة.

واختلفت الروايات التاريخية حول كاتب الصحيفة فقيـل منصور بن عكرمة،[1] وقيل بغيض بن عامر بن هاشم، وقيل النضر بن الحارس ويرجح بين هذه الأقوال احتمال أن تكون كتبت من الصحيفة عدة نسخ.[2] ولكن المشهور عند جمهور الكتاب ان منصور بن عكرمة هو كاتب الصـحيفة. ودعـا عليه الرسول {ﷺ}، فشلت يده يوم كتابته للصحيفة.[3]

وعلى إثر المقاطعة دخل بنو هاشم وبنو المطلب مع أبـى طالب فى شعبه فى السنة السابعة من البعثة وخرج من بنـى هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبـد المطلـب إلـى قـريش فظاهرهم.[4]

---

(١) ابن هشام ٣/٢ ابن سعد ٢٠٩/١
البلاذرى، ص ٢٣٥
ابن كثير ١٠٨/٣ النويرى ٢٥٨/١٦
(٢) الحلبى ٣٦/٢
(٣) البلاذرى، ص ٢٣٥ النويرى ٢٥٩/١٦
(٤) ابن هشام ٣/٢ ابن سعد ٢٠٩/١ ابن عبد البر، ص ٥٢
اليعقوبى ٣١/٢الطبرى ٥٥٠/١ ابن الأثير ٥٩/٢
ابن كثير: فصول، ص ١٠٣ النويرى ٢٥٩/١٦ابوالفداء ١٥٠/١

واستمرت المقاطعة لمدة ثلاث سنوات، وكان لا يصـلهم الطعام إلا سراً، وفى خفاء عن أعـين قـريش ممـن أراد وصلهم.[5]

ولم يكن يتاح للرسـول {ﷺ} ولا للمسـلمين الاخـتلاط بالناس والتحدث إليهم إلا فى الأشهر الحرم حين يفد العـرب إلى مكة لأداء شعائرهم الدينية.[6]

ابن الوردى ١٠١/١ ابن خلدون ٢٥/٢ الحلبى ٢٥/٢
المقريزى ٤٨/١

(٥) ابن هشام ٣/٢-٤الطبرى ٥٥٠/١ابن كثير ١٠٩/٣
ابن خلدون ٩/٢

(٦) ابن سعد ٢٠٩/١البلاذرى، ص ٢٣٤ النويرى ٢٥٩/١٦
الحلبى ٣٤/٢ محمد حسنين هيكل ، ص ١٩٦

وحرص الرسول {ﷺ} على دعوة العرب فى هذه الأشهر إلى الإسلام يبشرهم بثوابه ويحذرهم من العقاب.[1]

ولم تكتف قريش بالمقاطعة. وإنما كانت تسارع إلى شراء الطعام والسلع الأخرى فى مراسم الحج حتى لا يجـد بنـو هاشم وبنو المطلب حاجتهم الكافية.[2]

وكان ابو لهب يطلب من التجار رفع أسعار سلعهم علـى الرسول {ﷺ} والمسلمين حتى لا يتمكنوا من الشراء[3] فـى حين يقوم أبو لهب بتعويض التجار فيما اشتروا من الطعـام واللباس[4] .

ومما لاريب فيه أن المقاطعة أسفرت عن إضرار وخيمة حتى وصل بهم الأمر إلى أكـل الخـبط (ورق الشـجر)،[5] وبكى الأطفال من شدة الجوع. وعلم بذلك أهل قريش فمنهم من رق قلبه، ومنهم من سره ذلك.[6]

---

(١) محمد حسنين هيكل ، ص ١٩٦

(٢) ابن عبد البر، ص ٥٤ ابن كثير ٣ / ١٠٥ - ١٠٦ ابن سيد الناس ١ / ١٦٥

(٣) السهيلى ٢ / ١٦١الحلبى ٢ / ٢٦

(٤) السهيلى ٢ / ١٦١

(٥) السهيلى ٢ / ١٦١

(٦) ابن سعد ١/ ٢٠٩البلاذرى ، ص ٢٣٤ النويرى ١٦ / ٢٥٩ الحلبى ٢ / ٣٤

ولم يرض نفر من أهل مكة على هذه المقاطعة وحـاولوا التخفيف عنهم مثل حكيم بن حزام حمل الطعام إلى الشـعب وذات مرة لقبه أبو جهل وحاول منعه فأخبره أن هذا الطعام إلى عمته خديجة[(٧)] كما أبلى فى تخفيف المقاطعة هشام بـن عمرو الذى يدخل البعير محملا بالطعام والثياب ليلا لشـعب بنى هاشم وبنى المطلب.[(٨)]

نقض الصحيفــة

قام بعض أشراف مكة بنقض هذه الصحيفة الجائرة. فقد أبلى هشام بن عمرو بلاء حسنا فى تخفيف المعاناة عن بنى هاشم وبنى عبد المطلب.

فمشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة. فقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثيـاب، وتـنكح النسـاء، وأخوالك حيث قد علمت، قال: ويحك يا هشام فماذا أصـنع؟ إنما أنا رجل واحد، وا لو كان معى رجل آخر لقمت فـى نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلا قال: فمن هـو؟ قال: أنا. قال زهير: أبغنا رجلا ثالثا.

---

(٧) المقريزى ١ / ٤٨

(٨) ابن هشام ٢ / ١٨ البلاذرى ، ص ٢٣٥ الطبرى ١ / ٥٥٢ ابن الأثير ٢ / ٦٠

ابن كثير ٣ / ١١٩ - ١٢٠ الحلبى ٢ / ٣٤

فذهب إلى المطعم بن عدى ثم إلى أبى البحترى ثم إلـى زمعة بن الأسود وقال لهم مثلما قال لزهيـر بـن أميـة.[1] واتفقوا فى حطم الجحون- موضع بمكة- ليلا علـى نقـض الصحيفة. وأول من شرع منهم فى تنفيذ الخطة زهير الـذى طاف فى الصباح بالبيت سبعا وطلب شـق هـذه الصـحيفة الظالمة.[2]

وحاول أبو جهل منع زهير من شق الصحيفة، وحـدثت مشادة بين زهير وأبى جهل.

وقام المطعم بن عدى بشق الصحيفة فوجد أن الأرضة قد أكلتها إلا " باسمك اللهم"[3]

---

(١) ابن هشام ١٨/٢-١٩ البلاذرى، ص ٢٣٥-٢٣٦
الطبرى ٥٥٣/١
ابن عبد البر، ص ٥٧ ابن الأثير ٦١/٢ ابن كثير ١٢٠/٣
النويرى ٢٦٠/١٦-٢٦١الحلبى ٣٧/٢-٣٨
(٢) ابن هشام ١٩/٢الطبرى ٥٥٣/١ ابن الأثير ٦١/٢
ابن كثير ١٢٠/٣النويرى ٢٦١/١٦
(٣) ابن هشام ١٩/٢-٢٠ابن سعد ٢٠٩/١
الطبرى ٥٥٣/١
ابن عبد البر، ص ٥٦-٥٧ ابن الأثير ٦١/٢ ابن كثير ١٢٠/٣-١٢١
النويرى ٢٦١/١٦-٢٦٢ ابن حجر العسقلانى ٢٣٢/٧
ابن خلدون ٩/٢ المقريزى ٤٨/٢ الحلبى ٣٨/٢

وأخبر ا عز وجل الرسول {ﷺ} بتأكل الصحيفة وأخبر الرسول {ﷺ} عمه أبو طالب بما حدث للصحيفة فخرج فـى جماعة من رهطه متوجها إلى قريش وهم يظنـون أن أبـا طالب قد مل من الحصار وربما جاء ليسلم إلـيهم الرسـول {ﷺ}. وطلب منهم احضار الصحيفة فتوجهوا مسرعين فلما أحضروها وجدوها متأكلة فوجم عليهم . وقال أبو طالب: قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة.(٤)

وتوجه البحترى وزهير وهشام وزمعـة إلـى الشـعب وأخرجوا بنى هاشم وبنى المطلب من الشـعب- فلمـا رأت قريش ذلك سقط فى أيديهم وعلموا أنهـم لا يسـلمونهم وأن عشائرهم تمنعهم. وكان خروجهم من الشـعب فـى السـنة العاشرة من بعثة النبى {ﷺ}.(١)

ونخلص من صحيفة المقاطعة ببعض النتائج هى :

١ – كانت حادثة المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية سـبباً فى خدمة الدعوة والدعاية لها بين قبائل العـرب ، فقـد ذاع

---

(٤) ابن سعد ٢١٠/١البلاذرى، ص ٢٣٤ ابن عبد البر، ص ٥٥
ابن كثير ١٠٦/٣ابن سيد الناس ١٦٧/١ النويرى ٢٥٩/١٦
ابن الوردى ١٠٢/١الحلبى ٣٥/٢-٣٦

(١) ابن سعد ٢١٠/١ البلاذرى، ٢٣٦النويرى ٢٥٩/١٦-٢٦٠
الحلبى ٣٨/٢

الخبر بين كل القبائل العربية من خلال موسم الحج. ولفـت انظار العرب إلى هذه الدعوة .

٢ – كان لوقوف بنى هاشم وبنى المطلب مع الرسول ا {ﷺ} وتحملهم معه الحصار أثر فى الفقه الإسلامى حيث أن سهم ذوى القربى من الخمس يعطى لبنى هاشم وبنـى عبـد المطلب .

٣ – اثار هذا الحصار سخط العرب علـى كفـار مكـه لقسوتهم على بنى هاشم وبنى عبد المطلـب ، كمـا اثـ ـار عطفهـم على النبى {ﷺ} واصحابـه[٢].

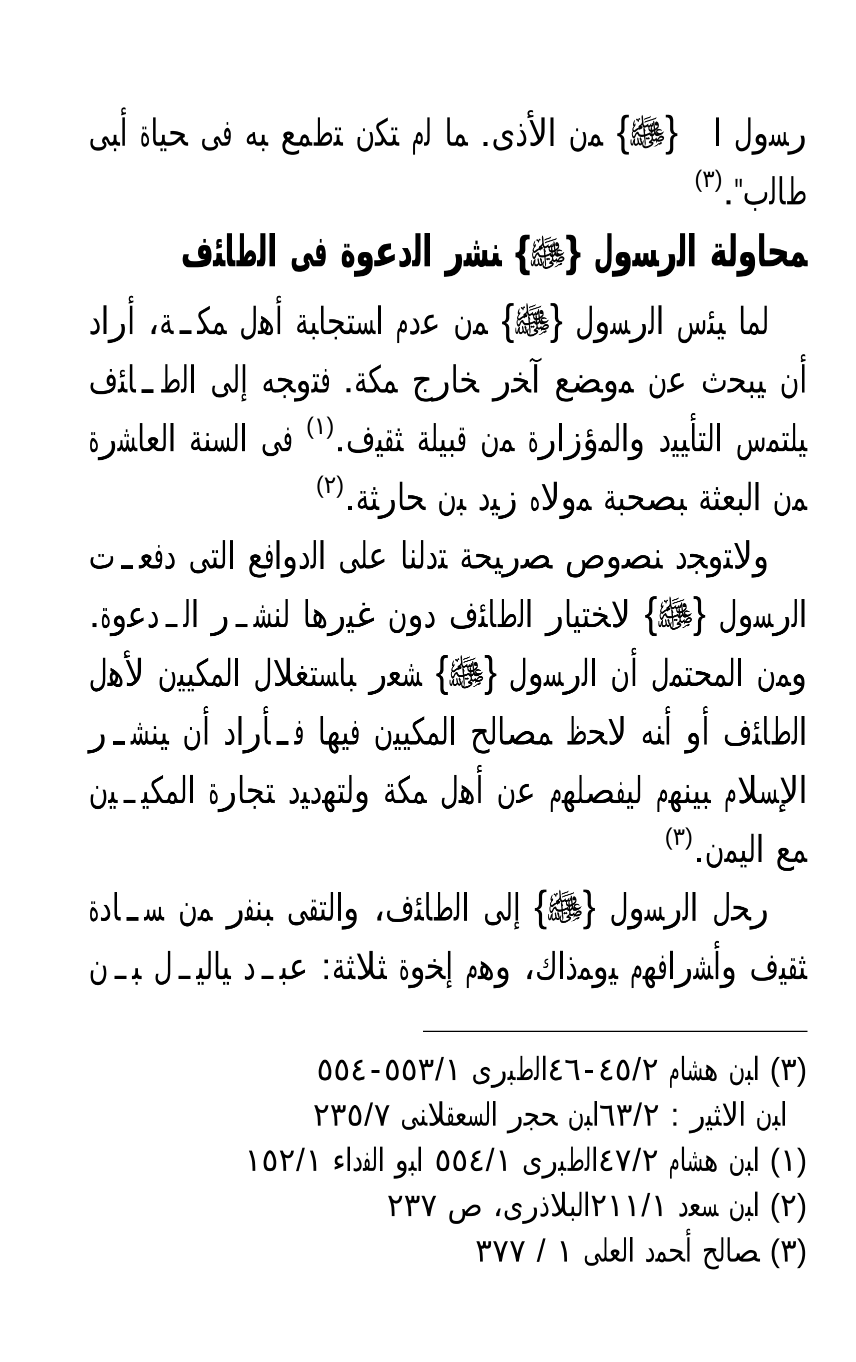
وفاة أبى طالب وخديجة

وعقب انتهاء صحيفة المقاطعة فقد الرسول {ﷺ} سندين عظيمين حيث فقد عمه أبا طالب، وزوجته خديجة بنت خويلد فى عام واحد وكانت السيدة خديجة للرسول {ﷺ} بمثابة " وزير صدق على الإسلام يشكو إليها".

وكان عمه أبو طالب عضدا وحرزا فى كل أموره، ومتعة وناصرا على قومه. ولما توفى أبو طالب، تعرض الرسـول صلى ا عليه وسلم إلى مصاعب جمة: " نالت قريش مـن

---

(٢) على محمد الصلابى ١ / ٢٢٣ .



رسول ا {ﷺ} من الأذى. ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب".[٣]

محاولة الرسول {ﷺ} نشر الدعوة فى الطائف

لما يئس الرسول {ﷺ} من عدم استجابة أهل مكـة، أراد أن يبحث عن موضع آخر خارج مكة. فتوجه إلى الطـائف يلتمس التأييد والمؤزارة من قبيلة ثقيف.[١] فى السنة العاشرة من البعثة بصحبة مولاه زيد بن حارثة.[٢]

ولاتوجد نصوص صريحة تدلنا على الدوافع التى دفعـت الرسول {ﷺ} لاختيار الطائف دون غيرها لنشـر الـدعوة. ومن المحتمل أن الرسول {ﷺ} شعر باستغلال المكيين لأهل الطائف أو أنه لاحظ مصالح المكيين فيها فـأراد أن ينشـر الإسلام بينهم ليفصلهم عن أهل مكة ولتهديد تجارة المكيـين مع اليمن.[٣]

رحل الرسول {ﷺ} إلى الطائف، والتقى بنفر من سـادة ثقيف وأشرافهم يومذاك، وهم إخوة ثلاثة: عبـد ياليـل بـن

---

(٣) ابن هشام ٢/٤٥-٤٦الطبرى ١/٥٥٣-٥٥٤

ابن الاثير : ٢/٦٣ابن حجر السعقلانى ٧/٢٣٥

(١) ابن هشام ٢/٤٧الطبرى ١/٥٥٤ ابو الفداء ١/١٥٢

(٢) ابن سعد ١/٢١١البلاذرى، ص ٢٣٧

(٣) صالح أحمد العلى ١ / ٣٧٧

عمرو بن عمير وأخوته مسعود وعمرو. ودعاهم الرســول {ﷺ} إلى الدخول فى الإسلام، والقيام معه على من خالفــه من قومه. فقال: احدهم وهو يمرط ثياب الكعبة. إن كان ا أرسلك. وقال الآخر أما وجد ا أحدا يرسله غيرك! وقــال ثالث: وا لا أكلمك! لئن كنت رسولا من ا . كمــا تقــول. لانت أعظم خطرا من إردع عليه الكلام. ولئن كنت تكــذب على ا ما ينبغى لى أن أكلمك .

وهكذا رفض أهل الطائف دعوة الرسول {ﷺ} وياليت أن الأمر. قد اقتصر عند هذا الحد- وإنمــا اغــروا ســفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به.(٤) ويقذفونه بالحجارة حتــى أدمت قدمى رسول ا {ﷺ} وزيد بن حارثة يقيه بنفســه(٥) واختفى الرسول {ﷺ} عن أعين سفهاء الطائف و صــيانهم فى بستان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة.(٦)

ولما يئس الرسول {ﷺ} من أهل الطائف توجه إلــى ا بالدعاء قائلا: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتــى، وهوانى على النــاس، يــا أرحــم الــراحمين، أنــت رب

---

(٤) ابن هشام ٤٨/٢الطبرى ٥٥٤/١ ابن الأثير ٦٤/٢

(٥) ابن سعد ٢٢٢/١

(٦) ابن هشام ٤٨/٢اليعقوبى ٣٦/٢
الطبرى ٥٥٤/١ابن الاثير ٦٤/٢

المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى، إلى بعيد يتجهمنى، أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك علـى غضـب فـلا أبلى.........."[1]

وعاد الرسول {ﷺ} إلى مكة حزيناً ،[2] لعناد أهلها عليه. ويرسل ا جبريل إلى الرسول {ﷺ} يخبـره أن ا سـمع قوله. وأنه بعث إليك ملك الجبال ليأمره بما شاء حتـى لـو طلب أن يطبق عليهم الأخشبين. ولكن الرسول {ﷺ} رفض عسى أن يخرج ا من اصلابهم من يعبـد ا ، ولا يشـرك به.[3]

وعلى أية حال، لم يتمكن الرسول {ﷺ} من دخول مكـة لشدة عدواتهم عليه إلا فى جوار المطعم بن عدى.[4]

الإسراء والمعراج

---

(١) ابن هشام ٤٨/٢البلاذرى، ص ٢٣٧الطبرى ٥٥٤/١ ابن الأثير ٦٤/٢ابو الفداء ١٥٢/١

(٢) ابن سعد ٢١٢/١

(٣) ابن عبد البر، ص ٦٤

(٤) ابن سعد ٢١٢/١البلاذرى، ٢٣٧ ابن عبد البر، ص ٥٩ الطبرى ٥٥٥/١ ابن الاثير ٦٤/٢

جاءت معجزة الإسراء والمعراج فى وقت عانى رسـول ا {ﷺ}. ألوانا كثيرة من المحن التى لقيها من قريش. وكان آخرها ما عاناه لدى هجرته إلى الطائف.(٥)

وفى السابع عشر من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بعام، جاء التكريم الإلهى للرسول {ﷺ} فقد أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس. فى وقت فشا الاسم فى سائر قبائل مكة.(٦)

ولما أخبر الرسول {ﷺ} بخبر الإسراء سخرت قـريش قائلين أن العير تأخذ شهراً من مكة إلى الشام ذهابـا ومثلـه إيابا.(٧)

وارتد بعض من دخل فى الإسلام. وذهبوا إلى أبى بكـر فقالوا له: هل يا ابا بكر فى صاحبك، يزعم أنه قد جاء فـى هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة! فقال لهم ابو بكر: وا لئن كان قاله لقد صدق، مما يعجبكم من ذلك؟ فـو ا إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من ا من السماء إلـى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار. فأصدقه! فهذا أبعد ممـا تعجبون منه. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول ا {ﷺ} فقال:

---

(٥) محمد سعيد البوطى ، ص ١٦٦ .

(٦) ابن هشام ٣٢/٢

(٧) عماد الدين خليل ، ص ١١٤

يا نبى ا   أحدثت هؤلاء القوم إنك جئت بيت المقـدس هـذه الليلة ؟ قال: نعم قال يا نبي ا   فصفه لي. فإني قـد جئتـه. فقال رسول ا   {ﷺ} . فرجع لى حتى نظرت إليـه فجعـل رسول ا   يصفه لأبى بكر. ويرد أبو بكر لقد صدقت أشـهد أنك رسول ا   حتى إذا انتهى قال رسـول ا   {ﷺ} لأبـى بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق.[1]

ولما فرغ رسول ا   {ﷺ} من بيت المقدس أتى بالمعراج فعرج به إلى السموات السبع. ولقى الأنبياء حتى انتهى إلى سدرة المنتهى. ولما صعد إلى السماء السابعة فرضت عليه الصلوات الخمس[2]

عرض الدعوة على القبائل

حرص الرسول {ﷺ} على دعوة القبائل العربية القادمة إلى مكة لزيارة الكعبة، يدعوهم إلى ا   ، ويخبرهم أنه نبى ا   . جاء برسالة من ربه، ويسألهم ان يصدقوه ويمنعوه حتى يبين لهم شرع ا   .

---

(١) ابن هشام ٣٤/٢

(٢) ابن هشام ٣٧/٢-٤٠   ابن سعد ٢١٣/١

وكان الرسول {ﷺ} يمر على القبائل فى منازلها يدعوهم إلى الإسلام. ويمضى خلفه عمه أبو لهب يحرضهم على دعوته، ويدعوهم بالتمسك باللات والعزى.[٣]

ومن القبائل التى دعاها الرسول {ﷺ} لنصرته، كندة وبنو عامر،[٤] وبنى حنيفة التى ردت ردا قبيحا، وكلب[٥] ، وغسان، وفزا، وبنو مرة، وبنو حنيقة، وبنو سليم.[٦]

وتذرعت تلك القبائل بحجة واهـية فكانوا يقولون : " قومه أعلـم وكيـف يصلحنا من أفسد قومه".[٧]

وتشير جهود النبى {ﷺ} فى دعوة القبائل العربية إلى الإسلام إلى اقتران الدين والدولة بدعوة الإسلام وإلى ما كان يتحراه من السؤال عن الأوضاع السياسية لهذه القبائل ومدى قوتها ، وإلى ما حققته دعوة الإسلام من نجاحات دعائية وسياسية ، تمخضت عن تصديقة {ﷺ} لدعوة قبائل العرب إلى الإسلام فى موسم الحج [١] .

---

(٣) ابن هشام ٤٩/٢-٥٠ اليعقوبى ٣٦/٢ البلاذرى، ص ٢٣٧
الطبرى ٥٥٥/١-٥٥٦ ابن الاثير ٦٥/٢ ابن خلدون ١١/٢

(٤) ابن هشام ٥١/٢الطبرى ٥٥٦/١ ابن الاثير ٦٥/٢

(٥) الطبرى ٥٥٦/١ابن الاثير ٦٥/٢ ابن خلدون ١١/٢

(٦) المقريزى ٥١/١

(٧) ابن عبد البر، ص ٦٢

(١) أحمد فؤاد سيد ، ص ٨٤ .

بيعة العقبة الأولى

استمر الرسول {ﷺ} فى دعوة كل قادم إلى مكة، فالتقى مع سويد بن الصامت من بنى عمرو بن عوف، الذى قدم حاجاً أو معتمراً. ودعاه الرسول {ﷺ} إلى الدخول فى الإسلام واستجاب لدعوة الرسول {ﷺ} وعاد إلى المدينة. ولم يلبث أن قتله الخزرج يوم بعاث. وقيل قتل وهو مسلم.[٢]

كما قدم إلى مكة رهط من الأوس يطلبون حلف قريش على الخزرج وفيهم ابو الجيسر أنس بن رافع مع فتية من بنى عبد الأشهل فأتاهم الرسول {ﷺ} وقال لهم هل أخبركم بخير مما جئتم له، وتلى عليهم آيات من القرآن الكريم. وتأثر إياس بما سمع وقال وا هذا خير مما جئنا له.[٣]

وواصل الرسول {ﷺ} دعوة كل من يفد إلى مكة ، فلقى فى موسم الحج التالى ليوم بعاث ستة من الخزرج ودعاهم إلى الإسلام عند العقبة، فقال لهم الرسول {ﷺ}: "من أنتم؟

---

(٢) ابن هشام ٥٢/٢-٥٣ البلاذرى، ص ٢٣٨الطبرى ٥٥٧/١
ابن عبد البر، ص ٦٦ ابن الاثير، ٦٦/٢ ابن كثير: فصول، ص ١٠٨-١٠٩
ابن خلدون ١١/٢

(٣) البلاذرى، ص ٢٣٨الطبرى ٥٥٧/١
ابن الاثير ٦٦/٢ابن خلدون ١١/٢

قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى ا عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: "تعلموا وا إنه النبى الذى توعدكم يهود؟ أفلا يسبقنكم إليه فاجابوه فيما دعاه إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرك ما بينهم، فعسى أن يجمعهم ا بك، فسنقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهـم ا عليك فلا رجل أعزمنك ثم انصرفوا عن رسول ا {ﷺ} راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا".[1]

ولم يبق دار من دور الأنصار، الا وفيها ذكر من رسول ا {ﷺ}.[2] لقيت دعوة هذا الوفد فى المدينة إستجابة فى عشائر متعددة مما يدل على أن الأراء التى عرضوها كانت

---

(١) ابن هشام ٥٤/٢الطبرى ٥٥٨/١ ابن الاثير ٦٧/٢

(٢) ابن هشام ٥٤/٢ابن سعد ٢١٩/١ الطبرى ٥٥٨/١
ابن عبد البر، ص ٦٧-٦٨ابن الاثير ٦٧/٢
ابن حجر العسقلانى ٢٦١/٧ابن كثير: فصول، ص ١٠٩

مقنعة للناس، اذ لم يرد ذكر معارضة لها، ولم تكن على أسس عشائرية أو طبقية[٣]

وفى العام المقبل وفى موسم الحج إلى مكة أثنا عشر من الأوس والخزرج من بينهم أسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وعبادة بن الصامت، وأبو الهيثم بن التيهان.

واجتمعوا بالرسول {ﷺ} عند العقبة، فسميت هذه البيعة "ببيعة العقبة الأولى" أو "بيعة النساء" وقد كانت بيعة على " ألا نشرك با شيئا، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفترينه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى ا عز وجل، إن شاء عذب، وإن شاء غضر".

ولقد بعث الرسول {ﷺ} معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة[٤] وعلى يديه أسلم عدد كبير من أهل المدينة

---

(٣) صالح أحمد العلى : الدولة فى عهد الرسول المجلد الأول ، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد ، ١٩٨٨ م ، ص ٦٢ .

(٤) ابن هشام ٥٦/٢-٥٨ ابن سعد ٢٢٠/١ الطبرى ٥٥٨/١-٥٥٩
ابن الأثير ٦٧/٢ ابن خلدون ١٢/٢ ابن الوردى ١٠٣/١
وانظر أيضا: ابن عبد البر، ص ٦٨-٦٩ ابن كثير: فصول، ص ١١٠
ابن حجر العسقلانى، ٢٦٠/٧

من أشهرهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وساعد اسلامهما على دفع مسيرة انتشار الإسلام بالمدينة.[5]

بيعة العقبة الثانية

وفى موسم الحج التالى جاء إلى مكة من يثرب ثلاث وسبعون رجلا وامرتان هما: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدى ومعهم مصعب بن عمير مع حجاج قومهم الذين كانوا لا يزالون على الشرك. واجتمعوا سرا بالليل مع الرسول صلى ا عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه عند العقبة وكان العباس أول متكلم وقال: "يا معشر الخزرج، وكانت العرب تسمى هذا الحى من الأنصار: الخزرج، خزرجها وأوسها- أن محمد مناحيت قد علمتهم، وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأيه فيه، هو فى عز من قومه ومنعة فى بلده، وقد أبى الانحياز واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم واقون له بما دعوتموه إليه ومانعوه. ممن خالفه فأنتم، ما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخزرج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده".

---

(٥) الطبرى ٥٦٠/١ ابن عبد البر، ص ٦٩-٧٠
ابن الوردى ١٠٤/١ ابن خلدون، ١٢/٢

وتكلم الرسول {ﷺ} فتلا القرآن، ودعا إلى ا ورغبهم فى الإسلام، ثم قال: "أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم!".

وأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: "والذى بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول ا ، فنحن وا أبناء الحروب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر !".[1]

واعترض القول، والبرا يتكلم يكلم رسول ا {ﷺ}، ابو الهيثم ابن اليتهان. فقال: يا رسول ا ، ان بينا وبين الرجال حبالا، وأنا قاطعوها يعنى- اليهود- فهل عسيت. إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك ا أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول ا
{ﷺ}. ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم !.[2]

---

(١) ابن هشام ٦٣/٢-٦٤ الطبرى ٥٦٢/١ابن الاثير ٦٩/٢
قارن: ابن سعد ٢٢٢/١ابن حجر العسقلانى ٢٦١/٧-٢٦٢
(٢) ابن هشام ٦٤/٢-٦٥ الطبرى ٥٦٢/١ابن الاثير ٦٩/٢

وطلب منهم الرسول {ﷺ} أن يختاروا منهم اثنى عشر نقيب ليكونوا على قومهم، فأخرجوا منهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس.[1]

وقال العباس بن عبادة بن نضالة: " وا   الذى بعثك بالحق، إن شئت لنملين على أهل منى غداً بأسيافنا ! فقال رسول ا   {ﷺ}: لم نؤمـر بذلك.[2] وكانت بيعة العقبة الثانية على الحرب حرب الأحمر والأسود .[3]

الهجرة إلى يثرب

أمر رسول ا   {ﷺ} أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين بالهجرة إلى المدينة . واللحاق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : " إن ا   عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها " .

---

(١) ابن هشام ٦٥/٢البلاذرى، ص ٢٥٢   الطبرى ٥٦٢/١
ابن عبد البر، ص ٧٠-٧١ابن الاثير ٦٩/٢   ابن   خلدون ١٢/٢-١٣

(٢) ابن هاشم ٦٧/٢-٦٨   ابن سعد ٢٢٣/١ الطبرى ٥٣٦/١
ابن الاثير ٧٠/٢

(٣) ابن هشام ٧٢/٢ابن عبد البر ، ص ٧٤ .

هاجر المسلمون جماعات متفرقة سراً إلى يثرب [٤] ، وترك المهاجرون كل ما يملكون من مال ومتاع ، وأهل وعشيرة . فلما رأت قريش أن المسلمين يتسللون تباعاً من بينهم مهاجرين إلى يثرب ، أحست بخطورة هذه الهجرة فحاولت منعهم . ولكنها لم تستطع منع إلا قليلاً من المستضعفين ، أو من اعتقلته مكرها من مفتون أو محبوس [٥] . وأشار القرآن الكريم إلى هؤلاء : ﴿ **إِلا المستَضعفِين مِن الرجالِ والنساءِ والوِلْدانِ لاَ يستَطِيعون حِيلَةً ولاَ يهتَدون سبِيلاً (٩٨) فَأُولَئِك عسى الله أَن يعفُو عنْهم وكَان الله عفُوا غَفُوراً (٩٩)**﴾**[النساء : ٩٨ - ٩٩]**. ولم يبق بمكة إلا رسول ا

{ﷺ} ينتظر أن يؤذن له بالهجرة وأبو بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن الرسول {ﷺ} فى الهجرة : فيقـول لـه رسول ا {ﷺ}: (لا تعجل لعل ا يجعل لك صاحباً) .

---

(٤) ابن هشام ٨١/٢. الطبرى ٥٦٥/١ .

(٥) رشيد عبد ا الجميلى ، ص ٢٧٤ .

ولما رأت قريش أنا رسول ا {ﷺ} أصبح يمثل قوة يخشى من بأسها عليهم وأن أصحابه قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة .

شعرت قريش بخطر الهجرة عليهم ، فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فيها فيما يصنعون فى أمر رسول ا {ﷺ}. [1] وبعد أن عرضت عدة أراء استقر رأيهم على أن يجمعوا من كل قبيلة شاباً جلداً ، يضربونه ضربة رجل واحد ويتفرق دمه فى القبائل جميعاً ، فيرضون بالدية فيؤدونها إليهم [2] .

وعلم الرسول {ﷺ} بنية قريش فأمر على بن أبى طالب أن ينام على فراشه. وأمره بالهجرة وأنزل عليه : ﴿ **وإذْ يمكُر بِك الذِين كفَروا لِيثْبِتُوك أَو يقْتُلُوك أَو يخْرجوك ويمكُرون ويمكُر الله والله خَير الماكِرين** ﴾[الأنفال : ٣٠].

وعندما أقبل الليل اجتمع المتآمرون على باب الرسول صلى ا عليه وسلم لتنفيذ جريمتهم . وخرج علـيهم رسـول ا صلى ا عليه وسلم وأخذ حفنة من تراب فى يده نثرها على رؤوسهم بعد أن عمى ا أبصارهم عن رؤيته . وهو يتلـو

---

(١) ابن هشام ٢/٩٠-٩١.، الطبرى ١/٥٦٦، ابن الابثر ٢/٧١ .

(٢) ابن هشام ٢/٩٠-٩١.، الطبرى ١/٥٦٦، ابن الابثر ٢/٧٢ .
رشيد عبد ا الجميلى ، ص ٢٧٥ .

بعض الآيات من سورة يس : ﴿ **يس (١) والْقُرآن الحكِـيمِ (٢) إِنك لمِن المرسلِين (٣) علَى صِراطٍ مستَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ العزِيزِ الرحِيمِ (٥) لِتُنذِر قَوماً ما أُنذِر آباؤُهم فَهم غَـافِلُون (٦) لقَد حق القَولُ علَى أَكْثَرِهِم فَهم لاَ يؤْمِنُـون (٧) إِنـا جعلْنَا فِي أَعنَاقِهِم أَغْلالاً فَهِي إِلَى الأَذْقَان فَهم مقْمحون (٨) وجعلْنَا مِن بين أَيدِيهِم سدا ومِن خَلْفِهِم سدا فَأَغْشَينَاهم فَهم لاَ يبصِرون (٩)** ﴾ **[يس: ١ - ٩]**

ذهب الرسول {ﷺ} إلى منزل أبى بكر الصديق حيث أصطحبه فى هجرته إلى المدينة ، أما على بن أبى طالب فبقى بمكة حتى يؤدى عن رسـول ا صلى ا عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للناس لأمانته وصدقـه [٣] .

---

(٣) ابن هشام ٢/٩١-٩٤ ، الطبرى ١/٥٦٥-٥٦٩ ابن الأثير /٧١-٧٣ .

يثرب (المدينة المنورة)

قباء

بئر أريس

ثنية العرج

بدر

العرج

الجداجد

الأبواء

قبر السيدة آمنة

بحر القلزم

(البحر الأحمر)

الخرار

رابغ

قديد

مج

عسفان

مكة

٢٠٠ ميل ∴

جدة ٤٠٠ ٢٠٠ كم ∵

جبل ثور

الطائف

خريطة هجرة الرسول صلى ا عليه وسلم إلى يثرب سنة ١ هجرى

المصدر :إسماعيل الفاروقى وآخرون ، ص ١٨١ .

خرجا الرسول {ﷺ} مع أبى بكر الصديق وعمدا إلى غار ثور فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد ا أن يستمع لما يقوله الناس فى النهار وأمر مولاه عامر بن فهيرة أنا يرعى غنمه نهاراً ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى، فى الغار وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام فى المساء.

وأقام الرسول {ﷺ} فى الغار ثلاثة أيام ومعه أبو بكر، ورصدت قريش مكافأة كبيرة قدرها مائة ناقة ، لمن يرده عليهم.

وكان دليلهما على الطريق عبد ا بن أريقط سلك بهما من أسفل مكة على الساحل حتى أسفل عسفان ثم سلك بهما على أسفل أمج ثم مر على قديد، والجزار.

ولقفـا ومدلجة لقفا، ومدلجة محاج، ومرج مجاج، ثم الأجرد، العبابيد، الفاجة حتى انتهى إلى قباء على بن عمرو بن عوف.[1]

---

(١) ابن هشام ٢/٩٤-٩٩. رشيد عبد ا الجمبلى ، ص ٢٧٥-٢٧٦.

الفصل العاشر

المسلمون فى المدينـ ـ ـة

تبدأ الفترة المدنية من حياة الرسول {ﷺ} بوصوله إلى قباء فى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول بعد البعثة بثلاث عشـرة سنة[1] وخرج جموع أهل المدينة للترحيب بالرسول {ﷺ} يشير لذلك ابن هشام[2] بقوله: "لما سمعنا بمخرج الرسول {ﷺ} من مكة،وتوكفنا قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا، ننتظر رسول ا {ﷺ}، فوا لانبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلا دخلنا فى أيام حارة،حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول ا جلسنا كما كنا نجلس".

ونزل رسول ا {ﷺ} عند كلثوم بن هدم وقيل بل نـزل على سعد بن خيثمة. وكان يجلس للناس فى بيت سـعد بـن خيثمة، لأنه كان عزباً لا أهل له. وكان منزل الأعزاب مـن أصحاب رسول ا {e} من المهاجرين.[3]

---

(١) ابن هشام ١٠٠/٢، البلاذرى، ص ٢٦٣، ابن عبد البر، ص ٨٥. ابن كثير: الفصول، ص ١١٧ نبيه عاقل، ص ٤٣٤.

(٢) ابن هشام ١٠١/٢، الطبرى ٥٧١/١.

(٣) ابن هشام ١٠٠/٢-١٠١، الطبرى ٥٧١/١.

وأقام الرسول {ﷺ} بقباء فى بنى عمرو بن عوف، يـوم الأثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، ويوم الخميس. وأسس مسجده وهو أول مسجد أسس على التقوى.(٤) وترك الرسول {ﷺ} قباء متوجهاً إلى داخل المدينة وأدركته صلاة الجمعـة فى بطن الوادى فى حى بني سالم بن عـوف فأقـام النـاس وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.(٥)

وكان الرسول {ﷺ} راكبا ناقته، وأرخى لهـا الزمـام، وكانت لا تمر بدار من دور الأنصار(٦) وهم بنى سالم بـن عوف، وبنى بياضة، وبنى سـاعدة، وبنـى الحـارث بـن الخزرج، وبنى عدى بن النجار الإدعاه أهلها إلـى النـزول عندهم، وقالوا له:

هلم يا رسول ا ! إلى العدد والعدة والمنعـة، فيخبـرهم بتركها لأنها مأمورة؛ حتى انتهى إلى موضع مسـجده {ﷺ} فبركت، وهو يومئذ مربد لغلامين يتمين من بنى النجار فـى حجر معاذ بن عفراء؛ هما سهل وسهيل ابنى عمـرو، فلمـا بركت ورسول ا {ﷺ} لم ينزل وثبت، فسارت قلـيلاً ثـم

---

(٤) ابن هشام ١٠٢/٢. خليفة الخياط، ص ٥٥، ابن كثير الفصول،ص ١١٧، الطبرى ٥٧٢/١.

ابن عبد البر، ص ٨٥-٨٦. ابن الأثير ٧٥/٢.

(٥) ابن هشام ١٠٢/٢ ، الطبرى ٧/٢ ، ابن الأثير ٧٦/٢.

(٦) الطبرى ٨/٢.   ابن هشام ١٠٢/٢.

عادت إلى موضعها التى بركت فيه أول مرة. ونزل عنهـا رسول ا {ﷺ} فنزل عنها رسول ا فى ضيافة أبى أيوب خالد بن زيد، وسأله عن المربد، فأخبره معاذ بن عفراء بأنه لسهل وسهيل وهما يتيمان لى واشتراه الرسول {ﷺ} منهما. واتخذه مسجداً.[1] وكان موضع المربد مليئا بالنخيل والقبور فتم ازلتهما تمهيداً للبناء.[2]

وشرع الرسول{ﷺ} فى تنظيم شئون المدينة التى عرفت فيما بعد بالمدينة المنورة،[3] لوجود قبر الرسول {ﷺ} بها[4] وكان اسمها قبل هجرة الرسول {ﷺ} يثرب.[5]

وأصبح الرسول {ﷺ} فى المدينة زعـيم جماعـة مـن العرب لهم صفة سياسية بجانب كونه نبياً مرسـلاً عليـه أن يبلغ رسالات ربه[6] لذاك حرص الرسول {ﷺ} على وضع أسس المجتمع الإسلامى الجديد بالعمل على إذابـة الفـوارق

---

(١) ابن هشام ٢/١٠٣-١٠٤.
(٢) الطبرى ٢/٨.
(٣) رشيد عبد ا الجميلى، ص ٢٨٠.
(٤) حسن إبراهيم حسن ١ / ٨٥.
(٥) رشيد عبد ا الجميلى، ص ٢٨٠.
(٦) محمد جمال الدين سرور، ص ٧٨.

بين بدوها وحضرها ومختلف قبائلها وجعلهم ينصهرون فى بوتقة واحدة تحت راية الإسلام.[7]

الأسس التى قامت عليها دولة الرسول بالمدينة هى:

١ - المسجد

لما اشترى الرسول {ﷺ} المربد مـن صـاحبيه سـهل وسهيل من بنى مالك بن النجار شرع فى بناء مسجده وكـان المربد " جداراً مجدراً ليس عليه سقف، وقبلتـه إلـى بيـت المقدس، وكان أسعد بن زراة قد بناه، فكان يصلى بأصـحابه فيه، ويجتمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول ا {ﷺ}[1].

وأمر الرسول {ﷺ} بازالة كل ما فى موضع المربد مـن نخيل، وقبور وعظام، وماء تمهيداً للبناء.[2]

وعمل الرسول {ﷺ} فى بناء المسجد ليرغب المسـلمين فى العمل وعوانه المهاجرون والأنصار. وارتجز المسلمون وهم يبنونه : " لا عيش إلا عـيش الأخـرة، اللهـم ارحـم الأنصار والمهاجرة "[3].

---

(٧) رشيد عبد ا الجميلى، ص ٢٨٠.

(١) ابن سعد ٢٣٩/١ السيد عبد العزيز سالم، ص ٧١.

(٢) ابن سعد ٢٣٩/١

(٣) ابن هشام ١٠٤/٢ ابن كثير ٢٦١/٣-٢٦٢.

وبنى المسجد باللبن. وكان طوله مما يلـى القبلـة إلـى مؤخره مائه ذراع، وحفر الأساس على عمـق ثلاثـة أذرع ووضع فيها الحجارة ثم بنوه باللبن[٤] وكان يوجد بالمسـجد مكان واحد مسقوف أقام فى هذا الجزء بعض مهاجرى مكة الذين لم يكن لهم مأوى، وأطلق عليهم الصفة[٥] وكانت قبلـة المسجد تجاه بيت المقدس وجعلوا للمسجد ثلاثة أبواب هى:-

١ – باب فى مؤخره.

٢ – باب الرحمة.

٣ – باب يدخل منه الرسول {ﷺ}

وبنيت بجوار المسجد بيوت أزواج النبـى {ﷺ} وكانـت مبنية باللبن ومسقوفة بجذوع النخيل والجريد وكانت أبوابهـا شارعة فى المسجد[١].

بحيث يخرج من بيته إلى المسجد رأساً. وأصبح من السنة أن تبنى المسـاجد ويكـون ملاصـقا لهـا بيـوت الـولاة ودواوينهم[٢].

---

(٤) ابن سعد ٢٣٩/١.

(٥) رشيد عبد ا الجميلى ، ص ٢٨٢، محمد حسين هيكـل ، ص ٢٣٤.

(١) ابن سعد ١/ ٤. النويرى ١٦ / ٣٤٤-٣٤٥.

محمد الخضرى ، ص ٦١ – ٦٢. السيد عبد العزيز سالم ، ص ٧٣.

وكان الرسول {ﷺ} يخطب وهو مستند إلى جـذع عنـد مصلاه فى الحائط القبلى. ثم عهد الرسول {ﷺ} إلى كـلاب مولى العباس بن عبد المطلب بعمل منبر مكون من درجتين ومقعد، وقيل من ثلاث درجات فوضعه فى مكان القبلة.

وكان بلال الحبشى يؤذن للصلاة على عهـد رسـول ا {ﷺ} على منارة فى دار حفصة ابنة عمر بن الخطاب التى تلى المسجد، لعدم وجود مأذنة بالمسجد فى بادئ الأمر(٣).

وكان لمسجد الرسول {ﷺ} أهمية كبيرة فى كونه رمـزاً لما يتسم به الاسلام من شمولية وتكامل. فقد أصبح مركـزاً روحياً لممارسة الشعائر وتأدية العبـادات وجامعـة علميـة وتشريعية يجتمع فى ساحتها أصحاب الرسول {ﷺ} لتلقـى العلم النافع(٤). ومركزاً لنشر الـدعوة الإسـلامية، ومقـراً للتشاور مع الرسول {ﷺ} فى كافة شؤونهم، ومقراً لاستقبال الوفود العربية القادمة للمدينة. وكانت تعقد ألويـة الحـرب والسلم فيه قبل خروجهم إما للاستطلاع أو الغزو(٥).

---

(٢) أحمد الشريف ، ص ٤٠٨. هاشم الملاح ، ص ١٩٤.

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٧٤ – ٧٥. رشيد عبد ا الجميلى ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣.

(٤) عماد الدين خليل ، ص ١٤٩.

(٥) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٧٦ – ٧٧.رشيد عبد ا الجميلى ، ص ٢٨١.

٢ - المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار

حرص الرسول {ﷺ} على إقامة الاستقرار بين المسلمين من الأوس والخزرج سكان المدينة. وتنظيم صفوفهم. وأخـذ يؤلف بينهم وأحل رابطة العقيدة محل رابطة القرابة لإزالـة شوائب العداء القديم بينهما فجمعهما فى اسـم واحـد هـو " الأنصار" وصار هذا الاسم علماً عليهم جميعاً وفى هذا إبعاد لروح العصبية، وإدماجهما تحت هذا الإسم الواحد يـذكرهما دائما بالتألق لغرض اسمى وهو نصرة الاسـلام ثـم عمـد الرسول {ﷺ} إلى التأليف بين هؤلاء الانصار مـن الأوس والخزرج وبين المهاجرين من أهل مكة، وفى هذا التجأ إلى المؤاخاة[1]. والمؤاخاة شرعت للرفق بين النـاس ببعضـهم، ولتأليف قلوبهم على بعض والحكم من المؤاخـاة أن بعـض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة[2] .

وكانت المرحلة الأولى من المؤاخـاة بـين المهـاجرين أنفسهم. قال رسول ا {ﷺ}: "تأخوا فى ا أخوين : فتأخى الرسول {ﷺ} مع على بن أبى طالب، وحمـزة بـن عبـد

---

(١) أحمد ابراهيم الشريف ، ص ٤٠٨.

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى، / ٧ / ٣١٨. ج ٧، ص ٣١٨

المطلب وزيد بن حارثة مولى رسوا ا آخوين، وجعفر بـن أبى طالب[٣] ومعاذ بن جبـل أخـوين. وأبـوبكر الصـديق وخارجة بن زهير أخوين، وعمر بن الخطاب، وعتبان بـن مالك أخوين، وعبد الرحمن بن عوف، وسـعد بـن الربيـع أخوين، والزبير بن العوام وسلمة بن سـلامة ابـن وحـش أخوين، وعثمان بن عفان، وأوس بن ثابـت بـن المنـذور أخوين، وطلحة بن عبيد ا ، وكعب بن مالك أخوين، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبى بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير، وأبى أيوب خالد بن زيد أخوين. وكان الذى أخى بينهم الرسول {ﷺ} من المهاجرين خمسة وأربعون [٤].

أما المرحلة الثانية من المؤاخاة كانت بـين المهـاجرين والأنصار وبلغ مجموعهم خمسة وأربعين من المهـاجرين، وخمسة وأربعين من الأنصار[٥].

---

(٣) كان جعفر بن أبى طالب فى الحبشة، وجاء إلى المدينة فـى فـتح خيبر، فكيف يؤخى بينه وبين معاذ أول مقدمه، إلى المدينة اللهم إلا أن يقال أنه أرصد لاخوته اذ أقدم، ابن كثير ٣ / ٢٧٨ – ٢٧٩.

(٤) ابن هشام ٢ / ١١١ البلاذرى، ص ٢٧٠. ابن كثير ٣ / ٢٧٧

أبو الفداء ١ / ١٦٠ ابن الوردى ١ / ١٠٩.

(٥) ابن سعد ١ / ٢٣٨ البلاذرى، ص ٢٧١.

وقام نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار علـى مـا يأتى :-

١ – الحق والمساواة.

٢ – حق التوارث بين المتآخين دون الأرحام [٦].

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى :

﴿ والَّذِين تَبوءوا الدار والإِيمان مِن قَبلِهم يحِبـون مـن هاجر إِلَيهم ولاَ يجِدون فِي صدورِهِم حاجـةً ممـا أُوتُـوا ويؤْثِرون علَى أَنفُسِهِم ولَو كَان بِهِم خَصاصةٌ ومن يوقَ شُح نَفْسِهِ فَأُولَئِك هم الْمفْلِحون ﴾ [الحشر: ٩].

ولقد جاء نظام المؤاخاة للتغلب على المشاكل الأقتصـادية والأجتماعية والصحية التى واجهت المهاجرين فى المدينـة الذين تركوا أموالهم وأهليهم فى مكة.

وفى حقيقة الأمر أن الأنصار بـذلوا قصـارى جهـدهم وضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والإيثار ممـا اسـتحق التخليد [١] فى كتاب ا عز وجل :

﴿ ويؤْثِرون علَى أَنفُسِهِم ولَو كَـان بِهِـم خَصاصـةٌ﴾ [الحشر: ٩].

---

(٦) ابن سعد ١ / ٢٣٨.

(١) أكرم ضياء العمرى ، ط ١، ص ٢٤٢.

وبلغ من تاكيد الرسول {ﷺ}، علـى المؤاخـاة أن كـان ميراث الأنصار يؤول بعد وفاته إلى أخيه المهاجر بدلاً مـن ذوى رحمه من الأخوة أو الأبناء أو النساء. واستمر الحـال على ذلك حتى موقعة بدر التى حظى فيها المسـلمون علـى مقدار لابأس به من الأموال والغنائم.[٢] حتى نزلـت الأيـة الكريمة:

﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَـابِ اللَّـهِ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وصارت هذه الأخوة أخوة أدبية لاينطبق عليها التوارث. ولكن آثارها الأدبية بقيت زمناً طويلاً فى الإسلام[٣].

وقابل المهاجرون إيثار أخوانهم وسماحتهم بتقدير وسماحة مماثلة رافضين منذ البدء أن يكونوا عبئا على إخوانهم.

وعمل بعضهم فى التجارة ومن أبرزهم عبد الرحمن بـن عوف، واستطاع بمهارة فائقة أن يصل إلى الثروة فى زمـن قصير. وعملت بعض الأسر فى الزراعـة فـى أراضـى الأنصار مزارعة مع ملاكها. [٤]

---

(٢) عماد الدين خليل ، ص ١٥٣. البلاذرى، ص ٢٧٠.

(٣) أحمد إبراهيم الشريف ، ص ٤٠٩.

(٤) محمد حسين هيكل ، ص ٢٣٧.

٣ - الصحيفة

حرص الرسول {ﷺ} على وضع دستور يـنظم شـئون الحياة بين سكان المدينة من المسلمين واليهود وعرفت بأسـم الصحيفة أو الوثيقة.

" بسم ا الرحمن الرحيم " هذا كتاب مـن محمـد بـين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهـم يفـدون عـانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف على ربعـتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى. [١]

طرق ورود الصحيفة :

أورد ابن اسحاق نص الصحيفة دون الإشارة إلى سـندها – ولم يشر إلى المصدر الذى أخذها عنه. ومن غير المستبعد أن يكون أخذه من بعض من سبقوه ممن كتبوا فى السـيرة. ولم تصل إلينا كتاباتهم.

---

(١) المراجعة نص الصحيفة... أنظر : ابن هشام ٢ / ١٠٨ – ١١٠، ابن كثير ٣ / ٢٧٣ – ٢٧٦. النويرى ١٦ / ٣٤٨ – ٣٥١.

وهذا لا يقلل من قيمة الوثيقة التاريخية الهامة. و لا يطعن فى صحتها. لأن المصادر الأخرى أشارت إليهـا. [٢] فقـد أورد ابن سلام الصحيفة كاملة مع سندها. مما يعـزز الثقـة فيها [٣]. كما وردت الوثيقة عند كل من ابن سيد النـاس[٤] و ابن كثير[٥]، والنويرى[٦].

تاريخ كتابة الصحيفة :

يرجح بعض المؤرخين إن هذه الصحيفة أصدرها النبـى {ﷺ} بعد انتصار المسلمين فى بدر فى الوقت الذى زاد فيه اليهود من نشاطهم لإثارة الإضطرابات فى المدينة. فكان لابد من تنظيم العلاقات بين السكان[١].

ويرى أحد الباحثين أن الوثيقة فى الأصل وثيقتان ثم جمع المؤرخون بينهما، إحداهما تتناول موادعـة الرسـول {ﷺ}

---

(٢) أحمد الشريف ، ص ٤١٤، هاشم الملاح ، ص ٢٠٠. أكرم ضياء العمرى ١ / ٢٧٢.
(٣) هاشم الملاح ، ص ٢٠٠،أكرم ضياء العمرى ١ / ٢٧٢.
(٤) عيون الأثر ١ / ٢٦٠ – ٢٦٢.
(٥) البداية والنهاية ٣ / ٢٧٣ – ٢٧٦.
(٦) نهاية الأرب ١٦ / ٣٤٨ – ٣٥١.
(١) رشيد عبد ا الجميلى ، ص ٢٨٥.

لليهود. والثانية توضح التزامات المسلمين مـن مهـاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم.

وأن وثيقة موادعة اليهود كتبت قبل موقعـة بـدر، فقـد اشارت المصادر إلى أن موادعة اليهود تمت منذ أن وصـل الرسول {ﷺ} إلى المدينة[٢].

أسلوب الصحيفة :

فى الواقع أن أسلوب الصـحيفة يوافـق تمامـاً أسـلوب العصر، وروح التنظيم فى المجتمع العربى من حيث الترابط والأعتراف بقوة العصبية وأثرها فى المجتمع.

والصحيفة توافق نصوص القرآن الكـريم فـى المبـادئ العامة من حيث اعتبار المسلمين أمة واحدة من حيث التراحم والتعاون [٣].

ترجع أهمية الصحيفة أنها تبـين أن الدولـة الإسـلامية الأولى أيام الرسول {ﷺ} بنيت على أساس دستورى قانونى [٤].

---

(٢) اكرم ضياء العمرى ١ / ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٣) احمد الشريف ، ص ٤١٥.

(٤) حسين مؤنس : عالم الإسلام، الزهراء للإعلام العربى، القـاهرة، ١٩٨٩، ص ١٥٠.

محمد سعيد البوطى ، ص ٢٢٥.

قررت الصحيفة أن المسلمين فى المدينة أمة واحدة مـن دون الناس وهذه الكلمة صفة للجماعة العربية القديمة التـى تربطها رابطة النسب، وبهذا التقرير ألغى النبى {ﷺ} الحدود القبلية. وعلى الأقل لم يجعل لها وجـوداً رسـمياً بالنسـبة للدولة(5).

نصت الصحيفة على أن ا تعالى هو مصدر السـلطات، وإن النبى {ﷺ} الحكم الأعلى فى حل القضايا فـى المدينـة (1).

تناولت الصحيفة العلاقات بين المسلمين واليهود، وأقرت مفهوم الحرية الدينية، بأوسع معانيها، وفى مقابل ذلك ألزمت اليهود بمساندة المسلمين فى الدفاع عن المدينة وعدم التـآمر عليهم(2).

٤ – تشريع الجهاد :

زعم بعض المستشرقين أن الإسلام انتشر بحد السـيف. وهذا الزعم مرفوض تماما. لانه لا يتفق مع ما جـاء فـى

---

(5) احمد الشريف ، ص ٤١٧.

(1) رشيد عبد ا الجميلى ، ص ٢٨٦، السيد عبد العزيـز سـالم : تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية ، ص ٨٤.

(2) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٨٤، عماد الدين خليل، ص ١٥١.

محكم كتابه العزيز : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴾ **[البقرة: ٢٥٦].**

وقال تعالى : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب**﴾ **[الرعد: ٤٠].**

كما لا يتفق هذا الرأى مع ما رواه الثقاة من المؤرخين عن بدء انتشار الإسلام فى مكة. فقد بدء الرسول {ﷺ} يدعو اصحابه فأسلم ابو بكر، وعثمان وسعد بن أبى وقاص..... فهل يمكن أن نقول إن هؤلاء دخلوا بالقوة ؟ والأكثر من ذلك أن مسلمى مكة تعرضوا للسيف بسبب إسلامهم، واحتملوا السيف فى سبيل ا [٣].

وكان الرسول {ﷺ} حريصاً على ملاقاة كل قادم من القبائل العربية إلى مكة يدعوهم إلى الإسلام. ورجال قريش يشككون فى دعوته.

هل رد الرسول {ﷺ} عليهم بالقوة ؟ بالطبع لا. ونضيف سؤالا أخر. ماذا فعل الرسول {ﷺ} مع أهل الطائف عندما دعاهم إلى الإسلام، ورفضوا الدخول فيه ؟ لقد مكث الرسول {ﷺ} فى مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس بالحجة

---

(٣) أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٧٨.

والموعظة الحسنة. وقد أذقته قريش هو والمسلمين صـنوف الأذى فصبر على أذاهم وحثه ا على التحلى بالصبر[٤].

من ذلك قولة تعالى : ﴿ **فَاصبِر كَما صبر أُولُوا العزمِ مِن الرسلِ ولاَ تَستَعجِل لهم** ﴾ **[الأحقاف: ٣٥].**

فى الواقع أن الوسائل السلمية هى الأسلوب الـذى اتبعـة الرسول {ﷺ} فى داخل الجزيرة العربيـة وفـى خارجهـا. وخير دليل على ذلك كتـب الرسـول {ﷺ} إلـى الملـوك والأمراء لدعوتهم إلى الإسلام [١].

ومما لا ريب فيه، أن أهم فترة انتشر فيها الإسـلام هـى فترة السلم الذى تلا صلح الحديبية بين قـريش والمسـلمين، ودام الصلح لمدة سنتين.

ويقول المؤرخون إن من دخل الإسلام فى خلال هـاتين السنتين أكثر ممن دخلوه فى المدة التى تقرب من عشـرين عاما منذ بدء الإسلام حتى الصلح.[٢]

وقد أذن للمسلمين بالقتال ؛ لتمكين المسلمين من الـدفاع عن أنفسهم ممن أخرجوهم من ديارهم بغيـر حـق. فنـزل الوحى على الرسول {ﷺ} فى المدينة يدعو المسلمين إلـى

---

(٤) حسن إبراهيم حسن ١ / ٨٩.

(١) حسن ابراهيم حسن ١ / ٨٨.

(٢) أحمد شلبى ١ / ١٨٠.

القتال للذود عن أنفسهم[٣]. قال تعالى : ﴿ **أُذِن لِلذِين يقَاتَلُون بِأَنهم ظُلِموا وإِن الله علَى نَصرِهِم لَقَدِير (٣٩) الذِين أُخْرِجوا مِن دِيارِهِم بِغَيرِ حقٍّ إِلا أَن يقُولُوا ربنَا الله﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].**

وقال تعالى : ﴿ **وقَاتِلُوا فِي سبِيلِ اللهِ الذِين يقَاتِلُونَكُم ولاَ تَعتَدوا إِن الله لاَ يحِب المعتَدِين (١٩٠) واقْتُلُوهم حيثُ ثَقِفْتُموهم وأَخْرِجوهم من حيثُ أَخْرجوكُم والْفِتْنَةُ أَشَد مِن القَتْلِ ولاَ تُقَاتِلُوهم عِند المسجِدِ الحرامِ حتى يقَاتِلُوكُم فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُم فَاقْتُلُوهم كَذَلِك جزاء الكَافِرِين (١٩١) فَإِن انتَهوا فَإِن الله غَفُور رحِيم (١٩٢)﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٢].**

وقال تعالى : ﴿ **كُتِب علَيكُم القِتَالُ وهو كُره لَكُم وعسى أَن تَكْرهوا شَيئاً وهو خَير لَكُم وعسى أَن تُحِبوا شَيئاً وهو شَر لَكُم والله يعلَم وأَنْتُم لاَ تَعلَمون (٢١٦) يسأَلُونَك عن الشهرِ الحرامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِير وصد عن سبِيلِ اللهِ وكُفْر بِهِ والْمسجِدِ الحرامِ وإِخْراج أَهلِهِ مِنْه أَكْبر عِند اللهِ والْفِتْنَةُ أَكْبر مِن القَتْلِ ولاَ يزالُون يقَاتِلُونَكُم حتى يردوكُم عن دِينِكُم إِن استَطَاعوا ومن يرتَدِد مِنكُم عن دِينِهِ فَيمتْ**

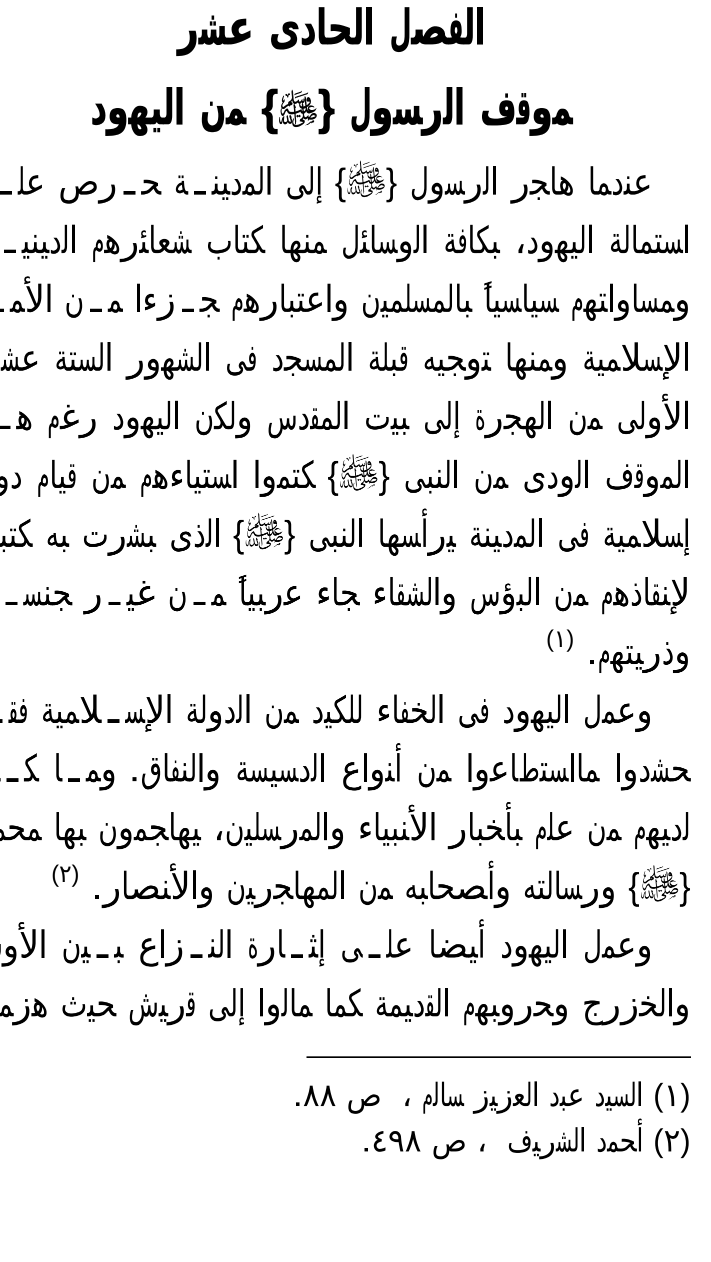
---

(٣) حسن إبراهيم حسن ١ / ٨٩. السيد عبد العزيز سالم ، ص ٨٥.

وهو كافِر فأُولئِك حبِطت أعمالُهم فِي الدنْيا والآخِرةِ وأُولئِك أصحاب النارِ هم فِيهـا خالِـدون (٢١٧)﴾ [البقـرة: ٢١٦ - ٢١٧].

وقد كان لتشريع الجهاد أثر كبير بالنسبة للمسـلمين فـى المدينة. فقد منحهم صفة سياسة لم تكن لـديهم مـن قبـل، فأصبحوا بذلك نواة الأمة العربية الإسلامية واستكملت المدينة أهم خصائص الدولة[1].

(١) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٨٦. رشيد عبد ا الجميلى ، ص ٢٨٩.



الفصل الحادى عشر

موقف الرسول {ﷺ} من اليهود

عندما هاجر الرسول {ﷺ} إلى المدينـة حـرص علـى استمالة اليهود، بكافة الوسائل منها كتاب شعائرهم الدينيـة، ومساواتهم سياسياً بالمسلمين واعتبارهم جـزءا مـن الأمـة الإسلامية ومنها توجيه قبلة المسجد فى الشهور الستة عشرة الأولى من الهجرة إلى بيت المقدس ولكن اليهود رغم هـذا الموقف الودى من النبى {ﷺ} كتموا استياءهم من قيام دولة إسلامية فى المدينة يرأسها النبى {ﷺ} الذى بشرت به كتبهم لإنقاذهم من البؤس والشقاء جاء عربياً مـن غيـر جنسـهم وذريتهم. [١]

وعمل اليهود فى الخفاء للكيد من الدولة الإسـلامية فقـد حشدوا ماالستطاعوا من أنواع الدسيسة والنفاق. ومـا كـان لديهم من علم بأخبار الأنبياء والمرسلين، يهاجمون بها محمدا {ﷺ} ورسالته وأصحابه من المهاجرين والأنصار. [٢]

وعمل اليهود أيضا علـى إثـارة النـزاع بـين الأوس والخزرج وحروبهم القديمة كما مالوا إلى قريش حيث هزمت

---

(١) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٨٨.

(٢) أحمد الشريف ، ص ٤٩٨.

فى موقعة بدر، فقام شعراء اليهـود يرثـون قتلـى قـريش وينالون من المسلمين. [٣]

أ – بنو قينقاع :

اظهر اليهود الحسد للرسول {ﷺ} عقب انتصار المسلمين فى غزوة بدر، فلقد بغوا ونقضوا العهد الذى كـان وادعهـم الرسول حين قدم إلى المدينة مهاجرا. فلمـا بلغـه حسـدهم جمعهم فى سوق بنى قينقاع. فقال لهم: "يـا معشـر يهـود احذروا من ا مثل مانزل بقريش من النقمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل، تجدون ذلك فى كتابكم وعهـد ا إليكم"؛ قالوا: "يا محمد، إنك ترى أنا قومك ؟ لايغرنك انـك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا وا لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس[١]

كما جاءت حادثة المرأة المسلمة إلى توتر الموقف بـين المسلمين واليهود عندما قدمت إلى سوق بنى قينقاع لشـراء

---

(٣) محمد جمال الدين سرور ، ص ١١٤ – ١١٥.

(١) ابن هشام ٣ / ٦ – ٧، الطبرى ٢ / ٤٨،

ابن عبد البر، ص ١٤٢،

ابن الأثير : ٢ / ٩٦. الذهبى ١ / ١١٦،

المقريزى ١ / ١٠٢،

الحلبى ٢ / ٤٧٥.

بعض حاجاتها، وجلست إلى صائغ، فحاولوا كشف وجههـا فرفضت. وعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا، ونهـض رجـل مـن المسلمين على الصائغ اليهودى فقتله، وتجمع اليهـود علـى المسلم فقتلوه، وعلم أهل المسلم فاستصرخوا المسلمين علـى اليهود.[٢]

وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد بينهم وبين رسـول ا {ﷺ} فحاصرهم خمس عشرة ليلة، فنزلوا علـى حكمـه فإجلاهم عن المدينة، فخرجوا منها إلى أذرعات مـن أرض الشام.[٣]

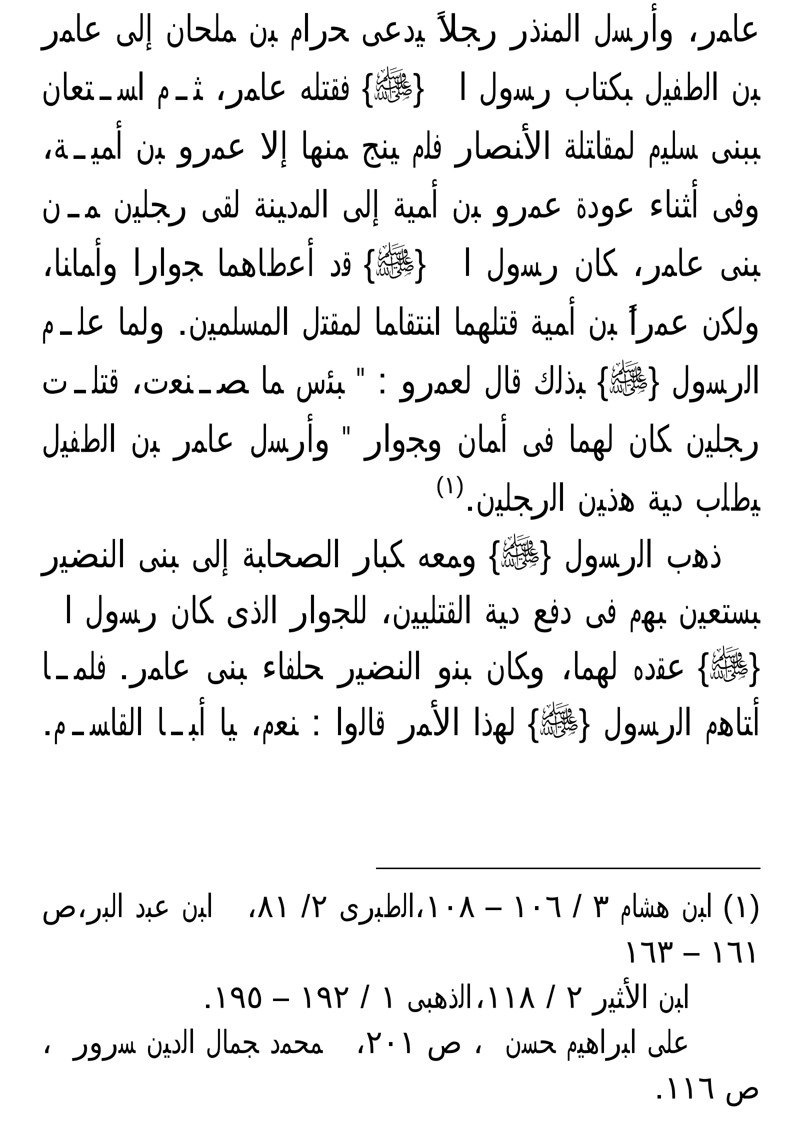
ب – بنو النضير :

أخذت العلاقات تتدهور بين المسلمين وبنى النضير عقب غزوة أحد، وكان الرسول{ﷺ} قد أوفد أربعين رجـلاً مـن الأنصار لنشر الإسلام فى نجد، وأمر عليهم المنذر بن عمرو

---

(٢) ابن هشام ٣ / ٧، ابن الأثير : ٢ / ٩٦ – ٩٧. الذهبى ١ / ١١٦، المقريزى ١ / ١٠٢، ١٠٣.

(٣) ابن هشام ٣ / ٧، ابن سعد ٢ / ٢٩، الطبرى ٢ / ٤٩، ابن الأثير ٢ /٩٧الذهبى ١ / ١١٨ابن القيم الجوزية ٢ / ١٣٣ المقريزى ١ / ١٠٣، الحلبى ٢ / ٤٧٥.



فنزلوا عند بئر معونة فى أثناء سيرهم، وكان هذا البئر لبنى عامر، وأرسل المنذر رجلاً يدعى حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول ا {ﷺ} فقتله عامر، ثـم اسـتعان ببنى سليم لمقاتلة الأنصار فلم ينج منها إلا عمرو بن أميـة، وفى أثناء عودة عمرو بن أمية إلى المدينة لقى رجلين مـن بنى عامر، كان رسول ا {ﷺ} قد أعطاهما جوارا وأمانا، ولكن عمراً بن أمية قتلهما انتقاما لمقتل المسلمين. ولما علـم الرسول {ﷺ} بذلك قال لعمرو : " بئس ما صـنعت، قتلـت رجلين كان لهما فى أمان وجوار " وأرسل عامر بن الطفيل يطلب دية هذين الرجلين.[١]

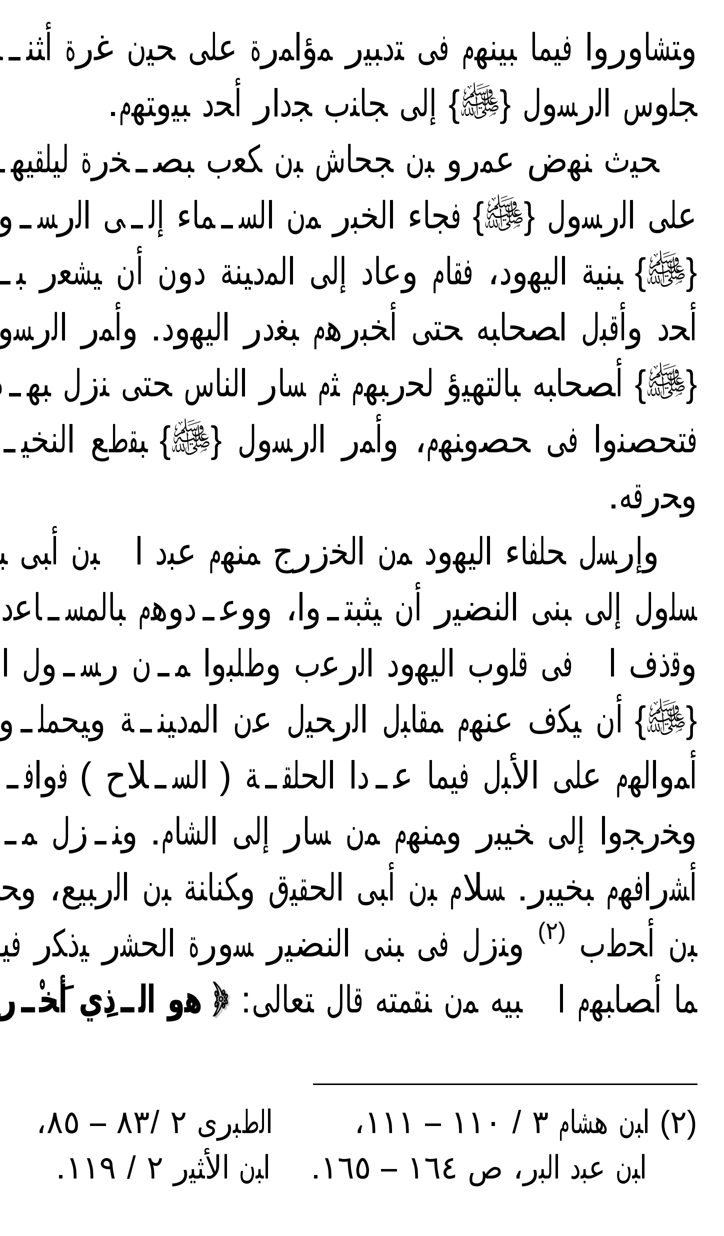
ذهب الرسول {ﷺ} ومعه كبار الصحابة إلى بنى النضير يستعين بهم فى دفع دية القتليين، للجوار الذى كان رسول ا {ﷺ} عقده لهما، وكان بنو النضير حلفاء بنى عامر. فلمـا أتاهم الرسول {ﷺ} لهذا الأمر قالوا : نعم، يا أبـا القاسـم.

---

(١) ابن هشام ٣ / ١٠٦ – ١٠٨،الطبرى ٢/ ٨١، ابن عبد البر،ص ١٦١ – ١٦٣

ابن الأثير ٢ / ١١٨، الذهبى ١ / ١٩٢ – ١٩٥.

على ابراهيم حسن ، ص ٢٠١، محمد جمال الدين سرور ، ص ١١٦.


وتشاوروا فيما بينهم فى تدبير مؤامرة على حين غرة أثنـاء جلوس الرسول {ﷺ} إلى جانب جدار أحد بيوتهم.

حيث نهض عمرو بن جحاش بن كعب بصـخرة ليلقيهـا على الرسول {ﷺ} فجاء الخبر من السـماء إلـى الرسـول {ﷺ} بنية اليهود، فقام وعاد إلى المدينة دون أن يشعر بـه أحد وأقبل اصحابه حتى أخبرهم بغدر اليهود. وأمر الرسول {ﷺ} أصحابه بالتهيؤ لحربهم ثم سار الناس حتى نزل بهـم، فتحصنوا فى حصونهم، وأمر الرسول {ﷺ} بقطع النخيـل وحرقه.

وإرسل حلفاء اليهود من الخزرج منهم عبد ا بن أبى بن سلول إلى بنى النضير أن يثبتـوا، ووعـدوهم بالمسـاعدة. وقذف ا فى قلوب اليهود الرعب وطلبوا مـن رسـول ا {ﷺ} أن يكف عنهم مقابل الرحيل عن المدينـة ويحملـون أموالهم على الأبل فيما عـدا الحلقـة (السـلاح) فوافـق وخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام. ونـزل مـن أشرافهم بخيبر. سلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع، وحى بن أحطب [٢] ونزل فى بنى النضير سورة الحشر يذكر فيها ما أصابهم ا بيه من نقمته قال تعالى: ﴿ **هو الـذِي أَخْـرج**

(٢) ابن هشام ٣ / ١١٠ – ١١١، الطبرى ٢ /٨٣ – ٨٥، ابن عبد البر، ص ١٦٤ – ١٦٥. ابن الأثير ٢ / ١١٩.

الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشـر مـا ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم مـن اللـه فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعـب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولـي الأبصار﴾ [الحشر: ٢].

ج – بنو قريظة ٥ هـ :

نقض بنو قريظة عهدهم مع الرسـول {ﷺ} فـى وقعـة الخنـدق [(١)]، التى انتهت بفشل ذريع لقريش وحلفائهـا مـن العرب واليهود. لذلك أمر الرسول {ﷺ} أصحابه بالمسـير إلى بنى قريظة وخرج على بن أبى طالـب حـاملاً الرايـة وتلاحق به المسلمون.[(٢)] وفرض الحصار على بنى قريظـة خمساً وعشرين ليلة[(٣)]، وقيل بضعة عشـرة ليلـة[(٤)] وقيـل شهراً[(٥)] حتى اجهدهم الحصار. وقذف ا فى قلوبهم الرعب، ولما يئس اليهود من الحصار استجابوا لحكم الرسـول {ﷺ}

---

(١) ابن الأثير ٢ / ١٢٢.

(٢) ابن هشام ٣ / ١٩٣، الطبرى ٢ / ٩٨ – ٩٩، ابن عبد البر، ص ١٧٨.

(٣) ابن هشام ٣ / ١٤٠، الطبرى ٢/ ٩٩.

(٤) عروة بن الزبير، ص ١٨٧، الـبلاذرى : فتـوح البلـدان١/ ٢٣.

(٥) الطبرى ٢ / ٩٩.

فيهم. وطلب الأوس أن يحكم أحدهم فى حلفائهم اليهود كمـا فعل الرسول {ﷺ} مع الخزرج وحلفائهم من بنى قينقاع.

قال الرسول {ﷺ} : " الا ترضون يا معشـر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم ؟ قالوا : بلى. قال رسـول ا {ﷺ} فذلك إلى سعد بن معاذ ".

وحكم سعد بن معاذ فيهم بحكم رسول ا {ﷺ} وهـو أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء. (٦)

وأمر الرسول {ﷺ} بحبسهم فى دار بنت الحـارث ثـم سيقوا جماعات إلى سوق المدينة فحفر لهم خندق وضـربت أعناقهم فى تلك الخنادق وفيهم حى بن أخطب وكعـب بـن أسد. وكان عدد القتلى يتراوح منهم ما بين ستمائة وسبعمائة يهودى. وقيل كانوا ما بين ثمانمائـة وتسـعمائة (٧) وقسـم رسول ا {ﷺ} أموال بنى قريظة ونساءهم وابناءهم علـى

---

(٦) ابن هشام ٣ / ١٤٢ – ١٤٣، عروة بـن الزبيـر، ص ١٨٨، الطبرى ٢ / ١٠٠ – ١٠١
ابن عبد البر، ص ١٨٠ – ١٨١، ابن الأثير ٢ / ١٢٧.

(٧) ابن هشام ٢ / ١٤٤، الطبرى ٢ / ١٠١
السيد عبد العزيز سالم ، ص ٩٣، على ابراهيم حسـن ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

المسلمين.[8] وبلغ سهم الفارس ثلاثة اسهم، وللرجل سـهم وقيل للفارس سهمان والرجل سهم.[9]

د – غزوة خيبر ٧ هـ :

لم ينته خطر اليهود ببلاد الحجاز بعد طردهم من المدينة، فانتهز الرسول {ﷺ} فرصة صلح الحديبية فى الهجوم على خيبر حيث يقيم اليهود الذين كانـوا يرتبطـ ـون بصـلات وطيـدة بقبائل بنى قينقاع، وبنى النضير وكان

خطرهم على المدينة لا يزال متوقعـاً،[1] ولا ننسـى أن أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأثـاروا بنى قريظة على الغدر والخيانـة، ثـم اتصـلوا بالمنـافقين وبغطفان وأعراب البادية.[2] وخرج الرسـول {ﷺ} إلـى خيبر فى جماد الأول السنة السابعة للهجرة وأمـر أصـحابه بالتهيؤ،[3] فخرج معـه ١٤٠٠ رجـل و ٢٠٠ فـرس[4] واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى.[5]

---

(٨) ابن هشام ٣ / ١٤٧،　　　　الطبرى ٢ / ١٠٣.
(٩) ابن عبد البر، ص ١٨٢.
(١) محمد جمال الدين سرور ، ص ١١٩.
(٢) المباركفورى، ص ٤٣٠.
(٣) ابن سعد ٢ / ١٠٦.
(٤) ابن الأثير ٢ / ١٤٧.
(٥) ابن سعد ٢ / ١٠٦،　　　　الطبرى ٢ / ١٣٥،
ابن الأثير ٢ / ١٤٧.

وأرسل المنافقون بقيادة عبد ا   بن أبى إلى يهود خيبر أن محمدا قصدكم فحذوا حذركم. ولما علم ذلـك أهـل خيبـر، أرسلوا كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس إلـى غطفـان. يستعدونهم، لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر ومظاهرين لهم على المسلمين. وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن غلبـوا علـى المسلمين.[(٦)]

ومضى الرسول {ﷺ} حتى نزل وادى الرجيع بين خيبر وغطفان. فى الليل على غرة [(٧)] وشرع فـى الهجـوم فـى الصباح الباكر وقت خروجهم للعمل فى حقولهم فلما نظـروا إلى رسول ا   {ﷺ} قالوا : " محمد والخمـيس ! يعنـون بالخميس الجيش، فولوا هاربين إلى حصونهم ". [(٨)]

وحاولت غطفان مساندة حلفائها يهود خيبر، ولكنهم خافوا على أموالهم خشية أن يتعرضوا لهجوم مماثل. [(٩)]

وأول حصـون خيبـر التى سقطـت فى يد الرسـول {ﷺ}،

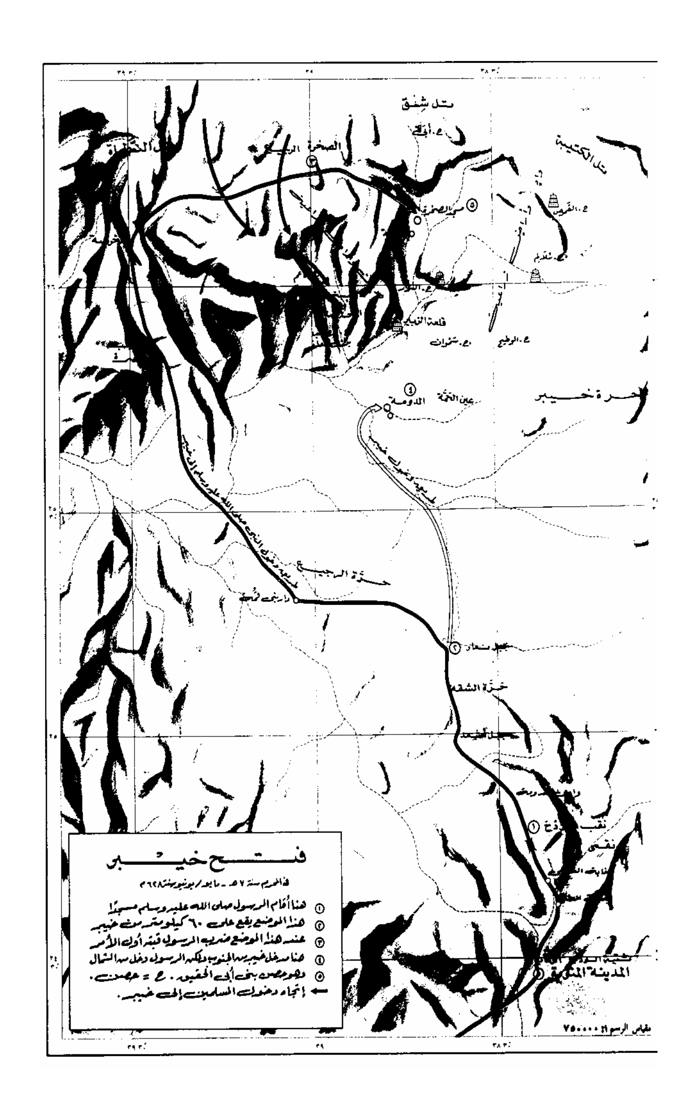
---

(٦) المباركفورى، ص ٤٣٢.

(٧) الطبرى ٢ / ١٣٥،   ابن الأثير ٢ / ١٤٧.

(٨) ابن سعد ٢ / ١٠٦.

(٩) ابن هشام ٣ / ٢٠٨،   الطبرى ٢ / ١٣٥،   ابن الأثير ٢ / ١٤٧.



خريطة فتح خيبر.

المصدر : WWW.THAMAH.NET_MAN-NIC.NHN ?F=١١

حصن ناعم، ثم القموص حصن بن أبى الحقيـق [١] ثـم أستولى الرسول {ﷺ} على عـدة حصـون هـى النطـاة، والصعب بن معاذ، قلعة الزبير، والشق وأبى، والنزار. [٢]

ووجد الرسول {ﷺ} مقاومة فى حصن الوطيح وحصـن السلالم أخر حصون خيبر فحاصرهم الرسول {ﷺ} عدة أيام بشدة حتى أيقنوا على الهلاك فسألوا الرسول {ﷺ} أن يحقن دماءهم مقابل الجلاء من خيبر. [٣]

وطلب أهل خيبر من الرسول {ﷺ} البقاء فـى زراعـة أراضيهم مقابل نصف الثمار ووافق الرسـول {ﷺ} علـى طلبهم لعلمهم باراضيهم وخبرتهم فى زراعتها [٤].

ولما علم أهل فدك بصلح الرسول {ﷺ} لخيبر صـالحوه على مثل ذلك وكانت خيبر فيئا للمسلمين، وفـدك خالصـة للرسول {ﷺ} لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب. [٥]

---

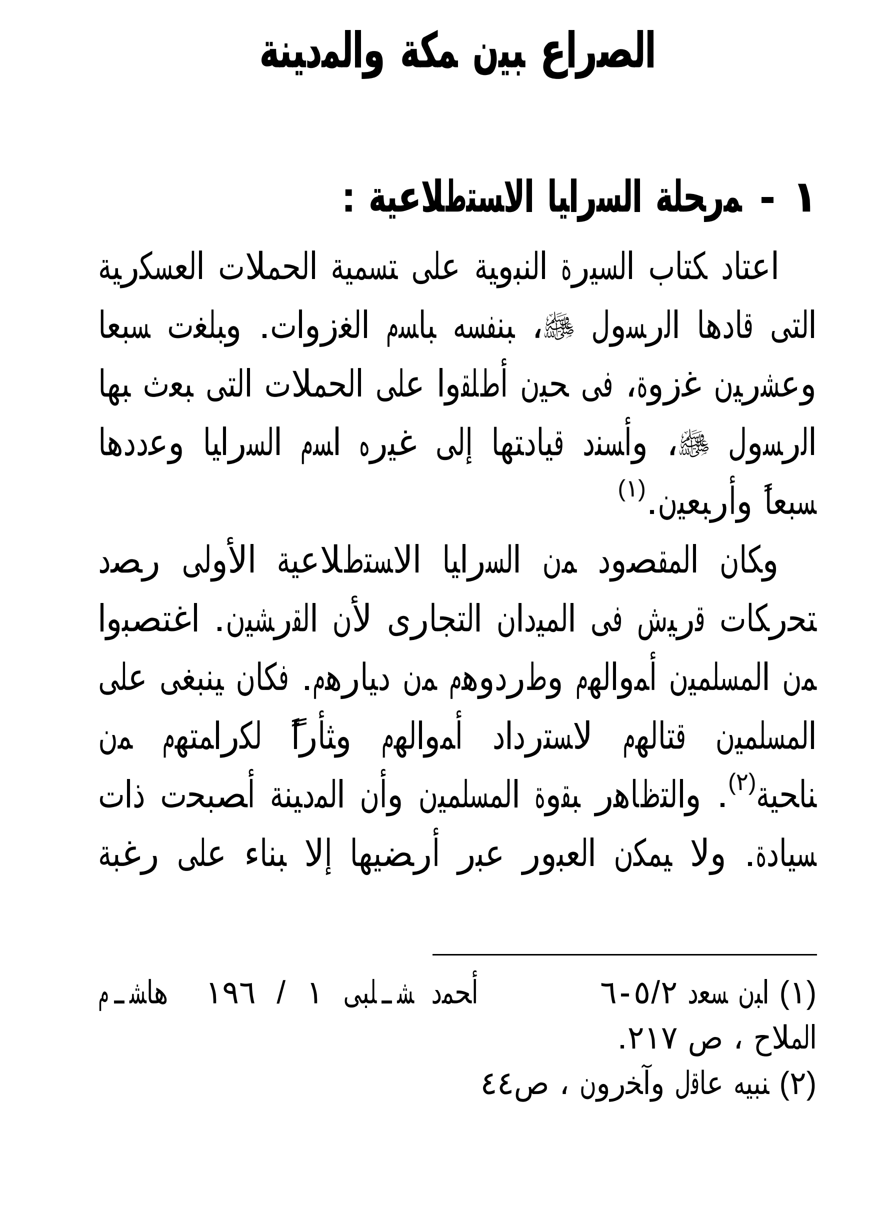
(١) ابن هشام ٣ / ٢٠٨، الطبرى ٢ / ١٣٥، ابن الأثير ٢ / ١٤٨.
(٢) ابن سعد ٢ / ١٠٦.
(٣) ابن هشام ٣ / ٢١٣ – ٢١٤، الطبرى ٢ / ١٣٨.
(٤) ابن هشام ٣ / ٢١٤، الطبرى ٢ / ١٣٨.
(٥) ابن هشام ٣ / ٢١٤، الطبرى ٢ / ١٣٨.

ولما انتهى الرسول {ﷺ} من خيبر سار إلى وادى القرى فحاصر أهلها لعدة ليالى. ثم قفل عائدا إلى المدينة.

كان لانتصار المسلمين فى خيبر أهمية خاصة، فقد ترتب عليه أن لدولتهم الناشئة أراضى مملوكة خارج المدينة يجبون منها الخراج، كما أدى إلى وجود جماعة من اليهود يشـملها السلطان السياسى للدولة الإسلامية. [٦]

---

(٦) محمد جمال الدين سرور ، ص ١٢٠.



الفصل الثانى عشر
الصراع بين مكة والمدينة

١ - مرحلة السرايا الاستطلاعية :

اعتاد كتاب السيرة النبوية على تسمية الحملات العسكرية التى قادها الرسول ﷺ، بنفسه باسم الغزوات. وبلغت سبعا وعشرين غزوة، فى حين أطلقوا على الحملات التى بعث بها الرسول ﷺ، وأسند قيادتها إلى غيره اسم السرايا وعددها سبعاً وأربعين.[١]

وكان المقصود من السرايا الاستطلاعية الأولى رصد تحركات قريش فى الميدان التجارى لأن القرشين. اغتصبوا من المسلمين أموالهم وطردوهم من ديارهم. فكان ينبغى على المسلمين قتالهم لاسترداد أموالهم وثأراً لكرامتهم من ناحية[٢]. والتظاهر بقوة المسلمين وأن المدينة أصبحت ذات سيادة. ولا يمكن العبور عبر أرضيها إلا بناء على رغبة

---

(١) ابن سعد ٢/٥-٦ أحمد شلبى ١ / ١٩٦ هاشم الملاح ، ص ٢١٧.

(٢) نبيه عاقل وآخرون ، ص٤٤

الرسول ﷺ. من ناحية أخرى وموادعة القبائل النازلة فى طريق القوافل، والتحالف معها ومعرفة أخبار قريش.[٣]

١- سرية حمزة بن عبد المطلب:توجهت إلى سيف البحر من ناحية العيص، فى ثلاثين راكباً من المهاجرين، فلقى أبا جهل بن هشام فى ثلثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى، وكان موادعا للفريقين، ولم يحدث بينهم قتال[٤]

٢- سرية عبيدة بن الحارث: سار إلى ماء بأسفل ثنية المرة، بستين وقيل ثمانين من المهاجرين[5]، ولقى أبا سفيان بن حرب فى مائتين من أصحابه.[٣] فلم يكن بينهم قتال، غير أن سعدا بن أبى وقاص قد رمى يومذاك بسهم فكان أول سهم رمى به فى الإسلام[٧]

---

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، ص١٠٠، وانظر كذلك محمد محمد زيتون ، ص ١٠٦.

(٤) ابن هشام ١٨٣/٢، ابن سعد ٦/٢ ، الطبرى ١١/٢-١٢ ، ابن الاثير ٧٧/٢

(٥) ابن هشام ١٨٠/٢، ابن سعد ٧/٢ ، الطبرى ١٢/٢

(٦) ابن سعد ٧/٢

(٧) ابن هشام ١٨٠/٢، الطبرى ١٢/٢

٣- سرية سعد بن أبى وقاص: خرج إلى ناحية الخرار من أرض الحجاز، فى ثمانية من المهاجرين . ولم يلق كيدا من أحد.[١]

٤- غزوة الأبواء: خرج الرسول ﷺ فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مجيئه للمدينة إلى ودان. وهى غزوة الأبواء، لملاحقة قريش بن ضمرة بن بكر فصالحه فيها بنو ضمرة.[٢]

٥- غزوة بواط: سار رسول ا ﷺ، فى شهر ربيع الأول، إلى بواط من ناحية رضوى، لملاقاة قريش. ولم يحدث بنيهما شيئ ثم عاد إلى المدينة.[٣]

٦- غزوة سفوان (بدر الأولى): لم يمكث الرسول ﷺ بالمدينة طويلا، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة، فخرج الرسول ﷺ لمطاردته، حتى بلغ وادى سفوان

---

(١) ابن هشام ١٨٦/٢، ابن سعد ٦/٢ ، ابن الاثير ٧٩/٢

(٢) ابن هشام ١٨٠/٢، ابن سعد ٨/٢ ، خليفة الخباط، ص ٥٦
الطبرى ١١/٢ ، ابن الاثير ٧٨/٢.

(٣) ابن هشام ١٨٥/٢ ، ابن سعد ٨/٢-٩ ، خليفة الخيـاط، ص ٥٧
، الطبرى ١٢/٢
ابن الاثير ٧٨/٢.

من ناحية بدر، ولم يدركه الرسول ﷺ. ثم قفل عائداً إلى المدينة.[٤]

٧- غزوة العشيرة: استخاف الرسول ﷺ على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى[5]، وسار لغزو قريش، ومر على نقب بنى دينار، وفيفاء الخيار، حتى وصل إلى العشيرة من بطن ينبع، فأقام بها بضعة أيام، وادع فيها مدلج وحلفاءهم من بنى خمرة، ثم عاد إلى المدينة.[٦]

سرية عبد ا بن جحش:

بعث الرسول ﷺ عبد ا بن جحش، فى شهر رجب فى السنة الثانية للهجرة فى ثمانية رهط، وقيل فى أثنى عشر رجلا[٧] من المهاجرين. إلى نخلة بين الطائف والمدينة. لرصد تحركات قريش والوقوف على أخبارها.

ومرت عير قريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو ابن الحضرمى،وعثمان بن عبد ا بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد ا ، والحكم بن كيسان، فلما

---

(٤) ابن هشام ١٨٧/٢ ، خليفة الخياط، ص ٥٧

(٥) ابن سعد ٩/٢ ، ابن الاثير ٧٨/٢

(٦) ابن هشام /٢ ، ابن سعد ٩/٢-١٠ ، خليفة الخياط، ص ٥٧
الطبرى ١٢/٢ ، ابن الاثير ٧٨/٢.

(٧) ابن سعد ١٠/٢.

رآهم القوم هابوهم. وقد نزلوا قريباً منهم، وخرج لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا وقالوا: عمار لا بأس عليكم منهم وتشاوروا فيما يجب فعله واستقر رأيهم على أخذ تلك القافلة، وكان ذلك فى الشهر الحرام، وقتلوا وافد بن عبد ا التميمى، وأسروا عثمان بن عبد ا ، والحكم بن كيسان، وقدم عبد ا بن جحش بالعير والأسيرين على رسول ا {ﷺ} فقال: ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام. فوقف العير والأسيرين، وأبى أن

يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك الرسول ﷺ سقط فى أيـ ـدى عبد ا بن جحش، وعنفهم إخوانهم المسلمون فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام. ولما كثر الجدل فى هذه القضية أنزل ا تعالى على رسوله ﷺ

﴿ يسأَلُونَكَ عن الشهر الحرامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِير وصد عن سبِيلِ اللهِ وكُفْر بِهِ والْمسجِدِ الحرامِ وإِخْراج أَهلِهِ مِنْه أَكْبر عِند اللهِ والْفِتْنَةُ أَكْبر مِن الْقَتْل ولاَ يزالُون يقَاتِلُونَكُم حتى يردوكُم عن دِينِكُم إِن استَطَاعوا ومن يرتَدِد مِنكُم عن دِينِهِ فَيمتْ وهو كَافِر فَأُولَئِك حبِطَتْ أَعمالُهم فِي الدنْيا والآخِرةِ وأُولَئِك أَصحاب النار هم فِيها خَالِدون﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولما نزلت هذه الآية على الرسول ﷺ، فرج ا عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف.[1]

استغلت قريش هذه الحادثة فى إعلان حرب كلامية على المسلمين فى أنهم استحلوا القتال فى الشهر الحرام، مما يتنافى مع تقاليد العرب، لإثارة حمية القبائل العربية، بعد أن أدركت أن الوجود الإسلامى فى المدينة خطر كبير على تجارتها القادمة أو الذاهبة إلى الشام، فضلاً عن شعورهم بالخوف على مستقبل مقدساتهم الدينية. كما أن المسلمين كانوا يعتقدون أنه لن يتيسر لهم نشر الدعوة الإسلامية إلا بعد التغلب على معارضة قريش ومن هذا المنطلق حرص كل فريق من الفريقين على ضرب خصمه والإيقاع به، فقامت بينهما سلسلة من الأعمال الحربية الهامة بدأت بغزوة بدر.[2]

غزوة بـ ـ ـدر ٢هـ :

كانت غزوة بدر[1] صبيحة يوم الجمعة ١٧ رمضان فى السنة الثانية للهجرة،[2] وسببها أن الرسول ﷺ علم بمجئ أبى

---

(١) ابن هشام ١٩٠/٢ الطبرى ١٥/٢-١٦ ابن الاثير ٧٩/٢-٨٠
وانظر ابن سعد ١٠/٢-١١

(٢) نبيه عاقل وآخرون ، ص ٤٥.

(١) بدر ماء كان ليخلد بد النضر، ويقال لرجل مـن جهينـة. واسـم الوادى الذى هو به بليل.
البلاذرى ، ص ٢٨٨

سفيان بن حرب على رأس قافلة تجارية؛ فى عير قريش من الشام. فيها أموال قريش وتجارتهم. وعلى حراستها ثلاثون أو أربعون رجلا من قريش.[٣]

كانت العير ألف بعير[٤]، ولم يبق بمكة أحد إلا وبعـث به فى العير، وقيل إن بضائع القافلة لا تقل عن خمسين الف دينار.[٥]

وندب الرسول ﷺ أصحابه للتصدى للقافلة قائلا: " هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل ا ينفلكموها".[٦]

وخرج مع الرسول ﷺ ٣١٤ رجلا من المهاجرين (٨٣ رجلا) ومن الأنصار (٢٣١ رجلا) من الأوس (٦١ رجلا) ومن الخزرج (١٧٠ رجلا)[٧]

---

(٢) ابن سعد ١٩/٢، الطبرى ١٩/٢، ابـن الاثيـر ٨٠/٢ ، ابن كثير ٣٢٦/٣

(٣) ابن هشام ١٩١/٢-١٩٢، ابن سعد ١١/١-١٢، الطبرى ٢٠/٢-٢٣
ابن عبد البر، ص ١٠٢، ابن الاثير ٨٠/٢.

(٤) البلاذرى، ص ٢٨٨ المقريزى، ٧٥/١

(٥) المقريزى، ٧٥/١

(٦) ابن هشام ١٩١/٢-١٩٢، ابن سعد ١١/٢-١٢ ، الطبرى ٢٣/٢
ابن عبد البر، ص ١٠٢، ابن الاثير ٨٠/٢ ، ابن كثير ٣١٣/٣

(٧) ابن هشام ٢٦٧/٢ ، البلاذرى، ص ٢٩٠ ، الطبرى ٤٧/٢
ابن عبد البر ، ص ١٣٠، ابن الاثير ، ٨٢/٢.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار، وعلم أن الرسول ﷺ، استنفر أصحابه للتصدى للقافلة.

وأرسل ابو سفيان. ضمضم بن عمرو الغفارى لطلب النجدة العاجلة من مكة؛ من أجل إنقاذ القافلة.[8] وأسرع ضمضم بن عمرو الغفارى إلى منطقة بطن الوادى بمكة يصرخ على بعيره وهو فى أسوأ حاله حيث شق قميصه.

وجدع أنف بعيره. ونادى: " يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث".[1]

حاول أبو سفيان تفادى الاصطدام بالمسلمين ، وسلك طريقا محاذيا لساحل البحر الأحمر[2] ونجا بالقافلة عائدا إلى مكة. ووجد أن قريشاً خرجت لحرب المسلمين، وحثهم على العودة طالما ان القافلة عادت سالمة.

---

(٨) ابن هشام ١٩٢/٢ ، الطبرى ٢٣/٢ ، ابن الاثير ٨٠/٢-٨١

(١) ابن هشام ١٩٤/٢، البلاذرى، ص ١٩٠ ، ابن سعد ١٣/٢ الطبرى ٢٣/٢ ، ابن عبد البر، ص ١٠٢، ابن الاثير ٨١/٢
ابن كثير ٣١٤/٣-٣١٥ ، المقريزى ٧٦/١.

(٢) ابن سعد ١١/١-١٣ ، الطبرى ٢٠/٢، المقريزى ٧٨/١

ولكن أهل مكة بقيادة أبى جهل بن هشام. قال: " وا لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام، فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها".[٣]

ويبدو من قول أبى جهل أنه أراد أن يستغل هذه الفرصة لتوجيه ضربة شديدة للمسلمين حتى يخشى بأس قريش جميع العرب.

ولم يتخلف أحد من قريش إلا بعث مكانه واحداً بدلا منه فبعث أبو لهب، العاص بن هشام بن المغيرة.[٤]

وطالب بعض أهل مكة بالعودة ودعوا إلى عدم القتال، ورأى بعضهم أن تشدد أبى جهل لا مبرر له، ويأتى على رأس هذا الفريق بنى زهرة وتبعهم بنو عدى . فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد[٥]. كما خرج البعض مكرهاً كالعباس ابن عبد المطلب على أثر وحدة الصف.

---

(٣) ابن هشام ٢٠١/٢ ، الطبرى ٢٩/٢ ، ابن الاثير ٨٤/٢ المقريزى ٧٩/١

(٤) المقريزى ٧٩/١

(٥) ابن هشام ٢٠١/٢-٢٠٢ محمد احمد زيود ، ص ٥٥.

وعلم الرسول {ﷺ} بمسير قريش للقاء المسلمين بعد نجاة القافلة. واستشار أصحابه فى الأمر، فقال المقداد بن عمر: " يا رسول ا ، امض لما أراك ا فنحن معك.

ثم قال رسول ا {ﷺ}: "أشيروا على أيها الناس. وإنما يريد الأنصار، لأنهم حين بايعوا الرسول {ﷺ}. فى بيعة العقبة الثانية على الدفاع عنه، وعن المهاجرين إذا تعرضوا للأذى. وخشى الرسول {ﷺ} تقاعسهم عن المسير عند مهاجمة العدو.

ولما قال ذلك رسول ا {ﷺ} أطاعوه، وقال سعد بن معاذ: وا لكأنك تريدنا يا رسول ا ؟ قال أجل قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة، فامضى يا رسول ا لما أردت فنحن معك، فوالذى بعثك بالحق، لو استغرقت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلاف منا رجل واحد" فسر الرسول {ﷺ} بقول سعد ونشطه ذلك؛ ثم قال: "سيروا وأبشروا، فإن ا تعالى قد وعدنى إحدى الطائفتين وا لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم".[1]

---

(١) ابن هشام ١٩٨/٢-١٩٩ ابن سعد ١٤/١ ابن عبد البر، ص ١٠٣

ابن الاثير ٨٤/٢ابن كثير ٣٢١/٣ المقريزى ٨٢/١

فسار الرسول {ﷺ} من ذفران ونزل قريبا من بدر. وبعث على بن أبى طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه، إلى ماء بدر فى دوريات استطلاع لمعرفة أوضاع قريش. فأصابوا غلامين لقريش فأتوا بهما. وسألهما الرسول
{ﷺ} عن قريش وعرف معلومات هامة، تساعده فى وضع خطته الحربية عن موضع نزول قريش فى العدوة القصوى، وعددهم، وقادتهم.(٢)

أما الدورية الثانية تمكنت من التقاط حوار بين جاريتين أن قوات قريش ستصل كلها إلى المكان خلال اليومين التاليين.(٣)

ونزل الرسول {ﷺ} فى أدنى موضع للماء، لكى يحصل الجند على حاجته الكافية من الماء بناء على مشورة الحباب بن المنذر بن الجموح. وبنى حوضاً على القلب الذى نزل

محمد جمال الدين سرور ، ص ٨٤-٨٥

(٢) ابن هشام ٢٠٠/٢ابن عبد البر، ص ١٠٤ المقريزى ٨٣/١-٨٤ محمد عبد الحليم أبو غزاله ، ص ٦٧.

(٣) ابن هشام ٢٠٢/٢ ، الطبرى ٢٨/٢محمد عبد الحليم أبو غزالـه ، ص ٦٧

عليه فملئ ماءاً[1] ومما لاريب فيه أن المياه تمثـل سلاحا قويا لمن يملكها فى ساحات القتال. وعلى الأخص فى الصحراء.[2]

وعرض سعد بن معاذ على الرسول {ﷺ} بأن يبنى للرسول {ﷺ} عريش بجوار ركائبه؛ [3] لحمايته {ﷺ} يتمكن من متابعة سير المعركة فى كل الاتجاهات.[4]

وشرع الرسول {ﷺ} فى تعبئة الجيش؛ فعقد الألوية فكان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ.

وكـــان شعار المهاجرين يا بنى عبد الرحمن، وشعار الخزرج يا بنى عبد ا ، وشعار الأوس يا بنى عبيد ا ، وكان شعار المسلمين جميعا يومئذ " يا منصور أمت".[5]

ونظم الرسول {ﷺ} صفوف المسلمين. وحرص على رفع

---

(١) ابن هشام ٢٠٢/٢ ، ابن سعد ١٥/١ ، ابن عبد البر، ص ١٠٥
الطبرى ٢٩/٢ ، ابن الاثير ٨٥/٢

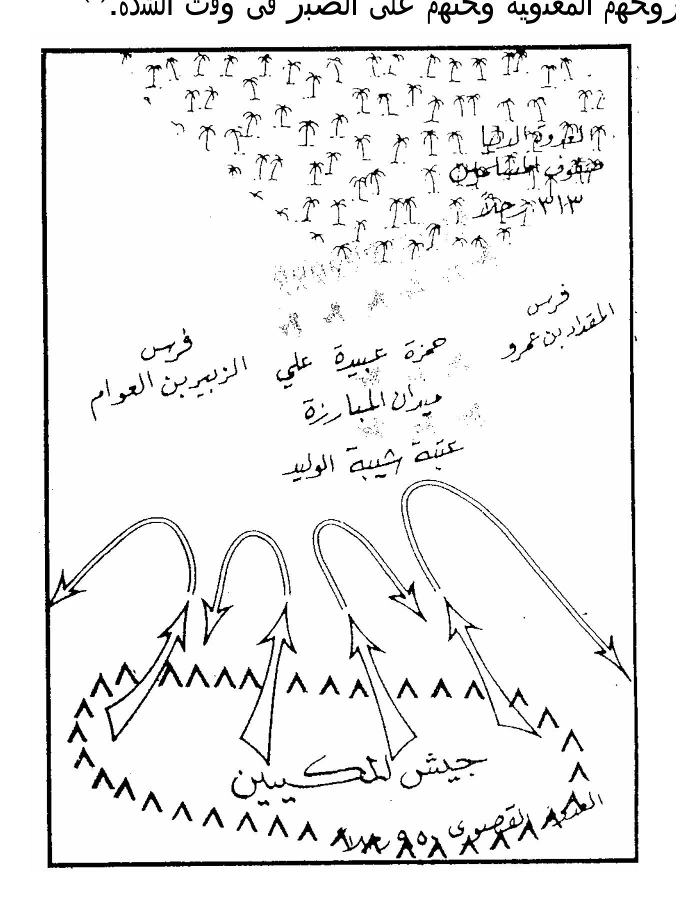
(٢) طه عثمان الفرا: جغرافية موقعة بدر، بحث منشور فـى كتـاب الجزيرة العربية فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين، الجـزء الأول، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود ١٩٨٩، ص ١٢٦.

(٣) المقريزى ٨٥/١

(٤) طه عثمان الفراء ، ص ١٢٨

(٥) ابن سعد ١٤/١ ، المقريزى ٨٩/١-٩٠

روحهم المعنوية وحثهم على الصبر فى وقت الشدة.[6]



* خريطة غزوة بدر سنة ٢ هجرى .

المصدر : إسماعيل الفاروقى وآخرون ، ص ٢٨٧ .

---

(٦) المقريزى ٨٩/١

ولم يلبث أن عاد الرسول {ﷺ} إلى العريش. وأخذ يناشد ربه وما وعده من النصر. قائلا: اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد".[١]

أما قريش نزلت بالعدوة القصوى،[٢] ولم يكن لها قيادة عليا تشرف على تنظيم صفوفها.[٣] وشكلت قريش قواتهم من قلب يتكون من ميمنة، وميسرة. وكـانت الميمنة والميسرة من الفرسان وقوام كل منهما حوالى مائة فارس[٤]

وبدأت الحرب بالمبارزة على طريقة العرب القديمة فى القتال. بين حمزة ابن عبد المطلب والأسود بن عبد الأسود المخزومى. وقتله حمزة عندما حاول الأقتراب من حوض ماء المسلمين. ثم تقدم للمبارزة من قريش عتبة بن ربيعة، وشيبه بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فإخرج الرسول {ﷺ} إليهم عبيدة ابن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلى بن أبى طالب وتمكنوا من قتل عتبة، وشيبه، والوليد.[٥]

---

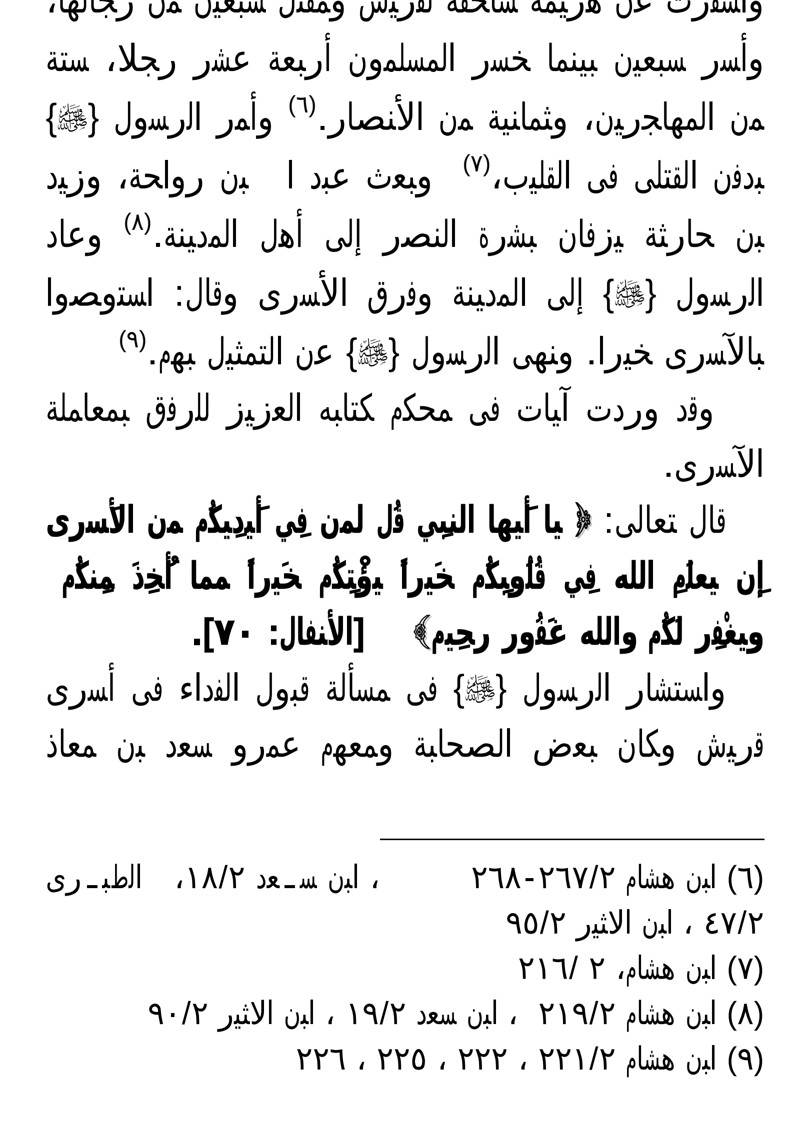
(١) ابن هشام ٢٠٧/٢ ، الطبرى ٣٣/٢ ، ابن الاثير ٨٧/٢
ابو الفداء ١٦١/١ ، ابن الوردى ١١٠/٢ ، المقريزى ٨٩/١

(٢) ابن هشام ٢٠٢/٢

(٣) محمد جمال الدين سرور ، ص ٨٥

(٤) محمد عبد الحليم أبو غزاله ، ص ٦٨

(٥) ابن هشام ٢٠٦/٢-٢٠٧، الطبرى ٣٢/٢-٣٣ ، ابن الاثير ٨٧/٢
ابو الفداء ١٦١/١ ، ابن الوردى ١١٠/١ ، المقريزى ٨٩/١



ولما انتهت المبارزة دارت رحى المعركة بين الفريقين ، واسفرت عن هزيمة ساحقة لقريش ومقتل سبعين من رجالها، وأسر سبعين بينما خسر المسلمون أربعة عشر رجلا، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.(٦) وأمر الرسول {ﷺ} بدفن القتلى فى القليب،(٧) وبعث عبد ا بن رواحة، وزيد بن حارثة يزفان بشرة النصر إلى أهل المدينة.(٨) وعاد الرسول {ﷺ} إلى المدينة وفرق الأسرى وقال: استوصوا بالآسرى خيرا. ونهى الرسول {ﷺ} عن التمثيل بهم.(٩)

وقد وردت آيات فى محكم كتابه العزيز للرفق بمعاملة الآسرى.

قال تعالى: ﴿ **يا أَيها النبي قُل لمن فِي أَيدِيكُم من الأَسرى إِن يعلَمِ الله فِي قُلُوبِكُم خَيراً يؤْتِكُم خَيراً مما أُخِذَ مِنكُم ويغْفِر لَكُم والله غَفُور رحِيم﴾ [الأنفال: ٧٠].**

واستشار الرسول {ﷺ} فى مسألة قبول الفداء فى أسرى قريش وكان بعض الصحابة ومعهم عمرو سعد بن معاذ

(٦) ابن هشام ٢/٢٦٧-٢٦٨ ، ابن سـعد ٢/١٨، الطبـرى ٢/٤٧ ، ابن الاثير ٢/٩٥

(٧) ابن هشام، ٢ /٢١٦

(٨) ابن هشام ٢/٢١٩ ، ابن سعد ٢/١٩ ، ابن الاثير ٢/٩٠

(٩) ابن هشام ٢/٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

يرون قتلهم، وكان رأى أبى بكر وغالبية الصحابة عدم قتلهم وقبول الفداء، فأخذ الرسول {ﷺ}، برأى الفريق الثانى. وأنزل ا تعالى حكما لما اختلفوا فى هذا الأمر. قال تعالى:

﴿ يسأَلُونَك عن الأَنفَال قُل الأَنفَالُ لِلهِ والرسول فَاتقُوا الله وَأَصلِحوا ذَاتَ بينِكُم وَأَطِيعوا الله ورسوله إِن كُنتُم مؤْمِنين﴾ [الأنفال: ١].

وكان فداء الأسير أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم للرجل، ومنهم من من عليه الرسول {ﷺ} بغير فداء كالشاعر أبى حمزة الجمحى[(١)] الذى تعهد الأيكون ضد المسلمين بشعره. وكان فداء بعض الأسرى. أن يقوم بتعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة.[(٢)]

نتائج غزوة بدر:

١- كانت غزوة بدر من أعظم المعارك الحربية التى فرق ا تعالى فيها بين الحق والباطل.[(٣)]

٢- عززت مكانة الرسول {ﷺ} وأعلت كلمة الإسلام. ودخل فيه بعدها كثير من المشركين من بينهم أبو العاص بن ربيع، وعمير بن وهب.

---

(١) ابن سعد ١٨/٢

(٢) ابن سعد ٢٦/٢، محمد جمال الدين سـرور ، ص ١٠٥ ، نبيـه عاقل وآخرون ، ص ٤٨.

(٣) المقريزى ٧٢/١

٣- أضعفت شوكة اليهود والمنافقين.[٤]

٤- استفاد المسلمون من وراء انتصارهم فى بدر فائدتين: إحداهما معنوية تتمثل فى وثوقهم بأنهم على الحق. والأخرى مادية فى جنى غنائم كثيرة.

٥- وضعت غزوة بدر قواعد شرعية للمسلمين يسيرون عليها فى الغنائم والأسرى.[٥]

غـ ـزوة أحـ ـد ٣هـ :

لما هزمت قريش فى غزوة بدر، عقدت النية على الأنتقام والأخذ بالثأر لمقتل نفر من أشرافها ورؤسائها فسار عبد ا بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية فى رجال من قريش. وطالبوا أبا سفيان بن حرب رصد أموال القافلة التى كانت سببا فى غزوة بدر. للثأر من المسلمين؛ لما أصابهم.

وشرعت قريش فى الاستعداد لخوض معركة فاصلة وانضم لتلك الحملة رجال قريش وأحابيشهم وبعض النساء من قريس يضربن الدفوف لتحـريض الرجال على الصمود فى ساحة القتال. وشاركت قريش أيضا قبائل كنانة وأهل

---

(٤) السيد عبد العزيز سالم ، ص ١١٥.

(٥) محمد جمال الدين سرور ، ص ٨٦.

تهامة. وسارت قريش وحلفاؤها ونزلوا بعينين ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى بغرب أحد.[١]

وكان أبو سفيان بن حرب قائداً لجيش قريش المكون من ثلاثة آلاف، وسبعمائة ذراع، ومائتى فرس، وثلاثة آلاف بعير.[٢]

وأرسل العباس بن عبد المطلب بخبر خروج قريش إلى الرسول {ﷺ} بكتاب مع رجل من بنى غفار.[٣]

أراد الرسول {ﷺ} أن يتأكد من خروج قريش ، فبعث عينين له أنسا ومؤنساً ابنى فضالة الظفريين، فأتيا رسول ا {ﷺ}. بخبرهم ثم بعث الحباب بن المنذر وجاء ببعض المعلومات.[٤]

---

(١) ابن هشام ١٦/٣-١٨ ، البلاذرى، ص ٣١٢-٣١٣ ، الطبرى ٢/ ٥٨-٥٩

ابن الاثير ١٠٣/٢-١٠٤ ، ابن كثيـر ١١/٤-١٣ ، المقريـزى ١٠٨/١-١٠٩

الحلبى ٤٨٨/٢ – ٤٨٩.

(٢) ابن سعد ٣٧/٢

(٣) البلاذرى، ص ٣١٤

(٤) ابن سعد ٣٧/٢ ، المقريزى ١٠٩/١-١١٠.

ولما علم الرسول {ﷺ}، بخروج قريش للقتال استشار أصحابه فيما يفعله. وكان رأيه البقاء فى المدينة، وأيده كبار الصحابة وعبد ا بن أبى بن سلول.

واستند أصحاب هذا الرأى إلى حصانة المدينة ومناعتها.وسهولة مساندة النساء والأطفال فى القتال بقذف العدو بالحجارة.

ورأى الشباب الذين لم يحضروا بدر ورغبوا فى الشهادة. وقالوا: "يا رسول ا اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا".

واستجاب الرسول {ﷺ} لرأى الشباب وتهيأ للقتال.[1] وخرج الرسول {ﷺ} فى ألف من أصحابه متجهاً إلى أحد وفى الشوط بين المدينة وأحد انسحب عبد ا بن أبى بن سلول بثلث الناس. متذرعا أن الرسول {ﷺ} لم يأخذ برأيه قائلا: "أطاعهم وعصانى، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس فرجع بمن تبعه من قومه من أهل النفاق والريب" وتبعهم عبد ا بن عمرو بن حرام يقول، أذكركم ا ألا

---

(١) ابن هشام ٣/١٨-١٩ ، ابن سعد ٢/٣٨ الطبرى ٢/٥٩

ابن حزم، ص ١٢٣-١٢٤ ، ابن عبد البر، ص ٤٦ ، ابن كثيـر ٤/١٣-١٤

المقريزى ١/١١١ ، الحلبى ٢/٤٩١.

تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوكم؛ فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال. ورفض الرسول {ﷺ} دعوة الأنصار لحلفائهم من اليهود.[٢]

وكان لهذا الانقسام أثر كبير فى صفوف المسلمين. وكـادت أن تتفرق كلمتهم وتتمزق وحدتهم[٣] وقد وصف ا تعـالى حال عبد ا بن أبى بن سلول وأتباعه من المنافقين بقوله: ﴿

يا أَيها الَذِين آمنُوا لاَ تَتخِذُوا بِطَانَةً من دونِكُـم لاَ يـأْلُونَكُم خَبالاً ودوا ما عنِتم قَد بدتِ البغْضاء مِن أَفْواهِهم وما تُخْفِي صدورهم أَكْبر قَد بينا لَكُم الآياتِ إِن كُنتُم تَعقِلُون (١١٨) ها أَنتُم أُولاءِ تُحِبونَهم ولاَ يحِبونَكُم وتُؤْمِنُون بِالْكِتَابِ كُلِّـهِ وإِذَا لَقُوكُم قَالُوا آمنا وإِذَا خَلَوا عضوا علَيكُم الأَنَامِلَ مِن الغَـيظِ قُلْ موتُوا بِغَيظِكُم إِن الله علِيم بِذَاتِ الصدور (١١٩)

إِن تَمسسكُم حسنَةٌ تَسؤْهم وإِن تُصِبكُم سيئَةٌ يفْرحوا بِها وإِن تَصبِروا وتَتقُوا لاَ يضركُم كَيدهم شَيئاً إِن الله بِما يعملُون محِيطٌ (١٢٠)﴾

[آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

---

(٢) ابن هشام ١٩/٣ ، الطبرى ٦٠/٢ ، ابن حزم، ص ١٢٤-١٢٥.
ابن عبد البر، ص ١٤٦ ، الحلبى ٢/ ٤٩٥

(٣) حسن ابراهيم حسن ١ / ٩٤.

نزل رسول ا {ﷺ} الشعب من جبل أحد فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره إلى أحد. وكانت خطة الرسول {ﷺ} ، فى تنظيم صفوف المسلمين على النحو التالى:-

١- تعداد الجيش الإسلامى سبعمائة رجل.[1]

٢- عقد ثلاثة الوية:

أ-لواء الأوس إلى أسيد بن حضير.

ب-لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر.

ج-لواء المهاجرين إلى على بن أبى طالب، وقيل مصعب بن عمير.[2]

٣- تولى محمد بن سلمة الأنصارى مهمة الحرس.[3]

٤- نظم الميمنة والميسرة.

٥- الرمـ ـاة.

أمر الرسول {ﷺ}، فرقة مكونة من خمسين رجل من الرماة تقف على الجبل بقيادة عبد ا بن جبير. وعلى الرغم من قلة عدد هذه الفرقة، إلا أن مهمتها كانت ثـقيلة تتمثل فى

---

(١) ابن هشام ٢٠/٣ ، الطبرى ٦١/٢ ، ابـن حـزم، ص ١٢٤-١٢٥.

ابن عبد البر، ص ١٤٦ ، ابن الاثير ١٠٥/٢ ، ابن كثير ١٧/٤.

(٢) ابن سعد ٣٩/٢ ، البلاذرى، ص ٣١٧ ، المقريزى ١١١/١ ، الحلبى ٤٩٢/٢

(٣) البلاذرى، ص ٣١٥

حماية ظهر الجيش وأوصاهم الرسول {ﷺ}، بعدم ترك أماكنهم قائلا:

أ-"ان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشاركونا، وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا".[٤]

ب-" إنضخ الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك، لا نوتين من قبلك".[٥]

٦-شعار المسلمين فى أحد " أمت أمت".[٦]

٧-الترغيب فى الجهاد والحث على الصبر والثبات فى مواجهة العدو.[٧]

أما قريش وحلفائها فقد نزلوا ببطن الوادى بقوة مكونة من ثلاثة آلاف رجل، على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل.[٨]

---

(٤) ابن سعد ٣٩/٢-٤٠ ، البلاذرى، ص ٣١٧ ، المقريزى ١١١/١

(٥) ابن هشام ٢١/٣.

(٦) ابن هشام ٢٣/٣ ، ابن سعد ٤٠/٢ ، البلاذرى، ص ٣١٦

(٧) البلاذرى، ص ٣١٦.

(٨) ابن هشام ٢١/٣ ، ابن سعد ٤٠/٢ ، الطبرى ٦٠/٢ ، ابن حزم ، ص ١٢٥

ابن عبد البر، ص ١٤٧ ، ابو الفداء ١٦٤/١ ، ابن الوردى ، ص ١١٢

ابن كثير: فصول ، ص ١٤٥-١٤٦ ، ابن كثير ١٧/٤ ، المقريزى ١١٤/١

ونشب القتال بين الفريقين، وأبلى المسلمون بلاء حسنا ونذكر منهم أبو دجانة، وحمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعلى بن أبى طالب، وأنس ابن النضر، وجماعة من الأنصار ، قاتلوا بكل قوة ودارت الدائرة على قريش.[1]
وانكشفت قريش وشعرت نساء قريش بخطورة الموقف وقامت هند بنت عتبة والنساء اللأتى معها فى ضرب الدفوف؛ لتحريض رجال قريش على مواصلة القتال.[2]

وشرع المسلمون فى جمع الغنائم، وترك الرماة أماكنهم برغم تحذيـر قائدهم عبد ا بن جبير بالبقاء. كما أوصاهم الرسول {ﷺ} . ولكنهم قالوا: انهزم المشركون فما مقامنا هاهنا؟[3]

انتهز المشركون هذه الفرصة وتقدم خالد بن الوليد إلى الرماة وتبعه عكرمة ابن أبى جهل وهاجموا من بقى من الرماة على غرة، وقتلوهم وقتلوا قائدهم عبد ا ابن جبير. وتغير سير المعركة لصالح قريش واختلت صفوف المسلمين واستشهد

---

(١) ابن حزم ، ص ١٢٦
(٢) ابن هشام ٢٢/٣
(٣) ابن سعد ٤١/١ ، البلاذرى، ص ٣١٨ ، ابن حزم، ص ١٢٦
ابو الفداء ١٦٥/١ ، المقريزى ١١٨/١-١١٩

منهم عدد كبير. واشيع بين الناس أن محمد قتل، وصار المسلمون يقاتلون بغير شعار، واستشهد مصعب بن عمير، وفر من المسلمين بعض الناس من ميدان القتـال[٤] منهم عثمان بن عفان، وعثمان بن عبيد الأنصارى وغفر ا لهم ذاك،[5] ونزل القرآن بالعفو عنهم فى قوله تعالى: ﴿**إِن الَّذِين تَولوا مِنكُم يوم التَقَى الجمعان إِنما استَزلهم الشيطَان بِبعض ما كَسبوا ولَقَد عفَا الله عنْهم إِن الله غَفُور حلِيم**﴾ **[آل عمران: ١٥٥].**

وأثر خبر مقتل الرسول {ﷺ} ، على معنويات المسلمين. يبدو ذلك من الحوار الذى دار بين أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب، وطلحة ابن عبيد ا فى رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمد رسول ا قال : فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول ا {ﷺ}. ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل.[١]

---

(٤) ابن سعد ١ / ٤١ - ٤٢

(5) ابن حزم، ص ١٢٩ ، ابن كثير: فصول: ص ١٥٠.

(١) ابن هشام ٣٤/٣ ،الطبرى ٦٦/٢ ، ابن حزم، ص ١٢٨
ابن كثير: فصول ١٤٨-١٤٩ ، المقريزى ١٣٢/١

وثبت الرسول {ﷺ} برغم تعرضه للخطر وأصيبت رباعيته وشبح فى وجهه والدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: " كيف يصلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعو إلى ربهم؟[2] " فأنزل ا عز وجل فى ذلك: ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ **[آل عمران: ١٢٨].**

ووقع الرسول {ﷺ} فى حفرة حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ على بن أبى طالب بيد الرسول {ﷺ}. ورفعه طلحة ابن عبيد ا حتى استوى قائما.[3]

وثبت رسول ا {ﷺ} .ومعه جماعة من أصحابه أربعة عشر رجلا. سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار.[4]

و لاغرو أن قريشا انخدعت بخبر مقتل النبى {ﷺ}، واكتفت من الحرب بتلك النتيجة. وفطن الرسول {ﷺ} نفسه لهذا ورأى أن ذلك فرصة اتاحها ا له وللمسلمين لصرف

---

(٢) ابن هشام ٣١/٣

(٣) ابن هشام ٣١/٣ ، ابن حزم، ص ١٢٦-١٢٧ ، ابـو الفـداء ١٦٥/١

ابن الوردى ١١٣/١ ، ابن كثير: فصول، ص ١٤٧ ، المقريزى ١٢٣/١

(٤) ابن سعد ٤٢/٢.

المشركين عنه.[٥] فقد أشار إلى كعب ابن مالك الذى نادى بأعلى صوته يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول ا ! فأشار إليه الرسول {ﷺ} أن ينصت.[٦]

وشاركت المرأة فى صفوف القتال مع المسلمين، ومن أبرزهن أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية.[٧] وأبلت بلاء حسنا وكانت تقاتل فى صفوف المسلمين وتسقى الجرحى.[٨]

وأسفرت المعركة عن مقتل سبعين رجلا[١] وقيل ثلاث وسبعين أو أربع وسبعون من المسلمين.[٢] وثلاث وعشرون رجلا من المشركين.[٣]

وكانت هند بنت عتبة والنسوة اللأتى معها يمثلن بالفتلى المسلمين وجدع الأنف والأذن.[٤]

---

(٥) حسن ابراهيم حسن ١ / ٩٥

(٦) ابن هشام ٣٤/٣ ، ابن سعد ٤٦/٢ ، ابن عبد البر، ص ١٥٠ ابن حزم، ص ١٢٧-١٢٨ ، ابن كثيـر: فصـول، ص ١٤٩ ، المقريزى ١٢٠/١

(٧) البلاذرى، ص ٣٢٥ ، ابن حزم، ص ١٢٨

(٨) البلاذرى، ص ٣٢٥ ، المقريزى ١٣١/١

(١) ابن سعد ٤٢/٢ ، ابو الفداء ١٦٥/١ ، ابن كثير: فصـول، ص ١٥٠

(٢) البلاذرى، ص ٣٢٨

(٣) ابن سعد ٤٣/٢ ، البلاذرى، ص ٣٢٨ ، ابو الفداء ١٦٥/١

وصعد أبو سفيان بن حرب على ربوة عالية حين أراد الانصراف مناديا بأعلى صوته. فقال: أنعمت فعال، وإن الحرب سجال يوم بيوم، أعلى هبل، أى أظهر دينك؛ فقال رسول ا {ﷺ} : " قم يا عمر فأجبه، فقل ا أعلى وأجل، لا سواء، قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار". فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبو سفيان : هلم إلى يا عمر فقال رسول ا صلى ا . لعمر" ائته فانظر ما شأنه "فجاء فقال له أبو سفيان : أنشدك ا يا عمر، أفتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن.[(٥)]

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول ا {ﷺ} لرجل من أصحابه: " قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد".

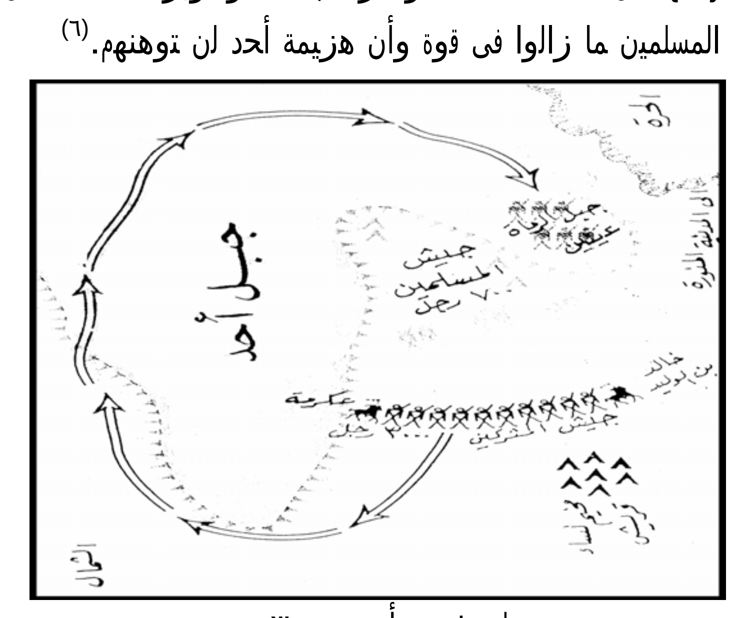
ثم بعث رسول ا {ﷺ}، على بن أبى طالب، فقال: اخرج فى اثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، ولكنهم توجهوا إلى مكة.

---

(٤) ابن هشام ٤٠/٣.

(٥) ابن هشام ٤٢/٣ ، الطبرى ٧١/٢ ، المقريزى ١٣٧/١.

عاد الرسول {} إلى المدينة يوم السبت الخامس عشر من شوال وهو اليوم الذى جرت فيه غزوة أحد. فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن الرسول {ﷺ} فى المسلمين بطلب العدو. على أن لا يخرج منهم إلا من اشترك فى أحد ، وكان هدف رسول ا {ﷺ} من هذه الحملة هو ارهاب العدو وبرهانا على أن المسلمين ما زالوا فى قوة وأن هزيمة أحد لن توهنهم.(٦)



خريطة غزوة أحد سنة ٣ هجرى .

---

(٦) ابن هشام ٤٨/٣ ، ابن سعد ٢/ ٤٩ ، الطبرى ٢/ ٧٤-٧٥ رشيد عبد ا الجمبلى ، ص ٣٠٤.

المصدر : إسماعيل الفاروقى وآخرون ، ص ٢٨٨ .

نتائج غزوة أحـ ـد:

لم تحقق قريش هدفها فى القضاء على المسلمين سواء أكانت أهداف خفية أو معلنة، جاء ذلك على لسان أحد زعمائها حيث قال: "بئس ما صنعتم وا انكم لم تصنعوا شيئا لا محمداً أصبتم ولا الكواعب أردفتم".

وأكد على ذلك عكرمة بن أبى جهل حيث قال: "صدق من قال إننا لم نصنـع شيئا. لأننا أصبنا أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم".(١) وخسرت قريش فى هذه الموقعة ٢٣ قتيلا. (٢)

كان النصر حليف المسلمين فى البداية غير أنهم خسروا الجولة الأخيرة. بسبب تمرد الرماة على أميرهم والانغماس فى جمع الغنائم. مما غير سير مجرى المعركة من حال إلى آخر(٣).

أظهرت موقعة أحد حقيقة موقف اليهود والمنافقين تجاه المسلمين غير المعلن. والذى كشفت عنه تطورات الأحداث. (٤)

---

(١) محمد أحمد زيود ، ص ٦١.

محمد احمد زيود ، ص ٦١ ، محمد فريد وجدى ، ص ٢٠٦

(٢) ابن سعد ٤٣/٢ ، البلاذرى، ص ٣٢٨

(٣) محمد أحمد زيود ، ص ٦١

(٤) ابن سعد ٤٤/٢ ، المقريزى ١٤١/١ احمد الشريف ، ص ٤٧٣.

ولقد تطور الأمر إلى حبك مؤامرة لاغتيال النبى {ﷺ} ، وكان من نتيجتها أن حاصر النبى {ﷺ}، إحدى قبائل اليهود وهم بنو النضير وأخرجهم من المدينة.

كما تجرأت بعض القبائل العربية المقيمة حول المدينة على التحرش بالمسلمين. ولكن الرسول {ﷺ} فوت عليهم هذه الفرصة . فقد كان على دراية بأخبار هذه القبائل. (5)

غزوة الخندق أو الأحزاب 5 هـ :

فكر اليهود الذين طردهم الرسول {ﷺ} من المدينة إلى خيبر فى تأليب الأحزاب على الدولة الإسلامية للقضاء عليها. فخرج سلام بن أبى الحقيق النضرى، وهوذة بن قيس الوائلى، وأبو عمار الوائلى، فى رهط من بنى النضير، وبنى وائل حتى قدموا على قريش بمكة. ودعوهم إلى التحالف معهم. وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.

ولكن قريشاً لم توافق على مطالب اليهود إلا بعد أن سألتهم عن حقيقة دينهم ودين محمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه.

وضلال اليهود قريش لتحقيق هدفهم. وأنزل ا تعالى فيهم: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ**

---

(5) احمد الشريف ، ص ٤٧٣.

آمنُوا سبِيلاً (٥١) أُولئِك الذِين لعنَهم الله ومن يلْعـن اللـه فلَن تَجِد له نَصِيراً (٥٢) ﴾ [النساء: ٥١ - ٥٢].

وسرت قريش بهذه الإجابة، وأبدت رغبة فى مشاركتها على الحرب، ودعا اليهود قبائل غطفان للحرب فلبوا دعوتهم. وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت عظفان وقائدها عيينة بن حصن من بنى فزارة والحارث بن عوف ابن أبى حارثة المرى فى بنى مرة، ومسعر بن رخيله فيمن تابعه من أشجع.(١)

لما علم الرسول {ﷺ} بمسيرهم أمر بحفر خندق حول المدينة وجاءت قريش، ونزلت بمجتمع الأسيال بين الجرف وزغابة فى عشرة آلاف من أحاديثهم، ومن لحق بهم من بنى كنانة، وأهل تهامة، وغطفان، وأهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد.

---

(١) ابن هشام ٣/ ١٢٦ ، ابن سعد ٦٧/٢ ، ابن عبـد البـر ، ص ١٦٩

ابن الاثير ١٢٢/٢ ابن خلدون ٢٩/٢

خرج المسلمون فى ثلاثة آلاف من المسلمين وجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع، وأمر الرسول {ﷺ} الذرارى والنساء فى الأطام. وكان الخندق يفصل بينهم.[٢]

وخرج حيى بن أخطب النضرى إلى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم الذى وادع الرسول {ﷺ} وكان بينهما عهدا. ولما سمع كعب بن أسد بمجئ حيى بن أخطب رفض استقباله فى مستهل الأمر. ولم يزل حيى يضع المبررات حتى نقض كعب العهد الذى كان بينه وبين الرسول {ﷺ}.

وعلم الرسول {ﷺ} بغدر بنى قريظة فى أحرج اللحظات. ولم تحدث حروب حاسمة بين المسلمين وقريش وحلفائها، واقتصر الأمر على الرمى بالنبال، وفرض الحصار لمدة تقرب من شهر. ولما وجدت قريش الخندق قالت: وا إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

وحاول رجال قريش اقتحام الخندق وخرج على بنى أبى طالب على رأس قوة من المسلمين، وردوهم من الثغرة التى

---

(٢) ابن هشام ٣/ ١٢٩ ، ابن عبد البـر، ص ١٧١ ، ابـن الاثيـر ١٢٣/٢
ابن خلدون ٢٩/٢.

نفدت منها خيولهم واقتصر الأمر على المبارزة بين المسلمين وقريش.

وأراد الرسول {ﷺ} تفريق شمل قريش وحلفائها، فبعث إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف المرى، وهما قائداً غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه، وعن أصحابه فجرى بينه وبنيهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب. ولم تقع الشهادة ولا غريمة الصلح وكان الرسول {ﷺ} يهدف من ذلك مرواغتهم وإن كان الصلح لم يتم بناء على طلب سعد ابن معاذ، وسعد بن عبادة.[1]

---

(١)ابن هشام ١٣٢/٣ ، ابن عبد البر، ص ١٧٣ ، ابن الاثير ١٢٣/٢-١٢٤ ابن سعد ٦٩/٢.

خريطة غزوة الخندق سنة ٥ هجرى .

المصدر : إسماعيل الفاروقى وآخرون ، ص ٢٩٠ .

ولجأ الرسول {ﷺ} إلى الدبلوماسية فى فك الحصار عندما عرض عليه نعيم بن مسعود الذى أعلن إسلامه دون علم قومه. وتطوع لتقديم خدمة جليلة للرسول {ﷺ} قائلا: " فمرنى بما شئت. فقال رسول ا {ﷺ} : إنما أنت فينا رجل واحد فاخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة".

خرج نعيم بن مسعود إلى بنى قريظة وأخبرهم أن قريشاً وغطفان ليسوا فى موقفكم فإن رأوا فرصة أصابوها، وإن دارت الدائرة عليهم عادوا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرسول {ﷺ} ببلادكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهائن من أشرافهم حتى يتأكدوا من جدية موقفهم واستحسن بنو قريظة هذه النصيحة.

وخرج نعيم إلى قريش وأخبرهم أن اليهود ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد {ﷺ}. وأرسلوا إليه يعتذرون كما بدر منهم وعاهدوه على أخذ رهائن من اشرافهم ليسلموهم إلى الرسول {ﷺ} ليقتلهم ثم يتحالفوا معه على من بقى من قريش . ثم رحل نعيم إلى غطفان عشيرته وأخبرهم بحقيقة موقف اليهود.

ولما طلب أبو سفيان بن حرب وحلفاؤه من بنى قريظة مشاركتهم فى القتال طالبوا بأخذ رهائن فأبت قريش وغطفان ، وخذل ا بينهم، وساهمت عوامل الطبيعة فى تعجيل قريش على الرحيل حيث هبت الرياح فى ليلة شديدة البرودة، فكفت قدورهم وطرحت آنيتهم.

ونادى أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم وا ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكرع والخف، واخلفتنا بنو قريظة، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارحلوا فأنى مرتحل. وقررت قريش فك الحصار دون أن تحقق هدفها.[1]

صلح الحديبية ٦ هـ :

خرج الرسول {ﷺ} فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة معتمراً لا يريد حرباً. بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة، ليأمن من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظماً له.

---

(١) ابن هشام ١٣٢/٢-١٣٨ ، ابن عبد البر، ص ١٧٥-١٧٧ ، ابـن الاثير ١٢٥/٢-١٢٦
ابن خلدون ٣٠/٢-٣١.

ولما وصل الرسول {ﷺ} إلى عسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى أخبره بمسير قريش لملاقاته وأنها استعدت للحرب، فسلك الرسول {ﷺ} طريقاً آخر إلى الحديبية. ولما أطمأن الرسول {ﷺ} أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى فى رهط من خزاعة ، وأخبرهم الرسول {ﷺ} أنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته، فعادوا إلى قريش وأخبرهم أن محمدا {ﷺ} جاء زائراً للبيت الحرام.

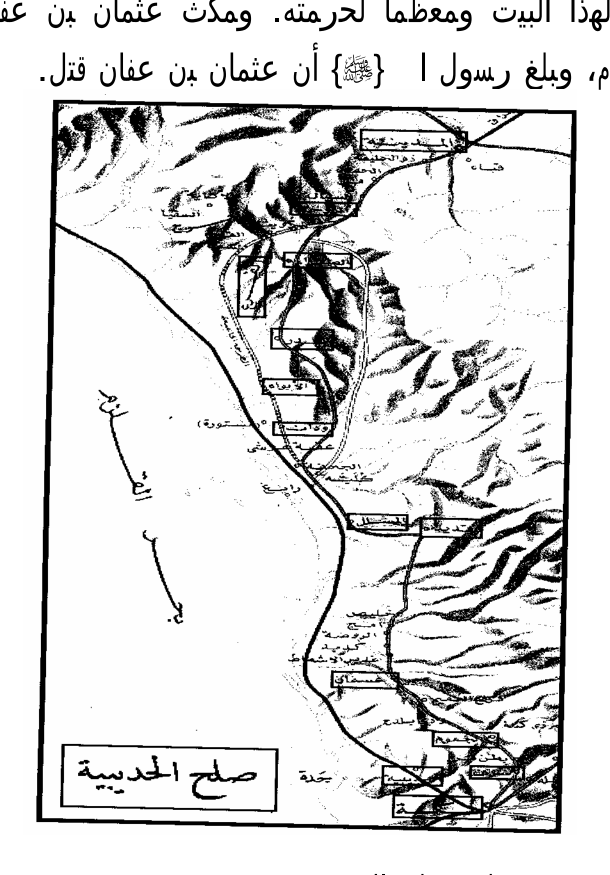
وتبادلت السفراء بين الرسول {ﷺ} ، وقريش، فقد أرسلت مكرز بن حفص بن الأخيف ثم الحليس بن علقمة سيد الأحابيش، ثم عروة بن مسعود الثقفى. وبعث الرسول {ﷺ} خراش بن أمية الخزاعى إلى قريش ، وأخبرهم بقصد مجئ الرسول
{ﷺ}.

ودعا الرسول {ﷺ} عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة لنفس المهمة ، فقال: يا رسول ا ، إنى أخاف قريشا على نفسى، وليس بمكة من بنى عدى أحد يمنعنى" وقد عرفت قريش عدواتى لها ، وغلاظتى عليها. ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى: عثمان بن عفان.[1]

---

(١) ابن هشام ٣/ ١٩٠-١٩٦ ، ابن عبد البر، ص ١٩١-١٩٣

فدعا الرسول {ﷺ} عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبى سفيان، وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته. ومكث عثمان بن عفان عدة أيام، وبلغ رسول ا {ﷺ} أن عثمان بن عفان قتل.



خريطة صلح الحديبية سنة٦ هجرى .

ابن الاثير ١٣٥/٢-١٣٧

المصدر : WWW.THAMAH.NET MAN-NIC.NHN?F=٢٣ .

بيعة الرضوان:

لما بلغ الرسول {ﷺ} أن عثمان بن عفان قتلته قريش دعا الناس إلى البيعة التى عرفت باسم بيعة الرضوان تحت الشجرة بايعوه على الموت. ولم يتخاف عن تلك البيعة أحد من الناس.[١]

ولم يلبث أن عاد عثمان بن عفان وبعثت قريش سهيل بن عمرو لعقد الصلح شريطة أن يرجع هذا العام، كى لا تتحدث العرب عنهم أنه دخلها عليهم عنوة.

ولما اتفق الرسول {ﷺ} مع سهيل بن عمرو على شروط الصلح. وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول ا ، قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى: قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ ثم أتى رسول ا {ﷺ}. فقال يا رسول ا ألست برسول ا ؟ قال: بلى. قال أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى.

---

(١) ابن هشام ١٩٦/٣ ابن الاثير ١٣٧/٢

قال: فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ قال: أنا عبد ا ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يطيعنى.[٢]

اتفق الرسول {ﷺ} مع سهيل بن عمرو على الشروط التاليـة:

شروط صلح الحديبية:

١- أن تتوقف الحرب بين المسلمين وقريش لمدة عشر سنين.

٢- من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا من عند محمد لم يرده عليه.

٣- من أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه. ومن أحب ان يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه.

٤- ان يرجع المسلمون هذا العام من غير عمرة على أن يأتوا فى العام القادم فيدخلوا مكة وتخرج قريش عنها ويمكث لمدة ثلاثة أيام، وليس معهم من السلاح الا السيوف فى القرابى.

وبعد أن تمت كتابة شروط الصلح أعلنت خزاعة دخولها فى عهد الرسول {ﷺ}، كما أعلنت بنو بكر دخولهم فى عقد قريش وعهدهم. وبينما كان رسول ا {ﷺ} يكتب كتاب

---

(٢) ابن هشام ١٩٦/٣

الصلح هو وسهيل بن عمرو جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو مقيدا فى الحديد. يصرخ بأعلى صوته. يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟! وتأثر الحاضرون لهذا المشهد. فقال رسول ا {ﷺ}: " يا أبا جندل، أصبر واحتسب، فإن ا جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجاً! إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد ا ، وإنا لا نغدر بهم".[1]

ولما فرغ رسول ا {ﷺ} من كتابة الصلح نزلـت سـورة الفتح: ﴿ **إِنا فَتَحنَا لَك فَتْحاً مبِيناً (١)لِيغْفِر لَك الله ما تَقَـدم مِن ذَنْبِك وما تَأَخر ويتِم نِعمتَـه علَيـك ويهـدِيك صِـراطاً مستَقِيماً (٢)﴾ [الفتح: ١ - ٢].**

وأرسل الرسول {ﷺ} إلى عمر بن الخطاب وأخبره بنزول سورة الفتح فقال : يا رسول ا ! أو فتح هو ؟ قال : " نعم " فطابت نفسه ورجع[2] .

أما النساء فاعتبر الرسول {ﷺ} أن شروط الهدنة لا تنطبق عليها وخاصة بعد نزول الآية الكريمة :

---

(١) ابن هشام ٣/١٩٨-١٩٩ ، ابن عبد البر، ص ١٩٣ ، ابن الاثير ١٣٨/٢

(٢) النووى ١٢ / ٣٥٣ باب صلح الحديبية (٣٤ – ٣٦) .

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾ [الممتحنة: ١٠].

عمرة القضاء ٧ هـ :

أمر الرسول {ﷺ} أصحابه فى ذى الحجة فى السنة السابعة للهجرة بالخروج إلى مكة لقضاء العمرة التى صده عنها مشركو مكة. ولم يتخلف عن أداء العمرة ألا من استشهد فى خبير أو مات.[1] وقد لبى نداء الرسول {ﷺ} جمع غفير من المسلمين وخاصة المهاجرون الذين كانوا ينتظرون هذا اليوم بفارغ الصبر منذ سبع سنوات ظلوا بعيدين عن مكة.وأما الأنصار فقد كانوا يودون زيارة المسجد الحرام . وبلغ عدد المسلمين قرابة الألفين.[2]

---

(١) ابن سعد ١٢٠/١ ، المقريزى ٢٥٤/١
(٢) على ابراهيم حسن ، ص ٢٠٧

واستخلـف الرسول {ﷺ} على المدينة ابارهم الغفـارى. وساق ستين بدنة وحملوا معهم السيوف فى قرابهـا حسـب الآتفاق المبرم فى الحديبية.ولكن الرسول {ﷺ} احتـاط مـن غدر قريش، فجهز مائة فرس جعل عليها محمد بن مسـلمة. وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد. ونزل الرسـول {ﷺ} بمر الظهران وقدم السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظـر إلى أنصاب الحرم. وترك عليه أوس بن خولة الانصارى.

ولما اقترب الرسول {ﷺ} من مكة خرجت قـريش إلـى رؤوس الجبال.[3] وتحدثت قريش أن محمدا وأصحابه فـى عسرة وجهد.[4] وقد وهنتهم حمى يثرب[5]

ولما دخل الرسول {ﷺ} اضطبغ بردائه وأخرج عضـده اليمنى ثم قال: رحم ا امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة! ثـم استلم الركن، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا ماراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى، مشى حتى يستسـلم

---

(٣) ابن سعد ١٢٠/١-١٢١ ، المقريزى ٢٥٤/١-٢٥٥

(٤) ابن هشام ٣/٤ ، الطبرى ١٤٢/٢ ، ابن الاثيـر ١٥٤/٢ ، ابـو الفداء ١٧٨/١

(٥) ابن عبد البر، ص ٢٠٨ ، البلاذرى ، ص ٣٥٣ ، محمـد فريـد وجدى ، ص ٢٥٨.

الركن الأسود. ثم هـرول كـذلك ثلاثـة أطـواف ومشـى سائدها.[6]

وبعد أن طاف الرسول {ﷺ} وأصحابه بين الصفا والمروة سبعة أشواط ثم نحروا الهدى. ولما حان وقت الظهر أمر بلال بالأذان من فوق الكعبة.

وأقام الرسول {ﷺ} بمكة ثلاثة أيام وتزوج ميمونة بنـت الحارث وفى اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى يطلبان منه الخروج من مكة.

وعاد الرسول {ﷺ} والمسلمون إلى سرف ودخـل علـى ميمونة بنت الحارث. ومنها قفلوا عائدين إلى المدينة.[1]

ولقد أنزل ا تعالى فى عمرة القضاء: ﴿ **لقَدْ صدقَ اللـه رسوله الرؤْيا بِالْحق لتَدخُلُن المسجِد الحرام إِن شَاء اللـه آمِنين محلقِين رءوسكُم ومقَصرين لاَ تَخَافُون فَعلِم مـا لَـم تَعلَموا فَجعلَ مِن دون ذَلِك فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [الفتح: ٢٧].**

وقد كان لعمرة القضاء أثر كثير فى نفوس كثير من أهل مكة حيث أسلم بعدها الحارث و خالد بن الوليد، وعمرو بن

---

(٦) ابن هشام ٣/٤، ٤، الطبرى ١٤٢/٢ ، ابن الاثير ١٥٤/٢ ، ابـو الفداء ١٧٨/١.

(١) ابن سعد ١٢٢/١ ، المقريزى ٢٥٥/١-٢٥٦

العاص، وعثمان بن طلحة ممن بهرت أنظارهم قوة الإسلام والمسلمين.[2]

وبعد قليل فرض عليهم الحج. وأصبح ركنا مـن أركـان الإسلام الخمس.[3]

---

(٢) على ابراهيم حسن ، ص ٢٠٨. رشيد عبـد ا الجمبلـى ، ص ٣٢٣

محمد محمد زيتون ، ص ١٨٨

(٣) محمد جمال الدين سرور ، ص ١٠٢.

الفصل الثالث عشر
فتح مكة وغزوة حنيين والطائف

فتح مكــة ٨ هـ:

نقضت قريش اتفاق صلح الحديبية فـى السـنة الثامنـة للهجرة؛ بمساعدتها لكنانة حليفتها ضد خزاعة التى دخلت فى حلف الرسول {ﷺ}. فى الحروب التى وقعت بـين خزاعـة وكنانة حيث انتهز بنو الديل من بنى بكـر فرصـة صـلح الحديبية للانتقام من خزاعة لثأرهم القديم.[1]

فقام نوفل بن معاوية الديلى علـى بيـت خزاعـة علـى الوتير- ماء لهم- وقتلوا منهم رجلاً . وساندت قريش بنـو بكر بالسلاح والرجال وتنكر رجال قريش ومنهم صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، حتى دخلت خزاعـة إلـى

---

(١) تعود جذور الصراع بين خزاعة وبنى بكر بن عبد مناة بن كنانـة إلى ما قبل الإسلام. وبداء على يد رجل من بنى الحضرمى يدعى مالك بن عباد الذى قتل الأسود بن زرن. ثم اقتض بنو بكر لثـأرهم فقتلـوا رجل من خزاعة. وردت خزاعة على ذلك. بمقتل كـل مـن سـلمى وكلثوم وذؤيب من بنى الأسود بن زرن الديلى عند أنصاب الحرم.

ابن هشام ١٦/٤ ، الطبرى١٥٢/٢ ، ابن عبد البر، ص ٢١١ ، ابن الاثير ١٦/٢

الحرم فأغاروا عليها وقتلوا منها عشرين رجلا ولم تلبث أن ندمت قريش على مساندتها لبنى بكر لأن فى ذلـك نقـض صريح لصلح الحديبية الذى أبرمته مع المسـلمين وخـرج عمرو ابن سالم الخزاعى على رأس وفد من خزاعـة إلـى المدينة يستنجدون بالرسول {ﷺ}. مما أصابهم به بنو بكر بن عبد مناة وقريش.[٢]

وجاء ابو سفيان بن حرب زعيم قريش إلى الرسول {ﷺ} فى المدينة. يطلب تجديد العهد، ورفض الرسول {ﷺ} مقابلة أبى سفيان ثم ذهب أبو سفيان إلى أبى بكر، فكلمه فى ذلـك، فرفض، كما رفض عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالـب لما كلمهم أبو سفيان فى هذا الأمر. لأنهم لا يجـرؤن علـى طلب شيئ من الرسول {ﷺ} سبق أن رفضـه مهمـا كـان الأمر.[٣]

وعزم الرسول {ﷺ} المسير إلى مكة. وبعث إلـى مـن حوله من العرب من أسلم من قبيلة أسلم، وغفـار، ومزينـة وجهنية وأشجع وسليم. وبلغ عددهم عشرة آلاف. واستحلف

---

(٢) ابن سعد ١٣٤/٢، ابن هشام ١٩/٤ ، الطبرى ١٥٣/٢، ابن عبـد البر، ص ٢١١-٢١٢.
(٣) ابن هشام ٢١/٤، الطبرى ١٥٤/٢ ، ابن عبد البر، ص ٢١٣، ابن الاثير ١٦٣/٢.

على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.[1] وقيل ابارهم كلثوم بن حصين الغفارى.[2]

وخرج الرسول {ﷺ} فى العاشر من رمضان سنة ثمان للهجرة قاصدا مكة وعقد الألوية فى قديد والرايات دفعها إلى القبائل. ثم نزل ممر الظهران ولم تدر قريش بخبر قدوم جيش المسلمين. ولكنها كانت تخشى المفاجأة وبعثوا أبا سفيان بن حرب، وحكيم بن خزام يتحسسون الأخبار.

وخرج نفر من أهل مكة لملاقاة الرسول {ﷺ} للدخول فى الإسلام وهم العباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن أمية بن المغيرة، وأبو سفيان بن الحارث. وأسلموا وحسن إسلامهما.[3]

وسعى أبو سفيان بن حرب إلى العباس بن عبد المطلب، لكى يشفع له عند رسول الله {ﷺ}. ولما التقى برسول الله أعلن إسلامه.وطلب العباس من الرسول {ﷺ} أن يكرم أبا سفيان لأنه يحب الفخر فاجعل له شيئا. ووافق الرسول {ﷺ}

---

(١) ابن سعد ١٣٤/٢ . قيل ابارهم بن كلثوم بن حصين الغفارى، ابن هشام ٢٣/٤، ابن عبد البر، ص ٢١٤.

(٢) ابن سعد ١٣٥/١.

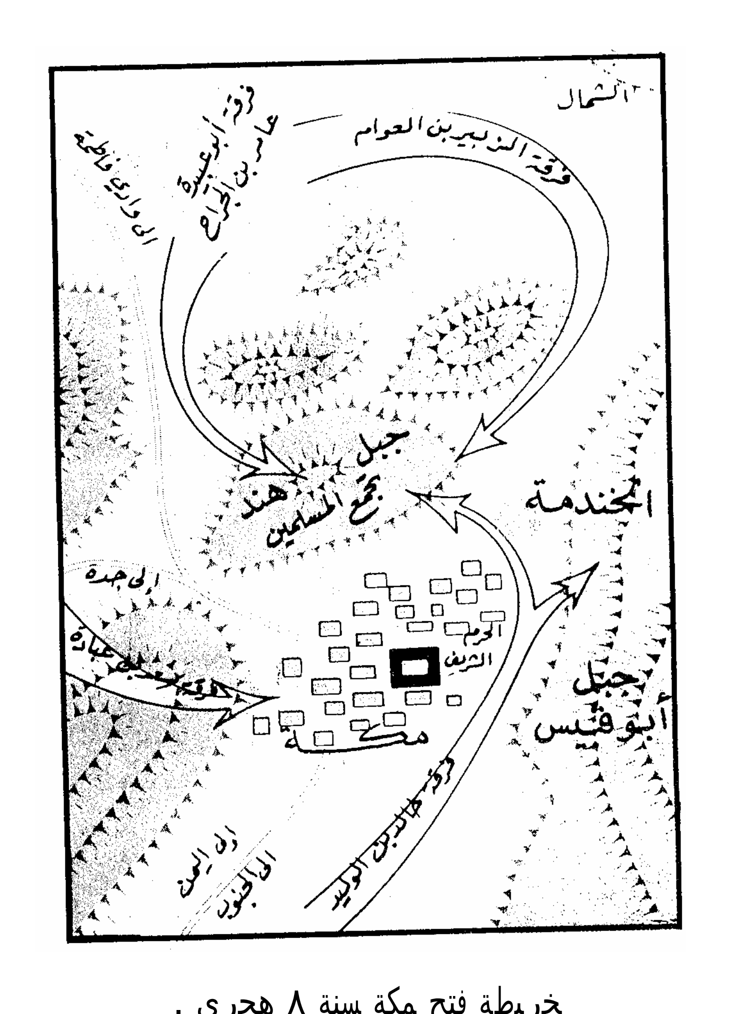
(٣) ابن هشام ٢٣/٣، الطبرى ١٥٦/٢، ابن عبد البر، ص ٢١٥،ابن الاثير ١٥٦/٢.

وأعلن: "من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابـه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن".[٤]

وأراد الرسول {ﷺ} أن يشعر أبا سفيان بقوة المسـلمين، فأمر العباس أن يوقفه بخطم الوادى ليرى الجيش الإسـلامى وسلاحه. فرعب أبو سفيان

---

(٤) ابن هشام ٢٦/٤، ابن سعد ١٣٥/٢، الطبرى ١٥٨/٢، ابن عبـد البر، ص ٢١٦-٢١٧.
ابن الاثير ١٦٦/٢



خريطة فتح مكة سنة ٨ هجرى .

المصدر : إسماعيل الفاروقى وآخرون ، ص ٢٩٠

قال: " وا   ما لاحد بهؤلاء قبل، وا   يا أبـا الفضـل- العباس- لقد أصحب ملك ابن أخيك عظيما، فقال العباس: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: نعم".[1]

وعاد أبو سفيان مسرعا إلى مكـة ينـادى بـأعلى صوته: " يا معشر قريش هذا محمد {ﷺ}- قد جاءكم فيما لا قبل لكم به".[2]

وقسم الرسول {ﷺ} الجيش إلى عدة فرق كل فرقة تدخل من جهة فدخل الزبير بن العوام من كدى، وخالد بن الوليـد من الليط، وسعد بن عبادة[3] من كداء وأبو عبيدة بن الجراح على صفوف من المسلمين بين يـدى رسـول ا ، ودخـل

---

(١) ابن هشام ٢٦/٤، ابن سعد ١٣٥/٢، الطبرى ١٥٨/٢، ابن عبـد البر، ص٢١٧،

ابن الاثير ١٦٦/٢.

(٢) ابن هشام ٢٦/٤، الطبرى ١٥٨/٢ ، ابن الاثير ١٦٦/٢.

(٣) استبدل الرسول صلى ا   عليه وسلم على بن أبى طالب لما سـمع من سعد بن عبادة أنه قال عندما اقترب من مكة: "اليوم يوم الملحمـة، اليوم تستحل الحرمة". فسمعها رجل من المهاجرين، فقال: يا رسـول ا ، اسمع ما قله سعد بن عبادة ومانا من ان تكون لـه صـوله فـى قريش.. ابن هشام ٢٨/٤، الطبرى ١٥٩/٢، ابن الاثير ١٦٦/٢

الرسول {ﷺ} من آذاخر حتى نزل بأعلى مكة، وضربت لـه هناك قبة.[٤]

ونهى الرسول {ﷺ} عن قتال أهل مكـة إلا مـن قاتـل، وحدثت مناوشات بين خالد بن الوليد ومشركى مكـة بقيـادة صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل فى جمع من قريش بالخندمة حيث منعوه من الدخول وشـهروا السلاح ورموا بالنبل. وتمكن خالد من التغلب علـيهم وقتـل منهم أربعة عشر رجلا. ولم يلق الجيش الإسلامى قتالاً غير خالد بن الوليد ولهذا قيل أن مكة فتحت عنوة.[٥]

وأراد الرسول {ﷺ} قتل نفر من أهـل مكـة حتـى وان وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد ا بن سـعد بـن أبـى السرح لأنه كان قد أسلم، وكان يكتب الوحى ثم ارتـد إلـى الشرك، ففر إلى عثمان بن عفان أخيه فى الرضاعة وشفع له عند الرسول {ﷺ}.[٦]

---

(٤) ابن هشام ٢٨/٢-٢٩ ، ابن سعد ١٣٦/٢ ، ابن عبد البـر ، ص ٢١٨

(٥) ابن سعد ١٣٦/١ ، ابن عبد البر، ص ٢١٨ –٢١٩.

(٦) ابن هشام ٣٠/٤ ، الطبرى ١٦٠/٢ ، ابن عبد البـر، ص ٢١٩ ، ابن الاثير ١٦٨/٢-١٦٩.

ولم نزل الرسول {ﷺ} مكة وأطمان الناس، طاف بالبيـت الحرام سبع أشواط.[1] وأمر بتحطيم الأصـنام التـى حـول الكعبة وقال: "جاء الحق وزهق الباطـل إن الباطـل كـان زهوقا".[2]

وأعطى مفاتيح الكعبة إلى عثمان بن طلحة،[3] والسـقاية إلى العباس بن عبد المطلب.[4]

وجمع الرسول {ﷺ} أهل مكة وقال: "يا معشر قريش مـا ترون، ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم قال: " اذهبوا فانتم الطلقاء".[5]

ولما انتهى الرسول {ﷺ} من بيعة الرجال، بايع نساء من قـــــريش[6] وبعـــــــث الرســـــــول {ﷺ} السرايا حول مكة يدعو تلك القبائل للدخول فى الإسلام؛ ولم يأمرهم بقتال.[7]

---

(١) ابن هشام ٣٢/٤.

(٢) ابن سعد ١٣٦/١

(٣) ابن هشام ٣٣/٤ ، ابن عبد البر، ص ٢٢٠

(٤) ابن سعد ١٣٧/٢

(٥) ابن هشام ٣٣/٤ ، الطبرى ١٦١/٢

(٦) الطبرى ١٦١/٢ ، ابن الاثير ١٦١/٢

(٧) ابن عبد البر، ص ٢٢٢.

ولقد كان لفتح مكة أثر عظيم فى انتشار الإسـلام، فـإن استيلاء الرسول {ﷺ} على الكعبة بعد اتجاه القبلـة نحوهـا، جذب كثيراً من القبائل العربية للإسلام.[8]

غزوة حنين ٨ هـ :

غز الرسول {ﷺ} حنين فى شوال سنة ثمان للهجرة، بعد فتح مكة أدركت قبيلة هوازن أن تحشد حشـودها وسـاندتها قبائل ثقيف، ونصر، وجشـم[1] وتسـارع بـالهجوم علـى المسلمين قبل أن يغزوهم.[2]

جمع مالك بن عوف النضرى هوازن بأموالهم ونسـائهم وأبنائهم ونزلوا بأوطاس وخرج رسول ا {ﷺ} من مكة فى اثنى عشر ألفا من المسلمين، وقال أبو بكر لا نغلب اليوم من قلة واستعار الرسول {ﷺ} من صفوان بن أمية وهو يومئـذ على الشرك مائة درع بأداتها.

وعبأ الرسول {ﷺ} أصحابه فى السحر ووضـع الألويـة والرايات مع أهلها، لواء المهاجرين مع على بن أبى طالب،

---

(٨) على ابراهيم حسن ، ص ٢١٠.

(١)ابن هشام ٤/٤٩-٥٠ ، الطبرى١٦٥/٢ ، ابن عبد البر، ص٢٢٣ ، ابن الاثير ١٧٧/٢

(٢)ابن الاثير ١٧٧/٢

ولواء الخزرج مع حباب بن المنذر وقيل مع سعد بن عبـادة ولواء الأوس مع أسيد بن حضير وجعل خالد بن الوليد على مقدمته فى قبيلة سليم.

وزحف الجيش الإسلامى إلى وادى حنين ومـر بـوادى ضيق وكانت هوازن فى كمائن على جنبات الوادى فحملـوا على المسلمين حملة واحدة وتفرق شمل الجيش الإسلامى من هول المفاجأة.[٣]

وصمد رسول ا {ﷺ}، ونادى على الناس: "يا أنصار ا وأنصار رسوله أنا عبد ا ورسوله" وثبت مع الرسول {ﷺ} العباس ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب والفضـل بـن العباس وأبو بكر وعمر.[٤]

وطلب الرسول {ﷺ} من العباس ينادى بصـوت مرتفـع على المسلمين لجمع صفوفهم، وحملوا على المشركين بقـوة وأشرف الرسول {ﷺ} على سير القتال وأشتد القتال، وقـال الرسول {ﷺ}: " الآن حمى الوطيس".[٥]

---

(٣)ابن سعد ١٤٩/٢-١٥١.

(٤)ابن سعد ١٥١/٢ ، ابن هشام ٥٤/٤ ، الطبرى ١٦٧/٢ ، ابن عبد البر، ص٢٢٥
ابن الاثير ١٧٨/٢.

(٥)ابن سعد ١٥١/٢ ، ابن هشام ٥٦/٤، الطبرى ١٦٨/٢، ابن عبـد البر، ص ٢٢٦

وحلت الهزيمة: بهوازن وقتل منهم سبعون، وفروا مـن ميدان القتال وتوجه بعضهم إلى الطائف، والبعض الآخر إلى وادى نخلة، وأوطاس[1] واستشهد من المسلمين يـوم حنـين أربعة رجال.[2]

وجمع رسول ا {ﷺ} الغنائم والسبايا فى الجعرانة وعين عليها مسعود بن عمرو الغفارى، ولم يقسمها حتى زحف إلى الطائف.[3]

سار الرسول {ﷺ} إلى الطائف فأغلقـت ثقيـف أبـواب الطائف وبدأت المناوشات بين الجانبين وأصيب نفـر مـن المسلمين بالنبل ودام حصار المسـلمين للطـائف عشـرين يوماً،[4] وقيل ثمان عشـر يومـاً ونصـب الرسـول {ﷺ} المنجنيق لحصار الطائف.[5]

وأمر الرسول {ﷺ} بقطع أعنابهم ثم سألوه ان يكف عنها فتركها[6] واستشهد من المسلمين فى حصار الطـائف اثنـا عشر رجلا.[7]

---

(١) ابن هشام ٦٠/٤ ، الطبرى ١٧٠/٢
(٢) ابن عبد البر، ص ٢٢٨.
(٣) ابن هشام ٦٤/٤ ،ابن عبد البر، ص ٢٢٨
(٤) ابن هشام ٧٧/٤ ، الطبرى ١٧٢/٢ ، ابن عبد البر، ص ٢٢٩
(٥) ابن سعد ١٥٨/٢
(٦) ابن هشام ٧٧/٤، ابن سعد ١٥٨/٢، الطبرى ١٧٢/٢ ، ابن عبـد البر، ص ٢٢٩

عاد الرسول {ﷺ} إلى الجعرانة لتقسيم الغنائم، وكان قـد سبى من هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء، ومن الأبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية.(٨)

وجاء وفد من هوازن إلى الرسول {ﷺ}، وطلبوا منـه أن يمن عليهم بالسبئ. وخيرهم رسول ا بين أبنائهم ونسائهم أم الأموال فاختاروا النسـاء والأبنـاء. وقـال لهـم الرسـول {ﷺ} : أما ما كان لى وبنى عبد المطلب فهو لكم.(٩)

ورد المهاجرون والأنصار وبنو تميم، وفزارة، وبنو سليم السبايا إلى هوازن(١٠) ورد الرسول {ﷺ} إلى مالك بن عوف النضرى أهله وماله وأبله وأسلم وحسن إسلامه.(١١)

وأعطى رسول ا {ﷺ} المؤلفـة قلـوبهم مـن قـريش وغيرهم بسخاء، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان

---

(٧) ابن هشام ٨٠/٤ ، الطبرى ١٧٣/٢.
(٨) ابن سعد ١٥٢/٢ ، ابن هشام ٨١/٤ ، الطبرى ١٧٣/٢
(٩) ابن هشام٨٤/٢ ، ابن سعد ١٥٥/٢ ، الطبرى ١٧٣/٢
(١٠) ابن هشام ٨٢/٢ ، الطبرى ١٧٣/٢-١٧٤ ، ابن عبد البـر، ص ٢٣٠
(١١) ابن هشام ٨٣/٢ ، الطبرى ١٧٤/٢.

بن حرب مائة بعير، وابنه معاوية مائة بعير، وحكـيم بـن حزام مائة بعير ، والحارث بن كلادة مائة بعير.[1]

وأعطى رسول ا {ﷺ} قريش والعرب بكثرة من تلـك الغنائم. ولم يكن للأنصار منها شئ. وجد هـذا الحـى مـن الأنصار فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قالوا: لقـى رسول ا قومه! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسـول ا ، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفئ الذى أصـبت؛ قسـمت فـى قومـك، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب، ولم يكن لهذا الحى من الأنصار منها شئ! قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول ا ، ما أنا الا من قومى. قال: فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة.[2]

وأتاهم رسول ا {ﷺ}، فحمد ا . ثم قال: "يـا معشـر الأنصار، مقالة بلغتنى عنكم، وجدة وجـدتموها علـى فـى أنفسكم آلم اتكم ضالا فهداكم ا ، وعالة فاغناكم ا ، وأعداء فألف ا بين قلوبكم! قالوا: بلى وا ورسوله آمن وأفضل"!.

---

(١) ابن هشام ٨٥/٢ ، ابن سعد ١٥٢/٢ ، الطبرى ١٧٥/٢ ، ابن عبد البر، ص ٢٣١

(٢) ابن هشام ٨٩/٤ ، الطبرى ١٧٦/٢ ، ابن عبد البر، ص ٢٣٥.

ثم قال: ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول ا ؟ ا ولرسوله المن والفضل. قـال رسـول ا {ﷺ}: "أما وا لو شئتم لقلتم، فلصدقتم ولصـدقتم": أتينـاك مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصـرناك، وطريـدا فأويناك، وعائلا فآسيناك، ألا ترضون يا معشر الأنصـار أن يـذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول ا إلى رحالكم؟ فـو الذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصـار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسـلكت شـعب الأنصار! اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبنـاء الأنصار؟[1] فبكى الأنصار، وقالوا رضينا برسول ا قسـما وحظاً.[3]

خرج رسول ا {ﷺ} من الجعرانة معتمرا، واسـتخلف على مكة عتاب بن أسيد، وخلف معه معاذ بن جبـل يعلـم الناس القرآن وشرائع الدين الإسلامى وبعد ذلك عاد الرسول {ﷺ} إلى المدينة.[4]

---

(٣) ابن هشام ٨٩/٤-٩٠ ، الطبرى ١٧٦/٢-١٧٧ ، ابن عبد البـر، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٤) ابن هشام ٩٠/٤ ، الطبرى ١٧٧/٢.

الفصل الرابع عشر
كتب الرسول {ﷺ} إلى الملوك والأمراء
وتوحيد شمال الجزيرة العربية

لما عاد الرسول {ﷺ} من صلح الحديبية فى ذى الحجـة فى السنة السادسة للهجرة أرسل كتباً إلى الملوك والأمـراء يدعوهم إلى الإسلام[1] ، ويبشرهم بأنه بعث رحمة للعـالمين كافة.[2]

أولا- الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية:

بعث الرسول {ﷺ} إلى الملوك خارج الجزيرة العربيـة وهـم:-

١ - عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى :

حمل عمرو بن أمية كتاب الرسول {ﷺ} إلى النجاشـى. وزوده بكتابين إليه إحداهما يدعوه إلى الإسلام، ويتلو عليـه القرآن. فأخذ كتاب الرسول {ﷺ}. ووضـعه علـى عينيـه

---

(١) ابن سعد ٢٥٨/١

(٢) ابن هشام ١٦٣/٤

ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعا ثم أسلم. وشهد شهادة الحق.

وقال: لو كنت استطع الذهاب إليه لذهبت. وكتـب إلـى الرسول {ﷺ} بإجابته إلى الإسلام على يد جعفر بـن أبـى طالب.

والأخر يطلب منه الرسول {ﷺ} أن يبعث له المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وبقوا هناك. وأن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان التى تنتظر زوجها فى الحبشة ومات.(٣)

٢ - دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل:

بعث الرسول {ﷺ} دحية بن خليفة الكلبى إلـى هرقـل قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام(٤) وقرأ هرقل الكتاب فقال يا معشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد. وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قاله عيسى بن مريم قالت الروم: ومـاذاك أيهـا

---

(٣) ابن سعد ٢٥٨/١-٢٥٩ ، الطبرى ١٣١/٢-١٣٢

ابن الاثير ١٤٥/٢ ، وانظر ايضا: المقريزى ٢٣٤/١-٢٣٥.

(٤) ابن سعد ٢٥٩/١ ، الطبرى ١٢٩/٢ ، ابن الاثير ١٤٣/٢ ، ابو الفداء ١٧٧/١ .

الملك. قال: تتبعون هذا النبى العربى وجمع هرقل بطارقتـه وأخبرهم[(١)] ولكنهم حذروه وخشى على نفسه منهم.[(٢)]

٣- عبد ا بن حذافة السهمى إلى كسرى:

سار عبد ا بن حذافة بكتاب الرسول {ﷺ} إلى كسـرى فارس،وأغاظ كسرى فى الرد، فدعا عليـه الرسـول {ﷺ} بقوله: "اللهم مزق ملكه".[(٣)]

٤-حاطب بن أبى بلتعة اللخمى إلى المقوقس:

حمل حاطب بن أبى بلتعة كتاب الرسول {ﷺ} متوجهـا إلى المقوقس الحاكم البيزنظى على مصـر، ليـدعوه إلـى الإسلام. وأحسن المقوقسى الرد وبعث إليه بجاريتين، ولكنه لم يسلم.[(٤)]

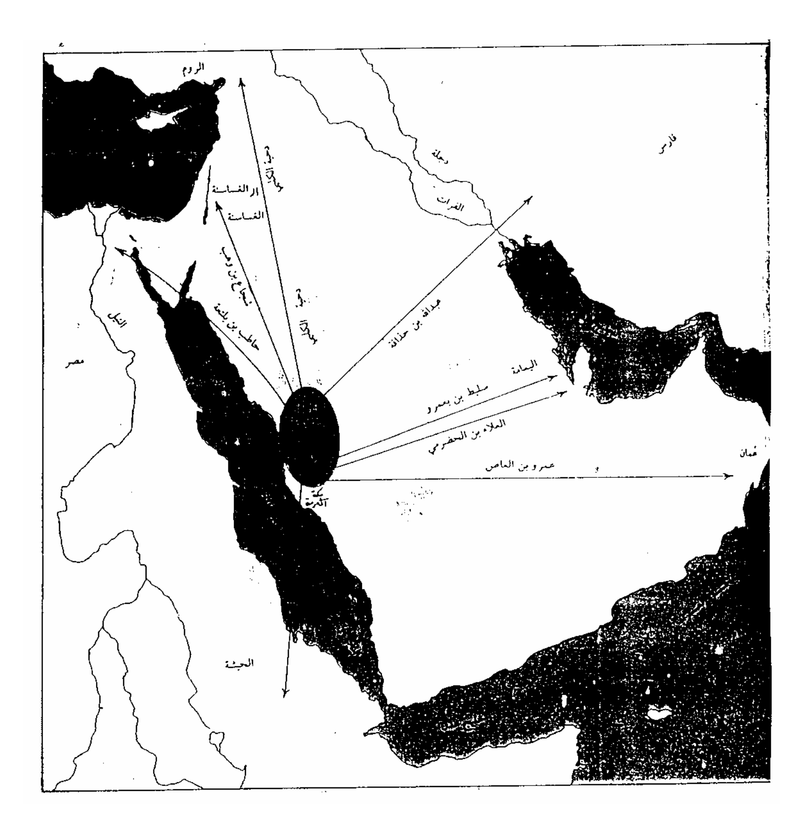
---

(١) ابن سعد ٢٥٩/١

(٢) ابن سعد ٢٥٩/١ ، الطبـرى ١٣١/٢ ،ابـن الاثيـر ١٤٤/٢ ، المقريزى ٢٣٤/١

(٣) ابن سعد ٢٦٠/١ ، الطبرى ١٣٢/٢-١٣٣ ، ابن الاثير ١٤٥/٢ ، ابو الفداء ١٧٦/١
المقريزى ٢٢٤/١-٢٢٥

(٤) ابن سعد ٢٦٠/١ ،ابو الفداء ١٧٧/١ ، المقريزى ٢٣٤/١.



تخطيط "كتب الرسول {ﷺ} إلى الملوك والأمراء داخل الجزيرة العربية وخارجها"

المصدر : فايد حماد عاشور وآخرين ، تاريخ دول للأسلام الأولى فى عهد الرسول والخلفاء الراشدون ، الطبعة الأولى ، قطر ، ١٩٨٩ م ، شكل رقم (٥) .

ثانيا- الدعوة الإسلامية إلى أمراء الجزيرة العربية:

كتب الرسول {ﷺ} إلى أمراء الجزيرة العربية رسـائل يدعوهم إلى الإسلام. وتعد هذه السياسة نقطة تحول جوهرية فى تاريخ بلاد العرب، لتوحيدها سياسيا ودينيا.(١)

١ - العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى :

سار العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبـدى أمير البحرين يدعوه إلى الإسلام. وأسلم المنذر بـن سـاوى ومعه أهل هجر، وقبل الجزية من اليهود والمجوس عن كل حالم دينار.(٢)

٢ - عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى :

خرج عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابنـى الجلنـدى، وهما من الأزد. أميرى عمان يدعوهما إلى الإسلام. فأجابـا إلى الإسلام وصدقا النبى {ﷺ}.(٣)

٣ - شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شـمر الغسانى:

---

(١) محمد جمال الدين سرور ، ص ١٢١

(٢) ابن سعد ٢٦٣/١ ، ابن الاثير ١٤٦/٢ ، ابـو الفـداء ١٧٧/١ ، المقريزى ٢٣٤/١-٢٣٥

(٣) ابن سعد ٢٦٢/١-٢٦٣

سار شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر يدعوه إلى الإسلام. ولكنه رفض قائلا: "من ينتزع منى ملكى؟".[٤]

٤ - سليط بن عمرو العامرى إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن على :

بعث النبى {ﷺ} سليط بن عمرو إلى ثمامة بـن أثـال، وهوذة ابن على أمير اليمامة يدعوه إلى الإسلام. ولكنه لـم يرد على النبى {ﷺ} وطلب أن يكون له بعض الأمر.[٥]

٥ - معاذ بن جبل ومالك بن مرارة إلى أهل اليمن :

أرسل النبى {ﷺ} إلى أهل اليمن معاذ بن جبل، ومالـك بن مرارة كتابا يخبرهم فيه بشرائع الإسلام وفرائض الصدقة فى المواشى والأموال ويوصيهم بأصحابه ورسله خيرا.

---

(٤) ابن سعد ٢٦١/١ ، الطبرى ١٣١/٢ ، ابن الاثير ١٤٥/٢ ، ابـو الفداء ١٧٧/١
المقريزى ٢٣٤/١

(٥) ابن هشام ١٦٤/٤ ، ابن سعد ٢٦٢/١ ، ابن الاثيـر ١٤٦/٢ ، ابو الفداء ١٧٧/١
المقريزى ٢٣٤/١-٢٣٥

وكتب الرسول إلى كلاب بن الحارث بـن عبـد كـلال، وشريح بن عبد كلال، ونعمان قيـل ذى يـزن، ومعـافر، وهمدان.[٦]

غزوة مؤتـ ـ ـة ٨ هـ :

كان سبب غزوة مؤتة[١] مقتل الحارث بن عميـر الأزدى الذى بعثه الرسول {ﷺ} بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نـزل مؤتة اعترضه شرحبيل بن عمـرو الغسـانى فقتلـه. وأراد الرسول {ﷺ} أن يثأر لمقتل الحارث.[٢]

كما أراد الرسول {ﷺ} أن يشعر العـرب فـى شـمال الجزيرة بقوة المسلمين ليحفزهم على الانضمام إليهم بـدافع العروبة.[٣]

---

(٦) ابن سعد ٢٦٤/١-٢٦٥

(١) وردت غزوة عند معظم المؤرخين، بينما ذكرها ابن سعد والحلبى بسرية ابن سعد ١٢٨/٢ ، الحلبى ٧٩٣/٢

(٢) ابن سعد ١٢٨/١ ، ابو الفداء ١٧٨/١ ، الذهبى ٤٠١/١ ، ابن قيم الجوزية ٢٢٤/٢.

المقريزى ٢٥٩/١ ، الحلبى ٧٨٦/٢.

(٣) عروة بن الزبير، ص ٢٠٤، ابن هشام ٦/٤ ، ابن سعد ١٢٨/١ ، الطبرى ١٤٩/٢

ندب الرسول {ﷺ} الناس للخروج لملاقاة الروم، فتجمع ثلاثة الآف واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقـال: إن قتـل فجعفر بن أبى طالب، وقال: إن قتل فعبد ا بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلا يسندون إليه القيادة.

دعا رسول ا {ﷺ} الناس ليكونوا فى وداع هذا الجيش وأوصاهم بتقوى ا ومن معهم من المسـلمين، وإذا لقيـت العـدو فـادعهم إلـى ثلاثـة الإسـلام، أو الجزيـة ، أو القتال[٤] .إلخ.

سار الجيش الإسلامى حتى نزل معان من أرض الشـام، فوردت الأخبار أن هرقل نزل مآب من أرض البلقاء فى ألف من الروم وانضم إليهم حلفاؤهم من لخـم وجـذام والقـين وبهراء فى مائة ألف عليهم رجل من بلى ومالك بن رافلـة الاراشى.

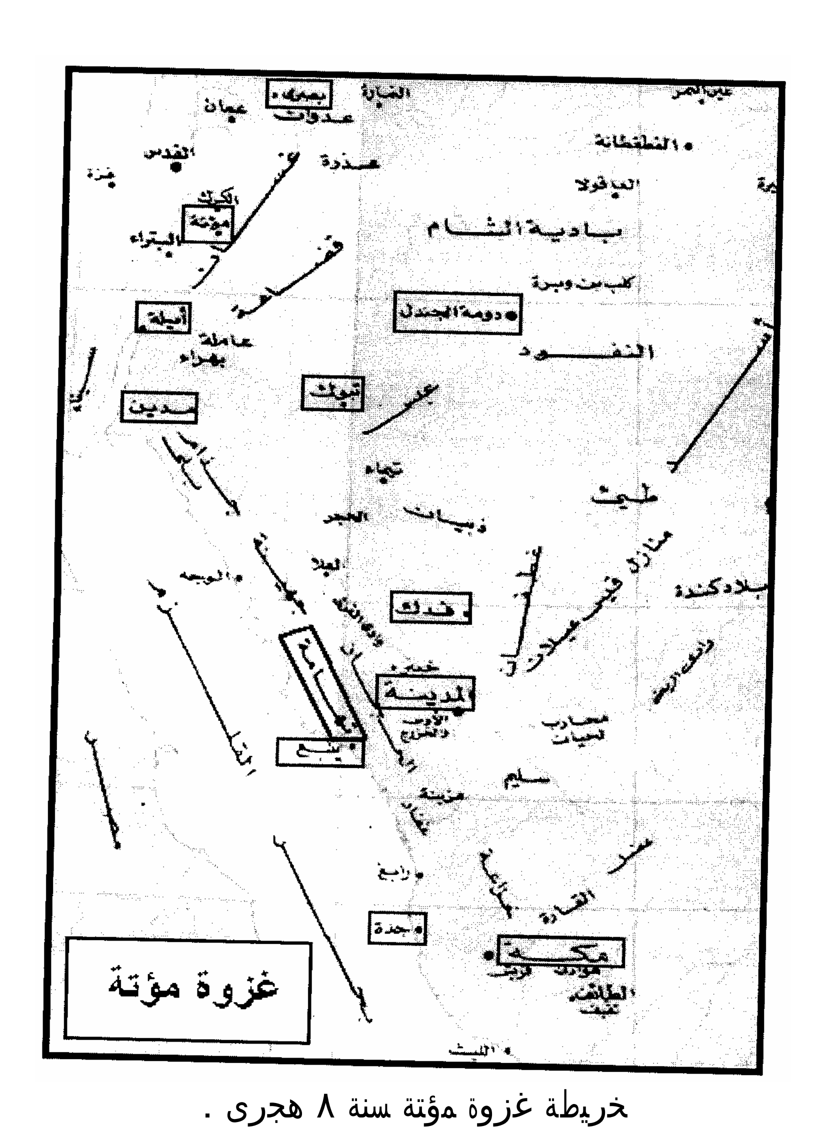
ابن الاثير ١٥٨/٢ ، ابو الفداء ١٧٨/١ ، الذهبى ٤٠١/١ ، ابـن قيم الجوزية ٢٢٤/٢

ابن كثير ٢٧٥/٤ ، المقريزى ٢٥٩/١ ، الحلبى ٧٨٦/٢-٧٨٧.

(٤) المقريزى ٢٥٩/١-٢٦٠ ، الحلبى ٧٨٧/٢.

أحمد الشريف ، ص ٥٣٤ ، هاشم الملاح ، ص ٢٩٨

السيد عبد العزيز سالم ، ص ١٣٤.



خريطة غزوة مؤتة سنة ٨ هجرى .

المصدر : WWW.THAMAH.NET_MAN-NIC.NHN?F=٢١

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم واقترحوا الكتابة إلى الرسول {ﷺ} يخبروه بحشـود الروم الهائلة. لكى يمدهم بمدد آخر أو يأمرهم بالعودة.

ورغب عبد ا بن رواحة فى مواصلة السـير وشـجع الناس على ذلك فقد قال: "يا قوم، وا إن التى تكرهون التى خرجتم تطلبون الشهادة، وما تقاتل الناس بعدد ولا قـوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا ا به، فـانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنين: إما ظهرو، وإما شهادة" [(١)] وكـان لمقالة عبد ا بن رواحة أثر كبير فقد شجعت النـاس علـى المضئ لساحة القتال الذى دار بين المسلمين والـروم عنـد مشارف من قرى البلقاء وكان على ميمنة المسلمين قطية بن قتادة، وعلى ميسرتهم عباية بن مالك.

ودار القتال بين المسلمين والبيـزنطين وأبلـى الجـيش الإسلامى بلاء حسنا، وقاتل زيد بن حارثة حامل الرية حتى

---

(١) عروة بن الزبير، ص ٢٠٥ ، ابن هشام ٧/٤ ، الطبرى ١٤٩/٢ ، ابن عبد البر، ص ٢٠٩.

ابن الاثير ١٥٩/٢ ، الذهبى ٤٠٢/١ ، ابن قيم الجوزية ٢٢٤/٢ ، ابن كثير ٢٧٧/٤

المقريزى ٢٦٠/١ ، الحلبى ٧٨٧/٢-٢٨٨.

استشهد، ثم حمل الراية جعفر بن أبى طالب حتى اشتد القتال وعقر فرسه، وكان أول من عقر فى الإسلام فرسه. واستشهد جعفر وأخذ الراية منه عبدا بن رواحة وواصل القتال حتى استشهد ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم. ووقع اختبار الجند على خالد بن الوليد فدفع إليه ثابت بن أقـرم بالرايـة[٢] ولقـب الرسول {ﷺ} خالد بن الوليد بسيف ا المسلول.[٣]

وتمكن خالد بن الوليد من الانسحاب من ميدان المعركـة انسحاباً منظماً ليجنب المسلمين مـن هـذه المعركـة غيـر المتكافئة من حيث العدد والعتـاد. ودون أن يشـعر الـروم بخطته.

ولما دنا هذا الجيش من المدينة تلقاهم رسـول ا {ﷺ} والمسلمون- ولقى هذا الجيش فتـوراً مـن أهـل المدينـة

---

(٢) عروة بن الزبير، ص ٢٠٥-٢٠٦، ابن هشام ١٠/٤ ، ابن سـعد ١٢٩/١ ، الطبرى ١٥١/٢

ابن عبد البر، ص ٢٠٩-٢١٠ ، ابن الاثيـر ١٦٠/٢ ، الـذهبى ٤٠٦/١ ،

ابن قيم الجوزية٢٢٥/٢ ، ابن كثير ٢٨٣/٤ المقريزى ٢٦١/١ ، الحلبى ٧٨٩/٢

(٣) الطبرى ١٥١/٢ ، ابن كثير ٢٨١/٤ ، الحلبى ٢٨٩/٢

ويعيروهم بأنهم فروا من ميدان القتـال. ولكـن رد علـيهم رسول ا {ﷺ} بقوله: "ليسو بالفرار، ولكنهم بالكرار".[1]

نتائج غزوة مؤتـة:

١- كانت أول لقاء بين المسلمين والغساسنة والروم.

٢- اعتبرها الرسول {ﷺ} بداية سلسلة من الحروب بـين المسلمين والبيزنطين.

٣- فتحت المجال أمام القبائل الضاربة فى الشمال للـدخول فى الإسلام.

٤- شجعت قريش على نقض صلح الحديبية والعودة إلى ما كان الحال عليه بينهم وبين المسلمين إلى نقطة البدايـة أى قبل صلح الحديبية.[2]

---

(١) ابن هشام ١٢/٤ ، ابن سعد ١٢٩/٢ ، الطبـرى ١٥٢/٢ ، ابـن الاثير ١٦١/٢
الذهبى ٤٠٦،٤١٠/١ ، ابن كثيـر ٢٨٣/٤ ، الحلبـى ٧٨٨/٢، ٧٩٣ ، ٢٨٩

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، ص ١٢٧-١٢٨.

غـــزوة تبـــوك ٩هـ :

بلغ النبى {ﷺ} من الأنباط الذين يفدون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم حشدت جموعا كثيرة بالشـام ومعهـم حلفاؤهم من لخم، وجذام، وعاملة وغسان وزحفـوا صـوب البلقاء.[١]

وأمر الرسول {ﷺ} أصحابه بالاستعداد لغزو الروم وكان قبل ذلك لم يعلن الرسول {ﷺ} عن المكان الذى يريد غزوه إلا هذه الغزوة.

وكانت الظروف فى هذه الغزوة صعبة ولذلك أطلق على تلك الغزوة زمن العسرة، لشدة الحر، وجدب البلاد، ووقـت جنى الثمار. وكان الناس يفضلون البقاء فى المدينة فى ذلـك الوقت لجنى الثمار.[٢]

وكان الرسول {ﷺ} ينظر إلى الظروف بنظرة ثاقبـة . ويرى ضرورة التصدى للرومان خشية أن ينتهز المنـافقون فرصة مجئ الرومان إلى المدينة ويتربصـون بالمسـلمين ،

---

(١) ابن سعد ١٦٥/٢

(٢) ابن هشام ٩٦/٢ ، الطبرى ١٨١/٢ ، ابن عبد البـر، ص ٢٣٨ ، ابن الاثير ١٨٩/٢.

ويتصلون بالإمبراطور الرومـانى بواسـطة أبـى عـامر ويوجهون ضربة من الخلف بالمسلمين . فـى حـين تهجـم الرومان بحملة ضاربة ضد المسلمين من الأمـام . لـذا لا نستغرب أن يقرر الرسول {ﷺ} الرحيل لملاقاة الروم . [٣]

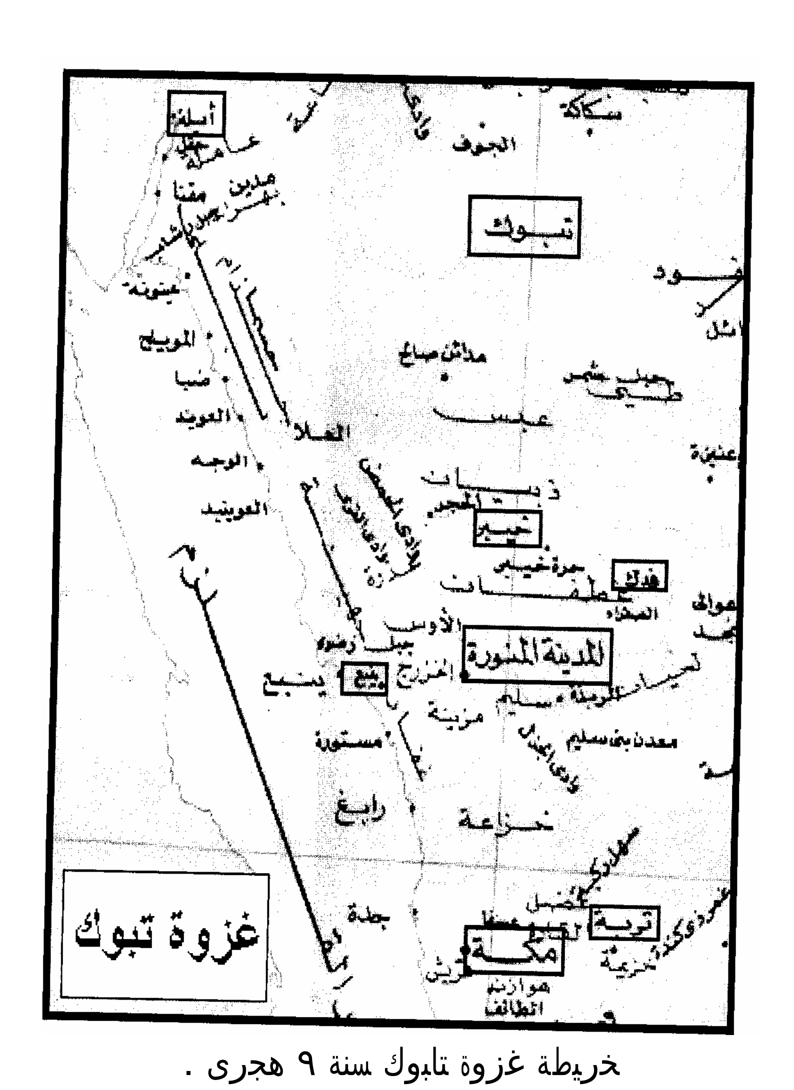
وبعث الرسول {ﷺ} إلى مكة يستنفر القبائل العربيـة[٤] وحاول المنافقون تثبيط همم الناس فاجتمعوا عند بيت سويلم اليهودى فبعث رسول ا {ﷺ} طلحة بن عبيد ا فى نفـر من المسلمين واحرقوا عليهم البيت.[٥]

---

(٣) المباركفورى ، ص ٥١١ .

(٤) ابن سعد ١٦٥/٢

(٥) ابن عبد البر، ص ٢٣٨ ، ابن خلدون ٤٩/٢.



خريطة غزوة تابوك سنة ٩ هجرى .

المصدر : WWW.THAMAH.NET_MAN-NIC.NHN?F=١٩

وتخلف فى هذه الغزوة المنافقون والمعذرون من الأعـراب واستخلف الرسول على المدينة محمد بن مسلمة،[١] وقـيل سباع بن عرفطة.[٢] وحث رسول ا {ﷺ} أهل الغنى على النفقة،[٣] وانفق أبو بكر الصديق جميع ماله.[٤] وأنفق عثمان بسخاء فجهز جماعة من المعسرين فى تلك الغزوة وروى أنه حمل فى تلك الغزوة على تسعمائة بعير ومائة فرس[٥] وأنفق ألف دينار.[٦]

سار الرسول {ﷺ} فى ثلاثين ألفا مـن المسـلمين إلـى تبوك، وهرقل يومئذ بحمص.[٧]

ولما وصل الرسول {ﷺ} إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤيـة صاحب أيلة فصالحه رسول ا وأعطاه الجزية [٨] على كل

---

(١) ابن سعد ١٦٥/٢

(٢) الطبرى ١٨٣/٢ ، ابن الاثير ١٩٠/٢

(٣) اليعقوبى ٦٧/٢

(٤) ابن الاثير ١٩٠/٢

(٥) وردت ٣٠٠ بعير عند ابن الاثير ١٩٠/٢

(٦) ابن عبد البر ، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٧) ابن سعد ١٦٦/٢

(٨) ابن هشام ١٠٤/٤ ، الطبرى ١٨٥/٢

حالم بأرضه دينار، فى السنة.[9] كما صـالح أهـل جربـاء وأذرح على الجزية.[10]

وكتب الرسول {ﷺ} إلى يحنة بن رؤية كتابا "بسـم ا الرحمن الرحيم هذه آمنة من ا ومحمد النبـى رسـول ا ليحنة بن رؤية، وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر، لهم ذمة ا ، وذمة محمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا فأنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طبيب لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يردونه من برأ وبحر".[11]

ثم بعث الرسول {ﷺ} خالد بن الوليد إلى اكيـدر دومـة الجندل بقوة مكونة من ٤٢٠ فارسا، وكان أكيدر رجلاً مـن كندة وكان نصرانيا وقدم خالد ابن الوليـد باكيـدر أسـيراً وصالحه الرسول {ﷺ} على الجزية.[1]

---

(٩) البلاذرى، فتوح البلدان، الجـزء الأول، تحقيـق صـلاح الـدين المنجدن مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٧١.

(١٠) ابن هشام ١٠٤/٤ ، الطبرى ١٨٥/٢

(١١) ابن هشام ١٠٤/٤

(١) ابن سعد ١٦٦/٢ ، ابن هشام ١٠٥/٤.

مكث الرسول {ﷺ} بتبوك عشرة ليلة.[٢] وقيـل عشرين ليلة.[٣] ثم عاد إلى المدينة ولم يشتبك مع الروم أو العرب[٤] وكانت آخر غزوة غزاها الرسول {ﷺ}.[٥]

كان لغزوة تبوك أثر عظيم على بسط نفوذ المسلمين على جزيرة العرب فقد تبين للناس أن الإسلام اشتد سـاعده. ولا يوجد منافس للدولة العربية. وقضت على آمال ممن تتحرك فى قلوبهم بقايا الجاهلية والمنافقين الذين كـانوا يتربصـون الدوائر بالمسلمين.

وكانوا قد عقدوا آمالهم بالرومان ، فقد استكانوا بعد هـذه الغزوة، واستسلموا للأمر الواقع . وقد امر ا بالتشديد فـى معاملة المنافقين حتى نهى عن قبول صدقاتهم ، وعن الصلاة عليهم ، والاستغفار لهم ، والقيام على قبرهم . وأمر بهـدم

---

(٢) ابن هشام ١٠٥/٤ ، الطبرى ١٨٥/٢ ، ابن عبد البر، ص ٢٤٢، ابن الاثير ١٩٢/٢

(٣) ابن سعد ١٦٦/٢ ، ابو الفداء ١٤٩/١ ، ابن خلدون ٥٠/٢

(٤) ابن سعد ١٦٧/٢ ، ابن الاثير ١٩٢/٢

(٥) ابن سعد ١٦٧/٢.

وكـرة دسهم وتآمرهم التى بنوها باسم المسجد ، وأنزل فيهم آيات افتضح أمرهم فيها .(٦)

كسبت الدولة الإسلامية عدد من القبائل العربية القاطنة فى شمال الجزيرة العربية إلى جانب الدولة الإسلامية وقطعـوا علاقتهم مع الروم.(٧)

بيـ ـان براءة :

لما حان موعد الحج فى السنة التاسعة للهجرة عهـد الرسول {ﷺ} إلى أبى بكر على إمارة الحج. ليقيم للمسلمين حجهم.

أصدر بيان براءة تضمنتها سورة من سور القـرآن الكريم هى سورة التوبة وفوض إلى على بن أبى طالب مهمة قراءتها على مشهد من جميع الحجاج بمكة.

بسم ا الرحمن الرحيم: ﴿ **براءةٌ من اللهِ ورسـولِهِ إِلى الَّذِين عاهدتم من المشْرِكِين (١) فَسِيحوا فِـي الأَرضِ أَربعةَ أَشْهرٍ واعلَموا أَنكُم غَير معجِزِي اللهِ وأَن الله مخْزِي الكَافِرِين (٢)** ﴾ **[التوبة: ١ - ٢]**

---

(٦) المباركفورى ، ص ٥١٨ - ٥١٩

(٧) عماد الدين خليل ، ص ٣٠٥.

أعلن البيان ان ا   برئ من المشركين. وأنه لا عهود بينهم وبين الدولة الإسلامية وتضمن بيان براءة ما يلى:

- نبذ العهود التى كان عقدها الرسول {ﷺ} مع القبائل التى وادعها والتى لم تدخل فى الإسلام.

- ألغى كل عقد أبرمه مع تلك القبائل وأمهلها أربعة أشهر لإشهار إسلامها. والدخول فى الدولة العربية الإسلامية. وإلا اعتبروا خارجين على نظامها ووجبت على المسلمين محاربتهم.

- جاء فى البيان أن مكة أصبحت بحرمها إسلامية بعد أن برئت الكعبة من الأصنام.

- الحج أصبح على الطريقة الإسلامية. وأنه لا يجوز لغير المسلمين أن يحج ويقترب من المسجد الحرام.

- يتعرض البيان للمنافقين فينذرهم بالعقاب وتبدأ السورة المذكورة بذكر براءة صادرة من ا   ورسوله إلى المعاهدين من المشركين.(١)

عام الوفود ٩ هـ :

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر:

أحمد الشريف ، ص ٥٥٦ – ٥٦٠   السيد عبد العزيز سالم ، ص ١٣٧ – ١٣٩.

فى السنة التاسعة للهجرة وفدت على الرسول {ﷺ} القبائـل العربية من كافة أنحاء الجزيرة يدخلون فى دين ا أفواجـا. ونزل قوله تعالى: ﴿ **إِذَا جاء نَصر اللهِ والْفَتْح (١) ورأَيـتَ الناس يدخُلُون فِي دِين اللهِ أَفْواجاً (٢)فَسبح بِحمـدِ ربـك واستَغْفِره إِنه كَان تَواباً (٣)** ﴾ **[سورة النصر]**

ومن الوفود التى قدمت على رسول ا {ﷺ}، وفـد مزينة، وأسد، وتميم، وعبس، وفـزارة، ومـرة ، وثعلبـة، ومحارب، وسعد بن بكر، وكلاب، وعقيل بن كعب.[(٢)]

(٢) ابن سعد ٢٩١/١ - ٣٥٩ ، ابن عبد البر، ص ٢٥٣ - ٢٥٨.

حجة الوداع ووفاة الرسول {ﷺ} :

خرج الرسول {ﷺ} فى السنة العاشرة لتأديـة فريضـة الحج، وعلى جبل عرفات ألقى خطبتـه المشـهورة علـى المسلمين: " أيها الناس، اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلـى ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هـذا وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكـم، فيسـألكم عـن أعمالكم، وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلـى مـن ائتمنه عليها ..".[١]

وانتقل الرسول {ﷺ} إلى الرفيق الأعلى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة[٢] بعد أن بلغ الرسالة وأدى الإمانة على أكمل وجه.

---

(١) ابن هشام ١٦١/٤

(٢) ابن عبد البر، ص ٢٧١.

الخلفـــــــــــــاء الراشدون
(١١-٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م)
الفصل الخامس عشر
أبو بكر الصديق (١١-١٣هـ / ٦٣٢-٦٣٤م)

التعريف بالخليفة

أبو بكر عبد ا بن أبى قحافة واسم أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.[١]

أمه أما لخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعـب بـن سعد بن تيم بن مرة.[٢] وعرف أبو بكر بعدة ألقـاب هـى:

---

١) ابن الاثير:الكامل فى التاريخ، الجزء الثانى، دار الفكر، بيـروت، ١٩٧٨، ص ٢٨٨.
السيوطى: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكـر العربى، القاهرة، د.ت ص ٢٩

(٢) الطبرى، تاريخ الطبرى، الجزء الثانى، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١،
ص ٣٥٠. ، ابن الاثير ٢٨٨/٢.

الصديق، لأنه أسرع بتصديق النبى {ﷺ}،[٣] والعتيق، لعتقه من النار، وقيل لرقه وجماله.[٤]

ولد أبو بكر بمكة بعد عام الفيل بعامين. واشتهر بالخصال الحميدة، ولم يشرب الخمر التى كانت منتشرة فى الجاهلية.[٥]

وكان أبو بكر من أثرياء مكة يعمل بالتجارة، ومن أهـل مشاورتهم وكان يسند إليه أمر الديات فى الجاهلية.[٦]

وأبو بكر أول من أسلم من الرجال، وكان الرسول {ﷺ} يقول : "ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبـوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر".[٧]

ولم يفارق أبو بكر النبى {ﷺ} حين أسلم إلى أن تـوفى، وشاهد معه كل الغزوات، وهاجر معه. [١]

---

(٣) السيوطى، ص ٢٩-٣٠.
(٤) ابن الاثير ٢٨٨/٢، السيوطى، ص ٢٩.
(٥) السيوطى، ص ٣٤.
(٦) السيوطى، ص ٣٣.
(٧) السيوطى، ص ٣٦-٣٧.
(١) السيوطى، ص ٣٨.

بيعـة السقيفـ ـة:

عندما انتقل الرسول {ﷺ} إلى الرفيق الأعلى، بعد أن بلغ رسالة ربه كاملة. إلى الأمة الاسـلامية هـز موتـه كبـار الصحابة هزا عنيفا.

وكان على رأس هذا الفريق عمر بن الخطاب ، فقد أبـى أن يصدق الخبر، وهدد من قال به برغم ما عرف عنه مـن قوة الشكيمة.[(٢)]

ولم يحتفظ برباطة جأشه سوى أبى بكـر الـذى واجـه الحقيقة فى قوة وشجاعة، فاستطاع أن ينقذ الموقـف ويـرد الناس إلى التفكير السليم، فخطب فيهم قائلا: " من كان يعبـد محمداً، فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد ا فان ا حى لا يموت".[(٣)]

وتلى عليهم قوله تعالى: ﴿ **وما محمد إلا رسولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِ الرسلُ أَفَإِن ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم علـى أَعقَـابِكُم ومـن**

(٢) احمد الشريف: دولة الرسول فى المدينـة، دار الفكـر العربـى، القاهرة د.ت، ص ٨٨-٨٩.

(٣) احمد الشريف ، ص ٩٧.

ينقلِب على عقِبيهِ فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكِرين ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

ولما سمع الأنصار فى المدينة خبر وفاة الرسول {ﷺ} سارعوا للاجتماع فى سقيفة بنى ساعدة، لمبايعة سعد بن عبادة.[(٤)]

وعلم أبو بكر بنبأ اجتماع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة فأسرع ومعه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، إلى السقيفة حيث دارت مناقشات عديدة. وأخذ كل فريق من المهاجرين والأنصار يعبر عن وجهة نظره بحقه فى الخلافة.

واستند الأنصار فى مطلبهم إلى سابقتهم فى الإسلام، فرد المهاجرون على لسان أبى عبيدة بن الجراح: "يا معشر الأنصار إنكم أول من ناصر وأزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير".[(٥)]

وعندما طلب الأنصار أن يكون الأمر بالمشاركة، منهم أمير ومن المهاجرين أمير. قال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم

---

(٤) ابن الاثير ٢٢٣/٢.

(٥) ابن الاثير ٢٢٣/٢.

الوزراء. وخطب عمر بن الخطـاب قـائلا: " يـا معشـر الأنصار فإنكم لا تذكرون منكم فضلا، الا وأنتم له أهل وأن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قـريش وهـم أوسط العرب داراً ونسباً. ولكن رضيت لكـم أحـد هـذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيد أبى بكـر وبيـد أبـى عبيدة".

وطلب عمر من أبى بكر أن يبسط يده ليبايعـه، وبايعـه المهاجرون والأنصار".[1]

ومن الجدير بالذكر أن اختيار أبى بكر الصديق تم لعـدة اعتبارات منها حسن بلائه فى الإسلام منذ نزل الوحى علـى الرسول {ﷺ}. وهجرته مع الرسول {ﷺ} إلـى المدينـة، فضلا عن انتمائه إلى قـريش عشـيرة العـرب، وإمامتـه للمسلمين فى الصلاة، عندما اشتد المرض بالرسـول {ﷺ}.[2]

وتلقى أبو بكر البيعة العامة فى المسجد فى اليوم التـالى حيث حدد فى خطابه ملامح منهاج حكمه " أيها الناس إنى قد

---

(١) ابن هشام ٢٠٤/٤ ، ابن الاثير ٢٢٠/٢.

(٢) احمد عبد الرازق: الحضارة الاسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٠، ص٤٦.

وليت عليكم، ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى، وإن اسأت فقومونى الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه، والقوى ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق إن شاء ا ، لايدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم ا بالذل، أطيعونى ما أطعت ا ورسوله فإذا عصيت ا ورسوله فلا طاعة لى عليكم".[٣]

أعمال أبى بكر الصديق:

١- إنفاذ جيش أسامة بن زيد:

جهز الرسول {ﷺ} جيشا لغزو بلاد الشام بقيادة أسامة بن زيد، وكان ضمن هذا الجيش عمر بن الخطاب. ولما توفى الرسول {ﷺ} ارتد العرب، وظهر النفاق . وتحرج موقف المسلمين لفقد نبيهم وقلة عددهم وكثرة عدوهم.

وطلب الناس من أبى بكر إبقاء هذا الجيش لحماية المدينة فى هذه الظروف الحرجة. فرد أبو بكر بحزم: والذى نفسى بيده لو ظنت أن السباع تختطفتنى لانفذت جيش أسامة.

---

(٣) ابن هشام ٢٠٥/٤ ، ابن الاثير ٢٢٤/٢ – ٢٢٥. السيوطى، ص ٧٢.

وطلب الأنصار من عمر بن الخطاب أن يستأذن أبا بكـر الصديق فى تعيين من هو أسن من أسامة، وحدث عمر ابـا بكر فى بقاء الجيش فأصر أبو بكر على مسير الجيش. ولما طلب عمر عزل أسامة عن قيادة الجيش وثب أبو بكر. وكان جالسا فقال لعمر: "استعمله الرسول- {ﷺ}- وتـأمرنى أن أعزله".

وخرج أبو بكر يودع الجيش ماشيا وأسامة راكبا. فقال له اسامة: يا خليفة رسول ا لتركبن أو لانزلن فقـال: وا لا نزلت ولا أركب وما على أن أغبر قدمى ساعة فـى سـبيل ا . فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وسبعمائة سيئة تمحى عنه".

ولما أراد أبو بكر العودة استأذن أسامة فـى أن يسـتعين بعمر بن الخطاب فوافق.

ونصح أبو بكر الجيش بقوله: " لا تخونوا، ولا تغـدروا ولا تغلوا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيـراً ولا امرأة، ولا تقعر نخلا أو تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمـرة ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة. ولا بعيراً إلا لمأ كلـه وسـوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم بالصوامع ".

وأوصى أسامة أن يفعل بما أمره رسول ا . فسار أسامة ونزل فى منطقة قبائل قضاعة. وكانت غيبته أربعين يومـاً وقيل سبعين يوماً. وعاد هذا الجيـش غانماً سالماً.[1]

وكان جيش أسامة لا يمر بقوم يفكرون فى الارتـداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم.[2]

٢- حركـــة الردة:

لما توفى الرسول {ﷺ} اشتد على المسلمين خبر وفاتـه. وارتد العرب ونجم النفاق.[1]

وحركة الردة فى حقيقة الأمر لم تكن انتقاصا من نظـام الدولة العربية الإسلامية التى وضع الرسول {ﷺ} أسسها فى المدينة. فإن كثيراً من القبائل لم تعترف بأبى بكر خليفةً للنبى {ﷺ} اعتقاداً منهم بأن الإسـلام انتهـى بوفـاة الرسـول {ﷺ}.[2]

---

(١) الطبرى ٢٤٥/٢-٢٤٦ ، ابن الاثير ٢٢٦/٢-٢٢٧.
السيوطى، ص ٧٧ ، ابن كثير ٣٣٦/٦.

(٢) ابن كثير، ٣٣٦/٦.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، الجزء الرابـع، الطبعـة الأولـى، دار التقوى، القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٠٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، الاسـكندرية د.ت، ص ١٦٤.

أسباب حركة الردة:

١- العصبية القبلية وأثرها العميق فى البلاد النائية، والتى رفضت الإذعان لسلطان قريش.[٣]

٢- الرغبة فى الملك والسلطان والسـيادة،[٤] فلقـد تطلع بعض زعماء القبائل إلى الزعامة.[٥]

٣- التأثر بأخلاق الجاهلية ومثلها عند بعض قبائـل العرب، مما جعلها تصدق الكهانة والسحر والشعوذة.[٦]

٤- جهل الأعراب بتعاليم الدين الإسـلامى وعلـى الأخص فيما يتعلق بموضوع الزكاة.[٧]

ولقد وفدت بعض القبائل على المدينة لمناقشة أبى بكر فى قضية الزكاة وظنوا أنها لم تعد مشروعة بعـد وفـاة النبـى {ﷺ} متذرعين بقوله تعالى:

---

(٣) اكرم ضياء العمرى: عصر الخلافة الراشـدة، الطبعـة الأولـى، المدينة المنورة ١٩٩٤، ص ٣٦٠.

(٤) رجب عبد الحليم:الردة فى ضـوء مفهـوم جديـد،دار النهضـة العربية،القاهرةد.ت،ص ٩٠.

(٥) اكرم ضياء العمرى ، ص ٣٦٠.

(٦) رجب عبد الحليم ، ص ١٠٨.

(٧) اكرم ضياء العمرى ، ص ٣٦٠.

﴿ خُذْ مِن أَموالِهم صدقةً تُطَهرهم وتُزكيهم بِهـا وصـل عليهم إِن صلاتَك سكَن لهم والله سمِيع علِيم ﴾ [التوبة: ١٠٣]

ومما يدل على خطورة الموقف أن عمر بن الخطاب طلب من أبى بكر أعفاءهم من الزكاة أو الصبر عليهم. ورفـض أبو بكر قائلا: "وا لو منعونى عقالا كـانوا يؤدونـه إلـى رسول ا لقاتلتهم عليه، وا لأقاتلن من فرق بين الصـلاة والزكاة".[1]

ورفض أبو بكر تعطيل بعـض الأحكـام الشـرعية أو التساهل فيها، ولو خضع لمساومات الأعراب فربمـا كـانوا سيطالبونه بإسقاط أحكام والتزامات شـرعية أخـرى. ولـو أجابهم لأحسوا بضعفه وزاد طمعهم فيه.[2]

واستعد أبو بكر لمحاربة المرتدين وبادر بإرسال الجيوش إلى المرتدين والمتنبئين ومـانعى الزكـاة وعقـد اللـواء لقتالهـم على أحد عشر قائداً فى وقت واحد.

---

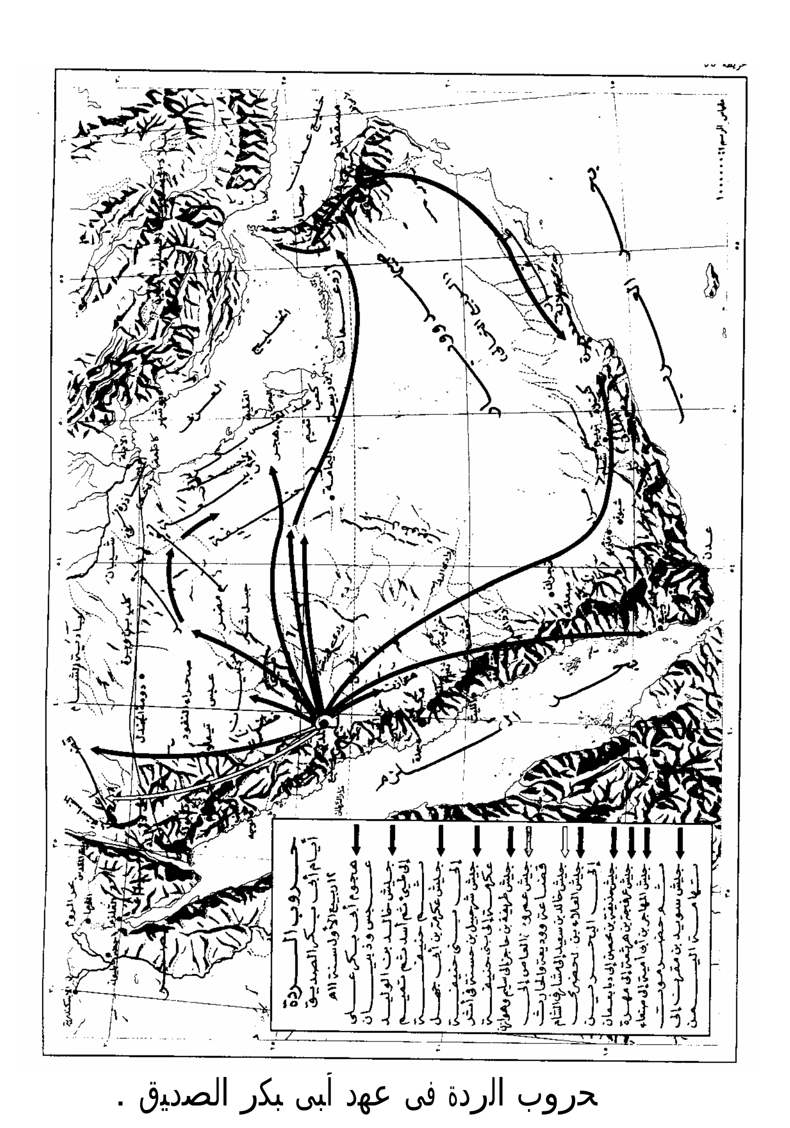
(١) البلاذرى ١١٣/١،

(٢) اكرم ضياء العمرى ، ص ٣٦٧.

١- خالد بن الوليد يسير لمحاربة طلحـة بـن خويلـد بالبزاحة ثم مالك بن نويرة بالبطاح.
٢- عكرمة بن أبى جهل إلى مسيلمة الكذاب باليمامة.
٣- المهاجر بن أبى أمية إلى الأسود العنسى باليمن.
٤- عمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث فى الشمال.
٥- خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام.
٦- حذيفة بن محصن العلقانى إلى دبا.
٧- عرفجة بن هرثمة إلى مهرة.
٨- شرحبيل بن حسنة إلى مساعدة عكرمة بن أبى جهل فى قتال مسيلمة ثم يلحق بعمرو بن العاص.
٩- طريفة بن حاجز إلى بنى سليم.
١٠- سويد بن مقرن إلى تهامة اليمن .
١١- العلاء بن الحضرمى إلى البحرين.[٣]

---

(٣) الطبرى ٢٥٧/٢ ، أبن الأثير ٢٣٤/٢.



حروب الردة فى عهد أبى بكر الصديق .

المصدر : فايد حماد عاشور وآخرون ، شكل رقم (٧) .

أرسل أبو بكر الكتب إلى القبائل المرتدة كتابا واحداً: بسم ا الرحمن الرحيم "من أبى بكر خليفة رسول ا إلى مـن بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة؛ أقام على إسلامه أو رجع عنه سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهـدى إلـى الضلالة والعمى؛ فإنى أحمد إليكم ا الذى لا إلـه إلا هـو، وأشهد ان لا إله إلا ا وحده لا شريك له".

وبعث أبو بكر رضى ا عنه الرسائل إلى المرتدين قبل خروج الجيوش، وأمر قادة الجيوش ألا يقاتلوا أحـداً حتـى يدعوه إلى الإسلام؛ فمن استجاب قبل منه، ومن رفض يقاتل ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، وإذا سمعتم الأذان فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا عاجلوهم.[1]

طليحة بن خويلد الأسدى:

ادعى طليحة النبوة فى حياة النبى {ﷺ}، فبعث إليه النبى {ﷺ} ضرار بن الأزور عاملا على بنى أسد. وأمره بالقيام على من ارتد وضعف أمر طليحة. ولما أراد ضرار ضرب طليحة بالسيف فلم يصبه بأذى شاع بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه فكثر جمعه. وانتقل الرسول {ﷺ} إلـى الرفيـق

---

(١) الطبرى ٢٥٧/٢-٢٥٨.

الأعلى وطليحة على ذلك الحال. وإدعى أن جبريـل ينـزل عليه وسجع للناس أكاذيب وكان يأمرهم بترك السجود فـى الصلاة. وتتبعه كثير من العرب بدافع العصبية القبليـة وزاد اتباعه من أسد وغطفان.(٢)

وأرسل أبو بكر خالد بن الوليد للقضاء على طليحة قـام عدى بن حاتم الطائى باقناع طـئ بـالعودة إلـى الإسـلام والانضمام إلى خالد مما أضعف طليحة وكـان عيينـه بـن حصن الفزارى يقود جيش طليحة ومعه سبعمائة من فـزارة فلما التقى خالد بن الوليد بجيش أسد وفزارة واشتد القتال أيقن عيينة بكذب طليحة فانسحب مع فزارة من المعركـة وفـر طليحة إلى الشام حيث عاد فأسلم وحسن إسلامه.(٣)

مسيلمة الكذاب:

أرسل أبو بكر جيشاً بقيادة شرحبيل بن حسنة إلى مسيلمة الكذاب ثم أتبعه بخالد بن الوليد.(١) وكان مسيلمة قد قدم على النبى {ﷺ} فى وفد بنى حنيفة فأسـلم، ثـم ارتـد وادعـى

---

(٢) ابن الأثير ٢٣٢/٢.

(٣) ابن الأثير ٢٣٢/٢-٢٣٥. أكرم ضياء العمرى ، ص ٣٧١.

(١) اليعقوبى ١٣٠/٢.

النبوة.[٢] وزعم أنه شريك لرسول ا   فى النبوة. وكان يكتب إلى الرسول {ﷺ}: "أنى أشركت معك فلك نصـف الأرض، ولى نصفها، ولكن قريش قوم لا يعدلون" فكتب إليـه النبـى {ﷺ}: من محمد رسول ا   إلى مسيلمة الكذاب: أما بعد فإن الأرض   يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقـين،[٣] وجرى قتال عنيف بين المسلمين ومسيلمة قتل جماعـة مـن القراء من المهاجرين والأنصار ثم قتـل مسـيلمة وتفـرق شمله.[٤]

سجاح بنت الحارث:

ادعت سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية النبوة واتبعها بنو تميم أخوالها من تغلب وغيرهم من بنى ربيعة، وتزوجت مسيلمة الكذاب ولم تزال سجاح فى أخوالها من تغلب حتـى نفاهم معاوية فى العام الذى بويع فيه بالخلافة سنة ٤١هـ ـ، فأسلمت[٥] .

---

(٢) ابو الفداء ١٩٦/١.

(٣) اليعقوبى ١٣٠/٢.

(٤) اليعقوبى ١٣٠/٢ ، ابو الفداء ١٩٦/١.

(٥) ابو الفداء ١٩٦/١.

مالك بن نويرة:

منعت بنو يربوع الزكاة، وكان أميرهم مالك بن نـويرة، قدم على النبى {ﷺ}، فولاه صدقه قومه، فلما منـع الزكـاة أرسل أبو بكر إلى مالك خالد بن الوليـد لمحاربـة مـانعى الزكاة. وكان مالك يرى أنه يؤدى الصلاة دون الزكاة وأصر خالد على أن الصلاة والزكـاة معـا لا تقبـل واحـدة دون الأخرى.

واشتدت الحرب الكلامية بينهما وقيل إن مالك كان علـى الإسلام وأمر خالد بضرب عنقه وتزوج امراته. ولمـا بلـغ ذلك أبو بكر وعمر سخط عليه عمر وطلب من أبـى بكـر معاقبته.[٦]

ردة أهل البحرين:

دخل المنذر بن ساوى أمير البحرين فى الإسلام على يـد العلاء بن الحضرمى، وتوفى المنذر بعد النبى {ﷺ} بقليـل. فلما مات ارتد أهل البحرين فيما عدا عبد القيس فلقد جمعهم سيدهم الجارود وحثهم على الثبات على الإسلام وتزعم الردة الحطم بن ضيعة وحاصر الجارود فى جواثى وبينمـا هـم

---

(٦) ابو الفداء ١٩٧/١ ، ابن الوردى ١٣٥/١.

محاصرون قدم العلاء بن الحضرمى إلى البحرين على رأس جيش واتصل بالجارود. وتمكن المسلمون من مباغتة الحطم وقتله وتفريق شمله.[1]

كما تمكن أبو بكر من القضاء على ردة عمـان ومهـرة واليمن وحضرموت.

واستطاع أمراء الجند الذين سيرهم أبو بكر لقمح حركـة الردة أن يقضوا على المرتدين فى وقت قصير، وعودة نفوذ المدينة على سائر قبائل العرب فى الجزيرة العربية، وتحقق هدف أبى بكر فى منازلة أهل الردة. والقضاء عليهم.[2]

٣-جمع القرآن الكريم:

لما قتل من المسلمين فى موقعة اليمامة جماعة من القراء من المهاجرين والأنصار. طلب عمر بن الخطاب من أبـى بكر جمع القرآن الكريم خشـية أن يضـيع مـن صـدور الصحابة.[3]

---

(١) اكرم ضياء العمرى ، ص ٣٧٤.
(٢) السيد عبد العزيز سالم ، ص ١٨٠.
(٣) أبو الفداء ١٩٦/١.

وقال أبو بكر: كيف أفعل شئ لم يفعله رسول ا {ﷺ}!
قـال عمر: هو وا خير، فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح ا لذلك صدرى.

وأسند هذا العمل الجليل إلى زيد بن ثابت وكـان يكتـب الوحى للرسول {ﷺ}؛ فتتبع القرآن فجمعه، قال: فوا لـو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى بـه من جمع القرآن.

وجمع زيد القرآن من الرقاع، والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة ايتان عند خزيمة بـن ثابت، لم أجدهما مع غيره: " لقد جاءكم رسول من أنفسكم " إلى آخرها. فكانت الصحف التى تجمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه ا ، ثم نقلت إلى عمر بن الخطاب ووضعها فى بيت حفصة بنت عمر.[٤]

٤ - الفتوحات الإسلامية زمن أبى بكر الصديق

بعد أن قضى أبو بكر الصديق على حركات التمرد التى قامت بها القبائل العربية، حتى اندفع العرب إلى منطقة العراق والشام، فالتحموا مع الفرس والروم فى وقت واحد.

---

(٤) السيوطى، ص ٨٠.

واستطاعوا أن يحققوا عليهم انتصارات عظيمة، أدت إلى استيلاء العرب على العراق وإيران وإسقاط الدولة الفارسية، كما استولوا على الشام ومصر والجزيرة من الإمبراطورية الرومانية.

١ - بلاد العراق وفارس :

علاقة العرب بالفرس قبل الإسلام

لم يكن ببلاد العرب قبل الإسلام نظام سياسى موحد و لا حكومة مركزية تدير كافة شئونها . وإنما اكتظت بالوحـدات السياسية المستقلة التى عرفت بالقبائل التى تنتشر فى كافـة أنحاء شبه الجزيرة العربية . وثمة دليل على ذلك أن الشعر الجاهلى مملوء بالقبلية فالعربى يمدح قبيلته ويشيد بانتصارها ويعدد محاسنها ، ويهجو القبيلة الأخرى من أجل قبيلته [١] .

وقامت بالجزيرة العربية قبـل الاسـلام عـدة دول فـي الجنوب ممالك اليمن، وفي الشمال، وفـى وسـط الجزيـرة العربية ببلاد الحجاز.

وفي تاريخ الدولة العربية التي قامت قبل الإسلام ، دولتان

---

(١) على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام ، النهضة المصرية ، القاهرة (د . ت) ص ٣٥ – ٣٦ .

حاجزتان هما دولة المناذرة ودولة الغساسـنة . وقـد اتخـذ الفرس دولة المناذرة حاجزاً يقـيهم شـر هجمـات الـروم وحلفائهم من العرب ، كما اتخذ الروم دولة الغساسنة لـنفس الغرض [٢].

وساند المناذرة الفرس في حروبهم مع بيزنطة حيث قـام المنذر بن امريء القيس(٥١٠ - ٥٣٣ م) وهو من أشـهر ملوك المناذرة بتحريض من قباذ كسرى فارس بالهجوم على الممتلكات البيزنطية فى سورية سنة (٥١٩م) [٣].

وكان النعمان بن المنذر (٥٨٥ – ٦١٣ م) آخر ملـوك المناذرة للحيرة . وساءت العلاقة بينه وبين كسرى ورغـب النعمان فى تصفية الخلاف فذهب إلى كسرى [١].

وانتهى امر النعمان بالقبض عليه بامر كسرى ، وقيل إنه مات فى سجنه . وبذلك إنتهى حكم المناذرة فى الحيرة . وعين الفرس مكانه رجلا من طئ يدعى إياس ابن قبيصة [٢].

---

(١) نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، الطبعة الثالثة ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٣ م ، ص ١٥١ .

(٢) نبيه عاقل ، ص ١٨٦ .

(٣) على إبراهيم حسن ، ص ٨٤ .

(٢) نبيه عاقل ، ص ١٩٧ .

وكانت موقعة ذى قار من أعظم الاحداث التى وقعت فى عهد إياس بن قبيصة . وذى قار ماء لبكر بن وائل يقع قريبا من الكوفة ، بينها وبين واسط [٣] .

وكان سبب موقعة ذى قار يرجع إلى سوء العلاقـة بـين كسرى والنعمان وقبل أن يتوجه النعمان إلى كسرى عـرض نفسه على القبائل لكى يمنعوه ، ولكنهم أبوا خوفا من كسرى . فاخذ يطوف بقبائل العرب لطلب المنعة إلى أن نزل بـذى قار فى بنى شيبان سراً . فلقى هانى بن مسعود بن عامر من بنى شيبان ، وكان سيداً منيعاً ، فاستودعه سـلاحه وأولاده . ورحل النعمان إلى كسرى فقتل . وطالـب كسـرى بتركـة النعمان فاخبره إياس بن قبيصة بأنها وديعة عند بنى بكر بن وائل فامر كسرى بضمها إليه . وأرسل إياس إلى هانى بـن مسعود يأمره برد ودائع النعمان من أموال ودروع وغيرها. فامتنع هانى وبلغ الخبر كسرى فغضب وهدد باستئصال بكر بن وائل . وجرت مفاوضات بين كسرى وقبيلة بكر بن وائل عرض عليهم كسرى إحدى خصال ثلاث :

---

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبـل الإسـلام ، مؤسسـة شباب الجامعة ، الإسكندرية (د . ت) ص ٢٥٥ .

١ – الاستسلام لكسرى يفعل بهم ما يشاء .
٢ – الرحيل من الديار .
٣ – الحرب .

اتفقت كلمة بنى بكر على الحرب وارسل إلـيهم كسـرى جيشا من الفرس يعاونه إياس بن قبيصة وبعـض الزعمـاء العرب الموالين لفارس .

وصحبت الجيوش الفارسية الفيلة . وجمع عرب العـراق جموعهم وخاضوا المعركة ببسالة واستمرت عدة أيام وكـان يعاون بكر بن وائل من قبائل العرب بنو عجل، وبنو إيـاد، وبنو شيبان وغيرهم من القبائل . وكان النصر فـى النهايـة للعرب. وفى هذا النصر يقول الرسول الكريم {ﷺ}: "هـذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبى نصروا[1]

وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ وقوع ذى قار ، فمـنهم من جعلها يـوم ولادة الرسـول{ﷺ} . أو بعـد ان هـاجر الرسول {ﷺ} إلى يثرب. وبعضهم يحددها بعد موقعة بـدر بأشهر .

---

(١) نبيه عاقل ، ص ١٩٧ – ١٩٨ . السيد عبد العزيز سـالم ، ص ٢٥٦ – ٢٦٠ .

وكانت موقعة ذى قار أول نصر للعرب على الفـرس ، وقد اعطاهم هذا النصر ثقة كبيرة بأنفسهم وتجرأت القبائـل الأخرى على الهجوم المباشر على بلاد الفرس [(٢)].

- فتوح خالد بن الوليد قبل الحيرة

لما فرغ أبو بكر من حروب الردة فـى اليمامـة . كـان المثنى بن حارثة الشيبانى يغير على السواد فى رجال مـن قومه . فبلغ أبا بكر الصديق خبره فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقرى : هذا رجل غير خامل الذكر ، و لا مجهول النسب و لا ذليل العماد .

وقدم المثنى على أبى بكر فقال له : ياخليفة رسـول ا ! استعملنى على من أسلم من قومى أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس . فكتب له أبو بكر فى ذلك عهداً فسار حتـى نـزل خفان ، ودعا قومه إلى الإسلام فأسلموا [(٣)].

وكتب ابو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد يأمره بالمسير إلى العراق ، ويقال بل وجهه من المدينة، وكتب أبو بكر إلى

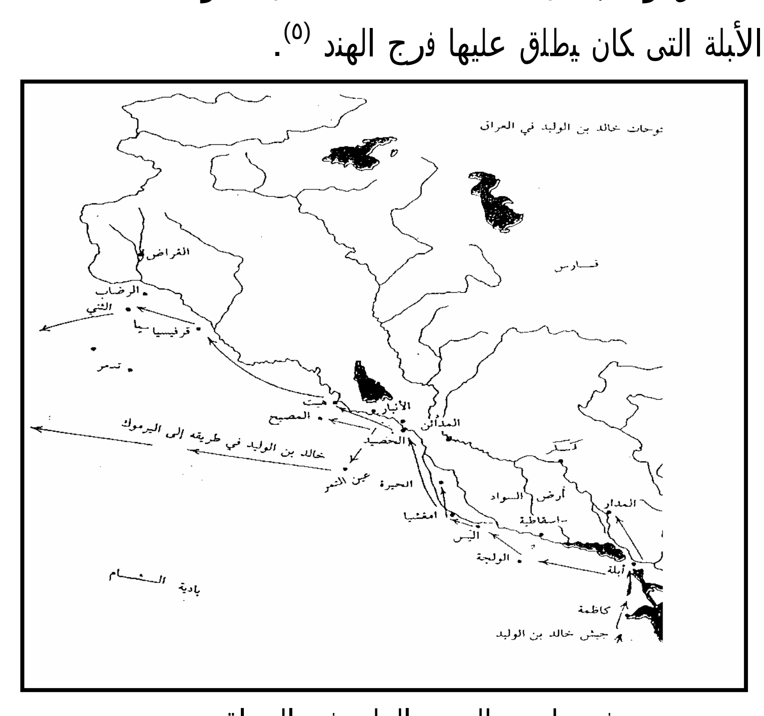
---

(٢) نبيه عاقل ، ص ١٩٩ . السيد عبد العزيـز سـالم ، ص ٢٦١ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، القسم الثانى ، نشر وتحقيق / صـلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (د . ت) ص ٢٩٥

المثنى بن حارثة يأمره بالسمع والطاعة له [٤].

وكانت الخطة الحربية التى وضعها الخليفـة أبـو بكـر الصديق وطلب من خالد تنفيذها البدء بشن هجوما على مدينة الأبلة التى كان يطلق عليها فرج الهند [٥].



فتوحات خالد بن الوليد فى العراق .

المصدر : فايد حماد عاشور وآخرين ، شكل رقم (٨) .

---

(٤) البلاذرى ٢ / ٢٩٥

(٥) الطبرى : تاريخ الطبرى ، المجلد الثانى ، الطبعـة الثالثـة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١ م ، ص ٣٠٧

١ – ذات السلاسل

كانت معركة ذات السلاسل أولى المعارك فى طريق خالد . ولما سمع وهرمز قائد الفرس وكان يحارب العـرب فـى البر وكان سيئ المجاورة للعرب فكلهم عليه حنـق وكـانوا يضربونه مثلا فى الخبث فيقولون : " أكفر من هرمز " .

ولما سمع وهرمز بمجئ العرب كتب إلى اردشـير بـن شيرى وجمع جموعه ثم أسرع لملاقاة خالد عنـد الكـواظم وبلغه أنهم تواعدوا الحفير فسبقهم إليه ونزل به ، وجعل على مقدمته قباذ وانو شجان وكانا مـن أولاد أردشـير الأكبـر واقترنوا فى السلاسل لكى لا يفروا من ميدان القتال وفى هذه المعركة هزم الفرس وغنم خالد من هذه المعركة غنائم كثيرة (١)

٢ – المذار أو المثنى

كتب هرمز إلى أردشير يخبره بمسير خالد بن الوليد من اليمامة نحوه ، فأمده بقارن بن قريانس ، فخرج قـارن مـن

---

(١) الطبرى ٢ / ٣٠٩ – ٣١٠ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، المجلـد الثـانى ، دار الفكـر ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ٢٦٢.

المدائن مدداً لهرمز ، حتى إذا ما انتهى إلى المذار وبلغتـه الهزيمة فى ذات السلاسل . واستعمل قارن على مجنبة جيشه قباذ وأنوشجان وهما من قادة الفرس البارزين .

ولما علم خالد بن الوليد بمجيئهم كتب إلى أبى بكر بحشود الفرس وتجمعهم إلى الثنى، المغيث والمغـاث .. والعـرب تسمى كل نهر الثنى وخرج خالد سائراً حتى نزل على قارن فى جموعه ، عند المذار فالتقوا وقتل قادة الفـرس قـارن ، وأنوشجان، وقباذ وتشير رواية الطبرى إلى الخسائر البشرية التى حلت بالفرس بنحو ثلاثين ألفا سوى من غرق ، ولـولا أن المياه حالت بينهم وبين المسلمين " لاتى على آخـرهم ، ولم يفلت منهم من أفلت إلاعراة وأشباه العراة [٢] " .

وأقام خالد بالمذار يتحسس الأخبار ، وسلم الأسلاب لمـن سلبها ، وقسم الفئ ، ونفل من الأخماس أهل البلاد ، وبعـث ببقية الأخماس إلى المدينة المنورة [٣]. و اقر الفلاحـين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس وحرص على تأمين

---

(١) الطبرى ٢ / ٣١١ .

(٢) الطبرى ٢ / ٣١١ .

- شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٢ م ، ص ٤٢ .

مواصلاته إلى الخليج الفارسى ، فامر القواد على الجند الذين استبقاهم فى الحفير ، وولى العمال على الجباية [١] .

٣ - الولجة

لم يغتر خالد بن الوليد بما حققه من نصر على الفـرس . وإنما كان يقدر حقيقة الموقف . وكان يخشـى أن يسـتعين الفرس بالقبائل العربية الموجودة بالعراق . وهـذه القبائـل منتشرة فى كل منطقة السواد من العراق حتى البادية . وجل هذه القبائل على النصرانية واذا جاء المسلمون فدعوهم إلـى الإسلام أو الجزية رات من الخير لها أن تبقى علـى حالهـا متمتعة بحريتها وما ألفته من دينها . فلا جرم ان رأت ذلـك أن تنضم إلى الفرس وأن تعينهم على قتال المسلمين .

وكان كسرى يطمئن إلى ولاء قبائل عربية كثيـرة منهـا جماعات من بكر بن وائل لذلك دعاهم إلى مسـاندة جيـوش فارس وجعل عليهم قائدا منهم ووجههم إلى الولجة ثم وجـه على اثرهم جيشا قويا من جيـوش الفـرس بقيـادة بهمـن جاذوية [٢].

---

(١) أحمد الشريف : الفتوح الإسلامية ، مجلة منبر الإسلام ، ص ٩٢ .

(٢) أحمد الشريف : الفتوح الإسلامية ، ص ٨٤ .

وكان الاندرزغر وبهمن جاذويه قادة الفرس وعسـكرت الجيوش الفارسية فى الولجة . وأراد المسير إلى خالد . ولما عرف خالد بالحشود الفارسية خرج بجيشه صـوب الولجـة واشتبك مع الفرس فى قتال شديد (٣) . وكان الفريقان فـى الغاية من القوة والبأس والعزم حتى لقد تردد النصر بينهمـا اياما (٤). وكانت خطة خالد بن الوليد تقوم على وضع كمينا من ناحيتين عليهم بسر بن أبى رهم ، وسعيد بن مرة العجلى وخرج الكمين فجأة من ناحيتين وأحداثا خللا واضطرابا فـى صفوف الفرس وتفرقت جموعهم . وجنى خالد من الفـرس فى تلك الموقعة غنائم كثيرة (٥). وقام خالد فى الناس خطيبا يرغبهم فى بلاد العجم ، ويزهدهم فى بلاد العرب ، وقال : الأترون إلى الطعام كرفع التراب وا لو لم يلزمنا الجهـاد فى ا والدعاء إلى ا عز وجل . ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي ان نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به ، ونولى الجوع والإقلال من تولاه ممن أثاقل عما أنتم عليه . وسـار خالد فى الفلاحين سيرته فلم يقتلهم ، وسبى ذرارى المقاتلـة

---

(١) الطبرى ٢ / ٣١٢ .

(٢) أحمد الشريف : الفتوح الإسلامية ، ص ٨٤ .

(٣) الطبرى ٢ / ٣١٢ .

ومن أعانهم ، ودعا أهـل الأرض إلـى الجـزء والذمـة ، فتراجعوا [١].

٤ - اليس الصغرى

خسرت قبيلة بكر بن وائل وهى على النصرانية كثير من رجالها فى موقعة الولجة الذين أعانوا الفرس غضـب لهـم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس واجتمعوا على اليس ، وعليهم عبد الاسود العجلى . وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه وهـو بقسيناثا يأمره بالقدوم على نصارى العرب بـأليس . وقـدم بهمن جاذويه جابان إليهم وامره بالحث وأمره بالتوقف عـن المحاربة إلى ان يقدم عليه . وانطلق بهمـن جاذويـه إلـى أردشير ليحدث به عهداً ، ولستامره فيما يريد أن يشير به ، فوجده مريضا ؛ وترك الأمر إلى جابان ومضى إلى ألـيس واجتمعت إليه المسالح التى كانت بـازاء العـرب ؛ وعبـد الاسود فى نصارى العرب من بنى عجل وتيم اللات وضيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ؛ وكان جابر بـن بجيـر نصرانيا ، فساند عبد الأسود ، وعلم خالد بتجمع عبد الأسود وجابر وزهير وخرج بجيشة للقائهم " ليست لخالد همـة إلا

---

(١) الطبرى ٢ / ٣١٢ .

من تجمع له من عرب الضاحية ونصاراهم " ولما أقبل خالد علم بمجئ جابان إلى أليس ، وقالـت الفـرس لجابـان : " أتعاجلهم أم نغدى الناس و لا نريهم أنا نحفل بهم ، ثم نقاتلهم بعد الفراغ ؟ فقال جابان : إن تركوكم والتهاون بكم فتهاونوا ، ولكن ظنى بهم أن سيجعلونكم ويعجلونكم عـن الطعـام . فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة ، وتداعوا إليهـا ، وتوافوا عليها . فلما انتهى خالد إليهم ، وقف وأمـر بحـط الاثقال ، فلما وضعت توجه إليهم ، ووكل خالد بنفسه حوامى يحمون ظهره ، ثم بدر أمام الصف ، فنادى : أين أبجـر ؟ أين عبد الأسود ؟ أين مالك بن قيس ؟ رجل مـن جـذرة " وانصرفوا جميعا الا مالكاً ، فبرز له ، فقال له خالـد يـابن الخبيثة ، ما جرأك على من بينهم ، وليس فيك وفاء! فضربه فقتله ، وأجهض الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا ؛ فقـال جابان : ألم أقل لكم ياقوم : أما وا ما دخلتنى مـن رئـيس وحشة قط حتى كان اليوم ؛ فقالوا حيث لم يقدروا على الأكل تجلدا : ندعها حتى نفرغ منهم ؛ ونعود إليها . فقال جابان : وأيضا أظنكم وا لو وضعتموها وأنتم لا تشعرون ؛ فـالآن فأطيعونى ؛ سموها ؛ فإن كانت لكم فأهون هالك وإن كانت

عليكم كنتم قد صنعتم شيئاً ؛ وأبليتم عـذراً . فقـالوا : لا ، اقتداراً عليهم فجعل جابان على مجنبتبه عبد الأسود وأبجر ؛ وخالد على تعبئته فى الأيام التى قبلها[1] " .

ودار قتال عنيف بين المسلمين والفرس وانتهى بهزيمـة الفرس وبعث خالد بخبر النصر إلى الخليفة أبو بكر الصديق مع رجل يدعى جندلا من بنى عجل ، يخبـره بفـتح ألـيس وبقدر الفئ وبعدة السبى ، وبما حصل من الأخماس ، فلمـا قدم على أبى بكر ؛ فرأى صرامته وثبات خبره ، قال : مـا أسمك ؟ قال : جندل ، قال : ولها جندل !

نفس عصام سودت عصاما عودته الكر والإقداما [2]

أمغيشيا

لما فرغ خالد من وقعة أليس ، سار إلى أمغشـيا ، وقـد أعجلهم عما فيها ، وقد جلا أهلها ، وتفرقوا فـى السـواد ، وأمر خالد بهدم أمغيشيا وكل شئ كان فى حيزها ، وكانـت مصرا كالحيرة ، وأصاب المسلمون من أمغيشيا غنائم كثيرة بلغ سهم الفارس ألفا وخمسمائة سوى النفل الذى نفلـه إلـى

---

(١) الطبرى ٢ / ٣١٣ ، ابن الأثير ٢ / ٢٦٤ – ٢٦٥ .
(٢) الطبرى ٢ / ٣١٤ ، ابن الأثير ٢ / ٢٦٥ .

أهل البلاء ، ولما علم بذلك أبو بكر قال يا معشر قريش : " أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد [٣] ! " .

يوم المقر وفم فرات بادقلى

سار خالد من أمغيشيا إلـى الحيـرة . وحمـل الرجـال والأثقال فى السفن فخرج مرزبان الحيـرة وهـو الأزاذبـه فعسكر خارجها من الحيرة وأرسل ابنه فقطـع المـاء عـن السفن . فلما استقل خالد من أمغيشيا وحمل الرجل فى السفن مع الأثقال والأنفال ، ولم يفجأ خالداً إلا والسـفن جـوانح ، فارتاعوا لذلك ، فقال الملاحون إن أهل فارس فجروا الأنهار فسلك الماء غير طريقه ، فلا يأتينا الماء الإبسـد الأنهـار، فعجل خالد فى خيل نحو ابن الآزاذبه فتلقاه على فم العتيـق خيل من خيله ، فجئهم وهم آمنون لغارة خالد فى تلك الساعة ، فأنا مهم بالمقر ، ثم سار من فوره وسبق الأخبار إلى ابـن الآزاذبه حتى يلقاه وجنده على فم فرات بـادقلى ، فـاقتتلوا فآنامهم ، وفجر الفرات وسد الأنهار ، وسلك الماء سبيله[١] .

---

(١) الطبرى ٢ / ٣١٥ ، ابن الأثير ٢ / ٢٦٥ .

(٢) الطبرى ٢ / ٣١٥ ، شكرى فيصل ، ص ٤٣ .

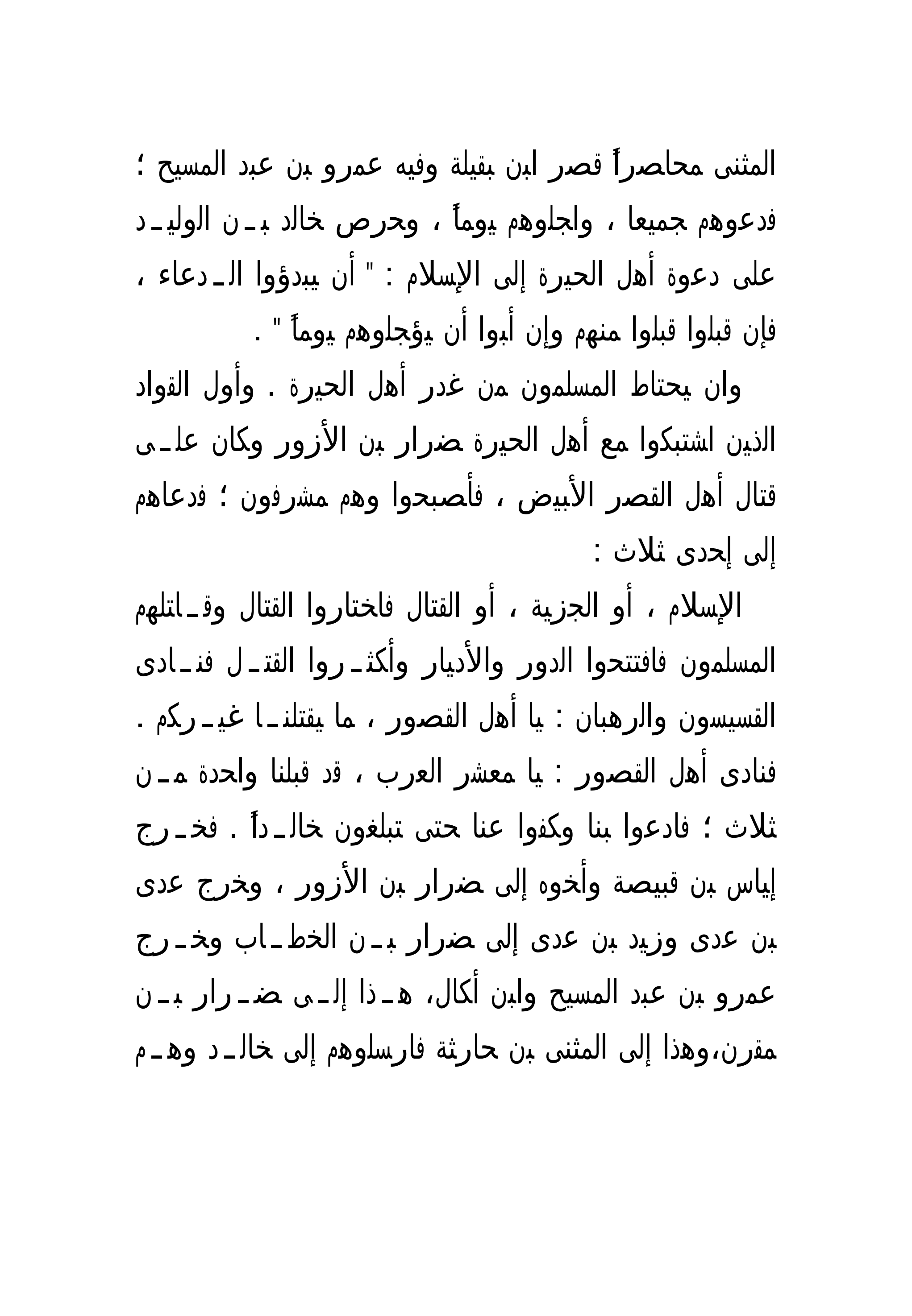
- الحيرة

كانت الحيرة عاصمة العراق العربى ومقر حكم اللخمين . وكان حاكم الحيرة فى ذلك الوقت مرزبانا فارسـيا يسـمى ازاذبه . ولم يكن هو وأهل الحيرة يشكون فى مقـدم خالـد عليهم وحصاره اياهم بعد ان استفاضت أخبار أليس وامغيشيا وانتصار المسلمين عندهما وفعال خالد فيهما . وقدر ازاذبـه ان خالد سيركب النهر إليه متخذا من سفن أمغيشـيا لـذلك نهض فى جنده إلى خارج الحيرة (٢) .

وقصد خالد الحيرة ، واستلحق أصحابه ، وسـار حتـى ينزل بين الخورنق والنجف، فقدم خالـد الخورنـق ، وفـر الآزاذبه هربا من غير قتال وإنما حداه على الهرب عنـدما علم بموت أردشير . وأدخل خالد الحيرة الخيل فى عسكره ، وأمر بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله ويقاتلهم ؛ فكان ضرار بن الأزور محاصرا القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قبيصة الطائى ، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصـر العدسيين وفيه عدى بن عدى ، وكان ضـرار بـن مقـرن المزنى محاصرا قصر بنى مازن وفيه ابن أكـال ؛ وكـان

---

(١) أحمد الشريف : الفتوح فى عهد أبى بكر ، ص ١٢٢ .



المثنى محاصراً قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح ؛ فدعوهم جميعا ، واجلوهم يوماً ، وحرص خالد بن الوليد على دعوة أهل الحيرة إلى الإسلام : " أن يبدؤوا الدعاء ، فإن قبلوا قبلوا منهم وإن أبوا أن يؤجلوهم يوماً " .

وان يحتاط المسلمون من غدر أهل الحيرة . وأول القواد الذين اشتبكوا مع أهل الحيرة ضرار بن الأزور وكان على قتال أهل القصر الأبيض ، فأصبحوا وهم مشرفون ؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث :

الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال فاختاروا القتال وقاتلهم المسلمون فافتتحوا الدور والأديار وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان : يا أهل القصور ، ما يقتلنا غيركم . فنادى أهل القصور : يا معشر العرب ، قد قبلنا واحدة من ثلاث ؛ فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغون خالداً . فخرج إياس بن قبيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور ، وخرج عدى بن عدى وزيد بن عدى إلى ضرار بن الخطاب وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكال، هذا إلى ضرار بن مقرن،وهذا إلى المثنى بن حارثة فارسلوهم إلى خالد وهم

على مواقفهم[1]

وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح وهو بقيلة . وإنما سمى بقيلة لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين ، وأرسلهم الرؤساء إلى خالد ، مع كل رجل منهم ثقة ، ليصالح عليه أهل الحصن ، فخلا بأهل كل قصر منهم دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدى ، وقال : ويحكم ! ما أنتم ! أعرب ؟ فيما تنقمون من العرب ! أو عجم ؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل ! فقال عدى : بل عرب عاربة وأخرى متعربة فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا ، فقال له عدى : ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية ، فقال : صدقت. وقال اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا فى ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمتم فى دياركم ، أو الجزية ، أو الحرب ؛ فقد وا أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة فقال : بل نعطك الجزية، فقال خالد : تبا لكم ، ويحكم ! إن الكُفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان : أحدهما عربى فتركه واستدل الأعجمى

---

(١) الطبرى ٢ / ٣١٦ ، ابن الأثير ٢ / ٢٦٦ .

فصالحوه على مائة ألف وتسعين [٢] .

صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة على مائة ألف وتسعين ألفا درهم وكتب بينه وبين نقبائهم كتابا جاء فيه : " بسـم ا الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديا وعمرا ابنى عدى ، وعمرو بن عبد المسيح وإيـاس بـن قبيصـة وحيرى ابن أكال .. ".

يقوم أهل الحيرة بدفع المبلغ كل سـنة علـى أن يتـولى المسلمون حمايتهم ومنعهم من عدوهم ، فإن لم يمنعونهم فلا جزية عليهم . أما أن غدروا بفعل أو بقول فذمـة المسـلمين منهم بريئة . وكتب هذا الصلح فى شهر ربيع الأول من سنة أثنتى عشرة للهجرة ودفع الكتاب إليهم [٣] .

واهدى القوم هدايا وبعث بالفتح والهدايا إلى أبى بكـر ، فقبلها أبو بكر من الجزء وكتب إلى خالـد أن أحسـب لهـم هديتهم من الجزية [١]ولما تم لخالد فتح الحيرة صلى برجاله صلاة الفتح ثمانى ركعات لم يسلم فيها فلما أتمهن التفت إلى رجاله يقول : "لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع فى يـدى تسـعة

---

(١) الطبرى ٣ / ٣١٦ .

(٢) الطبرى ٣ / ٣١٦ – ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٣) الطبرى ٣ / ٣١٦ ، ابن الأثير ٢ / ٢٦٧ .

أسياف ، وما لقيت قوما كمن لقيتهم من أهل فـارس ، ومـا لقيت من أهل فارس قوما كأهل أليس " .

وأقام خالد بالحيرة وجعلها مركز قيادته ، فكانت بذلك أول عاصمة إسلامية خارج الجزيرة العربية، ولكنه تـرك أمـر ادارتها للزعماء من ابنائها، لذلك استقرت أمورهـا ونشـر هؤلاء جوا من السكينة حوله فأخذ يرتب لاستقرار الأمر فى العراق ولتتمة فتحـه [٢] .

أما عن مصير كتاب أهل الحيرة . فلما كفر أهل السـواد بعد موت أبى بكر استخفوا بالكتاب ، وضـيعوه ، وكفـروا فيمن كفر ، وغلب عليهم أهل فارس ؛ فلما افتتحها المثنـى ثانية ، أدلوا بذلك ، فلم يجبهم إليه ، وعاد بشرط آخر ؛ فلما غلب المثنى على البلاد كفروا وأعانوا واستخفوا واضـاعوا الكتاب ، فلما افتتحها سعد ، وضع عليهم أربعمائة ألف [٣].

ما حول الحيرة

كان الدهاقون يتربصون بخالد بن الوليد وينظـرون مـا يصنع أهل الحيرة فلما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالـد

---

(١) أحمد الشريف ، ص ١٣٣ .

(٢) الطبرى ٢ / ٣١٨ ، ابن الأثير ٢ / ٢٦٧ .

واستقاموا له ائته دهاقين الملطاطين ، وأتاه زاذ بن بهيش دهقان فرات سريا ، وصلوبا بن نسطونا بن بصبهرى ، فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمز جرد على ألفى ألف (٤).

وبعث خالد عماله ومسالحه ، وبعث ضرار بن الأزور ، وضرار بن الخطاب والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة . فنزلوا على السيب ، وهم كانوا أمراء الثغور مـع خالـد ، وأمرهم بالغارة على شاطئ دجلة (٥) .

ولما غاب خالد على أحد جانبى السواد ، أرسل كتابا إلى أهل فارس مع رجل من أهل الحيرة الذين كـانوا بالمـدائن متساندون لموت أردشير ؛ إلا أنهم قد أنزلوا بهمن جاذويـه ببهرسير ، وكأنه على المقدمة ومع بهمن جاذويه الازاذبه فى أشباه له ، وكتب معهما كتابين ، فأما أحدهما فإلى الخاصـة وأما الأخر فإلى العامة ؛ أحدهما حيرى والأخر نبطى (١) .

" بسم ا الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى ملـوك الفرس ؛ أما بعد ، فالحمد الذى حل نظامكم ووهن كيدكم ، وفرق كلمتكم ، ولو لم يفعل ذلك بكم كـان شـرا لكـم ؛

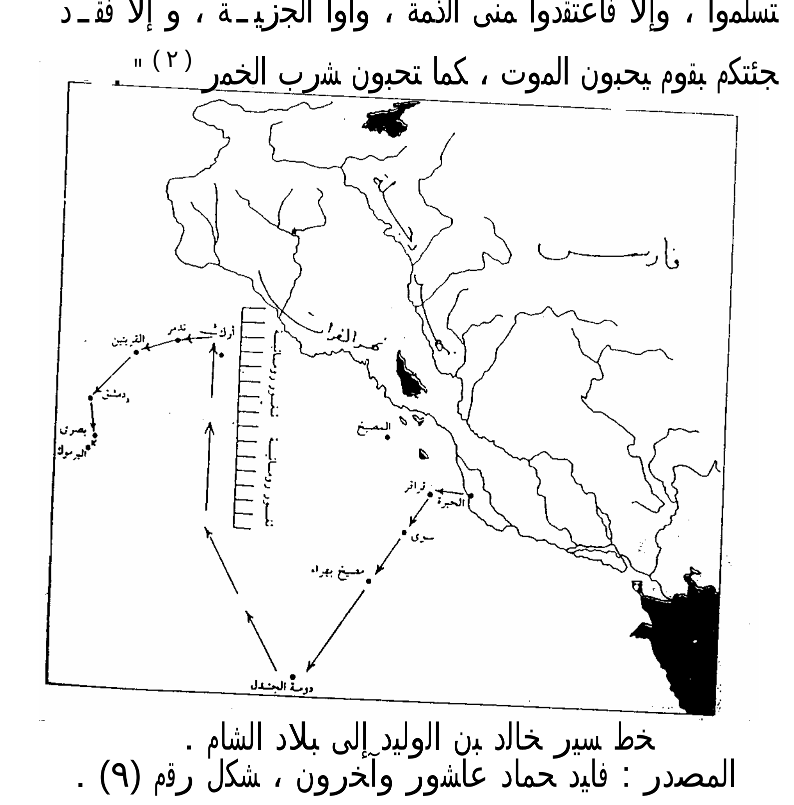
---

(١) الطبرى ٣ / ٣٢٠ .

(٢) الطبرى ٣ / ٣٢٠ .

(٣) الطبرى ٣ / ٣٢٠ .

فادخلوا فى أمرنا ندعكم أرضكم ، ونجوزكم إلى غيـركم ، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب ، على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة " والكتاب الثانى " بسـم ا الـرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى مرازية فارس ؛ أما بعد فأسلموا تسلموا ، وإلا فاعتقدوا منى الذمة ، وأوا الجزيـة ، و إلا فقـد جئتكم بقوم يحبون الموت ، كما تحبون شرب الخمر "[٢] .



خط سير خالد بن الوليد إلى بلاد الشام .
المصدر : فايد حماد عاشور وآخرون ، شكل رقم (٩) .

---

(١) الطبرى ٣ / ٣٢١ .

سار خالد بن الوليد من الأنبار إلى عين التمـر، فتغلـب عليها؛ وسبى الكثير من الغنائم وبعد ذلك اشتبك مع الفـرس فى دومة الجندل، والحصيد، والخنافس، والثنى، والفـراض وهى على تخوم الشام والعراق وخشى الـروم مـن المـد الإسلامى فاستعانوا بمن يليهم من مسالح أهل فـارس مـن قبائل تغلب، وإياد، والنمر فأعانوهم.

وكانت معركة الفراض من المعارك الهامة حيث حققـت القوات الإسلامية نصراً مؤزراً على الروم فـى أواخـر ذى القعدة سنة ١٢هـ / ٦٣٣ م وسمح خالد بعدها لجيشه بالعودة إلى الحيرة.[١]

٢ - بلاد الشـــام :

كانت جبهة الشام مفتوحة منذ عهـد النبـى {ﷺ}، فقـد تحرش الروم والغساسنة الموالون لهم بالمسـلمين، وهـددوا بغزو الحجاز، وأرسل النبى {ﷺ} حملة إلى مؤتة ثـم قـام بنفسه بغزوة تبوك، وأعد حملة بقيادة أسامة بن زيـد قبيـل

---

(١) نبيه عاقل وآخرون ، ص ١٢٨.
محمد أحمد زيود ، ص ١١١.

وفاته. وكان بعث أسامة بن زيد أول عمل عسكرى جـرى زمن أبى بكر فى بلاد الشام.[2]

وكان للمسلمين أثناء حروب الردة عدة جيوش علـى جبهة الشام بقيادة خالد ابن سعيد بن العاص، لحمايـة تلـك المناطق وان لا يفارقها ألابامره، وألا يقاتل إلا مـن قاتلـه. وعلم هرقل بخبر حملة خالد بن سعيد وشرع فى طرده عـن طريق حلفائه من بهراء، وسليح وغيرهم.

وأرسل خالد بن سعيد إلى أبى بكر يستنجد به وأمده بقوة من أهل اليمن بقيادة ذى الكلاع، وعكرمة بن أبى جهل ومعه أهل تهامة وعمان والبحرين.[3]

واشتبك خالد بن سعيد مع الروم فـى مـرج الصـفراء الواقعة شرق بحيرة طبرية. ولكنه هـزم علـى يـد القائـد البيزنطى باهان. أما عكرمة بن أبى جهل انسحب بـالجيش الإسلامى إلى حدود الحجاز.[1]

---

(٢) نبيه عاقل وآخرون ، ص ١٣٥-١٣٧.

(٣) ابن الأثير ٢٧٦/٢.

السيد عبد العزيز سالم ، ص١٩٩.

هاشم يحيى الملاح: الوسيط فى السيرة النبوية والخلافة الراشـدة، مطبعة جامعة الموصل ١٩٩١، ص ٣٥٦.

(١) الطبرى ٣٣٢/٢.

واهتم الخليفة أبو بكر بجبهة الشام عندما فرغ من حروب الردة، وحث الناس على الجهاد ورغبهم فى الغنائم. واستنفر الناس من الطائف، واليمن، ومكة، ونجد، والحجاز؛ فسـارع الناس إليه بين محتسب وطامع.[٢]

وجهز أبو بكر أربعة جيوش لجبهة الشام وهـــم :-

١-يزيد بن أبى سفيان إلى دمشق.

٢-أبى عبيدة بن الجراح إلى حمص.

٣-شرحيل بن حسنة إلى الأردن.

٤-عمرو بن العاص إلى فلسطين.[٣]

وأمرهم أبو بكر إذا اجتمعتم فتكون الإمـارة إلـى أبـى عبيدة، وكان عدد الجند تحت كل أمير فى بدء الأمر ثلاثـة آلاف، فلم يزل أبو بكر يمدهم كلما وفدت حشود إلى المدينة. حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة رجل.[٤]

ولما نزل عمرو بن العاص فى أول عمل فلسطين كتـب إلى أبى بكر الصديق يخبره بكثرة العدو. وفى تلك الأثنـاء

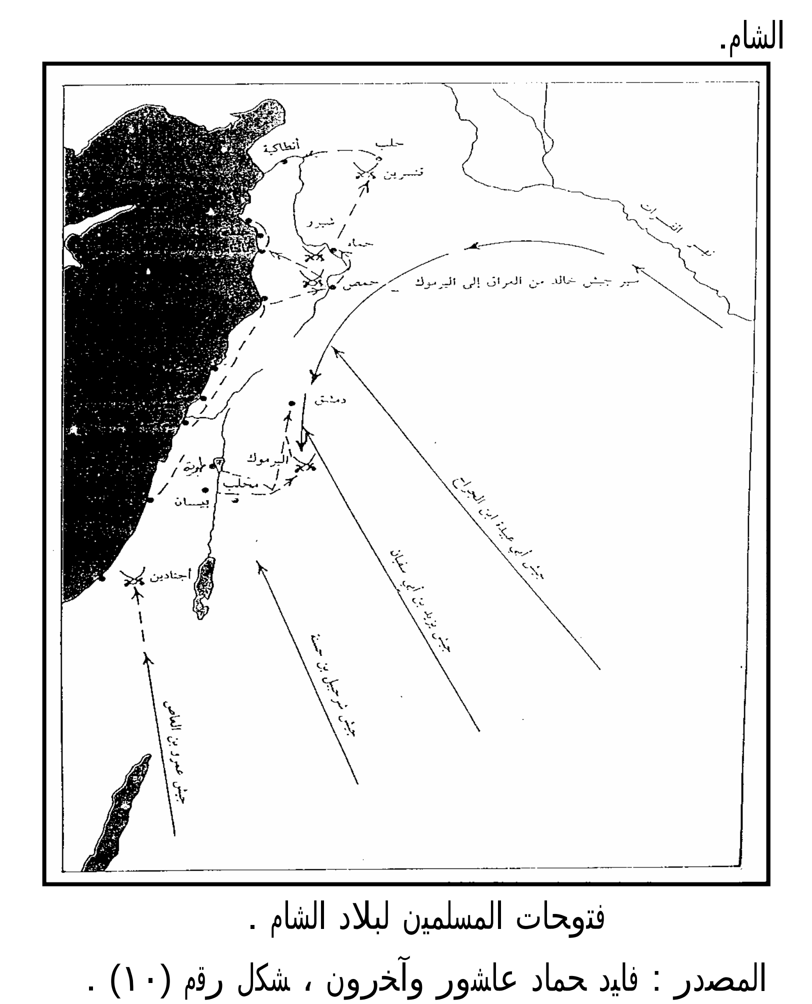
السيد عبد العزيز سالم ، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) البلاذرى، ١٢٨/١.

(٣) البلاذرى، ١٢٩/١ ، الطبرى ٣٣٥/٢.

(٤) البلاذرى، ١٢٩/١.

كان خالد بن الوليد أحرز عدة انتصارات على جبهـة بـلاد فارس والعراق وأرادا أبو بكر أن يستعين به فى تعزيز جبهة الشام.



فتوحات المسلمين لبلاد الشام .

المصدر : فايد حماد عاشور وآخرون ، شكل رقم (١٠) .

لذاك كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يخلف المثنى بن حارثة على إمارة الجيش فى جبهة العراق وفارس ويسـير خالد إلى الشام بنصـف الجيش،[1] من عين التمر إلى الباب الشرقى من دمشق، وقيل نزل بباب الجابية ثم سـار خالـد لملاقاة الجيش الإسلامى واجتمع خالد بن الوليـد بـالجيوش الإسلامية فى بصرى وأسندوا قيادة الجيش إلى خالد. وصالح أهلها المسلمين على أن يؤمنوا دماءهم وأموالهم مقابل تأديـة الجزية[2] وكانت بصرى أول مدن الشام التى فتحت فى عهد أبى بكر.[3]

موقعة اجنادين جمادى الأولى ١٣ هـ/٦٣٤م:

سارت الجيوش الإسلامية إلى فلسطين لتكون مدداً لعمرو بن العاص وهو مقيم بالعربات. وحشـد الـروم جيوشـهم بأجنادين بين الرملة وبيت جبـرين مـن أرض فلسـطين. وزحف عمرو بن العاص للانضمام للجيوش الإسلامية فلقيهم بأجنادين.

---

(١) ابن الأثير، ٢٧٩/٢.

(٢) البلاذرى، ١٣٣/٢-١٣٤ ، ابن الاثير ٢٨١/٢.

(٣) ابن الأثير ٢٨٦/٢.

وأراد القبقلار أن يتعرف على استعداد الجيش الإسلامى فدس أحد رجاله وأقام بين صفوف المسلمين يوما وليلة ثم عاد إليه. فقال ما وراءك؟ فقال: بالليل رهبان. وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم، فقال: إن كنت صدقنى لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها.

ونشب القتال بين المسلمين والبيزنطيين فى أواخر جمادى الأولى وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للبيزنطيين ومقتل القبقلار.(٤)

وأبلى خالد بن الوليد فى القتال بلاء حسنا ، وتمزق شمل الجيش البيزنطى.(٥)

موقعة اليرموك ١٣ هـ/٦٣٤م:

عبأ خالد بن الوليد الجيوش الإسلامية فى تعبئة واحدة كما فعل البيزنطيون على أن تكون القيادة لكل قائد من القواد يوما. وقسم الجيش الإسلامى إلى ما بين ستة وثلاثين إلى أربعين كردوس. وجعل أبى عبيدة بن الجراح على كراديس

---

(٤) ابن الأثير ٢/٢٨٥-٢٨٦.

(٥) البلاذرى، ١٣٥/١.

القلب، وعمرا بن العاص وشرحبيل بن حسنة على كراديس الميمنة.

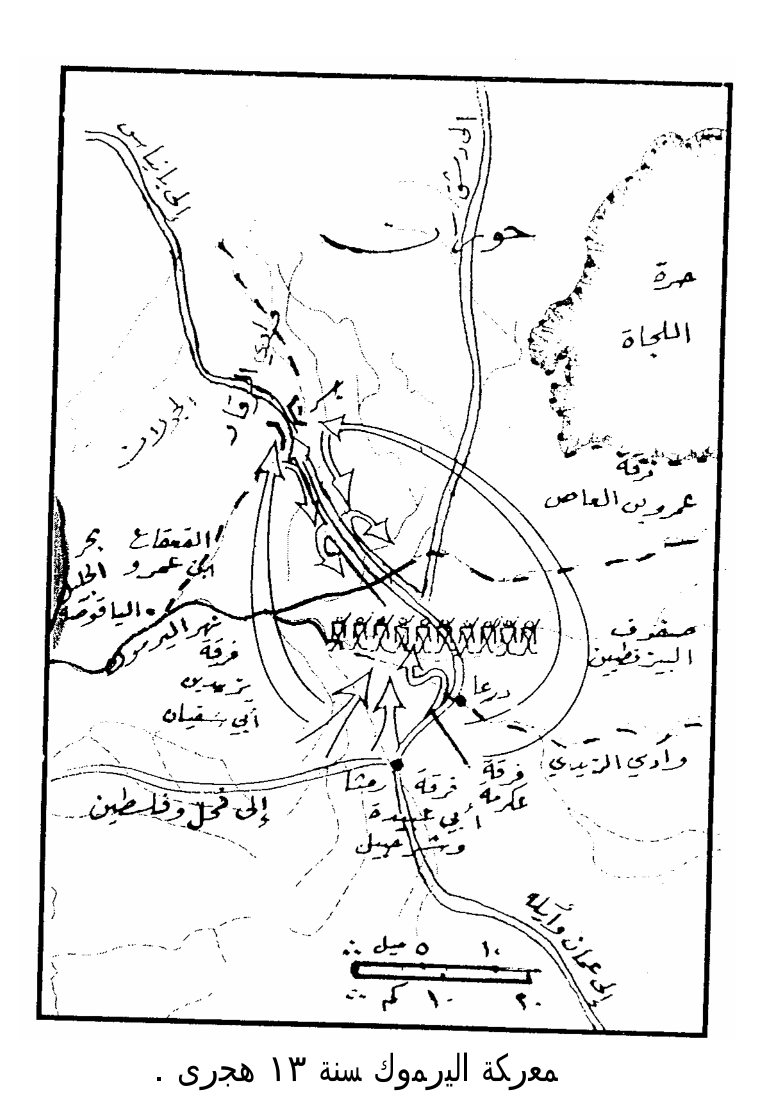
ويزيد بن أبى سفيان على كراديس الميسرة، والقعقاع بن عمرو على كردوس من كراديس العراق.

ودار القتال بين المسلمين والبيزنطيين وحمـى وطـيس الحرب. وفى تلك الأثناء جاء البريد من المدينة بوفـاة أبـى بكر الصديق ومبايعة عمر بن الخطاب وعزل خالد بن الوليد عن إمارة الجيش وتعيين أبى عبيدة فتنازل خالد عن القيـادة سراً لكى لا يعلم الجند.

وواصل خالد بن الوليد القتال ببسالة حتى دارت الـدائرة على الروم. وجنى المسلمون من موقعـة اليرمـوك غنـائم كثيرة.[1]

---

(١) الطبرى ٣٣٥/٢-٣٣٨ ، ابن الأثير ٢٨١/١-٢٨٤.



معركة اليرموك سنة ١٣ هجرى .

المصدر : إسماعيل الفاروقى وآخرون ، ص ٣٠٢ .

الفصل السادس عشر

عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م)

التعريف بالخليفة

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن زراح بن عدى بن كعب بن لؤى، أمير المؤمنين، أبو حفص القرشى العدوى الفاروق.

ولد عمر بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قريش، وأسند إليه السفارة فى الجاهلية. فكان مبعوث قريش إلى القبائل الأخرى فى السلم والحرب.

أسلم عمر فى السنة السادسة من البعثة النبوية. بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة. ولما أسلم عمر ظهر الإسلام فى مكة.[1]

---

(١) السيوطى، ص ١١٩.

وكان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمامته رحمة. وهو الذى جعل المسلمين يصلوا حول الكعبة.[2]

هاجر عمر بن الخطاب علناً، ولما حان وقت هجرته تقلد سيفه، ومر على أشراف قريش محذرهم من اللحاق به قائلا: من أراد أن تثكله أمه، وييتم ولده، وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى".[3]

تولية عمر بن الخطاب الخلافة:

لما أشتد المرض بأبى بكر الصديق فكر بثاقب بصره أن يجنب الأمة الإسلامية الفرقة والاختلاف؛ فوقع اختياره على عمر بن الخطاب فهو الذى قال فيه رسول ا {ﷺ}. اللهم أعز الإسلام بأحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام.

وحاول أبو بكر الصديق أخذ رأى كبار الصحابة فى خلافة عمر، فدعا عبد الرحمن بن عوف، وسأله أخبرنى عن عمر، فقال: يا خليفة رسول ا ، هو وا أفضل من رأيك

---

(٢) السيوطى، ص ١٢٥.

(٣) السيوطى، ص ١٢٦.

فيه من رجل؛ ولكن فيه غلظة. فقال أبو بكـر: ذلـك لأنـه يرانى رقيقا، ولو أن أفضى الأمر إليه . لترك كثيرا مما هو عليه. ثم دعا عثمان بن عفان: وسأله عن عمر. قال: أنـت أخبر به، فقال أبو بكر: على ذاك يا أبا عبد ا قال: اللهـم علمى به أن سريرته خير من علانيته؛ وأن ليس فينا مثله.

وسأل أبو بكر الصديق طلحة بن عبيـد ا . فقـال: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى النـاس منـه وأنت معه، فكيف به إذا خلابهم ! وأنت لاق ربك فسألك عن رعيتك. فقال: أبو بكر وكان مضطجعا: أجلسونى، فأجلسوه. فقال لطلحة: أبا ا تخوفنى إذا لقيت ا ربى فسألنى. قلت: استخاف على أهلك خير أهلك.[1] وبعد أن كون أبو بكر فكرة عن رأى كبار الصحابة.

دعا أبو بكر عثمان ليكتب عهده بالخلافة: "بسـم ا الرحمن الرحيم" هذا ما عهد أبو بكر بن أبـى قحافـة إلـى المسلمين ؛ أما بعد: قال: ثم أغمى عليه فذهب عنه، فكتـب عثمان: أما بعد، فإنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطـاب، ولم ألكم خيراً منه، ثم أفاق ابو بكر، فقال: اقرأ على، فقـرأ

---

(١) الطبرى ٢/ ٣٥٥ ، أبن الأثير ٢٩٢/٢.

عليه، فكبر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف النـاس أن أقتلت نفسى مت - فى غشيتى ! قال نعم، قال: جزاك ا خيرا عن الإسلام وأهله، وأقرها أبو بكر رضى ا عنه من هذا الموضع".[٢]

التنظيمات الإدارية :

احتفظ عمر بن الخطاب بالنظم الإداريـة السـابقة علـى الإسلام فى البلاد المفتوحة حتى لا تضطرب الأمور وتعـم الفوضى، ولكنه استبعد من هذه النظم ما لا يتفق مع تقاليـد العرب، فقد أقر نظام الـديوان الفارسـى، وطبـق التقسـيم البيزنطـى للشام إلى أجناد، كما أبقى على نظام الكورة فـى مصر وهى كلمة يونانية Curia معناها المركز.[١]

ولما اتسعت حدود الدولة الإسلامية فى عهد عمـر بـن الخطاب قسم البلاد إلى عدة أقسام إدارية كبيرة ليسهل حكمها والإشراف على موارد ثروتها؛ وهى:-

١- ولاية الأهواز والبحرين.

٢- ولاية التركستان ومكران وكرمان.

---

(٢) الطبرى ٢/ ٣٥٣ ، ابن الأثير ٢/٢٩٢.

(١) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٢٦٢-٢٦٣.

٣- ولاية طبرستان.

٤- ولاية خراسان.

٥- بلاد فارس قسمت إلى ثلاث ولايات.

٦- بلاد العراق قسمت إلى قسمين الكوفة والبصرة.

٧- بلاد الشام قسمت إلى قسمين حمص، ودمشق.

٨- ولاية فلسطين.

٩- مصر قسمت إلى ثلاث ولايات مصر السفلى، ومصر العليا، وغربى مصر.(٢)

وتعد الإدارة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب استمرارا لما وضع الرسول {ﷺ} وخليفته أبو بكر الصديق من أسس وتنظيمات فى هذا المجال.

---

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الثامنة، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٦، ص ٣٦٩.

حسن إبراهيم حسن وآخرون: النظم الإسلامية،النهضة المصرية،القاهرة د.ت، ص ١٥٣-١٥٤

أنور الرفاعى: الإسلام فى نظمه وحضارته، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق ١٩٨٦، ص ١٢٢-١٢٣.

وكانت الأسس التى قامت عليها الإدارة فى الدولة العربية الإسلامية هـــى:-

١- أن السيادة فى الدولة والمجتمع هى تعالى.

٢- كان من واجب الرسول {ﷺ} والخلفاء من بعده إدارة المجتمع.

٣- مواصلة سياسة الفتوحات الإسلامية على جبهات العراق والشام ومصر.

٤- لا يوجد فاصل بين الوظائف السياسية والإدارية والدينية.[(١)]

التنظيمات المالية

١- ديوان العطاء:

حرص الخليفة عمر بن الخطاب على تنظيم شئون الدولة من كافة النواحى، فهو أول من دون الدواوين فى الإسلام.[(١)]

---

(١) هاشم يحيى الملاح ، ص ٣٩١.

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية، دار الكتب العملية، بيـروت د.ت، ص ٢٤٩.

- الجهيشارى: الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخـرين، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٨، ص ١٦.

- ابن الأثير ٣٥٠/٢ ، السيوطى، ص ١٥٠.

والديوان كلمة معربة من الفارسية يقصد بها الدفتر أو السجل الذى يدون فيه أسماء الجند وأهل العطاء.(٢)

وفكر عمر بن الخطاب فى تدوين الدواوين عندما قدم عليه أبو هريرة بمال كثير من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم. فاستكثره عمر. فقال له أتدرى ما تقول؟ قال نعم فقال عمر أطيب هو؟ فقال لا أدرى فصعد عمر المنبر فحمد ا تعالى وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وان شئتم عددنا لكم عدا.(٣)

واستشار عمر بن الخطاب أصحابه فى تدوين الدواوين، فقال على بن أبى طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال، فلا تمسك منه شيئا. وقال عثمان بن عفان: أرى مالا كثيرا يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر.

---

(٢) ابن منظور: لسان العرب، الجزء الأول مادة "دونه" طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٣) البلاذرى، ٥٥٤/٣ ، الماوردى، ص ٢٤٩.
الصولى: أدب الكتاب، المطبعة السلفية، القاهرة د.ت، ص ١٩٠.
الجهيشارى، ص ١٦-١٧.

وأشار على الخليفة عمر، الوليد بن هشام بـن المغيـرة بتجربة البيزنطيين فى بـلاد الشـام، وأن ملوكهـا يـدونوا الدواوين.

وشرع عمر بن الخطاب فى عمل الدواوين، ودعا عقيـل بن أبى طالب ومخـرمة بن نوفل،وجبير بن مطعم، وكـانوا من نساب قريش. فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، وبدؤوا بقرابة رسول ا {ﷺ} الأقرب فالأقرب.[1] وبدأ بالعباس عم النبى {ﷺ} فأعطاه خمسة وعشرين ألفا، وقيل: اثنى عشـر ألفا. ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف، وفرض لمن دخل فى الإسلام من بدر إلى صلح الحديبية أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى نهاية حروب الردة ثلاثة آلاف. كما فرض عمر للنساء فجعل لنساء أهل بدر خمسمائة ونساء من بعدهم إلى الحديبية أربعمائة.[2]

وكان نظام الديوان قائما من حيث الترتيب على ثلاثة أسس متتالية :-

١ - أساس النسب والقرابة برسول ا قبيلة بعد قبيلة.

---

(١) الطبرى، ٢/٥٧٠.

(٢) ابن الأثير، ٢/٣٥٠-٣٥١.

٢ - أساس السابقة فى الإسلام وحسن الأثر فى الدين.
٣ - التفضيل عند انقراض أهل السوابق بالتقدم فى الشجاعة والبلاء فى الجهاد.[٣]

وأنشا عمر بن الخطاب بيتا للمال لحفظ الأموال الفائضة عن حاجة الجند، وتنوعت موارد بيت المال فى عهد عمر وهى:-

١ - الزكاة :

هى ركن من أركان الإسلام الخمس.[٤] وهى حق يأخذ من الأغنياء ليعطى للفقراء وهى عبادة من ناحية، وواجب اجتماعى من ناحية أخرى.[٥]

قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَموالِهِم صدقَةً تُطَهرهم وتُزكيهم بِها وصل عليهم إِن صلاتَك سكَن لهم والله سمِيع عليم** ﴾ **[التوبة: ١٠٣]**

---

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٢٥٣.
(٤) ابن النعمان: الجوهرة النيرة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٢٢، ص ١١٣.
(٥) إبراهيم فؤاد على: الموارد المالية فى الإسلام، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٠-٢١.

وحدد ا   عز وجل أوجه إنفاق الزكاة بقوله تعالى: ﴿ **إِنما الصدقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والْمساكِين والْعـامِلِين علَيهـا والْمؤَلَّفَـةِ قُلُوبهم وفِي الرقَابِ والْغَارِمِين وفِي سبِيلِ اللهِ وابنِ السـبِيل فَرِيضةً من اللهِ والله علِيم حكِيم** ﴾ **[التوبة: ٦٠]**

٢ – الخراج :

الخراج لغة الغلة،[١] وهى كلمة مشتقة من خرج.[٢] وكان يراعى فى فرض الخراج جودة المحصول، ونوعـه، ورى الأرض.[٣]

٣ - الجزيـــة :

ضريبة رأس فرضت علـى أهـل الذمـة مـن اليهـود والنصارى يقول الماوردى[٤]: "فيجب على ولـى الأمـر أن يضع الجزية على رقاب من دخل فى الذمة من أهل الكتاب"

---

(١) المارورى، ص ١٨٧.
(٢) قطب ابراهيم محمد: المالية العامة للدولة الإسلامية، دار الشباب، القاهرة د.ت، ص ١٥٩.
(٣) الماوردى، ص ١٨٩-١٩٠.
(٤) الأحكام السلطانية، ص ١٨٢-١٨٣.

وكانت الجزية تحصل مرة واحدة فى السنة على حسب الشهور الهلالية،[٥] وأعفى من دفعها بعض الفئات غير القادرة كالنساء، والشيوخ، والصبيان، والعبيد، والمجانين[٦]

٤- العشور:

كان العشر يحصل من قيمة التجارة التى يأتى بها التجار القادمون من دار الحرب إلى دار الإسلام. ولكن الأمام الشافعى يرى أنه يحق للحاكم أن يأخذ أكثر من العشر، عند حاجة البلاد إلى نوع معين من البضائع.[٧]

وأول من شرع هذا النظام الخليفة عمر بن الخطاب، فقد كتب إليه أبو موسى الأشعرى أن تجارا من المسلمين يأتون أهل الحرب، فيأخذون منهم العشر فكتب إليه عمر فخذ أنت منهم. كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما.

---

(٥) الماوردى، ص ١٨٥.
(٦) الماوردى، ص ١٨٣.
(٧) القلقشندى: صبح الأعشى، الجزء الثالث، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩١٩، ص ٤٥٩.

وليس فيه دون المائتين شئ. فإذا كانت مائتين ففيها خمسـة دراهم فما زاد فبحسابه. [8]

نظام القضاء:

لما انتشر الإسلام فى عهد عمر وارتبط العرب بغيـرهم من الأمم دعت الحاجة إلى إدخال نظـام تشـريعى لفـض المنازعات التى تنشب بين الأفراد من العرب وغيرهم.

واقتضى الأمر تعيين قضاة ينوبون عن الخليفة فى حـل هذه المشاكل تماشيا مع أحكام القرآن والسنة والقياس.[1]

وعين عمر بن الخطاب على قضاء المدينة أبا الـدرداء، وعلى الكوفة شريح ابن الحارث وعلى البصرة أبـا موسـى الأشعرى وكتب له فى ذلك الكتاب المشهور الذى تدور عليه

---

(٨) أبو يوسف: الخراج، الطبعة الرابعة، القـاهرة ١٣٩٢هـ ـ، ص ١٤٣-١٤٦.

ابن زنجويه: الأموال، الجزء الأول، تحقيق شـاكر ذيـب فيـاض، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحـوث والدراسـات، السـعودية ١٩٨٦، ص ٢٠٩.

(٣)حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ص ٢٧٦.

سعيد عاشور وآخرون: دراسات فـى تـاريخ الحضـارة العربيـة الإسلامية، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، الكويـت ١٩٨٦، ص ١٦١-١٦٢.

أحكام القضاة يقول فيه: "القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فأفهم إذا أدلى إليك، وانفذ إذا تبين لك..".[٢]

وضع التقويم الهجرى:

كان عمر بن الخطاب أول من وضع التقـويم الهجـرى للتاريخ به منذ هجرة الرسول{ﷺ} إلى المدينة، وشرع فـى ذلك سنة ست عشرة فى شهر ربيع الأول.[٣]

الفتوحات الإسلامية فى زمن عمر بن الخطاب

كانت الجيوش الإسلامية مشتبكة فى حروب على جبهة الفرس والروم، عندما تولى عمر بن الخطاب مقاليد الخلافة، وحرص على إرسال النجدات من المدينة لتعزيز تلك الجبهات.

---

(١) المبرد: الكامل، الجزء الأول، علق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة د.ت، ص١٢-١٣.

-ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت د.ت، ص ١٨٤.

-صابر محمد دياب: تاريخ الدولة الإسلامية فى عصـر الخلفـاء الراشدين، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١، ص١٣١.

(٢)الطبرى ٥٦٩/٢ - ٥٧٠.

١ - بلاد فارس:

قدم المثنى بن حارثة الشيبانى على المدينة فى الليلة التى توفى فيها أبو بكر وطلب منه المدد وأوصى أبو بكر عمـر بن الخطاب بالمبادرة بإرسال الجيوش للمثنى.

ودعا عمر بن الخطاب الناس للمشاركة ولكـنهم كـانوا يكرهون قتال الفرس لشدة شوكتهم وحث المثنى الناس علـى قتال الفرس وهون عليهم أمر الفرس.

وقد جعل الخليفة عمر قيادة هذا الجيش إلى أبى عبيد بن مسعود الثقفى لمبادرته بالتطوع للجهاد وأوصـاه باستشـارة صحابة رسول ا ممن معه فى كل الأمور.

وأخذ أبو عبيدة يرغب الناس فى الجهاد ودعا كل القبائل التى مر عليها للمشاركة فى الجهاد.[1]

وخاض أبو عبيدة بن مسعود مع الفرس عدة معارك هـى:-

أ - معركة النمارق :

كانت هذه المعركة عقب وصول أبى عبيدة، وأراد الفرس أن يرهبوا أبا عبيدة، فأعدوا كل قواهم الداخلية وعبأوا الجند،

---

(١)ابن الأثير ٢٩٧/٢ ، هاشم يحيى الملاح ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

ولقوا فيها المسلمين واستعد أبو عبيـدة والمثنـى بـالجيش الإسلامى وكان اللقاء بين المسلمين والفرس فـى النمـارق. وأسفر هذا اللقاء عن هزيمة الفرس.

ب - السقاطية :

عندما انهزم الفرس فى النمارق سـاروا إلـى كسـكر. وطاردهم أبو عبيدة والتقى معهم فى السقاطية مـن نـواحى كسكر وتم النصر فيها للمسلمين على الفـرس.

ج – باقسياثا :

وصلت النجدات إلى الجيش الفارسى والتقوا مع المسلمين فى باقسياثا وحلت الهزيمة بالفرس.[٢]

د - معركة الجسر :

انزعج الفرس من الهزائم التى لحقـت بهـم علـى يـد المسلمين. وعزموا على حشد قوة كبيرة لملاقاة المسلمين عند موضع يدعى المروحة حيث وقعت معركة الجسر. وكانـت قوات الفرس تقف على الجانب الشرقى من نهر الفرات بينما تقف قوات المسلمين على الجانب الغربى. وأقام المسـلمون جسراً. وعبروا عليه. وكانت قوات الفرس تتألف من أربعـة

---

(٢)شكرى فيصل، ص ٤٨ - ٤٩.

آلاف ومعهم الفيلة. ودار قتال عنيـف، وكـاد المسـلمون يظفرون بالنصر لولا أن وقع أبو عبيد فبـرك عليـه الفيـل فمات، وكر الفرس على المسلمين، فأسرع رجل من ثقيـف يدعى عبد ا بن مرثد الثقفى إلـى الجسـر فقطـع علـى المسلمين خط الرجعة، ليحثهم على الصمود وتكبد المسلمون خسائر كبيرة فى هذه المعركة.[1]

و - معركة البويب :

ثقل على عمر أمر هزيمة الجسر، وندب الناس إلى جبهة فارس، وبعث الإمدادات إلى العراق وفى مقدمها جرير بـن عبد ا البجلى ومعه أربعة آلاف، وعصـمة بـن عبـد ا الضبى وانضموا إلى المثنى بن حارثة فى البويـب غـرب الفرات.

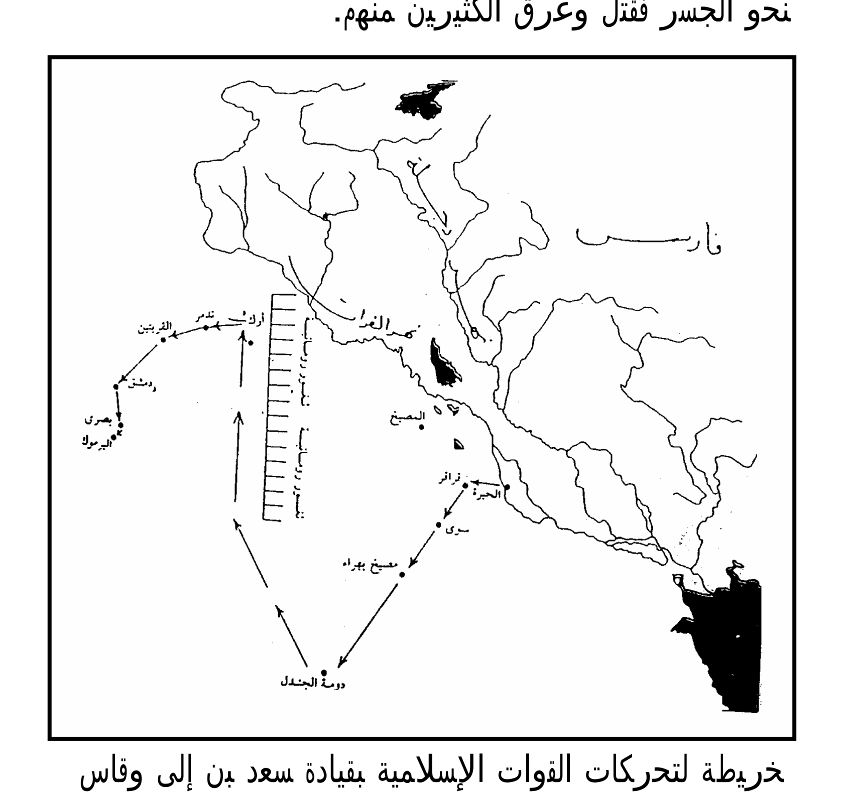
وانضم إليهم أنس بن هلال النمرى فى حشد عظـيم مـن بنى النمر وهم نصارى ليقاتلوا مع قـومهم العـرب ضـد الفرس.

---

(١)هاشم يحيى الملاح ، ص ٣٦٣. السيد عبـد العزيـز سـالم ، ص ٢٣٦.

شكرى فيصل ، ص ٤٩-٥٠.

وبعث الفرس جيشا من اثنى عشر ألفا بقيادة مهران بـن مهروية الذى عبر الفرات نحـوهم فـى البويـب. وكـان المسلمون قد استعدوا لملاقاة الفرس. ودار قتال عنيف بـين المسلمين والفرس وتراجع الفرس وطاردهم المسلمون بهـم نحو الجسر فقتل وغرق الكثيرين منهم.



خريطة لتحركات القوات الإسلامية بقيادة سعد بن إلى وقاس

المصدر : فايد حماد عاشور وآخرون ، شكل رقم (١١) .

وقد أدت هذه المعركة إلى تثبت أقدام المسلمين فى السواد بين دجلة والفرات. فسيطروا على الحيرة، وأخذ المثنى بـن حارثة يغزو الأنبار حتى وصل شمال تكريت. كمـا ثبـت المسلمون مواقعهم فى الأبلة حتـى سـيطروا علـى إقلـيم البصرة. وأخذوا يشنون الغارات على الفرس بـين الحيـرة وكسكر.[1]

هـ - معركة القادسية:

حشد الفرس جيوشهم لمحاربة المسلمين بعـد أن اسـتقر الحكم فى الإمبراطورية الساسانية ليزدجرد.

وبعث الخليفة عمر بن الخطاب إلى جبهة الفرس سعد بن أبى وقاص بدلا من المثنى بن حارثة الذى جرح فى موقعـة الجسر وقد توفى قبل أن تبدأ معركة القادسية.

وقعت هذه المعركة على الضفة الغربية لنهر الفرات فـى موضع يدعى القادسية.

وكانت هذه المعركة من أعنف المعارك التـى خاضـها المسلمون فى مواجهة الفرس، واستمرت المعركة أربعة أيام.

---

(١) عصام محمد شبارو: الدولة العربية الإسلامية الأولـى، الطبعـة الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٥، ص ٢٨٦.

وأسفرت عن انتصار حاسم للمسلمين على الفرس، وانسحبت القوات الفارسية المنهزمة إلى المدائن عاصـمة الساسـانين للتحصن بها.[٢]

ل- فتح المدائن ١٦ هـ :

أرسل الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقـاص بالمسير إلى المدائن وصل سعد بن أبى وقاص فى ذى الحجة ١٥ هـ/٦٣٦م، إلى مدينة بهر سير، وتقع غرب دجلة وتطل على إيوان كسرى فى المدائن شـرق ثـم أرسـل سـليمان الفارسى يدعو أهلها إلـى الإسـلام أو الجزيـة أو القتـال فحاصرها مدة شهرين بعد أن نصب حولها عشرين منجنيقا.

ولما اشتد الحصار انسحب الفرس من بهر سير وعبـروا دجلة نحو المدائن ولم يمهلهم سعد بن أبى وقـاص لتنظـيم صفوفهم. ودخل المدائن فى نفس شهر صفر ١٦هـ/٦٣٧م. ولم يجد فيها أحداً بعد أن هرب الفرس إلـى حلـوان وفـى مقدمتهم ملكهم يزدجرد الذى فر بعائلته وما استطاعوا حمله من الأموال والثياب.[٣]

---

(٢) هاشم يحيى الملاح ، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٣) عصام محمد شبارو ، ص ٢٩١-٢٩٣.

وجنى المسلمون غنائم كثيرة. ونزل سعد القصر الأبيض وجعل إيوان كسرى مصلى للمسلمين. ووزع الغنـائم علـى المقاتلين فكان نصيب الفارس اثنى عشر ألف درهم. وقسـم الدور فى المدائن على الجند.[1]

م- موقعة جلولاء:

طارد سعد بن أبى وقاص الفرس إلى جلولاء وأوقع بهـم الهزيمة، وأسر إحدى بنات كسرى وقتل عددا كبيـرا مـن الفرس. وترتب على فتح جلولاء دخل فى الإسـلام دهـاقين الفلاليج والنهرين وأقرهم عمر بن الخطاب على ما بأيـديهم من البلاد ورفع عنهم الجزية.

وأرسل سعد بن أبى وقاص إلى عمر ليبشره بأمر الفـتح فكتب إليه قف مكانك ولا تتبعهم.[2]

ن- موقعة نهاوند ٢١هـ / ٦٤٢م:

بعد انتصار المسلمين فى جلولاء وسقوط ما حولها مـن البلاد اضطر يزدجرد أن يغادر حلوان إلى إقلـيم فـارس، فافتتح المسلمون حلوان ثم قرميسين فـى الشـمال الشـرقى

---

(١) فايد حماد عاشور وآخرون ، ص ٢٧٤.

(٢) حسن إبراهيم حسن ١ / ١٧٩-١٨٠.

منهـا، ثم جرت الموقعة الكبرى التى يطلق عليها العـرب فتح الفتوح فى نهاوند جنوبى همذان سنة ٢١ هـ، ودار قتال عنيف بين المسلمين والفرس أسفر اللقاء عن هزيمة الفـرس وفتحت أمام المسلمين الطريق إلى مناطق إيران الداخلية.[٣]

وبلغ من اهتمام المسلمين بهذه الوقعة أن كاد يخرج إليها عمر بنفسه، وكانت هزيمة الفرس إيذانا بسـقوط المقاومـة المنظمة كلها وتشتت القوى الفارسية فى جهود فردية متفرقة يقوم بها حكام المقاطعات. وتابع المسلمون تقدمهم حتى غلبوا على أصفهان ثم أصطخر، ثم تتساقط مدن خراسان فى يدى الأحنف بن قيس وقتل يزدجرد بعد سلسلة من التنقلات فـى مرو سنة ٣١هـ/٦٥١م.[٤]

٢- فتـوح الشـــــــــــام:

أ- دمشق (١٤هـ/ ٦٣٥م):

لما انتصر المسلمون فى موقعة اليرموك، قفل هرقل عائدا إلى حمص ليجعلها مقرا لأعماله الحربية فخرج أبو عبيدة حتى نزل بمرج الصفر وبعث الخليفة عمر بن الخطاب

---

(٣) نبيه عاقل وآخرون ، ص ١٣٤.

(٤) نبيه عاقل وآخرون ، ص ١٣٥.

أوامره بتولية الأمراء على ما استعملهم عليه أبو بكر. فيما عدا عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فإنه ضم خالداً إلى أبى عبيدة. وأمر عمرا بمعاونة غيره من القواد حتى تنتقل الحرب إلى فلسطين فيتولى القيادة فيها.

وشرع أبو عبيدة فى تنفيذ عملياته الحربية للاستيلاء على دمشق فنزل عمرو بن العاص بباب الفراديس، وخالد بن الوليد بالباب الشرقى وأبو عبيدة بن الجراح بباب الجابية، وشرحبيل بن حسنة بباب توما، وقيس بن هيبرة بباب الفرج.

وشدد المسلمون الحصار على أهل دمشق سبعين يوما، ومنعت وصول الإمدادات والمؤن من الدخول للمدينة.[1]

ودخل خالد بن الوليد عنوة من الباب الشرقى، وأذعن البيزنطيون لأبى عبيدة بن الجراح بالصلح والتقى مع خالد عند كنيسة المقسلاط. ووافق أبو عبيدة على اعتبار أن فتح دمشق تم صلحا.[2]

---

(١) حسن إبراهيم حسن ١ / ١٨٧-١٨٨ وانظر: ابو الفداء ١ / ١٩٩

(٢) عصام محمد شبارو ، ص ٣٠٧.

ب - فتح مدن الشام الشمالية :

سار المسلمون بعد فتح دمشق إلى فحل واستولوا عليهـا، ثم استولوا على بيسان، وطبرية[٣] وسار أبـو عبيـدة إلـى حمص سنة ١٥/٦٣٦م وفرض عليها الحصار وطلب الروم الصلح مع أبى عبيدة فصالحهم. ثم سار إلى حمـاة وخـرج الروم يطلبون الصلح من أبى عبيدة فصالحهم على الجزيـة وفرض على الأرض ضريبة الخراج.

كما فتح أبو عبيدة اللاذقية وجبلة وقنسرين.[٤] وواصـل أبو عبيدة فتح المدن والقلاع حتى بلغ الفرات وسير قواده فى حملات إلى منبج ودلوك ورعبان وبالس، فافتتحوها صـلحا، ثم عبرت جيوش المسلمين درب بغراس من أعمال انطاكيـة إلى بلاد بيزنطة بقيادة ميسرة بن مسروق العبسى وهـو أول من سلك هذا الدرب من المسلمين.[١]

---

(٣) حسن إبراهيم حسن ١ / ١٨٨.

(٤) أبو الفداء ١ / ١٩٩ - ٢٠٠

(١) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٢١٠.

ج- فتح بيت المقدس:

سار عمرو بن العاص وشرحبيل إلى بيسـان فافتتحاهـا وصالحا أهل الأردن. واجتمع عسكر الروم بغزة وأجنـادين وبيسان وسار عمرو وشرحيبل إلى الأرطبون ومن معه وهو بأجنادين. وكان الأرطبون من دهاة قادة الروم وحشد جنـده فى الرملة وإيلياء. ولما علم بذلك عمر بن الخطـاب قـال: رمينا أرطبون الروم بأرطيون العرب. وشغل معاوية أهـل قيسارية عن عمرو وجعل عمرو كل من علقمة بـن حكـيم ومسروق العكى على قتال أهل إيلياء ليشـغلوا عنـه جنـد الروم. وجعل أبا أيوب المالكى على من بالرملة من الـروم. وتدفقت الإمدادات على عمر بن العاص من المدينة المنورة.

وعزم عمرو بن العاص على قتال الأرطبون فى أجنادين وأنهزم الأرطبون وانسحب إلى إيلياء ونزل عمرو أجنادين. ولما دخل الأرطبون إيلياء (بيت المقدس) فتح عمرو غـزة ونابلسى واللد وعموس، وبيت جبرين ويافا ومرج العيون.

ولما شدد أبو عبيدة بن الجراح الحصار على بيت المقدس طلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام بشرط

أن يحضر الخليفة عمر والتقى الخليفة عمر بأمرائه على جند الشام فى الجابية.

وسلم أهل بيت المقدس المدينة إلى الخليفة عمر وصالحهم على الجزية وفى تلك الأثناء كان الأرطبون قـد فـر إلـى مصر.[٢]

وكتب الخليفة عمر بن الخطاب كتاب الصـلح والأمـان لأهل بيت المقدس، ويعتبر هذا الكتاب أجمل صورة تاريخية لسياسية التسامح.[٣]

د- فتح مدن ساحل الشام الجنوبى:

سار يزيد بن أبى سفيان ومعه أخوه معاويـة فـى فـتح سواحل الشام الجنوبية فاسـتولى علـى عرقـة، وجبيـل، وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا[١]

وسار عمرو بن العاص إلى قيسارية لملاقاة قسطنطين بن هرقل، ولكـن هذا الأمير وجد أنه لا جدوى مـن القتـال، فرحل سراً هو وأسرته إلى القسطنطنية.[٢]

---

(٢) ابن الاثير ٢ / ٣٤٦ - ٣٤٩.
(٣) عصام محمد شبارو ، ص ٣١٢.
(١) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٢١٢
عصام محمد شبارو ، ص ٣١٤.

٣- فتح مصر (١٩-٢١هـ / ٦٤٠-٦٤٢م):

لما قدم الخليفة عمر بن الخطاب إلى الجابية عرض عليه عمرو بن العاص فكرة فتح مصر مبنياً له أهميتها كقوة للمسلمين وكثرة أرضها وخيراتها. ولكن عمر رفض هذه الفكرة فى مستهل الأمر خشية على المسلمين من التوسع فى عدة جبهات ولم تثبت أقدامهم بعد فى البلاد التى فتحوها.[٣]

وكان فتح مصر أمرا تقتضيه طبيعة الوجود الإسلامى فى بلاد الشام، فإن بقاء مصر فى يد الروم، يهدد سلطانهم فيها بالزوال. كما أن موقع مصر الجغرافى يساعد العرب على مواصلة الفتح غربا لضم المغرب والأندلس إلى حوزة الدولة الإسلامية. أضف إلى ذلك أن العرب بفتحهم لمصر يحققون أهم غرض من الفتوح العربية وهو نشر الإسلام فى منطقة جديدة من أراضى الإمبراطورية الرومانية.[٤]

---

(٢) حسن إبراهيم حسن ١ / ١٨٩.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، تحقيق هنرى ماسيه، ليدن د.ت، ص ٥٣-٥٦.

(٤) حسن ابراهيم حسن ١ / ١٩١ - ١٩٢. - على ابراهيم حسن ، ص ٢٣٣-٢٣٤.

- على ابراهيم حسن: مصر فى العصور الوسطى، الطبعة الخامسة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٣٥-٣٦.

وبعد اقتناع الخليفة عمر بن الخطاب أذن إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر على رأس أربعة آلاف وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل وشرط عليه أنى مرسل إليك كتابا فان أدركك وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو تدخل شيئا من أرضها فانصرف وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامضى واستعن با واستنصره.[5]

واختلفت الرويات حول وصول كتاب الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمرو ابن العاص فقيل إنه وصل وهو فى رفح فتخوف أن يفتحه وأن يجد فيه ما يحول دون تحقيق هدفه بدخول مصر. وقيل إنه لم يأخذ الكتاب حتى نزل فيما بين رفح والعريش. ولما علم أنه دخل حدود مصر امر بفتح الكتاب على جنده.[1]

أ- العريـ ـ ـش:

سار عمرو بن العاص فى الطريق المحاذى للبحر المتوسط حتى وصل إلى العريش. وفتحها بدون مقاومة من القوات الرومانية.

---

(٥) ابن عبد الحكم، ص ٥٦.

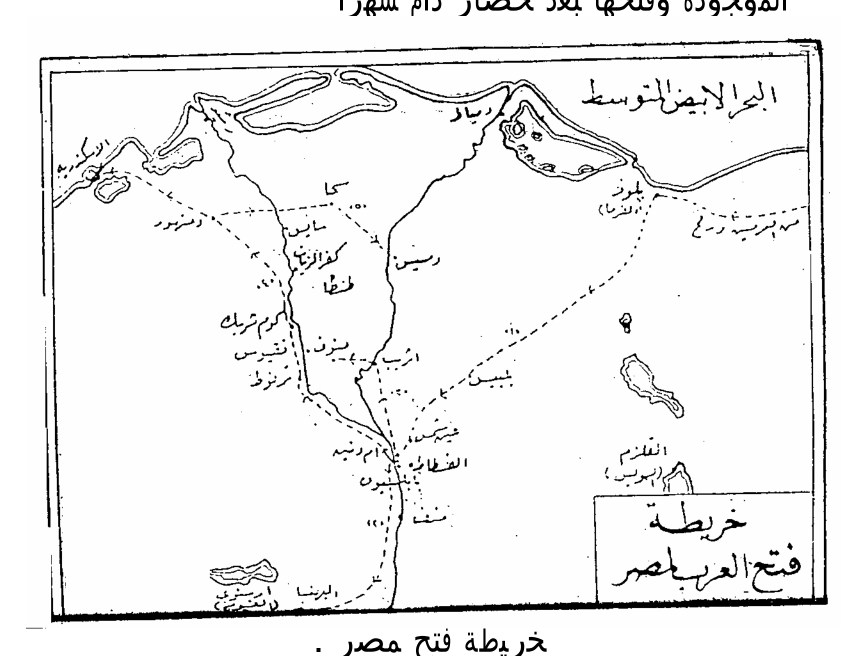
(١) ابن عبد الحكم، ص ٥٦.

ب- الفرمـــا:

واصل عمرو زحفه تجاه الفرما واصطدم بحامية رومانية، واستمر القتال بين الفريقين لمدة شهر حتى فتحها.

ج- بلبيـــس:

مضى عمرو بن العاص إلى بلبيس واشتبك مع المقاومة الموجودة وفتحها بعد حصار دام شهراً[2]



خريطة فتح مصر .

المصدر : على إبراهيم حسين : مصر فى العصور الوسطى

---

(٢) ابن عبد الحكم، ص ٥٨-٥٩.

وكان بها أرمانوسة ابنة المقوقس "قيرس" وأرسلها عمرو بن العاص بأموالهم إلى أبيها معززة مكرمة واكتسب عمرو بن العاص بهذا الموقف محبة القبط.[1]

د- أم دنيـــن :

زحف عمرو بن العاص إلى قرية أم دنيين (جهة الأزبكية) والتقى مع الروم ودار بين العرب والروم قتالا عنيفا.

وكتب عمرو إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب المدد فأمده بأربعة آلاف رجل وعليهم أربعة رجال أقوياء هم الزبير بن العوام، والمقداد ين عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد. وقيل خارجة بن حدافة.

ولما وصل هذا المدد إلى عين شمس (هليوبوليس) سار عمرو بن العاص لملاقاته فتقدم لقتاله تيودور ملك الروم فى عشرين ألف، فوضع له عمرو كمينا فى موضع خفى من الجبل الأحمر (شرقى العباسية) وآخر فى النيل بالقرب من أم

---

(١) حسن ابراهيم حسن ١ / ١٩٢. علـــى ابراهيم حسن ، ص ٣٦.
عصام محمد شبارو ، ص ٣١٨-٣١٩.

دنيين واشتد القتال خرج كمين العرب من الجبل الأحمر وانقضت على الروم واختل نظامهم وذهبوا إلى أم دنين، فقابلتهم قوة العرب التى على النيل فأصبحوا محصورين بين جيوش العرب التى أنزلت هزيمة ساحقة بالروم.[٢]

هـ - حصن بابليون:

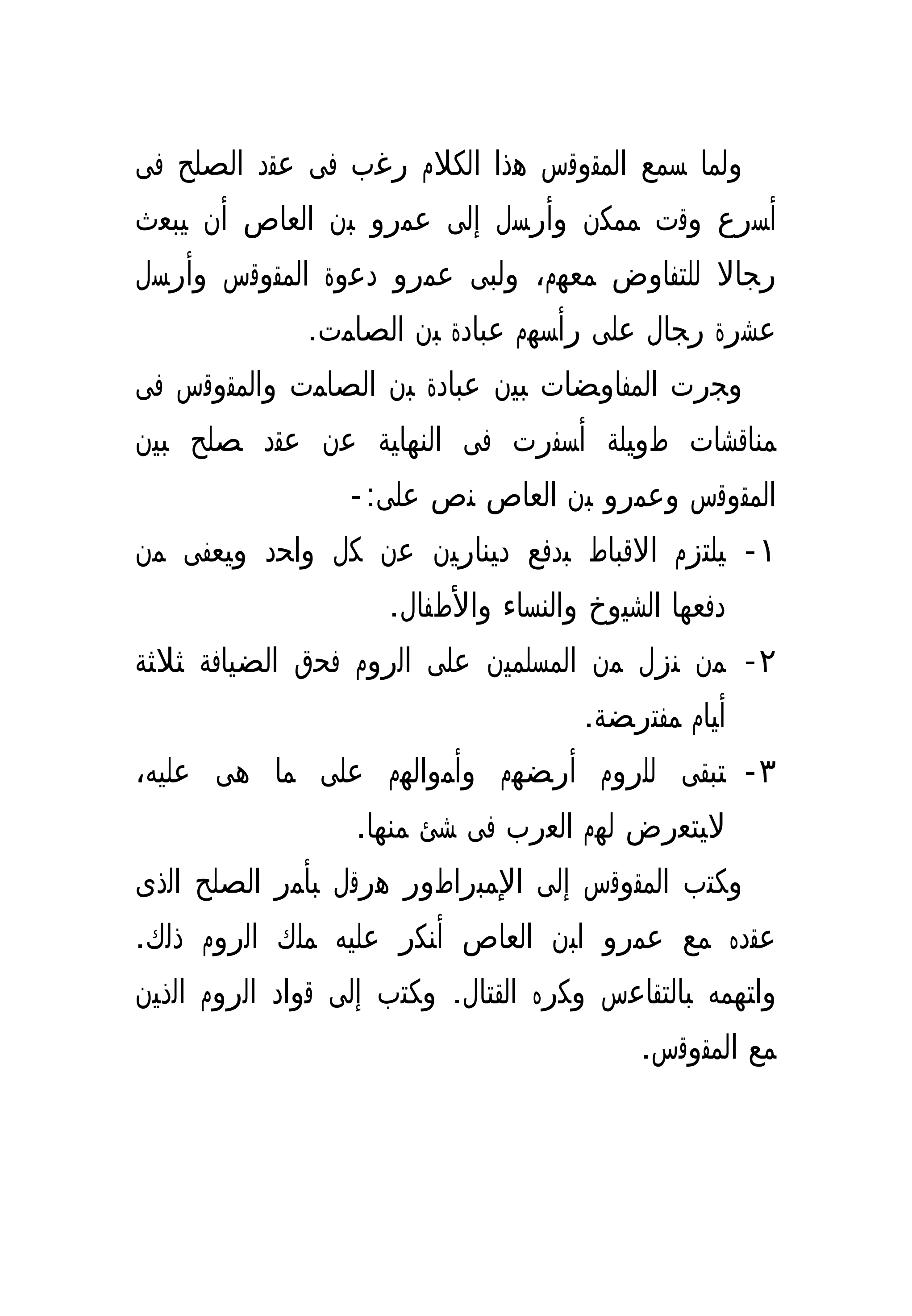
فر الرومان من أم دنيين إلى حصن بابليون أقوى الحصون الرومانية فى مصر وكان يعرف هذا الحصن باسم "قصر الشمع" فحاصره سنة ٢٠هـ/٦٤٠م. وطالت مدة الحصار إلى سبعة أشهر.

وطلب المقوقس التفاوض مع عمرو بن العاص. وبعث برسله إلى عمرو الذى عمد إلى إبقائهم عنده يومين، ليشاهدوا حالة الجيش الإسلامى، وبعث عمرو برسله معهم وحدد مطالبة للمقوقس وهى الدخول فى الإسلام أو الجزية او القتال.

وسأل المقوقس رجاله عن حالة المسلمين فقالوا: "رأينا رجالا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إليه من الرفعة ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة "

---

(٢) على ابراهيم حسن ، ص ٣٨.



ولما سمع المقوقس هذا الكلام رغب فى عقد الصلح فى أسرع وقت ممكن وأرسل إلى عمرو بن العاص أن يبعث رجالا للتفاوض معهم، ولبى عمرو دعوة المقوقس وأرسل عشرة رجال على رأسهم عبادة بن الصامت.

وجرت المفاوضات بين عبادة بن الصامت والمقوقس فى مناقشات طويلة أسفرت فى النهاية عن عقد صلح بين المقوقس وعمرو بن العاص نص على:-

١- يلتزم الاقباط بدفع دينارين عن كل واحد ويعفى من دفعها الشيوخ والنساء والأطفال.

٢- من نزل من المسلمين على الروم فحق الضيافة ثلاثة أيام مفترضة.

٣- تبقى للروم أرضهم وأموالهم على ما هى عليه، لايتعرض لهم العرب فى شئ منها.

وكتب المقوقس إلى الإمبراطور هرقل بأمر الصلح الذى عقده مع عمرو ابن العاص أنكر عليه ملك الروم ذلك. واتهمه بالتقاعس وكره القتال. وكتب إلى قواد الروم الذين مع المقوقس.

وأخبر المقوقس عمرو بن العاص برفض هرقل للصلح وأمر قواده من الروم بمواصلة القتال فى حين أن المقوقس التزم بعهده ومن أطاعه من الأقباط مع المسلمين.[1]

ولما طال حصار المسلمين لحصن بابليون صعد الزبيـر بن العوام إلى أعلى الحصن وكبر وظن الروم أن العرب اقتحموا الحصن فولوا هاربين ودخل الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن.[2]

و- الاسكندرية (٢١ هـ/ ٦٤٢م)

لما سقط حصن بابليون فى يد عمرو بن العاص سار إلى الإسكندرية وخرج معه جماعة من الأقباط لإصلاح الطرق وإقامة الجسور. وعلمت الروم بخروج عمرو فاستعدوا لملاقاته واصطدم بحاميات رومانية فى ترنوط، وكوم شريك وسلطيس، والكريون كان النصر حليف عمرو فى تلك الأماكن.[3]

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٧١-٧١ . على ابراهيم حسن: مصـر فـى العصور الوسطى، ص ٤٢

حسن ابراهيم حسن ١ / ١٩٤.

(٢) ابن عبد الحكم، ص ٦٣.

(٣) ابن عبد الحكم، ص ٧٣.

وصل عمرو بن العاص إلى الاسكندرية وفرض عليها الحصار لمدة أربعة عشر شهراً.

وتحصن الروم بالاسكندرية ودافعوا عنها بكل قوة. ووضع عمرو بن العاص خطة حربية نفذها رجاله بكل بسالة وعلى إثرها سقطت الاسكندرية فى يد المسلمين وهرب الروم فى البر والبحر وأرسل عمرو بن العاص بخبر فتح الإسكندرية مع معاوية بن حديج إلى الخليفة عمر بن الخطاب أن ا قد فتح علينا الإسكندرية عنوة.[1]

ولما تم عمرو بن العاص فتح الإسكندرية ورأى بيوتها هم أن يسكنها وكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك، فجاء جواب الخليفة عمر أن لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى الشتاء أو الصيف فقفل عمرو ابن العاص عائدا إلى الفسطاط. وشيد فى هذا الموضع المسجد سنة ٢١هـ/٦٤٢م وهو أول مسجد بنى فى مصر وعرف بجامع الفتح أو الجامع العتيق. وشيد عمرو ابن

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ٧٩-٨١.

العاص داراً له بجوار المسجد واختطت قبائل قريش، والأنصار، وأسلم، وغفار وجهينة مساكنها.[٢]

٤ - فتح النوبـــة :

لما فتح عمرو بن العاص مصر بعث عقبة بن نافع إلى بلاد النوبة. ولقى المسلمون من أهل النوبة قتالاً شديداً فكانوا يرشقونهم بالنبل وكانوا يعرفون برماة الحدق.[٣]

٥- فتح برقة وطرابلس (٢٢-٢٣هـ / ٦٤٣-٦٤٤م) :

سار عمرو بن العاص إلى برقة على الطريق الساحلى المحاذى للساحل[٤] واستولى على برقة سنة ٢٢هـ: ٦٤٣م وأذعن أهلها لدفع الجزية ومقدارها ثلاثة عشر ألف دينار.[٥]

ورغب عمرو فى مواصلة فتوحه فشرع فى تجهيز جيشين: أحدهما. يسير بحذاء الساحل للاستيلاء على

---

(٢) ابن عبد الحكم، ص ٩١-٩٨ عصام محمد شبارو ، ص ٣٢٧

(٣) البلاذرى، ٢٨٠/١.

(٤) صابر محمد دياب: بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٥٥-٥٦.

(٥) ابن عبد الحكم، ص ١٧٠ ، البلاذرى، ٢٦٤/١ ، الطبرى ٥٣٤/٢. ابن الاثير ١٢/٣.

طرابلس والثانى يتجه إلى الداخل للسيطرة على المراكز العمرانية فى جوف الصحراء التى تمثل جيوباً للمقاومة يخشى من قطعهم خط الرجعة على المسلمين.[٦]

بعث عمرو قائده عقبة بن نافع بحملة إلى فزان ففتحتها ثم واصل زحفه جنوبا حتى استولى على زويلة.[١]

أما عمرو بن العاص سار بحملة إلى طرابلس وفرض عليها الحصار سنة ٢٢هـ/ ٦٤٣م لمدة شهر وسقطت فى يد المسلمين[٢] ثم بعث عمرو جيشا لمفاجأة سبرت،[٣] وجيشا آخر بقيادة بسر بن أبى أرطاة لفتح ودان سنة

---

(٦) حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ص ٥٦.

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت، ص ٥٨.

(١) ابن عبد الحكم، ص ١٧١ . البلاذرى ٢٦٤/١ ، الطبرى ٥٣٤/٢.

(٢) ابن عبد الحكم، ص ١٧١-١٧٢ ، ابن الاثير ١٢/٣.

(٣) ابن عبد الحكم، ص ١٧٢ ، ابن الاثير ١٣/٣.

٢٣هـ/٦٤٤م[٤] ليقضى على أى محاولة مفاجأة من جانب البربر على المسلمين وليـأمن ماتم فتحه.[٥]

وأرسل عمرو بن العاص بخبر الفتح إلى الخليفة عمرو يستاذنه فى مواصلة الفتح : "أن ا فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين أفريقية الا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزو ويفتحها ا على يديه فعل".[٦]

ولكن الخليفة عمر بن الخطاب رفض فكرة الاستمرار فى الفتح بقوله "لا إنها ليست أفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت".[٧]

وعاد عمرو بن العاص إلى مصر بناء على رغبة الخليفة عمر بعد أن ترك عقبة ابن نافع على ولاية برقة والمناطق الصحراوية يدعوهم للإسلام حيث نجح فى كسب ود سكان

---

(٤) البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنـى، بغداد د.ت، ص ١٢-١٣.

(٥) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٦٣.

(٦) ابن عبد الحكم، ص ١٧٢-١٧٣ ، البلاذرى، ٢٦٦/١.

اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، الجزء الثانى، دار صـادر، بيـروت، د.ت، ص ١٥٦.

(٧) ابن عبد الحكم، ص ١٧٣.

البلاد من قبائل لواتة ونفزاوة وهوارة فدخلوا فى الإسلام وأصبحت برقة قاعدة الجيش الإسلامى فى غرب مصر.[(٨)]

استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب:

طعن أبو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة بن شعبة الخليفـة عمر بن الخطاب ثلاث طعنات فى جسده أثناء تأديته لصلاة الصبح، وتوفى بعدها بثلاثة أيام.[(٩)]

---

(٨) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٦٦.

محمد محمد زيتون: المسلمون فى المغرب والاندلس، دار الوفـاء للطباعة، القاهرة ١٩٨٤، ص ١٤

(٩) صابر محمد دياب ، ص ١٣٣.

الفصل السابع عشر

عثمان بن عفـان [٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤-٦٥٦م]

التعريف بالخليفة

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبـد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لـؤى بن غالب القرشى الأموى. يكنى بأبى عمرو، ويقال له أبـو عبد ا ، وأبو ليلى.[1]

أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب.[2]

ولد فى السنة السادسة من بعد عـام الفيـل، وهـو مـن السابقين إلى الإسلام. وهو ممن دعاه أبو بكر الصديق إلـى الإسلام، وهاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشة، والثانية إلـى المدينة. وأحد الصحابة الذين تـوفى الرسـول {ﷺ} وهـو راض. و أحد الصحابة الذين جمعوا القرآن.

---

(١) السيوطى، ص ١٦٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، المجلد الثالث، دار الفكر العربـى، القاهرة، د.ت، ص ٣٦.

الطبرى، ٦٩٢/٢ ، ابن الاثير ٩٣/٣، السيوطى، ص ١٦٥.

ولقب عثمان بذى النورين لأنه تزوج بـابنتى الرسـول {ﷺ} رقية وتوفيت بعد غزوة بدر ثم أم كلثوم وقد توفيـت فى حياة الرسول {ﷺ}. فقال عليه السلام لو كـان عنـدى ثالثـة زوجتها عثمـان.[٣]

كان سفيراً للرسول {ﷺ} فى صلح الحديبية لإقناع أهل مكة أن الرسول {ﷺ} جاء معتمرا.[٤] ساهم بمال فى تمويل جيش العسرة[٥] " غزوة تبوك".

تولية عثمان بن عفان الخلافة:

لما طعن عمر بن الخطاب على يد أبو لؤلؤة المجوسـى فكر فى أمر الأمة وحالها ودخل عليه المسلمون. وسألوه أن يخلف أحدا عليهم، قيل له: يا أمير المؤمنين، لو اسـتخلفت! قال من أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته فان سألنى ربى قلت: سمعت نبيك يقول "إنه أمين هذه الأمة" ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا استخلفته، فإن سألنى ربى قلت: سمعت نبيك يقول: " إن سالما شديد الحب ". فقال له رجل: أدلك عليه؟ عبد ا بن عمر، فقال: قاتلك ا وا ما

(٣) السيوطى، ص ١٦٣.
(٤) ابن الاثير ١٣٨/٢.
(٥) السيوطى، ص ١٦٧.

أردت بهذا، ويحك! كيف استخلف رجلا عجز عـن طـلاق امرأته إلا أرب لنا فى أموركم، ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتى، إن كان خيرا فقد أصبنا منه وان كـان شـرا فشرعنا آل عمر يحسب آل عمر ان يحاسب مـنهم رجـل واحد.

وإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى، وأن اتـرك فقد ترك من هو خير منى.

ودعا عمر بن الخطاب على بن أبى طالب، وعثمان بـن عفان، وسعد ابن أبى وقاص، وعبد الـرحمن بـن عـوف، والزبير بن العوام. وطلحة بـن عبيد ا . وقال: إنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد قبض رسول ا {ﷺ} وهو عنكم راض. إنى لا أخاف عليكم أن استقامتم ولكن اخاف عليكم اختلافكم فيمـا بيـنكم فيختلف الناس انهضوا إلـى حجـرة عائشـة بـإذن منهـا فتشاوروا. واختاروا رجلا مـنكم وقـال عمـر: إذا مـت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب، ولا يأتين اليـوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم؛ ويحضر عبـد ا بـن عمـر مشيرا، ولا شئ له من الأمر؛ وطلحة شريككم فـى الأمـر؛ فإن قدم فى الأيام الثلاثة فاحضروه أمركم، وإن مضت الأيام

الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم وقال لأبى طلحة الأنصارى خذ خمسين رجلا من الأنصار، واستخلف هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم.

وكانت خطة العمل التى حـددها عمـر بـن الخطـاب للمجتمعين إذا اجتمع خمسة ورضوا رجلا ورفـض واحـد فأشدخ رأسه وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فأضرب رؤوسهما، فإن رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد ا بن عمر، فـأى الفـريقين حكـم لـه فليختاروا رجلا منهم؛ فإن لم يرضوا بحكم عبد ا بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.[1]

وقال طلحة: أنا كنت لإن تـدفعوها أخـوف منـى لأن تنافسوها! إلا والذى ذهب بنفس عمر؛ لا أزيدكم على الأيـام الثلاثة التى أمرتم، ثم أجلس فى بيتى؛ فأنظر ما تصـنعون! فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها علـى أن يوليها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد، فقال: فإنا انخلع منهـا؛ فقـال عثمان: أنا أول من رضى، فإنى سمعت رسـول ا {ﷺ}

(١) الطبرى ٥٨٠/٢-٥٨١. ابن الاثيـر ٣٥/٣. ابـن كثيـر ٧/ ١٦٣.

يقول: " أمين فى الأرض أمين فى السماء" فقال القـوم: قـد رضينا- وعلى ساكت-وقال على: أعطونى موثقا لتـؤثرن الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخص ذا رحم ولا تألون الأمـة! فقال: أعطونى مواثيقكم على أن تكونوا معى على من بـدل وغير، وأن ترضوا من أخترت لكم.

فقال لعلى، إنك تقول: إنى أحق من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدين ولم تبعد؛ ولكن أرايـت لـو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر ، من كنـت تـرى مـن هؤلاء الرهط أحق بالأمر؟ قال عثمان : وخـلا بعثمـان، تقول: شيخ من بنى عبد مناف، وصـهر رسـول ا {ﷺ} وابن عمه، لى سابقة. وفضل، فلن يصرف هذا الأمر عنى، ولكن لو لم تحضر فأى هؤلاء الرهط تراه أحق بـه؟ قـال: على: ثم خلا بالزبير فكلمه بمثل ما كلم به عليـا وعثمـان؛ فقال: عثمان ثم خلا بسعد فكلمه، فقال: عثمان فلقـى علـى سعدا.

وكان عبد الرحمن يخرج بالليل يلقى أصحاب رسول ا {ﷺ} ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف النـاس، يشاورهم، ولا يخلوا برجل إلا أمره بعثمان؛ حتى إذا كانـت الليلة التى يستكمل فى صبيحتها الأجـل، واجتمـع هـؤلاء

الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم إلى ثلاثـة منكم. فقال الزبير جعلـت أمـرى لعلـى. وقـال سعـد: لعبد الرحمن بن عوف أنا وأنت كلالة، فأجعل نصـيبك لـى فاختار، قال: إن اخترت نفسك فنعم. وإن اختـرت عثمـان فعلى أحب إلى.

وإراد عبد الرحمن أن يحسم مسألة الخلافة لأن الناس أرادوا ان ينصرفوا إلى أمصارهم وقد علموا من أميرهم.

ودعا عبد الرحمن بن عوف عليا، فقال: عليك عهـد ا وميثاقه لتعملن بكتاب ا وسنة رسوله وسيرة الخليفتين مـن بعده؟ قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى. ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلى، قال: نعم فبايعـه[1] ووفـد الناس يبايعون عثمان، وأول من بايعه على بن أبـى طالـب ولا صحة للأخبار الواردة فى المصادر التاريخية عن تـأخر بيعة على فهذه الأخبار مردودة على قائليها وناقليها.[2]

---

(١) الطبرى، ٥٨٣/٢ ، ابـن الأثيـر ٣٦/٣-٣٨ ، ابـن كثيـر ١٦٤/٧-١٦٥.

(٢) ابن سعد ٤٣/٣ ، ابن كثير ١٦٥/٧.

وقدم طلحة فى اليوم الذى بويع فيه لعثمان، فقيل له: بايع عثمان، فقال: أكل قريش راضى به؟ قال: نعم، فأتى عثمـان وقال: قد رضيت لا أغرب عما قد اجمعوا عليه وبايعه.[٣]

بيعـة عثمـان:

بويع عثمان بالخلافة فى الثالث من شهر المحـرم سـنة ٢٤هـ/٦٤٤م وخطب عثمان فى الناس قائلا: " إنكم فى دار قلعة، وفى بقية أعمار، فبـادروا أجالكم بخير مـا تقـدرون عليه، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، إلا وأن الدنيـا طويـت على الغرور فلا تغرنكم الحيـاة الدنيـا ولا يغـرنكم بـا الغرور ".[٤]

وعمل عثمان على تعيين بعض ولاته، فعزل المغيرة بـن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن أبى وقاص.[٥]

قضية عبيد ا بن عمر :

كانت قضية عبيد ا بن عمر أول القضايا التى عرضت على الخليفة عثمان بن عفان عقب توليه. فدعا عبيد ا بـن عمر الذى قتل قاتل أبيه أبا لؤلـؤة، وقتـل جفينـة (رجـلا

---

(٣) الطبرى ٥٨٣/٢ ، ابن الاثير ٣٨/٣.

(٤) الطبرى ٥٨٩/٢، ابن كثير ١٦٦/٧.

(٥) الطبرى ٥٩٠/٢ ، ابن الاثير ٤١/٣.

نصرانيا) من أهل الحيرة أحضره سعد بن أبى وقاص لتعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة وقتل الهرمزان. فلمـا قتـل هؤلاء أخذه سعد بن أبى وقاص وحبسه فى داره وأخذ سيفه وأحضره عند عثمان. وكان عبيد ا يقـول: " وا لأقـتلن رجالا ممن شرك فى دم أبى يعرض بالمهاجرين والأنصار".

وكان سبب قتل هؤلاء النفر أن عبد الرحمن بن أبى بكر قال: غداة عمر رأيت عشية أمس الهرمزان، وأبـا لؤلـؤة، وجفينة وهم يتناجون. فلما رأونى ثاروا وسقط الخنجر الذى قتل به عمر.

ولما أحضره عثمان قال: " أشيروا على فى هذا الرجـل الذى فتق فى الإسلام ما فتق".

فقال على: أرى أن تقتله فقال بعض المهـاجرين: " قتـل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم" وقال عمرو بن العاص: " إن ا قد أعفاك أن يكون هذا الحدث ولك على المسلمين سـلطان. فقال عثمان: أنا وليه وقد جعلتها دية وأحتملها فى مالى".[1]

أظهرت هذه القضية طبيعة الخليفة عثمان فـى السـماحة واللين. وهو فى هذه القضية لم يعطل حدا مـن حـدود ا ،

---

(١) ابن الاثير، ٣٩/٣ ، ابن كثير ١٦٧/٧.

وإنما استعمل حقه كإمام فى أن يعفـو، ولكنه لم يكن يستطع أن يعفو من غير دية. وقد قرر الدية من مالـه.[٢]

من أهم أعمال الخليفة عثمان بن عفان:

١- تدوين المصحف: أسند أبو بكر الصديق مهمة جمع القرآن الكريم إلى زيد بن ثابت عقب موقعة اليمامة التى قتل فيها الكثير من قراء القرآن وحفظت نسخة من القرآن الكريم وحفظت عند أبى بكر ثم عمر ثم عند حفصة بنت عمر.[٣]

عاد حذيفة بن اليمان من غزو الباب وأخبر سـعيد بـن العاص وإلى الكوفة أمراً لا يمكن السكوت عليـه اخـتلاف الناس فى القرءان قال: وما ذاك قال: رأيت أناسا من أهـل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم. وأنهـم اخذوا القرآن عن المقداد. ورأيت أهل دمشـق يقولـون إن

---

(٢) احمد ابراهيم الشريف: دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة، دار الفكر العربى، القاهرة د.ت، ص ٢٨٧.

(٣) ابن العربى: العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة، حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية، بيـروت ١٩٨٦، ص ٦٧-٦٨.

قراءتهم خير من قراءة غيرهم، ورأيت أهل الكوفة يقولـون مثل ذلك.[٤]

ورحل حذيفة بن اليمان إلى الخليفة عثمان وأخبره بما راه قائلا: أدركوا الأمة فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم فأعظموه ورأوا جميعا جمع القرآن، فأرسل عثمان إلى حفصـة بنـت عمر لكى ترسل الصحف وعهد عثمان إلى زيد بن ثابـت، وعبد ا بن الزبير، وسـعيد بـن العـاص فنسـخوه فـى المصاحف ونصحهم الخليفة عثمان إذا حدث لبس فى فهم آية فاكتبوها بلسان قريش. فلما كتبوها أعـادوا الصـحف إلـى حفصة وأرسل إلى أقاليم الدولة الإسلامية المصحف الموحد وأمر أن يعتمدوا عليه فى قراءة القرآن وأحـرق الصـحف الأخرى.[١]

ورمى المعارضون بسهامهم على الخليفة عثمان فى هـذا العمل الجليل، بأنه ابتدع فى جمع القرآن، وتأليفه وفى حرق المصحف.[٢]

---

(٤) ابن الاثير، ٥٥/٣.

(١) ابن العربى، ص ٦٨-٧٠ ، ابن الاثير ٥٦/٣.

(٢) ابن العربى، ص ٦١.

ومن المعروف أنه ليس لدى المعارضـة علمـاء كبـار يدركون مغزى هذا العمل العظيم. بل ربمـا أدرك بعضـهم فائدة ذلك. ولكن الغضب والحقد

أعمى بصيرته فاستغل القضية ضد الخليفـة دون تمييـز للأمور.(٣)

وتشير رواية سـويد بـن غفلـة مـن كبـار التـابعين (ت.٨٠هـ/٦٩٩م) وا لا أحدثكم إلا شيئا سمعته من على بن أبى طالب سمعته يقول: " يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمـان ولا تقولوا له إلا خيرا فى المصاحف وإحراق المصـاحف، فوا ما فعل الذى فعل الا عن ملأ منا جميعـا، فقـال: مـا تقولون فى هذه القراءة فقد بلغنـى أن بعضـهم يقـول: إن قراءتى خير من قراءتك : وهذا يكاد أن يكون كفراً..".(٤)

٢ - توسيع المسجد الحرام والمسجد النبوى :

أمر الخليفة عثمان فى سنة ٢٦هـ/٦٤٦م بتجديد المسجد الحرام وتوسعته بشراء بعض الدور المجاورة للمسجد.(٥)

---

(٣) اكرم ضياء العمرى ، ص ٣٨٠.
(٤) اكرم ضياء العمرى ، ص ٣٧٩.
(٥) الطبرى ٥٩٥/٢ ، ابن الاثير ٤٤/٣ ، ابن كثير ١٧٠/٧.

كما أمر بزيادة المسجد النبوى فى سنة ٢٩هـ ـ/٦٤٩م. وكان ينقل الحصى من بطن نخل وبناه بالحجارة المنقوشـة وجعل أعمدته من الحجـارة.[٦]

الفتوحات الإسلامية فى عهد عثمان بن عفان

حرص الخليفة عثمان بن عفان على مواصلة مسيرة الفتوحات الإسلامية فى كل الجبهات وهـ ـى:-

١ - فتح أرمينيـ ـة :

كتب الخليفة عثمان إلى حبيب بن مسلمة يـأمره بغـزو أرمينية [١] فخرج بجيش مكون من ستة آلاف وقيل ثمانيـة آلاف من أهل الشام والجزيرة. ووصل إلى قـاليقلا وخـرج أهلها للدفاع عنها، فأجبرهم على التراجع إلى داخل المدينة. ولما عجزت مقاومتهم، طلبوا الأمان على الجلاء أو الجزيـة فجلاء كثير منهم إلى بلاد الروم.

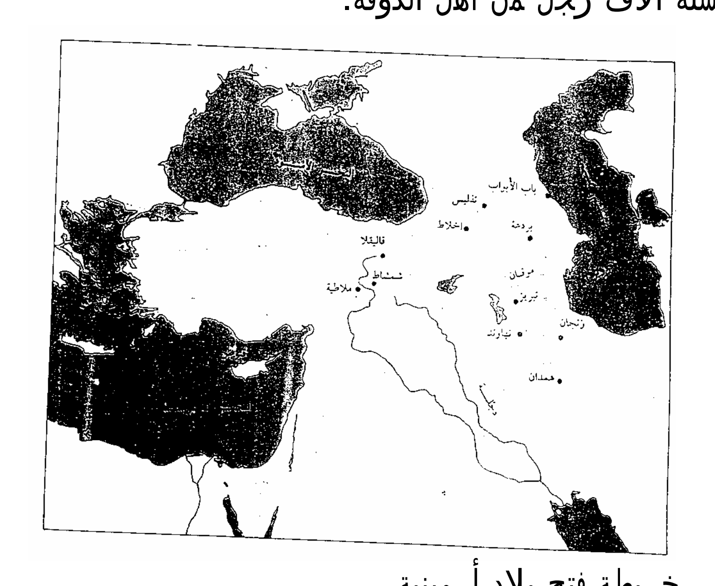
---

(٦) الطبرى ٦٠٦/٢،ابن الاثير ٥١/٣ ، ابن كثير ١٧٣/٧.

(١) أرمينية تنقسم إلى قسمين هما: أرمينية الكبـرى والصـغرى وحدهما من بردعة إلى باب الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلـى بـلاد الروم وجبل القبق وصاحب السرير، وقيل إرمينيـة الكبـرى خـلاط ونواحيها وإرمينية الصغرى تفلـيس ونواحيهـا، وقيـل هـى ثـلاث أرمينيات، وقيل أربع لمزيد من التفاصيل أنظر: ياقوت: معجم البلدان، الجزء الأول، دار صادر، بيروت ١٩٧٩، مادة " أرمينية" ، ص ١٦٠.

ولم يمض سوى شهر على انتصار المسلمين حيث حشـد بطريق أرمينافس حشد جيشا عظيما وانضمت إليه أمداد من أهل اللان وأفخار وسمندر من الخزر.[٢]

وطلب حبيب بن مسلمة المدد من الخليفة عثمـان الـذى بعث إلى معاوية بن أبى سفيان وإلى الشـام ، وسـعيد بـن العاص وإلى الكوفة يأمرهما بإرسال نجدة إلى حبيـب بـن مسلمة يكون عليها سلمان بن ربيعة الباهلى وسار سلمان فى ستة آلاف رجل من أهل الكوفة.



خريطة فتح بلاد أرمينية.

---

(٢) البلاذرى ٢٣٤/١ ، ابن الاثير ٤٣/٣.

المصدر : فايد حماد عاشور وآخرون ، شكل رقم (١٦)

.

ونزل جيش الروم على الفرات واشتبك حبيب بن مسـلمة معهم وهزمهم.

وتمكنت الجيوش الإسلامية من التوغـل فـى أراضـى أرمينية وفتحوا قاليقلا، ومربالا، وخلاط، وأزد ساط، ومرج دبيل، والنشوى، وتفليس، واستشهد سلمان بن ربيعة ومعـه أربعة آلاف من المسلمين عند مدينة الباب.

ولما فتح حبيب بن مسلمة كثيراً من مـدن أرمينيـة هـم الخليفة عثمان فى توليه جميع أرمينية ولكنه عدل عن فكرته وجعله غازيا بثغور الشام والجزيرة وولـى علـى أرمينيـة حذيفة بن اليمان العبسى.[1]

بلاد فـــارس:

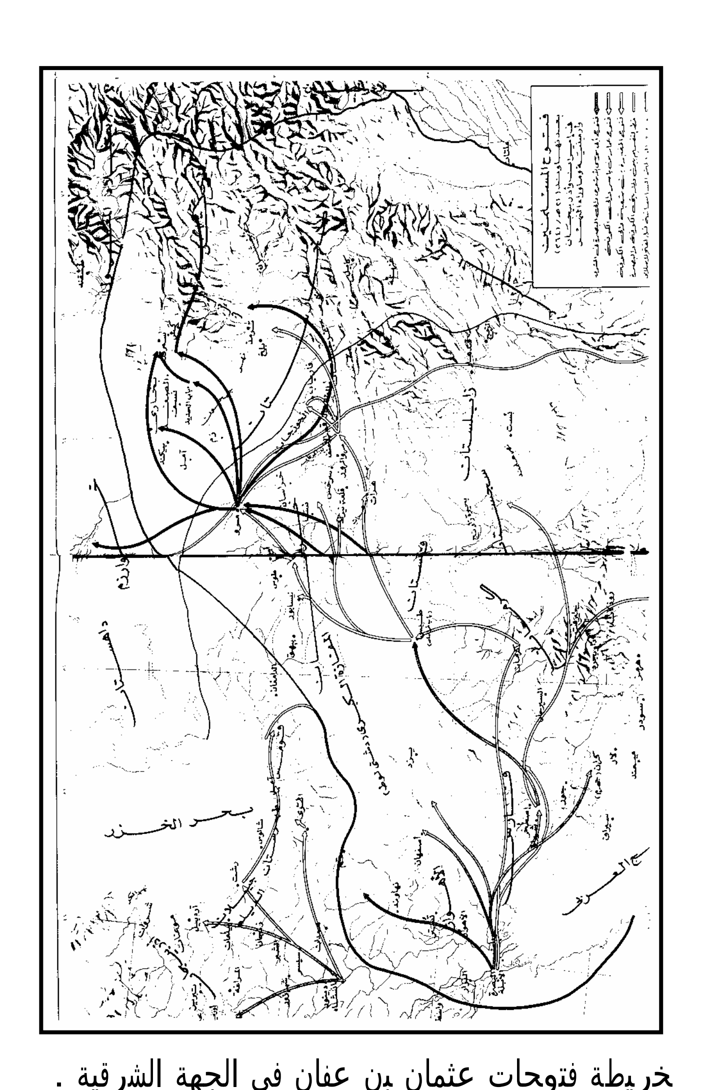
أسند الخليفة عثمان بن عفان إلى والياً البصرة والكوفـة مهمة مواصلة الفتوحات الإسلامية فى بلاد فارس. وكان أهل فارس انتفضوا ونكثوا بعبيد ا بن معمر وسار إليهم فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبد ا وانهزم المسلمون.

---

(١) البلاذرى، ٢٣٤/١-٢٤١.

ولما علم عبد ا بن عامر والى البصرة استنفر الناس وسار إلى بلاد فارس وفتح أصطخر عنوة، وفتح دار أبجرد، وسار إلى مدينة جور وهى أردشيرخره وحاصرها ثم فتحها.

وعاد عبد ا بن عامر إلى أصطخر التى تمرد أهلها على المسلمين وفتحها عنوة بعد حصار شديد. وتمكن من فرض نفوذه على بلاد فارس. وأخبر الخليفة عثمان بن عفان فأرسل إليه أن يولى على بلاد فارس هرم بن حيان اليشكرى، وهرم بن حيان العبدى، والخريث بن راشد، والمنجاب بن راشد، والترجمان الهجيمى وأمره أن يفرق على كور خراسان بعض ولاته:



خريطة فتوحات عثمان بن عفان فى الجهة الشرقية .

المصدر : فايد حماد عاشور وآخرون ، شكل رقم (١٤)

.

الأحنف بن قيس على المروين.

حبيب بن قرة اليربوعى على بلخ.

خالد بن عبد ا بن زهير على هراة.

أمير بن أحمر على طوس.

قيس بن هبيرة السلمى على نيسابور.[١]

وفى سنة ٣٠هـ غزا سعيد بن العاص طبرستان وطلـب ملـك جرجان الصلح مع سعيد بن العاص على جزية مائتى آلف درهم فى كل سنة.[٢]

وفى ٣١هـ انتقض أهل خراسان فسار إليهم عبد ا بن عامر فى جيش كبير اشتبك مع أهالى هذه البلاد فى مـرو، ونيسابور، ونسا، وهراة وبوشنج وبدغيس.[٣]

وأرسل الأحنف بن قيس إلى طخارستان وصـالح أهلهـا وتمكن الأحنف من الإيقاع بأهالى مرو الروذ، والجوزجان، والطالقان، والفارياب والصغانيان؛ الذين تجمعوا فى حلـف واحد.

---

(١) ابن الأثير ٥٠/٣ - ٥١.

(٢) ابن الأثير ٥٤/٣ - ٥٥.

(٣) ابن الأثير ٥٩/٣ - ٦٠.

وفتح الجوزجان عنوة والطالقان صلحا، وفتح الفارياب وسار إلى بلخ فصالحه أهلها وعبر الأحنف بن قيس إلى بلاد ما وراء النهر فصالحه أهلها ثم قدم الأحنف على الخليفة عثمان بن عفان واستخلف قيس بن الهيثم على هذه البلاد وفتحها مدينة تلو الأخرى.[٤]

الفتوحات البحرية

لم يكن العرب قبل الإسلام يعرفون ركوب البحر محاربين ، وإنما ركبه أهل اليمن كمتحاربين .

ولما ظهر الإسلام ، وبدأت حركة الفتوحات ، وتم للمسلمين فتح الشام ومصر وجدوا أنفسهم سيطروا على الشواطئ الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط ، ومن أجل الحفاظ على سلامة هذه الشواطئ ضد هجمات الروم كان لابد لهم من قوة بحرية .[١]

وحرص معاوية بن أبى سفيان على بناء قوة بحرية ؛ لتحصين الشواطئ الإسلامية، فطلب من الخليفة عمر بن الخطاب غزو البحر لقرب الروم من حمص ، ولم يستجيب

---

(٤) حسن إبراهيم حسن ١ / ٢١١.

(١) عبد الشافى محمد عبد اللطيف: دراسات فى تاريخ الدولة الأموية، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ١١١ .

الخليفة عمر إلى طلب معاوية[٢]. وأمره بترميم حصون سواحل المسلمين وشحنها بالمقاتلين وأمام إصرار الخليفة عمر بن الخطاب على موقفه أجل معاوية مشروعه إلى أن تتهيأ له الظروف المناسبة[٣] وجدد معاوية طلبه بغزو البحر لما تولى الخليفة عثمان بن عفان فرفض فى مستهل الأمر، ولم يوافق الا بعد أن اشترط عليه أن يجعل الغزو اختياريا[٤] وبدأ معاوية فى إنشاء الأسطول مستفيداً من كل الإمكانيات المتاحة لصناعة السفن فى كل من مصر والشام من مواد الخام والعمال المهرة المدربين فى تلك الصناعة[٥].

فتح جزيرة قبرص

عزم معاوية بن أبى سفيان على غزو جزيرة قبرص القريبة من حدود المسلمين، والتى كانت تهددهم باستمرار ، وقام بحملة بحرية فى سنة (٢٨ هـ / ٦٤٨ م) وطلب

---

(٢) المقريزى : الخطط ، الجزء الثانى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د . ت) ص ١٩٠ .

(٣) عبد الشافى محمد عبد اللطيف : ص ١١٢ .

(٤) المقريزى : ٢ / ١٩٠ .

(٥) عبد الشافى محمد عبد اللطيف : ص ١١٢ .

أهلها الصلح وقبلوا دفع جزية سنوية حوالى سـبعة آلاف [1] ومائتى دينار كما اشترط المسلمون عليهم النصيحة وانـذار المسلمين بسير الروم اليهم [2] .

وغدر أهل قبرص بعهدهم المبرم مع المسلمين بمساعدتهم للروم فى سنة(٣٢ هـ / ٦٥٢ م) فغزاهم معاوية فى سنة (٣٣ هـ / ٦٥٣ م) وفتحها عنوة ثم أقرهم على صـلحهم السابق ، وبعث اليها اثناء عشر ألفا فبنوا المساجد وشيدوا بها مدينة . [3]

موقعة ذات الصوارى ٣٤ هـ / ٦٥١ م

شن قسطنطين بن هرقل هجوماً على الإسكندرية سـنة (٣٤ هـ / ٦٥١ م) لانتزعها من المسلمين . وكان أسطوله مكوناً من ألف مركب ، وقيل من سـبعمائة . بينمـا كانـت مراكب المسلمين نحو مائتى مركب . وكانت هذه المعركـة أولى المعارك البحرية للمسلمين وفيها هزم الروم. وسـميت

---

(١) قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيـق / محمد حسين الزبيدى ، دار الرشيد بغداد، ٩٨١ م ، ص ٣٠٦.
- ابن الأثير ٣ / ٤٨ . عبد الشافى محمد عبد اللطيف ، ص ١١٣ .

(٢) قدامة بن جعفر ، ص ٣٠٦ .

(٣) ابن الأثير ٣ / ٦٩ .

تلك الغزوة بغزوة ذات الصوارى؛ لكثرة صوارى المراكـب واجتماعها [٤] .

---

(٤) الكندى : ولاة مصر ، تحقيق / حسين نصار ، دار صـادر ، بيروت ، ١٩٥٩ م ، ص ١٣ .

- المقريزى ١ / ٢٩٩ .

- أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصـر والقـاهرة ، الجزء الأول ، المؤسسة المصرية العامة ، القـاهرة (د . ت) ص ٨٠ .

وتعددت أسباب مجئ الروم إلى الإسكندرية فى غـزوة ذات الصوارى فقيل أن سبب تلك الموقعة هزيمـة القائـد الرومـى جرجير (جر يجوريوس) حاكم أفريقية الرومانى على يد عبـد ا بن سعد فى معركة سبيطلة وقيل أن السـبب المباشـر لتلـك الغزوة أن الروم عز عليهم استيلاء العرب على الإسكندرية [(١)] .

ومن أبرز نتائج موقعة ذات الصوارى أنهـا وضـعت حـدا فاصلا فى سياسة الروم تجاه المسلمين . فقد أدرك الإمبراطـور قنسطانز بعدها أن إعداد أية حملة سواء أكانت بريـة أو بحريـة لاسترداد مصر أو الشام أمراً محكوم عليه بالفشل .

كما كانت موقعة ذات الصوارى أول أنتصـار للعـرب فـى العصر الإسلامى فى الحروب البحرية . وجعلت العرب يفكرون فى المنافسة البحرية فى حوض البحر المتوسـط علـى حسـاب البيزنطين . [(٢)]

---

(١) علية عبد السميع الجنزروى : هجمات الروم البحريـة علـى شواطئ مصر الإسلامية فى العصـور الوسـطى ، سلسـلة تـاريخ المصريين رقم (١٥٤) الهيئة المصرية العامة للكتـاب ، القـاهرة ، ١٩٩٩ م ، ص ٥١ .

(٢) عليه عبد السميع الجنزورى ، ص ٥٦ .

فتـح أفريقيـ ـ ـة:

لما تولى عبد ا بن سـعد علـى ولايـة مصـر سـنة ٢٥هـ/٦٤٥م.[٣] اهتم بشئوون أفريقية فكان يرسل المسلمون فى جرائد الخيل لشن الغارات عليها ويعودون بالغنائم.[٤]

وأرسل عبد ا بن سعد يسـتأذن الخليفـة عثمـان فـى مواصلة الفتح الإسلامى الأفريقية[٥]

ولم يوافق الخليفة عثمان على طلب عبد ا بن سـعد إلا بعد استشارة كبار الصحابة. وبعد مناقشـات جـادة انتهـت بالموافقة على مواصلة سير الفتوحات فى المغرب.

---

(٣) وردت سنة ٢٦ هـ ابن الاثير ٤٥/٣.

(٤) ابن عبد الحكم، ص ١٨٣ ، البلاذرى، ٢٦٧/١.

-أبو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علـى الشـابى وآخرون، تونس ١٩٦٨م، ص ٦٥.

-المالكى: رياض النفوس، الجزء الأول، تحقيق حسـين مـؤنس، الطبعة الأولى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥١م، ص ٨.

-ابن الاثير ٤٤/٣.

-ابن عذارى: البيان المغرب، الجزء الأول، نشر وتحقيق كـولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ص ٩.

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣.

وشرع الخليفة عثمان فى تجهيز حملة لغزو أفريقية فندب الناس لذلك وأشرف على إعداد الجيش الذى عرف بجـيش العبادلة وشارك فيه كثير من أبناء الصحابة منهم عبد ا بن عمر وأخوه عبيد ا وعبد الرحمن بن زيد وعبيـد ا بـن عمرو بن العاص ومروان بن الحكم.

وأمد الخليفة عثمان الحملة بألف بعير من ماله الخـاص، وأمر بفتح بيوت السلاح.[1]

وأسند قيادة هذه الحملة أثناء الطريق من المدينة المنـورة إلى مصر للحارث بن الحكم ثم يتسلم القيادة فى مصر عبـد ا بن سعد الذى جهز جيشا من أهل مصر.[2]

وبلغ عدد الجيش الاسلامى عشرين ألف مقاتل،[3] وزحف عبد ا ابن سعد على رأس ذلك الجيش إلى أفريقية بعـد أن ترك عقبة بن عامر الجهنى نائبا عنه على مصر.[4]

---

(١) ابن عذارى ٩/١.

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ ، ابن عذارى ٩/١.

النويرى: نهاية الأرب فـى فنـون الأدب، الجـزء الرابـع والعشرون، تحقيق حسين نصار ومراجعة عبد العزيز الأهـوانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣، ص١٠.

(٣) المالكى ١٠/١ ، ابن عذارى ٩/١ ، النويرى ١٠/٢٤.

(٤) ابو العرب ، ص ٧٠.

واصل عبد ا   بن سعد زحفه حتى نزل فى مدينة قـابس وأخذ يشن السرايا فى كل النواحى.[5]

وكان على عـرش أفريقيـة جريجوريـوس مـن قبـل الإمبراطور هرقل الذى زحف إلى سبيطلة التى تبعـد عـن القيروان سبعين ميلا إلى الجنوب[6] والتقى المسـلمون مـع الروم فى فحص يسمى عقوبة[7] ودامت الحرب عـدة أيـام انتهت بهزيمة الروم وأسر الكثير منهم.[8]

وجنى المسلمون من تلك الغزوة أموالا طائلة حيث بلـغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الرجل ألف دينار.[9]

ولم يكتف عبد ا   بن سعد بالنصر الـذى أحـرزه فـى سبيطلة، بل أخذ بشن غارات سريعة ومفاجئة على قصـور قفصة، ومرمجنة، وولـى الـروم هـاربين إلـى القـلاع والحصون.

---

(٥) ابن الاثير ٤٥/٢ ، النويرى ١١/٢٤.

(٦) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٦٦.

(٧) النويرى ١٢/٢٤ - ١٣.

(٨) النويرى ١٤/٢٤ - ١٥.

(٩) ابو العرب ، ص ٧١-٧٢ ، المـالكى ١٢/١ ، ابـن الاثيـر ٤٦/٣ ، ابن عذارى ١٢/١.

وبعد تلك الانتصارات التى حققها عبد ا بن سعد علـى الروم عرضوا عليه مبلغا من المال قدر بثلاثمائة قنطار من الذهب مقابل ان يخرج من أفريقية.[١]

وعاد عبد ا بن سعد إلى مصر. ولم يسند إلى أحد ولاية أفريقية.[٢]

الفتنـة:

لقد أفاض الكتاب القدامى والمحدثون فى الحـديث عـن الحقبة الثانية من خلافة عثمان بن عفان. والأحداث المؤسفة التى شهدتها الدولة الإسلامية. وكنا نـود ألا نـؤرخ لتلـك الأحداث.

وينبغى علينا أن ننبه إلى أن تضارب الروايات التاريخية المختلفة، قد يثقل من مهمة المؤرخ فى معرفة الحقيقة.

وفى تصورى أن القاضى أبا بكر بن العربـى صـاحب كتاب "العواصم من القواصم" أفضل كتاب وضح لنـا كـل القضايا التى أغفلها معظم المؤرخين.

أسباب الفتنـة:

١- تسامح الخليفة عثمان بن عفان:

---

(١) المالكى ١٢/١ ، ابن عذارى ١٢/١ ، النويرى ١٦/٢٤.

(٢) البلاذرى ٢٦٨/١.

تعامل الخليفة عثمان باللين والعطف مع النـاس، فكانـت خلافته مصدر ترحيب منهم، خاصة وأنهـا جـاءت عقـب خلافة عمر الذى عرف بالشدة والحزم، فلم يمنع أحـد مـن الصحابة من الخروج والانتقال إلى بلد آخر، وأن يزاول فيه ما شاء من النشاط وامتلاك الأموال والعقارات.[3]

وكان عمر بن الخطاب يجبرهم على البقاء فى المدينـة، لأنه كان يخشى من انتشارهم فى الأمصار حتى لا يقبلـون على ملذات الدنيا يقول ابن الأثير:[4] "لم يمـت عمـر بـن الخطاب حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة فـامتنع عليهم. وقال: أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فـى البلاد فإن جاء الرجل ليستأذنه فى الغزو فيقول قد كان لـك فى غزوك مع رسول ا {ﷺ} ما يبلغك وخيـر لـك مـن غزوك اليوم أن لا ترى الدنيا ولا تراك".

خرج هؤلاء الكبار من الصحابة الأولين إلى الأمصـار، وسرعان ما كونوا بها أرستقراطية دينية سداها المال، وتعمد

---

(٣) يوسف على يوسف وآخرون: دراسات فـى عصـر الخلفـاء الراشدين، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القـاهرة ١٩٧٨، ص ١٣٦.

(٤) ابن الاثير ٩١/٣.

على السبق فى الإسـلام، وممـا لا ريـب فيـه أن تلـك الشخصيات كانت موضع إعجاب وافتنان العامة بهم.[1]

٢ - سياسة عثمان المالية :

كان أبو بكر وعمر يعيشان عيشة زهد وتقشف ويسيران على سياسة ترمى إلى المحافظة علـى أمـوال المسـلمين وإنفاقها بحرص.[2]

وغير الخليفة عثمان هذه السياسية فقد زاد فى أعطيـات الناس زيادة كبيرة، ولعل عثمـان أراد أن يسـتهل خلافتـه بالتوسعة على الناس. ثم أنه لم يكتف بهذه الزيادة وإنما وفـد الأمصار لأول مرة، أى أنه دعا الأمصـار إلـى أن توفـد وفودها للعطاء والإجازة.

ومما لاشك فيه أن هذا كان إمعانا من عثمان فـى البـر والإحسان، ولكنه إحسان قد يغرى بعض الناس بالتزيد فـى الانتفاع بالأموال العامة.[3]

---

(١) يوسف على يوسف وآخرون ، ص ١٣٧.
(٢) على ابراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ص ٢٥١.
(٣) احمد ابراهيم الشريف ، ص ٢٨٨.

كما أوصل عثمان الأعـلام مـن صـحابة رسـول ا بالصلات فوق ما كان لهم من العطاء المفروض، فقد وصل الزبير بن العوام بستمائة آلف، ووصل طلحة بمائتى ألف.[٤]

وانتهز ولاة عثمان على الولايات المختلفة تسامح الخليفة عثمان، ومدوا أيديهم إلى أموال المسلمين بحجة التقرب إلـى الناس بالأموال والعطايا، فأثار هذا كله الحقد عليـه وقـوى المعارضة ضد حكمه.[٥]

٣-سياسة عثمان فى تعين الولاة:

ترك عثمان بن عفان ولاة عمر بن الخطاب سنة واحـدة فى ولاياتهم، ثم عزلهم الواحد بعد الآخر، وعين بـدلهم ولاة من بنى أمية.

عزل عن الكوفة سعد بن أبى وقاص وولى مكانه الوليـد بن عقبة بن أبى معيط فكان هذا مما نقم على عثمان.[١]

وأقام الوليد بن عقبة على الكوفة خمس سـنين وأحسـن السيرة فى الرعية، ولم يلبث أن وجهت ضده شكاية من أهل

---

(٤) احمد ابراهيم الشريف ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٥) على ابراهيم حسن ، ص ٢٥١.

(١) ابن الاثير ٤٢/٣ ، ابن كثير ١٦٩/٧ ، على ابراهيم حسـن ، ص ٢٥٠.

الكوفة أنه شرب الخمر فأمر عثمان بعزله وجلده.[٢] وعـين مكانه سعيد بن العاص وينسب إليه أنه قال أن السواد بستان قريش، أى إنه كان يرى إيثار قريش بالأموال والأملاك دون سائر الناس.[٣]

كما عزل عثمان أبا موسى الأشعرى عن ولاية البصـرة وعين عليها عبد ا بن عامر بن كريز وهـو ابـن خـال عثمان.[٤]

وفى مصر عزل عثمان عن ولايتها عمرو بـن العـاص واستعمل عليه عبد ا بن سعد وكـان أخـا عثمـان مـن الرضاعة.[٥]

ولقد وقع الخليفة عثمان لكبر سنه حيث ولى الخلافة وهو فى السبعين من عمره تحت تأثير ذوى قرباه، فأسند إليهم أهم ولايات الدولة: مصر، والكوفة، والبصرة فضلا عن الشـام التى كان يليها معاوية منذ خلافة عمر.[٦]

التهم المغرضة والرد عليها :

---

(٢) ابن الاثير ٤٢/٣ ، ابن كثير ١٤٧/٧.
(٣) على ابراهيم حسن ، ص ٢٥٠.
(٤) ابن الاثير ٤٩/٣ ، ابن كثير ١٧٣/٧.
(٥) ابن الاثير ٤٥/٣.
(٦) يوسف على يوسف وآخرون ، ص ١٣٨.

اتهم الخليفة عثمان بن عفان ببعض الاتهامات المغرضة التى لا تستند إلى حقيقة، وكان الغرض منها ترويج الشائعات للنيل منه. ويشير القاضى أبو بكر بن العربى إلى أن الخليفة عثمان: " فلم يأت عثمان منكرا لا فى أول الأمر، ولا فى آخره ولا جاء الصحابة بمنكر".

وقالوا متعدين، متعلقين برواية كذابين جاء عثمـان فـى ولايته بمظالم ومناكيد، منها:-

ضربه لعمار[1] حتى فتق أمعاءه. ولابن مسـعود حتـى كسر أضلاعه ومنعه عطاءه.

ابتدع فى جمع القرآن وتأليفه، وفى حرق المصاحف.

حمى الحمى.

أجلى أباذر إلى الربذة.

أخرج من الشام أبا الدرداء.

رد الحكم بعد أن نفاه الرسول {ﷺ}.

أبطل سنة القصر فى الصلوات فى السفر.

---

(١) كان بين عمار بن ياسر وبين عباس بن عتبة بن أبى لهب كلام فضربهما عثمان.

ابن الاثير ٩٢/٣.

ولى معاوية وعبد ا بن عامر بن كريز ومروان وولى الوليد ابن عقبة وهو ليس من أهل الولاية.

أعطى مروان خمس أفريقية.

علا على درجة رسول ا {ﷺ} على المنبر وقد انحط عنها أبو بكر وعمر.

لم يحضر بدراً. وانهزم يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان.

لم يقتل عبيد ا بن عمر بالهرمزان (الذى أعطى السكين إلى أبى لؤلؤة وحرضه على عمر حتى قتله).

كتب مع عبده على جمله كتابا إلى ابن أبى سرح فى قتل من ذكر فيه.[٢]

اضاع خاتم النبى {ﷺ} فى بئر أريس.

يرد القاضى أبو بكر بن العربى على هذه المزاعم بأن هذا كله باطل سندا ومتناً. أما قولهم" جاء عثمان بمطالم ومناكيد" فباطل.

لو فتق إمعاء عمار كان من الصعب أن يعيش. أما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور.

---

(٢) ابن العربى، ص ٦١-٦٢.

أما جمع القرآن، فتلك حسنته العظمى، وحسم الخلاف فيها.[1] وكل الناس عرفوا فضل هذا العمل فيما عدا أهل الكوفة.[2]

أما الحمى، فكان قديماً، فيقال إن عثمان زاد فيه لما زادت الرعية. وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة.

أما نفيه أباذر إلى الربذة فلم يفعل، كان أبوذر زاهدا، وكان يقرع عمال عثمان، ويتلو عليهم ﴿ والَّذِين يكْنِزون الذهب والْفِضةَ ولاَ ينفِقُونَها فِي سبِيل اللهِ فَبشرهم بِعذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤] وأنكر أبو ذر على الناس السعة فى المراكب والملابس ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم. ووقع بين أبى ذر ومعاوية كلام بالشام، فخرج إلى المدينة ودخل على الخليفة عثمان بن عفان، فقال له عثمان لو اعتزلت يعنى ألا يخالط الناس فان للخلطة شروطا وللعزلة مثلها.[3]

---

(١) ابن العربى، ص ٦٣-٦٦.
(٢) ابن الاثير ٥٦/٣.
(٣) ابن العربى، ص ٧٦.

وقع بين أبى الدرداء ومعاوية كلام. وكان أبـو الـدرداء زاهداً فاضلا قاضيا لهم. فلما اشتد فى الحق وأخرج طريقـه عمر فى قوم لم يحتملوها عزلوه فخرج إلى المدينة.

وهذه كلها مصالح لاتقدح فى الدين، ولا تؤثر فى منزلـة أحد من المسلمين بحال.

على أية حال، أبو الدرداء وأبو ذر بريئان مـن عيـب، وعثمان برئ أعظم براءة وأكثر نزاهة، فمن روى أنه نفـى وروى سببا فهو كله باطل.

رد الحكم لم يصح. لم يوافق الخليفة عثمان على أن يصل مهجـــــــــــــــــــــــور رســـــــــــــــــــــــول ا {ﷺ} ولو كان أباه، ولا لينقض حكمه".[٤]

أما ترك القصر فاجتهاد سمع الخليفة عثمـان أن النـاس افتتنوا بالقصر وفعلوا ذلك فى منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة فتركها خـوف الذريعـة. مـع أن جماعة من العلماء قالوا: إن المسافر مخيـر بـين القصـر والإتمام، واختلفت فى ذلك الصحابة[١] وإن طائفة من أهـل

---

(٤) ابن العربى ، ص ٧٧.

(١) ابن العربى ، ص ٧٨-٨٠.

اليمن قالوا: إن الصلاة بالحضر ركعتين فربما رأونى أصلى ركعتين فيحتجون بى".[٢]

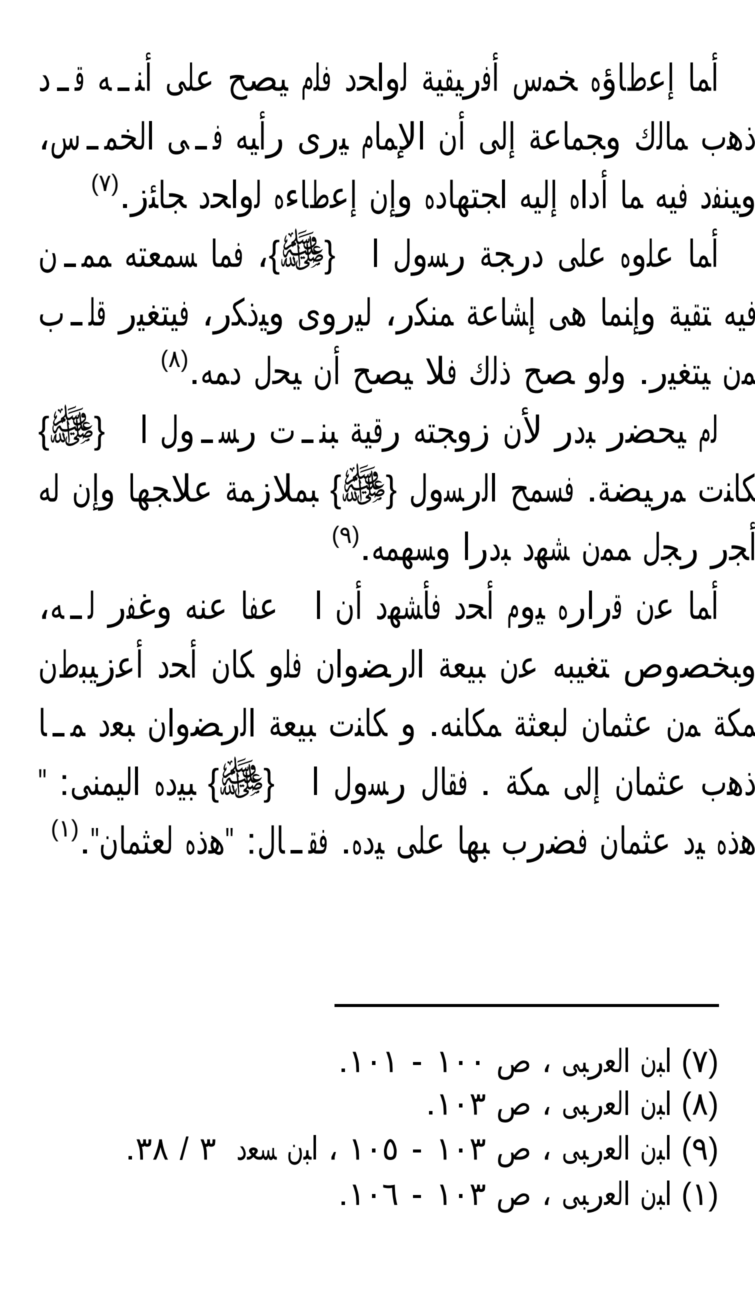
أما معاوية فعمر ولاه، وجمع له الشامات كلهـا، وأقـره عثمان. وترجع ولاية معاوية إلى عهد أبى بكر الصديق لأنه ولى أخاه يزيد، واستخلفه بيزيد.[٣]

أما عبد ا بن عامر بن كريز فولاه لأنه كريم العمـات والخالات[٤] أما بخصوص تولية الوليد بن عقبة فإن النـاس على فساد النيات أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات. وقـال عثمان ما وليت الوليد لأنه أخى، وإنما وليته لانـه ابـن أم حكيم البيضاء عمة رسول ا {ﷺ} والولاية اجتهاد.[٥]

ولا يجوز الحكم على مروان والوليد بالفسـق، فمـروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتـابعين وفقهـاء المسلمين. وروى عنه سهل بن سعد الساعدى وأجمع فقهـاء الأمصار على تعظيمه واعتبار خلا فته فيما بعد. والتفت إلى فتواه.[٦]

---

(٢) ابن كثير ١٣٧/٧.
(٣) ابن العربى ، ص ٨٠ - ٨١.
(٤) ابن العربى ، ص ٨٣ - ٨٤
(٥) ابن العربى ، ص ٨٥.
(٦) ابن العربى ، ص ٨٨ - ٩٠.



أما إعطاؤه خمس أفريقية لواحد فلم يصح على أنـه قـد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه فـى الخمـس، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده وإن إعطاءه لواحد جائز.[٧]

أما علوه على درجة رسول ا {ﷺ}، فما سمعته ممـن فيه تقية وإنما هى إشاعة منكر، ليروى ويذكر، فيتغير قلـب من يتغير. ولو صح ذلك فلا يصح أن يحل دمه.[٨]

لم يحضر بدر لأن زوجته رقية بنـت رسـول ا {ﷺ} كانت مريضة. فسمح الرسول {ﷺ} بملازمة علاجها وإن له أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه.[٩]

أما عن فراره يوم أحد فأشهد أن ا عفا عنه وغفر لـه، وبخصوص تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزيبطن مكة من عثمان لبعثة مكانه. و كانت بيعة الرضوان بعد مـا ذهب عثمان إلى مكة . فقال رسول ا {ﷺ} بيده اليمنى: " هذه يد عثمان فضرب بها على يده. فقـال: "هذه لعثمان".[١]

---

(٧) ابن العربى ، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٨) ابن العربى ، ص ١٠٣.

(٩) ابن العربى ، ص ١٠٣ - ١٠٥ ، ابن سعد ٣ / ٣٨.

(١) ابن العربى ، ص ١٠٣ - ١٠٦.

أما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان فان ذلك باطل فإن كان لم يفعل فالصحابة متوافرون، والأمر فى أوله. وقد قيل: إن الهرمزان سعى فى قتل عمر، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه، وكان قتل عبيد الله وعثمان لم يل بعد. ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقا، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله.[٢]

أما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع راكب، أو مع غلامه- ولم يقل أحد أنه كان غلامه بل كان غلام الصدقة، أى أحد رعاة إبل الصدقة- إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح يأمره بقتل حامليه، فقد قال لهم عثمان: إما أن تقيموا شاهدين على ذلك، وإلا فيمينى أنى ما كتبت ولا أمرت. وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب على خطة وينقش على خاتمه.[٣]

لبس عثمان خاتم النبى {ﷺ} ست سنين وسقط منه أثناء حفر بئر أريس وحزن عثمان لذلك حزنا شديداً، وأمر بنزح المياه من البئر فلم يعثروا عليه. وفرض مكافأة مالية كبيرة لمن يحصل عليه.[٤]

---

(٢) ابن العربى ، ص ١٠٦ - ١٠٨.
(٣) ابن العربى ، ص ١٠٩ - ١١٠ .
(٤) ابن العربى ، ص ١١٠

وبرغم ذلك لم يستطع الذين اتهموه أن يقيموا سندا قويـا ضده فى فقد خاتم رسول ا {ﷺ}.[5]

سير أحداث الفتنـــة:

كان عبد ا بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء الرأس المدبرة للفتنة، فقد أسلم أيام عثمان بن عفان ثم تنقل فـى الحجـاز، والبصرة، والكوفة، والشام يزرع جذور الفتنة وأخرجه أهل الشام فجاء إلى مصر وأقام فيها. ومما قاله: "العجـب ممـن يصدق ان عيسى يرجع ويكذب أن محمدا يرجع" وقد قال ا عز وجل: (إن ا فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد محمد أحق بالرجوع من عيسى فوضع لهم الرجعة فقبلت منـه[1] ومن الجدير بالذكر أن تعاليم ابن سبأ بعيدة عـن الإسـلام ، فالرجعة والوصاية من تعليم النحل والديانات المختلفة التـى وجدت قبل الإسلام فليس للرسول وصى كما أنه لـيس فـى

وانظر الطبرى ٦١٤/٢ - ٦١٥ ابن الاثير ٥٦/٣ ، ابن كثير ١٧٥/٧.

(٥) ابن العربى ، ص ١١١ .

(١) ابن الأثير ٧٧/٣-٧٨.

الاسلام رجعة ، فمذهب الرجعة هذا لايقر بالموت بل يذهب إلى أن الإنسان يتغيب ثم يعود ثانية ، أما تعـاليم الاسـلام فتقول بأن كل الناس تموت ثم تبعث يوم القيامة [٢]. ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان لكل نبى وصى وعلى وصـى محمـد فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول ا {ﷺ} ووثب علـى وصيه وأن عثمان أخذها بغير حق وطالبهم عبد ا بن سـبأ بالنهوض والطعن فى الأمراء ونصـحهم بإظهـار الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر لاستمالة قلوب النـاس وبـث سمومه من مال إلى أفكاره فى الأمصار وكاتبوه دعوا فـى السر إلى ما عليه رأيهم وصاروا يكتبون إلى الأمصار يكتب فى ذم الولاة ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر. بما يصنعون حتى وصلت أخبارهم إلى المدينـة وأخبـر أهـل المدينة الخليفة عثمان. بما يحدث فى الأمصار، فلم يكن يعلم الخليفة عثمان بهذه الأمور وطلب مشورتهم قـالوا: تبعـث رجالا ممن نثق بهم إلى الأمصـار حتـى يرجعـوا إليـك بأخبارهم فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة وعمار بن ياسر إلى مصر، وعبد ا بن عمـر

---

(٢) سيدة إسماعيل كاشف : مصر فـى فجـر الإسـلام ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م ، ص ١١١ – ١١٢ .

إلى الشام. ورجعوا جميعا فيما عدا عمار الذى استماله عبـد ا بن سبأ وخالد بن ملجم. [٣] وفى الواقع أن المسألة لـم تكن مسألة عثمان إنما كانت عود إلى الجاهلية ونزاع بـين القبائل على السيادة وأنفة بعض القبائل العربية مثل بنى بكر بن وائل وعبد القيس وربيعة والأزدوكندة وتمـيم وقضـاعة وغيرهم ، من سيادة المجاهـدين والانصـار مـن قـريش وسواهم، فأظهروا الطعن فى ولاة عثمان وفى الخليفة نفسه، فلما وصلت تلك الأخبار إلى الصحابة بالمدينة أرتـابوا لهـا وحملوا عثمان على النظر فى الأمر[١] وكتب عثمـان إلـى أهل الأمصار بحضور عماله فى كل موسم من مواسم الحج ومن ادعى على أحد العمال شيئا فليأتى فى موسم الحج ليأخذ حقه من عمالى أو منى.

ومما يسترعى الأنتباه نجاح دعوة ابن سـبأ فـى مصـر والظاهر أن أفراد القبائل العربية التى لا تنتمى لقريش ومن بينهم بعض الصحابة والمجاهدين والذين اسـتقروا بمصـر رأوا فيها فرصة للقيام ضد الخلافة ، ولم يكن الخليفة عثمان هو المقصود بذلك وإنما أرادوا زعزعة سيادة قريش ، فقـد

(٣) ابن الأثير ٣ / ٧٨ .
(١) سيدة إسماعيل كاشف ، ص ١١٢ – ١١٣ .

كرهوا تلك السيادة التى علت منذ ظهور الإسـلام . وكـان الطامعون فى الخلافة يهدفون إلى التقليل من سيادة قريش ، ولكن ربما حدثتهم أنفسهم وسط حركة التذمر التى سرت بين الناس أن يلقوا دلوهم فى الدلاء علهم يصلون إلـى منصـب الخلافة أو إلى أى منصب عظيم فى الدولة الإسلامية . ومع أن عبد ا بن سبأ كان يكيد للإسلام والدولة الإسـلامية وأن تعاليمه الشيعية بعيدة كل البعد عن الدين الإسـلامى إلا أنـه كان داهية ذا مواهب متعددة جعلتة يجـذب الكثيـرين إلـى تعاليمه الشيعية . من العامة وكبار الصحابة وأئمة الحـديث وأن يؤلبهم على عثمان .

وصفوة القول أن الثورة ضد عثمان كان الباعث عليها اتجاهات وميول مختلفة ، فهناك من يريد بخروجه الكيد للإسلام وللدولة الإسلامية بوجه عام، ومن متذمر من خلافة قريش وسيادتها ، ومن طامع فى الخلافة ومن شيعى خرج مؤمنا بحق على بن أبى طالب فى الخلافة .

وقد تتجمع هذه العوامل المختلفة فى بلد آخر غير مصر ، والذى ساعد على نجاح ابن سبأ هو انشغال عبد ا بن سعد بن أبى السرح والى مصر بالحروب الخارجية التـى قـام بها، إذ غزا النوبة وعقد مع ملكها هدنة سـنة (٣١ هـ /

٦٥٢ م) وغزا افريقية سنة (٢٧ هـ / ٦٤٨ م) كما حـارب الروم فى وقعة ذات الصوارى سنة (٣٤ هـ / ٦٥٦ م)(٢)

اجتماع الخليفة بأمراء الأمصار:

ولما قرئ منشور عثمان فى الولايات بكى الناس ودعـوا لعثمان وقدم عمال الأمصار وهم:-

١-عبد ا بن عامر.

٢-عبد ا بن سعد.

٣-معاوية بن أبى سفيان.

وأدخل معهم فى المشورة سعيد بن العاص وعمـرو بـن العاص. وسألهم الخليفة عثمان بن عفان عن سبب الشـكاية خشية أن تكون حقيقة فى حق هؤلاء الولاة أو تكـون بدايـة لبذور الخلاف والفتنة.

*قال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يلقى فى السـر فيتحدث به الناس وواجب قتل الذين يتحدثون به.

*وقال عبد ا بن سعد: خذ من الناس الـذى علـيهم إذا أعطيتهم الذى لهم فإنه خير من أن تدعهم.

*وقال معاوية بن أبى سفيان: قد وليتنى فوليت قومـا ولا يأتيك عنهم إلا الخير.

---

(٢) سيدة إسماعيل كاشف ، ص ١١٤ – ١١٦ .

*وقال عمرو بن العاص: أرى أنك قد لنت لهم ورخيـت عليهم كما كان يصنع عمر[1]

ولما قدم عثمان المدينة دعا عليا وطلحة والزبير ومعاوية ثم قال: أنتم أصحاب رسول ا {ﷺ}. قد فشت مقالة خفتها عليكم فما عتبتم فيه من شئ فهذه يدى لكم بـه ولا تطمعـوا الناس فى أمركم فوا فوا إن طمعوا فيه لا رأيتم منها أبدا إلا أدبارا.[2]

موقف معاوية بن أبى سفيان:

لما شعر معاوية بالخطر الذى يحيط بالخليفة عثمان بـن عفان عرض عليه أن يخرج معه إلى الشام. فـرد عثمـان قائلا: لا أبيع جوار رسول ا {ﷺ} بشئ وإن كان فيه خبط عنقى. ثم عرض معاوية أن يبعث جنـدا لحراسـة الخليفـة عثمان للدفاع عنه. فرفض قائلا: لا أضـيق علـى جيـران رسول ا {ﷺ} وعندما أستعد معاوية إلى العودة للشام مر على نفر من المهاجرين فيهم على وطلحة والزبير أوصـاهم خيرا بعثمان.[1]

---

(١) ابن الأثير ٧٨/٣.

(٢) ابن الأثير ٧٩/٣.

(١) ابن الأثير ٧٩/٣.

ولما رجع الأمراء صار محركو الفتنة يكاتبون أتباعهم فى القدوم إلى المدينة لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عـن أشياء تنتقل بين الناس وكان بمصر محمد بـن أبـى بكـر ومحمد بن أبى حذيفة يحرضان على عثمان.[٢]

الوفد المصرى:

خرج على رأس الوفد المصرى الغافقى بن حرب العكى ومعـه عبد الرحمن بن عديس البلوى وكنانة بـن بشـر الليثى وكانوا خمسمائة وقيل ألف.

الوفد الكوفى:

خرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدى، والأشتر النخعى، وزياد بن النضر الحارثى.

وفد البصـرة:

خرج أهل البصرة وأميرهم حرقوص بن زهير السـعدى ومعه حكيم ابن جبلة العبدى، وذريح بن عبـاد وبشـر بـن شريح القيسى.

خرجت هذه الوفود جميعا فى شوال بنية الحج وكان هوى أهل البصرة فى طلحة وأهل الكوفة فى الزبير، وأهل مصر فى علي.

---

(٢) ابن الاثير ٧٩/٣.

وكان زياد بن النضر وعبد ا بن الأصم حلقة الوصـل بين أهل مصر وأهل البصرة دخلوا المدينة وهم يخشون على أنفسهم من حامية المدينة ودخلا المدينة ولقيـا أزواج النبـى {ﷺ} وعلى، وطلحة، والزبير وكان مطلبهم إعفـاء بعـض العمال.[٣] وإن رفض الخليفة طالبوه بعزل نفسه من منصبه، فإن أبى حققوا أغراضهم بالقوة. على الرغم من ذلك فإنهم لم يتفقوا على شخصية الخليفة الجديد[١].

وحاول كل فريق أن يسند هذا الأمر إلى صاحبه فمال وفد مصر إلى على، ووفد الكوفة إلى الزبير، ووفد البصرة إلـى طلحة ولكن خاب ظنهم فلما عرض عليهم هذا الأمر رفضوه جميعا وعنفوهم.[٢]

جاء أهل مصر فى سبعمائة رجل، يشكون إلى الصـحابة فى المسجد فى مواقيت الصلاة من بعض تصرفات وإلـيهم عبد ا بن سعد وطلب الصحابة من الخليفة عثمـان عزلـه وأشاروا عليه بتولية محمد بن أبى بكر فوافق.

---

(٣) ابن الأثير ٨٠/٣.

(١) يوسف على يوسف وآخرون ، ص ١٥١.

(٢) ابن الأثير ٨٠/٣.

وخرج معهم بعض المهاجرين والأنصار ينظـرون فـى شأن الخلاف بين أهل مصر وعبد ا بن سعد، فلما رحلـوا عن المدينة فى أثناء سيرهم شاهدوا غلاما أسود على بعيـر يمضى مسرعا فسألوه . فقال لهم : أنا غـلام

أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر، فقال له رجـل: هذا عامل مصر، قال: ليس هذا أريد. وعلم محمد بن أبـى بكر بأمره فأحضروه وعثروا معه على كتاب إلى عبد ا بن سعد يأمر بقتل محمد بن أبى بكر ومن معه، وأبطـل كتابـه حتى يأتيك رأيى. فلما قرءوا الكتاب فزعوا وأصروا علـى العودة إلى المدينة. وجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ثـم فضوا الكتاب بمحضر مـنهم وأخبـروهم بقصـة الغـلام وأقرءوهم الكتاب. وغضب أهل المدينة لما عرفوا ذلك.

ودخل على على الخليفة عثمان ومعه الكتـاب والغـلام والبعير، وسأله عن الغلام والبعير قال عثمان إنهما ملكـى، قال على: فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف با مـا كتبت هذا الكتاب، ولا أمرت به. ولا علم لى به فقال علـى: الخاتم خاتمك؟ قال: نعم قال: فكيف يخرج غلامـك بعيـرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به! فحلف با مـا كتـب هـذا الكتاب، ولا أمرت به، ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط،

وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان[٣] وطلبـوا مـن الخليفـة عثمان تسليم مروان بن الحكم فـرفض.[٤] وتجـرؤا علـى الخليفة وطالبوه بخلع نفسه فقال: لا أنزع قميصا ألبسنيه ا . وحاولوا إجبار الخليفة عثمان عن التخلى عن الخلافة تحـت التهديد بالقوة.[١]

ورفض الخليفة عثمان بشدة كى لا تكون سنة فى الإسلام كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه.[٢]

طلب الخليفة عثمان النجدة من الأمصار:

كتب الخليفة عثمان إلى معاوية بن أبى سفيان وإلى الشام، وإلى عبد ا بن عامر وأمراء الأجناد يستنجد بهم ويـأمرهم بالعجل فى إرسال النجدة. ولما اقتربت تلك النجـدات مـن المدينة جاءها الخبر باستشهاد الخليفة عثمان فرجعوا[٣]

حصار الخليفة عثمـان :

شدد الثوار الحصار على الخليفة عثمـان ومنعـوا عنـه وصول الماء وحاول على بن أبى طالب مده بحاجتـه مـن

---

(٣) السيوطى ، ص ١٧٤ - ١٧٥.
(٤) السيوطى ، ص ١٧٦.
(١) ابن الأثير ٨٥/٣.
(٢) ابن سعد ٤٥/٣.
(٣) ابن الأثير ٨٥/٣.

الماء وفعلت نفسى الشئ أم حبيبة زوجة رسـول ا {ﷺ}. وأرسل الصحابة أبناءهم للدفاع عن الخليفة عثمان.[٤]

ودخل الثوار على الخليفة عثمان وضربه الغافقى بحديـدة معه وجاء سودان بن حمران ليضربه فأكبت عليـه زوجتـه نائلة وتلقت السيف بيدها فقطع أصابعها وضرب عثمان فقتله وقيل إن الذى قتله كنانة بن بشر التجيبى.

وكان قتله لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٣٥هـ بعد أن دامت خلافته اثنى عشرة سنة.[٥]

دفن عثمان بن عفـان :

دفن عثمان بعد ثلاثة أيام من استشهاده فى حوش كوكب خارج البقيع وصلى عليه جبير بن مطعم.[٦]

---

(٤) ابن الأثير ٨٧/٣.
(٥) ابن الأثير ٩٠/٣.
(٦) ابن الأثير ٩١/٣.

الفصل الثامن عشر

على بن أبى طالب

[٣٥ -٤٠هـ / ٦٥٦-٦٦١م]

*** نسبــــه :**

على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بـن عبـد مناف بن قصى. كنيته أبو الحسن، وأبو تراب كناه بها النبى {ﷺ}. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم.(١)

*** مولـــده :**

ولد على بن أبى طالب قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل إحدى وعشرين سنة. ونشأ فى بيت النبوة وتربى تحت رعاية النبى {ﷺ}، ذلك أن أبا طالب كان كثير العيال قليـل المال، فاقترح النبى {ﷺ} على عمه العباس الذى كان مـن أثرياء بنى هاشم أن يشتركا فى تخفيف العبء عن أبى طالب بأن يتكفل كل منهما بتربية واحد مـن بنيه، فكان على مـن

(١) ابن سعد ١١/٣ ابن كثير٢٤٩/٧ السيوطى، ص ١٨٥.

نصيب النبى {ﷺ}، وجعفر بن أبى طالب من نصيب عمـه العباس.[2]

*** إسلامـــه:**

كان على أول من أسلم من الصبيان. ولم يعبد الأوثان قط منذ صغره.[3]

جهاده فى الإسلام :

على أحد العلمـاء الربـانيين، والمشـهورين، والزهـاد المذكورين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسـول ا {ﷺ}.

بات فى فراش الرسول {ﷺ} فى الليلة التى هاجر فيهـا حتى يؤدى عنه أمانة الودائع والوصايا التى كانت لأهل مكة و شهد على مع النبى {ﷺ} جميع الغزوات فيما عدا غـزوة تبوك التى استخلفه النبى {ﷺ} على المدينة.

وروى عن الرسول {ﷺ} خمسـمائة وسـتة وثمـانين حديثا.[4] وعلى أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحـد السـتة أصحاب الشـورى.[5]

---

(٢) يوسف على يوسف وآخرون ، ص ١٥٦. حســـن إبراهيم حسن ١ / ٢١٦ - ٢١٧ .

(٣) ابن سعد ١٣/٣ ، ابـن كثيـر ٢٥٠/٧ ، السـيوطى، ص ١٨٥.

(٤) ابن سعد ١٣/٣-١٥ ، السيوطى، ص ١٨٥-١٨٦.

بيعة على بن أبى طالب بالخلافة :

بويع على بن أبى طالب بالخلافـة فـى اليـوم التـالى لاستشهاد عثمان بن عفان. حيث وفد إليه أصحاب رسول ا {ﷺ} من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فـأتوا عليا فقالوا له: إنه لابد للناس من إمام. فرد علـى قـائلا: لا حاجة لى فى أمركم فمن اخترتم رضيت به فقالوا: ما نختار غيرك وترددوا إليه مرارا.

وكان إصرارهم على اختيار على يستند إلى سابقته فـى الإسلام وحسن بلائه وقرابته للرسول {ﷺ}.

ولما وجد على إجماع الصحابة على بيعته طلب أن تكون فى المسجد فبايعه الناس وأولهم طلحة بن عبيد ا والزبيـر وقيل إنهما بايعا كارهين ثم بايعت الأنصار.[1]

ولقد وافق علي على تحمل هذه المسئولية خشية من تفرق كلمة الأمة برغم عظم المهمة التى عبر عنها علـى بقولـه: "دعونى والتمسوا غيرى فإنا مستقبلون أمرا له وجـوه ولـه ألوان لاتقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا: ننشـدك ا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى الإسلام ألا ترى الفتنـة ألا

---

(٥) ابن كثير ٢٤٩/٧.

(١) الطبرى ٢ / ٦٩٧ ، ابن الأثير ٩٨/٣.

تخاف ا ؟ فقال: قد أجبتكم واعلموا أنى إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتمونى فإنما أنا كأحدكم ألا أنى من أسـمعكم وأطوعكم لمن وليتموه".[٢]

خطبـة البيعـــة :

كانت أول خطبة خطبها على بن أبى طالب حين استخلف : "حمد وأثنى عليه ثم قال: إن ا أنزل كتابا هاديا بـين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض أدوهـا إلى ا تعالى يؤدكم إلى الجنة إن ا حرم حرمـات غيـر مجهولة وفضل حرمة المسـلم علـى الحـرم كلهـا وشـد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، فالمسـلم مـن سـلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل دم امرئ مسـلم إلا بما يجب بأدوار أمر العامة وخاصة أحدكم المـوت فـإن الناس أمامكم وإن ما خلفكم الساعة تحدوكم فخففـوا تلحقـوا فإنما ينتظر بالناس أخراهم.." [٣]

لما تمت البيعة لعلى بن أبى طالب واجه مشكلتين أولهمـا قضية مقتل عثمان؛ والأخرى عزل الولاه السابقين.

---

(٢) الطبرى ٧٠٠/٢ ، ابن الأثير ٩٩/٣.

(٣) الطبرى ٧٠١/٢ ، ابن الأثير ١٠٠/٣ ، ابن كثير ٢٥٤/٧.

قضية مقتل عثمان بن عفان:

طلب بعض الصحابة من الخليفة على القصاص من الذين اشتركوا فى قتل الخليفة عثمان فطلب منهم إعطـاءه بعـض الوقت: "انى لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقـوم يملكوننا ولا نملكهم؟.

وكان الخليفة على يقدر حقيقة الظرف الذى تمر به الدولة الإسلامية من تفرق الأمة. وكل فرقة ترى رأيا غير الأخرة وكان يتمنى أن يحقق فى قضية مقتل الخليفة عثمان بعـد أن تستقر الأمور وتؤخذ الحقوق.[1]

كما أنه صرح بأنه لا يعرف القتلة "وا لوددت أن بنـى أمية رضوا لنفلنا هم خمسين رجلا من بنى هاشم يحلفون: ما قتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلا".[2]

وقد هم على بالتحقيق فى مقتل عثمـان، وبـدأ بـأقرب المتهمين وهو محمد بن أبى بكر، ولـم يتركـه إلا بعـد أن شهدت امرأة عثمان بأنه لم يقتل. وكان جديرا بعد ذلـك أن

---

(١) الطبرى ٧٠٢/٢ ، ابن الأثير ١٠٠/٣

(٢) اكرم ضيـاء العمرى ، ص ٤٠٣ (نقلا عـن سـعيد بـن منصور: السنن ٢ : ٣٣٥-٣٣٦).

يجرى فى تقصى الأمر والوصول إلى القتلة وإجـراء حكـم القانون، ولكن الأمور تغيرت بخروج الخارجين عليه.

وكأنما أراد منافسو على أن تبقى قضية مقتل عثمان بـلا حل فتكون مثارا للجدل وموضعا للإحراج.

وكان أصحاب المصلحة فى أبقاء القضية عند هذه الحدود هم طلحة والزبير ومعاوية[٣]

عزل ولاة عثمان:

نصح المغيرة بن شعبة على بن أبى طالب بإقرار عمـال عثمان لمدة عام آخر، وأن يبعث إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت.

ورفض هذا الأمر على قائلا: "وا لا أدهن فى دينى ولا أعطى الدنى فى أمرى".

ولما وجد المغيرة إصرار علي على التمسك برأيه وعـدم المداهنة: "فإن كنت قد أبيت على فأنزع من شـئت واتـرك معاوية، فإن لمعاوية جرأة، وهو فى أهل الشام يسمع منـه،

---

(٣) احمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز فى الحياة السياسية فـى القرنين الأول والثانى للهجرة، دار الفكر العربى، القاهرة د.ت، ص ٣٤٩.

ولك حجة فى إثباته؛ كان عمر بن الخطاب قـد ولاه الشـام كله، فقلت لا وا ، لا استعمل معاوية يومين أبداً".

وعاد المغيرة فى اليوم التالى ناصحا على بالتمسك برأيه بعزل العمال ويثنى على سدادة رأيه.

ولما علم عبد ا بن عباس بأمر المغيرة قال لعلى نصحك فى الأول وغشك فى الآخرة".[1]

أمر على بن أبى طالب بعزل ولاة الأمصار الذين كـان أغلبهم سببا فى شكوى الناس وتذمرهم فى عهد عثمان[2] من ناحية، وأن الثوار كانوا يسخطون على هؤلاء العمال وهم لم يكونوا يريدون تغير الخليفة فحسب، وإنما كـانوا يريـدون تغيير السياسة كلها وتغيير العمال قبل كل شئ مـن ناحيـة أخرى.[3]

أرسل على بن أبى طالب فى سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م عمالـه على البلاد، فبعث عثمان ابن حنيف على البصرة، وعمـارة بن شهاب على الكوفة، وعبيد ا بن عباس علـى الـيمن، وقيس بن سعد على مصر، وسهل بن حنيف على الشام.

---

(١) الطبرى ٧٠٤/٢ ، ابن الأثير ١٠١/٣ ، ابن كثير ٢٥٥/٧.

(٢) يوسف على يوسف وآخرون ، ص ١٦٦.

(٣) احمد إبراهيم الشريف ، ص ٣٥١.

أما عن موقف هؤلاء الولاة الذين ساروا إلـى ولايـاتهم الجديدة. تمكن عثمان بن حنيف من دخول البصرة واتبعتـه فرقة وخالفته أخرى ومضى عمارة بن شهاب إلـى الكوفـة ووجد معارضة شديدة من أهلها، فرجع إلى على، وكان يلى الكوفة من قبل عثمان أبو موسى الأشعرى. ولـم يلبـث أن بعث بكتاب الطاعة ومبايعة أهل الكوفة لعلى فيما عدا فئـة قليلة.

أما عبيد ا بن عباس فدخل اليمن وكان عليها يعلى بـن منبه. وأما قيس بن سعد فرحل إلى مصر فوليها واعتزلتـه فرقة كانوا عثمانية ورفضوا الدخول فى طاعة الإمام علـى إلا بعد التخلص من قتلة عثمان.

أما سهل بن حنيف الذى أسند إليه على بن أبـى طالـب ولاية الشام. لما وصل إلى تبوك رده جند معاوية.[(١)]

ويشير الدكتور أحمد شلبى إلى لـوم بعـض المـؤرخين والمستشرقين على سياسة على فى عزل الولاة، ويرد عليهم أن هذا اللوم مبالغ فيه وأنه من الأقوال التـى تتبعثـر هنـا

---

(١) الطبرى ٣/٣، ابن الأثير ١٠٣/٣ - ١٠٤، ابن كثير٢٥٦/٧ ، ابو الفداء ٢١٤/١-٢١٥.

ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، الجزء الأول، الطبعة الأولـى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦، ص ١٤٧-١٤٨.

وهناك ويأخذها الناس دون دراسة وتحقيق اسـتنادا للأدلـة التالية:-

١- كان على معترضا على سياسة بعض ولاة عثمـان ومرارا طالبه بعزلهم، فهل يوافق عليهم بمجرد توليه؟

٢- كان موقف معاوية غير واضح. ولا نستطيع أن نؤكد أن معاوية كان سيبايع عليا ويلتزم بأوامره.(٢)

بين على ومعاويـة :

بعث الخليفة على إلى معاوية كتابا مع سبرة الجهنى يأمره بأخذ بيعة أهل الشام، فلم يجبه معاوية بشئ. ولمـا مضـى الشهر الثالث من مقتل عثمان دعا معاوية قبيصـة العبسـى بكتاب معاوية مختوما عنوانه من معاوية إلى علـى وأخبـر قبيصة العبسى أهل المدينة بمعارضة معاوية.

ولما دخل قبيصة العبسى على علي فض الكتاب فلم يجد فيه كتابا فقال للرسول: ما وراك؟ قال: أمن أنا قال نعم قال: تركت ورائى قوما لا يرضون إلا بالقود قال: ممن؟ قال: من خيط رقبتك وتركت ستين ألف شيخ تبكـى تحـت قمـيص عثمان وهو منصوب على منبر دمشق قال أمنى يطلبـون دم

(٢) أحمد شلبى ١ / ٣٣٥ - ٣٣٦.

عثمان الست موتورا كترة عثمان؟ اللهم أنى أبرأ إليك من دم عثمان.[1]

وفى الواقع أن معاوية لـم يكـن ينكـر فضـل علـي واستخلافه. لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتله عثمان على البيعة أولا، ورأى نفسـه أحـق بطلـب دم عثمان، وتبنى معاوية نداء القصاص من قتلة عثمان وجعلـه شرطا لازما يسبق تقديم البيعة لعلى، وقد أصر معاوية على هذا الشرط برغم أنه يعلم أن الظروف الراهنة التى تمر بها المدينة يومذاك لن تمكن الخليفة على من تنفيذ هذا الشرط.[2]

عزم على بن أبى طالب على السير إلى معاوية ليدخل فى البيعة ومعه أهل الشام فيما دخل فيه المسلمون مـن البيعـة حتى ولو أدى الأمر إلى القتال وكان هذا هو ما استقر عليـه رأى على ووافقه معظم رجاله،[3] فشرع فى تجهيـز جيشـا واستخلف على المدينة قثم بن العباس، وكتب إلى عماله فـى الأمصار ينوب الناس للمشاركة فى الحملة على الشام، لجمع كلمة الأمة وبينما كان على يستعد للمسير إلى الشام اتاه خبر

---

(١) الطبرى٤/٣ ، ابن الأثير ١٠٤/٣ ، ابن كثير ٢٥٠/٧.

(٢) يوسف على يوسف وآخرون ، ص ١٧٥.

(٣) يوسف على يوسف وآخرون ، ص ١٧٥.

خروج السيدة عائشة وطلحـة والزبيـر بأهـل مكـة إلـى البصرة.[٤]

خروج السيدة عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة :

خرجت السيدة عائشة إلى مكة أثنـاء حصـار عثمـان، وكانت تنكر على الخليفة عثمان سيرة ولاته على الرعية فى مختلف الأمصار.

وعلمت بخبر استشهاد الخليفة عثمان وهى بسـرف فـى طريق عودتها إلى المدينة. فحزنت وقالت لقد قتـل عثمـان مظلوما وا لاطلبن بدمه.

فعادت إلى مكة واجتمع حولها الناس، وبنو أمية، وقـدم عليهم عبد ا ابن عامر من البصرة بمال كثير، ويعلى بـن أمية من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم وانضم إلى السيدة عائشة طلحة والزبير اللذين قـدما مـن المدينـة واستاذنا عليا بحجة أنهما يريدان العمرة.

سارت السيدة عائشة وطلحة والزبير بهذا الحشد الذى قدر بثلاثة آلاف إلى البصرة[١]

---

(٤) الطبرى ٥/٣ ، ابن الأثير ١٠٤/٣ - ١٠٥.

(١) الطبرى ٦/٣ – ٧ ، ابن الأثيـر ٣/ ١٠٥ - ١٠٦ ، ابـن كثير ٢٥٧/٧ - ٢٥٨.

وكان الحزن يخيم على قلوب قـادة المعارضـة، بـرغم مطالبتهم بإنفاذ الحكم الشرعى يقوى موقفهم إلا ان غمـوض المستقبل وما قد يطوى عليه من ضياع الوحدة بين المسلمين وسفك دمائهم يبعث فيهم إحساسا أليما وأحيانا ترددا واضحا لكنهم مضوا إلى أقدارهم بنفوس مثقلة بالهموم.(٢)

ولم يكن من رأى أم سلمة زوج الرسول {ﷺ} أن تمضى عائشة فى هذا السبيل فأرسلت إليها كتابا طويلا تحثها إلـى العدول عن الخروج.(٣) وأثناء مسيرة السـيدة عائشـة فـى الطريق إلى البصرة وصلوا إلى موضع الحوأب حيث نبحتهم كلابه. فقالت السيدة عائشة: أى ماء هـذا فقيـل هـذا مـاء الحوأب. فعزمت على العودة وقالت: أنى سمعت رسـول ا {ﷺ} يقول لنسائه ليت شعرى أيتكن ينبحها كلاب الحوأب. وأخبرها عبد ا بن الزبير ان هذا الموضع ليس ماء الحوأب وأقنعها بذلك.(٤)

---

(٢) اكرم ضياء العمرى ، ص ٤٠٤.

(٣) حسن إبراهيم حسن ١ / ٢٩٨.

(٤) الطبرى ١١/٣، ابن الأثير ١٠٧/٣، ابو الفـداء ٢١٥/١ ، ابن كثير ٢٥٨/٧

ابن الوردى ١٤٨/١.

لما اقترب ركب السيدة عائشة من البصرة بعـث إلـيهم عثمان بن حنيف رجلا يدعى عمران بن حصين يسألها عن سبب قدومها للبصرة فأخبرته بالقصاص لقتله عثمان.[5]

وتمكن جيش السيدة عائشة من التغلب على البصرة مـن واليها عثمان ابن حنيف. وساندتهم قبائل البصرة. وقد القـى القبض على الوالى ثم أطلق سراحه ليلتحق بعلى.. واتجهـوا إلى بيت المال ودار الرزق فاعترضهم حكـيم ابـن جبلـة العبدى- أحد الثوار المشاركين فى حصار الـدار بالمدينـة، ومعه سبعمائة من قومه- وجرت بينهم معركة قتل فيها جبلة وسبعون من قومه[6]

موقعة الجمل (جمادى الآخرة ٣٦هـ/ ٦٥٦م):

لما بلغ عليا مسير السيدة عائشة وطلحـة والزبيـر إلـى البصرة سار على رأس جيش مكون من أربعة آلاف من أهل المدينة.[1] واستخلف تمام بن العباس على المدينة. وقثم بـن العباس على مكة. وخرج معه مـن نشـط مـن الكـوفين

(٥) ابن الأثير ١٠٨/٣ ، ابن كثير ٢٥٩/٧.
(٦) الطبرى١٦/٣ - ١٨ ، ابن الاثير ١٠٩/٣-١١١ ، ابن كثير ٢٦٠/٧.
(١) ابو الفداء ٢١٥/١.

والبصريين ولما قدم الخليفة على إلى الربذة سأله ابن لرفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين اى شئ تريد. وأين تـذهب بنا؟ فقال: ما الذى نريد وينوى فالإصـلاح ان قبلـوا منـا وأجابونا إليه. فقال: فإن لم يجيبونا إليه قال: ندعهم بعـذرهم ونعطيهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا. قال: ندعهم مـا تركونا. قال: فإن لم يتركونا قال: منعنا منهم.[٢]

ولما وصل على بن أبى طالب إلى البصرة بعث القعقاع بن عمرو وسيطا بين الطرفين واتفقا على الصلح وخطب على فى الناس. وقال إلا وأنى راحل غدا فارتحلوا فحين رأى ابن سبأ وأعوانه اتفاق الناس قال لاصحابه أن تصالح على وعائشة على دمائنا وان عزكم فى خلطة الناس فخالطوهم وإذا التقى الناس غدا فابدأوا القتال، ولا تتركوا للناس مجالا للتفاهم.

وبدأ اتباع ابن سبأ القتال كل من فى جهته فظن كل مـن الفريقين أن صاحبه قد نقض عهده ونشب القتال.[٣]

---

(٢) ابن الأثير ١١٥/٣.

(٣)الطبرى ٣٣/٣، ابن الأثير ١٢١/٣.

أمين القضاة وآخرون: محاضرات فى التاريخ الإسلامى، الطبعة الثانية، دار عمار، الأردن، ١٩٩٢، ص ٧٠.

وهزم اتباع السيدة عائشة وطلحة والزبير، وكانت السيدة عائشة راكبة على جملها وقطعت على خطـام الجمـل أيـد كثيرة. ولما كثر القتل على خطام الجمل. أمر على بن أبـى طالب بعقر الجمل فضربه رجل وسقط على الأرض، وبقيت السيدة عائشة فى هودجها إلى الليل.

وقتل من الفريقين خلق كثير، ورمى مروان بـن الحكـم طلحة بسهم قتله وكلاهما كانا مع السيدة عائشة أخـذا بثـار عثمان منه حيث اتهم بمعاونة من قتل عثمان.[٤]

وانسحب الزبير من ميدان القتال وتبعه عمرو بن جرموز فقتله بوادى السباع.[١]

وأمر على مناديا يحث اتباعـه الا يتتبعـوا مـدبرا ولا يجهزوا على جريح، [٢] كما أمر بحمل هودج السيدة عائشـة وأن يضرب أخاها محمد بن أبى بكر عليه قبة ولما جن الليل انزلها فى دار عبد ا بن خلـف الخزاعى.[٣]

---

(٤) ابو الفداء ٢١٦/١ ، ابن الوردى ١٤٩/١

(١) الطبرى ٥٥/٣ ، ابن الاثير ١٢٥/٣.

(٢) الطبرى ٥٩/٣ ، ابن الاثير ١٣٠/٣

(٣) الطبرى ٥٨/٣، ابن الأثير ١٣٠/٣، ابو الفداء ٢١٦/١، ابن الوردى ١٤٩/١.

وقسم على الغنائم على جنده فأصاب كـل رجـل مـنهم خمسمائة درهـم،[٤] ولم يخمس أموال مقاتلى السيدة عائشـة يقول الطبرى:[٥] "فقال قوم يومئذ: ما يحـل لنـا دمـاءهم، ويحرم علينا أموالهم؟ فقال على: القوم أمثالكم، من صفح عنا فهو منا، ونحن منه، ومن لج حتى يصاب فقتاله منى علـى الصدر والنحر، وان لكم فئ خمسة لغنى".

ويشير الدكتور أكرم ضياء العمرى إلى أن الطرفين أدركا خسارتهما، وحلت مراجعة النفس محل الغضب، وفتت الندم قلوبهم. وذابت نفوسهم حسرة على ما حـدث حيـث التقـى المسلمان بسيفيهما فى فتنة داخلية اتضحت معالمهـا، ولـم يتمكنوا من تجنبها، فمضوا لا يغالبون اقدارهم حتى انجلـت عن صرع من خيرة المسلمين من الطـرفين، دون إنجـاز لصالح دنياهم أو دينهم.[٦]

ولقد أسفا على ما حدث كل من على بـن أبـى طالـب والسيدة عائشة، فقد قال على عندما اشتد القتـال إلـى ابنـه

---

(٤) الطبرى ٥٩/٣ ، ابن الأثير ١٣٢/٣.
(٥) تاريخ الطبرى ٥٩/٣.
(٦) اكرم ضياء العمرى ، ص ٤١٣.

الحسن: "يا حسن لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين حجة- أو سنة".[7]

وعبرت السيدة خديجة عن حسـرتها: "وددت أن كنـت غضبا رطبا ولم أسر مسيرى هذا".[8]

وأمر الخليفة على السيدة عائشة بـالعودة إلـى المدينـة معززة مكرمة وشيعها الناس وجهزها على بما احتاجت إليه. وتوجهت إلى مكة ومكثت فى مكة لتأدية فريضة الحـج ثـم رجعت إلى المدينة[1]

وإنا لا نندهش أن يقابل على بن أبى طالب موقف السيدة عائشة بالعفو والإحسان، ويزورها فى البيت الذى نزلت فيه، ويوفد أولاده ليشيعوها، ويودعها بنفسه. ولقد حمدت السـيدة عائشة هذا الموقف لعلى بن أبى طالب.

وفى حقيقة الأمر لم يكن هناك مبـرر لخـروج طلحـة والزبير والسيدة عائشة، مادام للأمة إمام ينفذ الأحكام ويقـيم الحدود. ولاسيما بعد أن وعدهم على بالنظر فى أمر قتلـت

---

(7) اكرم ضياء العمـرى ، ص٤١٤ (نقـلا عـن ابـن أبـى شيبة:المصنف١٥: ٢٨٨).

(8) اكرم ضياء العمرى ، ص٤١٥ (نقـلا عـن ابـن أبـى شيبة:المصنف١٥: ٢٨١).

(1) أبو الفداء ٢١٧/١.

عثمان، والبحث عنهم والقصاص منهم عندما تستقر الأمـور وتهدأ الفتنة.[2]

واستعمل على على البصرة عبد ا بن عباس، وسار إلى الكوفة فنزلها، وانتظم له الأمر بـالعراق ومصـر والـيمن والحجاز وفارس وخراسان. ولم يبق خارجا عنه سوى الشام التى تحت أمرة معاوية بن أبى سفيان.[3]

موقعة صفين (صفر ٣٧ هـ/٦٥٧م):

أرسل على بن أبى طالب جرير بن عبد ا البجلى ليأخذ البيعة من معاوية، وكتب معه كتابا يخبـره فيـه باجتمـاع المهاجرين والأنصار على بيعته، ونكث طلحـة والزبيـر، وحربه إياهما. ولكن معاوية لم يعطيه جوابا وماطله، ودعـا عمرو بن العاص واستشاره فى هذا الأمر، فأشار عليـه أن يرسل إلى وجوه الشام، ويلزم عليا دم عثمان ويقاتلـه بهـم، وإستجاب معاوية لهذه الفكرة لأن أهل الشـام منـذ أن قـدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان بن عفان وضعوه على المنبر وأصروا على القصاص.

---

(٢) حسن إبراهيم حسن ١ / ٢٩٩-٣٠٠

(٣) أبو الفداء ٢١٧/١.

وعاد جرير بن عبد ا البجلى إلى على بن أبى طالب وأخبره بنية معاوية وأهل الشام على حربه ويقولون: "إن عليا قتله، وآوى قتلته، وإنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه".(٤)

عزم على بن أبى طالب على المسير على رأس جيش لإذعان معاوية وإلى الشام على الطاعة. وخرج معاوية بجيش من أهل الشام لملاقاة على بن أبى طالب والتقى الجيشان فى صفين بالقرب من الفرات شرقى بلاد الشام.(١)

مساعى الصلح بين علي ومعاوية :

ولقد تبادلت الرسائل بين علي ومعاوية من أجل التسوية بينهما. فبعث على بشير بن عمرو بن محصن، وسعيد بن قيس الهمدانى، وشبث بن ربعى التميمى لدعوة معاوية إلى الطاعة والدخول فى الجماعة لتوحيد شمل الأمة.

ولكن الحل السلمى يتعثر كلما عرض معاوية قضية مقتل الخليفة عثمان ويمعن فى هذا الأمر. وكان من الحرى عليه أن يتعاون مع الخليفة على وينضم تحت لوائه بدلا من

---

(٤) الطبرى ٧٠/٣-٧١، ابن الأثير ١٤١/٣ ، ابن كثير ٢٨٢/٧.

(١) ابن كثير ٢٨٦/٧.

المرواغة والصاق التهم على الخليفة على ورميه بإنه أووى قتلت عثمان.

وحدثت مناوشات خفيفة بين خيالة أهل العـراق وأهـل الشام، وكانوا يقتتلون ثم ينصرفون.(٢)

ولما أهل شهر المحرم سنة ٣٧هـ/٦٥٧م توادعا علـى ومعاوية على ترك الحرب فيه إلى انقضائه طمعا فى الصلح وترددت بينهما الرسل ولكن لم يكتب لها النجاح.(٣)

وهكذا فشلت المساعى السلمية فى تقريب هوة الخـلاف، ولم يبق أمام الفريقين سوى اللجئوا إلى القوة.

بداء المعركـ ـة :

ولما دخل شهر صفر سنة ٣٦هـ/٦٥٦م نشـب القتـال، وكانت بينهم وقعات كثيرة بصفين. بلغـت تسـعين وقعـة. وكانت مدة إقامتهم بصفين مائة وعشرة يوم. وقتل من أهـل الشام خمسة وأربعين آلفا. ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفا.

---

(٢) الطبرى ٧٧/٣.

(٣) الطبرى ٧٩/٣.

وأمر على بن أبى طالـب جنـده أن لا يقـاتلوهم حتـى يبدءوهم بالقتال وأن لا يقتلوا مدبراً ولا يأخذوا شـيئا مـن أموالهم وان لا يكشفوا عورة.[٤]

وانتدب على اثنى عشر ألفا وحمل بهم على جند معاويـة واختلت صفوفهم. ودعا على معاوية لمبارزته، قائلا: فاينـا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال عمرو: أنصـفك ابـن عمك، فقال معاوية: ما أنصف إنك تعلم أنه لم يبرز أحـد إلا قتله، فقال عمرو: وما يحسن بك مبارزتـه، فقـال معاويـة طمعت فى الأمر بعدى".[١]

التحكيـــم :

ولما كثر القتلى فى جند الشام فكر عمرو ومعاويـة فـى وسيلة لوقف سير القتال فلجئوا إلـى حيلـة تغيـر مجـرى المعركة. فقالوا: "هلم نرفع المصاحف على الرماح ونقـول هذا كتاب ا بيننا وبينكم، ففعلوا ذلك" وأثرت هـذه الخدعـة على أهل العراق وطالبوا على بالإستجابة إلـى كتـاب ا ؛ امضوا على حقكم وصدقكم فى قتالهم وإن هذه خدعة دبرها عمرو ومعاوية وأنا أعلم بهم منكم. فقالوا: لا تمنعنا أن ندعى

---

(٤) ابو الفداء ٢١٨/١، ابن الوردى ١٥٠/١.

(١) ابو الفداء ٢١٩/١ ، ابن الوردى ١٥١/١.

إلى كتاب ا فنابى؛ فقال على إنى إنما قاتلتهم ليدينوا بحكـم كتاب ا .[2]

ولقد وضعت هذه الحيلة على بن أبى طالب فـى موقـف حرج، فإن قبل بتحكيم كتاب ا فـإن جماعـة مـن جنـده يفترقون عنه، وإن واصل الحرب والقتال رغم المصـاحف المرفوعة يكفره أصحابه، وفى كلتا الحالتين يتحول الموقـف لصالح معاوية".[3]

ولم يصع رجال على لنصحه لهم بمواصلة القتال، وإنمـا طالبوه بالكف عن استمرار القتال وعلى رأس هـذا الفريـق طائفة القراء بجيش علـى.

ولما كفوا عن القتال سألوا معاويـة عـن سـبب رفـع المصاحف وتعين حكما من أهل العراق وآخر من أهل الشام للعمل بما فى كتاب ا .

وكان على بن أبى طالب يدرك أبعاد المـؤامرة عنـدما طالبه الأشعث ابن قيس وهو من أكبر الخوارج باختيار أبـو موسى الأشعرى. فقال على: قد عصيتمونى فى أول الأمـر، فلا تعصونى الآن لا أرى أن أولى أبا موسى، وكـان علـى يرى أن أبا موسى ليس بثقة لأنه خذل الناس عن على لعـدة

---

(٢) ابو الفداء ٢١٩/١ ، ابن الوردى ١٥١/١.

(٣) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٢١٩.

أشهر، ولكن ابن عباس أولى منه. فأصروا على التمسك بأبى موسى الأشعرى برغم عدم رضا على بن أبى طالب عنه.[٤]

وأخرج معاوية عمرو بن العاص واجتمع الحكمان عند على وكتب بحضوره كتاب القضية (التحكيم) للنزول على حكم ا وكتابه فى الثالث عشر من صفر سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، على أن يوافى على ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل فإن لم يتمكنا من الاجتماع يؤجل إلى العام المقبل بأذرح.[١]

ومما لاريب فيه أن قبول على للتحكيم أول وهن أصاب مركزه كخليفة للمسلمين، وقد ترتب على ذلك ظهور حركة الخوارح.[٢]

ولقد عارض طائفة من جيش على التحكيم وعرفوا باسم الخوارج، وكان شعارهم: "لا حكم إلا " ورفضوا دخول الكوفة مع على وعسكروا فى منطقة حروراء؛ وعرفوا بإسم الحرورية. وبعث على عبد ا بن عباس لهم وقارعهم الحجة بالحجة. فعاد قوم منهم إلى رشدهم.

---

(٤) أبو الفداء ٢٢٠/١.

(١) أبو الفداء ٢٢٠/١ ، ابن الوردى ١٥٢/١.

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، ص ٣٢١.

وتمسك نفراً منهم برأيهم وساروا إلى النهروان وقتلوا كل من اعترضتهم. كما قتلوا الصحابى عبد ا بن خباب.

وسار على بن أبى طالـب علـى رأس جـيش لتأديـب الخوارج والتقى معهم سنة٣٧هـ/٦٥٧م بالنهروان. وأسـفر اللقاء عن قتلهم جميعا ولم ينجوا منهم سوى نفراً قليل.(٣)

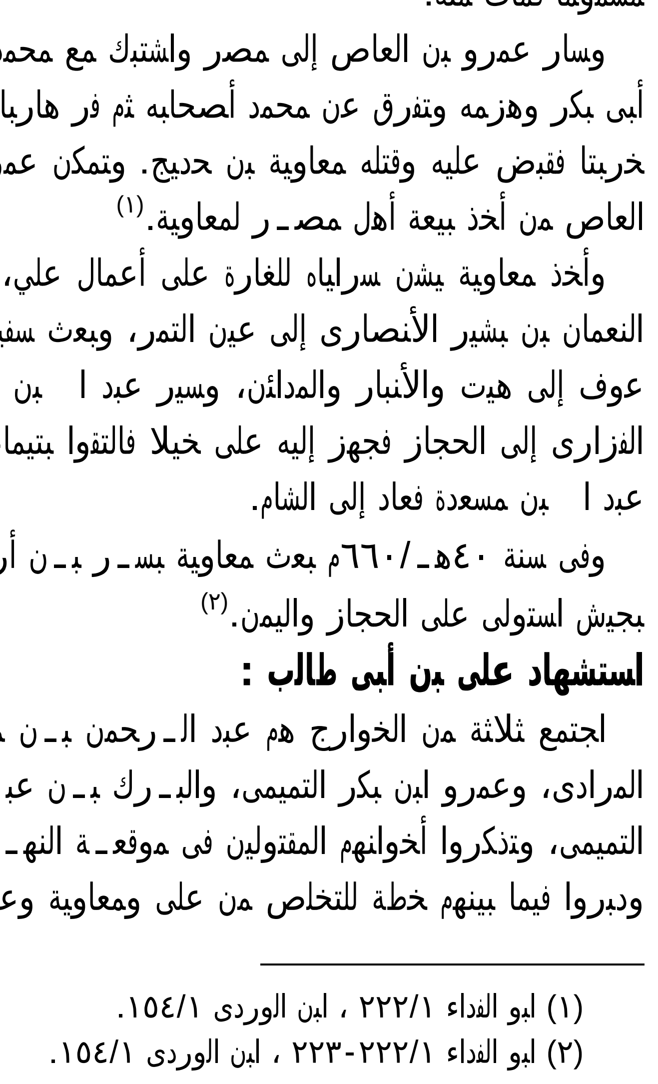
واجتمع الحكمان وبعد مشاورات استقر رأيهم على عزل على ومعاوية وان يجعل الأمر شورى بين المسلمين. وتقـدم أبو موسى الأشعرى ليخبر الناس بما اتفقوا عليه فقال: أيهـا الناس إنا لم نر أصلح لأمر هذه الأمة من أمر قد اجتمع عليه رأيى ورأى عمرو وهو أن نخلع على ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا. وإنى قد خلعت علـى ومعاوية. وأقبل عمرو ثم قال: إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه وأثبت صاحبى. فرد عليـه أبـو موسى بإن ذلك خيانة لما اتفق عليه.(٤)

ولما دخلت سنة ٣٨هـ/٦٥٨م بعث معاوية جيشا بقيـادة عمرو بن العاص للمسير إلى مصر وانتازعها مـن علـي. وكتب وإليها من قبله محمد ابن أبى بكر يستنجد بعلى فأرسل

---

(٣) ابن سعد ٢١/٣.

(٤) ابو الفداء ٢٢٠/١-٢٢١، ابن الوردى ١٥٢/١-١٥٣.



إليه الأشتر. فلما وصل الأشتر إلى القلزم سقاه رجل عسـلا مسموما فمات منه.

وسار عمرو بن العاص إلى مصر واشتبك مع محمد بـن أبى بكر وهزمه وتفرق عن محمد أصحابه ثم فر هاربا إلـى خربتا فقبض عليه وقتله معاوية بن حديج. وتمكن عمرو بن العاص من أخذ بيعة أهل مصـر لمعاوية.[١]

وأخذ معاوية يشن سراياه للغارة على أعمال علي، فبعث النعمان بن بشير الأنصارى إلى عين التمر، وبعث سفيان بن عوف إلى هيت والأنبار والمدائن، وسير عبد ا بن مسعدة الفزارى إلى الحجاز فجهز إليه على خيلا فالتقوا بتيماء هزم عبد ا بن مسعدة فعاد إلى الشام.

وفى سنة ٤٠هـ/٦٦٠م بعث معاوية بسـر بـن أرطـاة بجيش استولى على الحجاز واليمن.[٢]

استشهاد على بن أبى طالب :

اجتمع ثلاثة من الخوارج هم عبد الـرحمن بـن ملجـم المرادى، وعمرو ابن بكر التميمى، والبـرك بـن عبـد ا التميمى، وتذكروا أخوانهم المقتولين فى موقعـة النهـروان. ودبروا فيما بينهم خطة للتخلص من على ومعاوية وعمـرو

---

(١) ابو الفداء ٢٢٢/١ ، ابن الوردى ١٥٤/١.

(٢) ابو الفداء ٢٢٢/١-٢٢٣ ، ابن الوردى ١٥٤/١.

فتوجه عبد الرحمن بن ملجم إلى علي، والبرك بن عبـد ا إلى معاوية، وعمرو بن بكر إلى عمرو بن العاص. وتعاهدوا أن لا يفر أحد منهم من صاحبه الذى توجه إليـه، وحملـوا معهم سيوفا مسمومة واتفقوا على تنفيذ جريمتهم فى السـابع عشر من رمضان سنة ٤٠هـ/٦٦٠م.

ولم تنجح خطة الخوارج إلا فى مقتل على الذى ترصـده عبدالرحمن ابن ملجم أثناء خروجه لصلاة الصبح فطعنه عدة طعنات نافذة. أما البرك فوثب على معاوية وجذبه بالسـيف ولكنه نجا. وأما عمرو بن بكر فإنه ترصد عمرو بن العاص فى تلك الليلة فلم يخرج عمرو للصلاة وكان قد أمر خارجـه ابن حذافه صاحب شرطته أن يصلى بالنـاس. فشـد عليـه عمرو بن بكر وهو يظن أنه عمرو بن العاص فقتله فأخـذه الناس وأتوابه عمرا. فقال من هذا قالوا: عمراً فقال: أى من قتلت، قالوا: خارجة، فقال عمـرو: أردت عمـرا وأراد ا خارجه.[٣] وعقب وفاة على بن ابى طالب بايع الناس ابنـه الحسـن.[٤]

(٣) ابو الفداء ٢٢٣/١-٢٢٤ ، ابن الوردى ١٥٥/١.

(٤) ابو الفداء ٢٢٦/١، ابن الوردى ١٥٧/١.



الفصـل التاسع عشر

خلفـاء الـدولـــة الأمـــوية

الخلفاء الأمويون

		السنوات الهجرية	السنوات الميلادية
١-	معاوية بن أبى سفيان	٤١	٦٦١
٢-	يزيد بن معاوية	٦٠	٦٨٠
٣-	معاوية بن يزيد	٦٤	٦٨٣
٤-	مروان بن الحكم	٦٤	٦٨٣
٥-	عبدالملك بن مروان	٦٥	٦٨٥
٦-	الوليد بن عبدالملك	٨٦	٧٠٥
٧-	سليمان بن عبدالملك	٩٦	٧١٥
٨-	عمر بن عبدالعزيز	٩٩	٧١٧
٩-	يزيد بن عبدالملك	١٠١	٧٢٠
١٠-	هشام بن عبدالملك	١٠٥	٧٢٤
١١-	الوليد بن يزيد	١٢٥	٧٤٣
١٢-	يزيد بن الوليد	١٢٦	٧٤٤
١٣-	إبراهيم بن الوليد	١٢٦	٧٤٤

١٤- مروان بن محمد ١٢٧-١٣٢

٤٤-٧٥٠

تنسب الدولة الأموية إلى أمية بن عبد شمس بن عبد منـاف، وكان أمية هذا سيداً من سادات قريش فـى الجاهليـة [١].

وذكر بعض المؤرخين أن العلاقة بين بنى هاشم وبنى أميـة لم تكن على مايرام قبل ظهور الإسلام ولما صارت النبـوة فى بنى هاشم أعلت رسالة النبى {ﷺ} من مكانتهم فرجحت بذلك كفتهم على كافة أبناء عمهم بنى أمية، واستمر العـداء بين الفريقين فى الإسلام[٢].

وفى حقيقة الأمر فإن العداوة بين بنى هاشم وبنـى عبـد شمس لم تكن قديمة ولا دموية منذ ميلادهما بل هى نشـأت بعد ذلك لأسباب قبلية وأخرى سياسية بل إننا نجد رجال بنى عبد شمس فى جملة المعتدلين فى عداوة النبى {ﷺ}.

وعندما كانت قريش تستعد للخروج لمعركة بدر كان من أبطئهم فى ذلك الحارث بن عامر، وأمية بن خلف، وعتبـة وشيبة أبناء ربيعة.

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى، جـ٢، الطبعـة الثالثـة، النهضـة المصـرية القاهرة ١٩٦٩م، ص٢٩.

(٢) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية، دار الفكـر العربى، القاهرة د. ت، ص ٥٤.

ولم يكن أبو سفيان بن حرب ألد أعداء الإسلام من قريش وكان فى أمره معتدلاً مع النبى {ﷺ} وأمـة الإسـلام بعـد الهجرة وخاصة بعد هزيمة الأحزاب أيام الخندق فإن الرجل أقتنع بأن لاقبل لقريش بمحمد {ﷺ} والإسلام.

ولم يكن لأبى سفيان أثر فى مفاوضات الحديبية، ولكنـه يعود إلى الظهور قبيل فتح مكة حيث خرج إلـى الرسـول {ﷺ} بتجديد صلح الحديبية بعد انقطاعه ولـم يكـن لأبـى سفيان يد فى ذلك الانقطاع وعندما لم يوفق فى تجديد العهد، ورأى عزيمة الرسول{ﷺ} على دخول مكة.

قام بناء على نصيحة من على بن أبى طالـب بالإجـارة لنفسه بين الناس ورسول ا لم يرفض هذه الإجارة وإن لـم يقرها فأصبحت سارية تشمله وتشمل قريش ومكـة. وكافـأ الرسول {ﷺ} أبا سفيان على صنيعه بأن جعل لـه كرامـة ظاهرية وهى قوله " ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن " (١)

وكانت بداية الكراهية بين بنى أمية وعلى بن أبى طالـب أثناء موقعة بدر ومابعدها بسبب ماقتل وجرح فى ذلك اليوم فقد قتل وحده أربعا من بنى عبد شمس. ونستطيع أن نلمـس حقدهم عليه لما حل بعمه حمزة بن عبدالمطلب.

---

(٣) المقريزى : كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، حققه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة د. ت (مقدمة المحقق ص٥ — ٨).

كانت الخلافة فى عهد أبى بكر الصديق وعمر والسنوات الأولى من حكم عثمان إمامة ورياسة شورية، ولكنـه منـذ منتصف خلافة عثمان وعلى الأخص فى بلاد الشام عنـدما سخطت الأمة على عثمان وأرادت عزله استمسك بها وتشعر فى أثناء النزاع بين عثمان ومخالفيه بأن قومه بنى أمية كانوا من خلفه - ظاهرياً - وعندما قتل وقام بالأمر على بن أبى طالب لم يكونوا مستعدين للتخلى عما بلغوه مـن القـوة والجاه والمال منذ أيام عمر. وعندما أصرعلى بن أبى طالب على عزلهم بدأت المعركة والخصومة الحقيقية التى تحولـت نتيجة لذلك إلى خصومة سياسية ونزاعاً على سلطان ومـال وجاه[1].

وأنحصرت الخلافة فى فرعين لبنى أمية هما فرع حرب بن أمية، وفرع أبى العاص بن أمية، وأكثر الخلفاء من الفرع الثانى، أما الفرع الأول فليس منه إلا معاويـة وابنـه يزيـد وحفيده معاوية الثانى[2].

١- معاوية بن أبى سفيان

(٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م)

معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى، مؤسس الدولة الأمويـة، وأحـد

---

(١) المقريزى : كتاب النزاع والتخاصم، (مقدمة المحقق، ص ٨ – ١٠).

(٢) أحمد شلبى ٢ / ٣١.

دهاة العرب المتميزين الكبار[1] ؛ يكنى أبا عبدالرحمن وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس [2] أسـلم معاوية يوم فتح مكة سنة (٨هـ/٦٢٩م)، وتعلـم الكتابـة والحساب فجعله الرسول {ﷺ} من كتاب الوحى.

وفى خلافة أبى بكر الصديق (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م) ولى معاوية قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فكان على مقدمته فى فتح صيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت.

وفى خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م) جعله والياً على الأردن، ورأى فيه حزماً وعلماً فولاه دمشق بعد وفاة أميرها[3] يزيد الذى هلك فى طاعون عموس سنة

---

(٣) ابو الفداء : التبرالمسبوك فـى تـاريخ الملـوك، تقـديم وتحقيـق/ محمـد زيـنهم محمـد عزب، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٣٣.

– المسعودى : التنبيه والإشراف، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨ م،ص ٢٦١.

– القلقشندى : مأثر الأناقـة، الجـزء الأول، الطبعـة الأولى، تحقيـق / عبـد الستار فرج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤ م، ص ١١٠.

(٤) الطبرى : تـاريخ الطـبرى، الجـزء الخـامس، تحقيـق / محمـد أبـو الفضـل إبراهيم دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٣٢٨.

– ابن أبى الدم: التاريخ الإسلامى المعـروف بالتـاريخ المظفـرى، الجـزء الأول تحقيق د.حامد زيان، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٩٤.

(١) أبو الفداء، ص ٣٣.

١٨ هـ. وجمع عمر لمعاوية بلاد الشام كلها تحت حكمـه ؛ وذلك لحسن سيرته، وحرصه على الذود عن ثغور المسلمين من خطر البيزنطين [١].

وفى خلافة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ ـ/٦٤٤-٦٥٦م) أسند إلى معاوية معظم الديار الشامية، وجعل ولاة أمصارها تابعين لـهُ [٢].

وكانت ولاية معاوية على الشام عشرين سـنة [٣]. ولقـد وصل معاوية إلى الخلافة عقب الأحداث التى تمخضت عن مقتل الخليفة عثمان، فمنذ أن حدثت الثورة التى أنتهت بقتـل

---

(٢) ابن العربى : العواصم من القواصم، حققه / محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٦ م، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

(٣) ابن قتيبة : المعارف، تحقيق / ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف القاهرة (د. ت) ص ٣٤٥ – ٣٤٩.

– ابوالفداء ، ص ٣٣.

(٤) الذهبى : دول الإسلام، الجزء الأول، تحقيق / فهيم محمد شلتوت وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٣٤ .

– السيوطى : تاريخ الخلفاء، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة (د. ت) ص ٢٢١.

عثمان، برزت أهواء جديدة لم يكن المسلمون من قبل يفكرون فيها ولا يسعون إليها وتمزقت وحدة الجماعة الإسلامية إلى فرق سياسية مختلفة فيما بينهم في شئون الحكم والسياسة[1].

ولما بويع على بالمدينة امتنع معاوية عن المبايعة متذرعاً بتهاون على فى أمر قتلة عثمان وإيوائه قتلته فى جيشه وعدم القصاص منهم وبايعه أهل الشام على المطالبة بدم عثمان ومحاربة على مما أحدث الخلاف والشقاق بين أهل العراق وأهل الشام[2].

ويرى أحد الباحثين أن معاوية لم يكن من السهل عليه التنازل عن حكم الشام أياً كان الخليفة الذى تولى بعد عثمان، ومهما كان السبب الذى ينهى حكم عثمان مقتولاً أو مات ميتة عادية [3].

وعندما فرغ الخليفة على بن أبى طالب من قتال طلحة والزبير وعائشة فى موقعة الجمل عاد إلى الكوفة ليتأهب

---

(٥) أحمد إبراهيم الشريف : دور الحجاز فى الحياة السياسة، دار الفكر العربى، القاهرة (د. ت) ص ٤٠٥.

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، الجزء الأول، الطبعة العاشرة، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٢٨٣.

(٢) أحمد شلبى ٢ / ٣٤.

لحرب معاوية الـذى أمتنـع عـن البيعـة، وأخـــــذت السـفارات ترسل بين الطرفين لمحاولة الوصول إلى

حل لحقن الدماء، ولكنها فشلت والتقى الفريقان فى شـهر ذى الحجة سنــة[٣٦هـ/٦٥٦م] فى صفين على الحدود بين العراق والشام.

وكانت دفة المعركة تسير فى صالح الخليفة على بن أبى طالب حيث لحقت خسائر فادحة بجيش معاوية. ولجأ معاوية إلى الخدعة حيث أمر جنده برفع المصاحف ونادى أهل الشام يقول " هذا كتاب ا بيننا وبينكم " وكان عمرو بن العـاص وراء هذه الخدعة ليبث الفرقة فى جيش على حيث كان بـه عدداً كبيراً من القراء، فلما رأوا المصاحف وسمعوا التحكيم إلى القرآن كفوا عن القتال وأضطر على لقبول التحكيم [١].

" وقالوا : هذا كتاب ا عز وجل بيننا وبينكم، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ومن لثغور أهل العراق ! فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت، قالوا : نجيب إلى كتاب ا .... " ولكن الخليفة على بن أبى طالب حث أصحابه على مواصلة القتال لعلمه بمكيدتهم ولكنهم لم يستجيبوا لنصـيحة الخليفـة على وقال مسعر بن فدكى التميمى وزيد بن حصين الطـائى ومعه جماعة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك مـن

---

(٣) أحمد إبراهيم الشريف ، ص ٣٧٥ – ٣٧٧.

الخليفة على أن يستجيب إلى كتاب ا وأصروا على موقفهم. وقال لهم على : " أحفظوا عنى نهى اياكم واحفظوا مقـالتكم لى " (١)

وساء موقف على بعد صفين فكان الخوارج فى العـراق يحاربونه حرباً شديدة، وكان أهل البصـرة متـراخين عـن نصرته، وكان أهل الكوفة معه بأهوائهم، لكنهم لـم يكونـوا معه بكل قواهم وكان بينهم بعض المحايدين وبعض المائلين إلى عثمان ولحق بعضهم بمعاوية و مما زاد من تفاقم الأمر أن بعض الولايات أمتنعت عن دفع الخراج وصدقات المـال كالبحرين وتمردت بعض الولايات الفارسية (٢).

ونجحت خطة الخوارج فى اغتيال الخليفة على بن أبـى طالب فى السابع عشر من رمضان سنة٤٠هـ/٦٦٠م ونجـا معاوية وعمرو بن العاص، وبذلك صفا الجو إلى معاوية (٣) وبعد مقتل على بايع أهل العراق ابنـه الحسـن بالخلافـة، ومكث بعد أبيه شهرين وقيل أربعة أشهر، وأدرك الحسن أن

---

(٤) الطبرى

(١) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية، ترجمة / محمد عبدالهادى أبو ريدة مراجعة / حسين مؤنس، لجنة التأليف، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٩٤.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف ، ص ٣٩٩.

استمساكه بالخلافة والاستمرار فى الصـراع مـع معاويـة لاجدوى منه لأنه لايزيد إلا إهراق الدماء[1].

ولما بلغ معاوية قتل على تجهزللقتال وقدم علـى جيشـه عبدا بن عامر ابن كريز وسار إلى عـين التمـر ونـزل الأنبار يريد المدائن، وبلغ ذلك الحسن وهو بالكوفة فسار نحو المدائن لمحاربة عبدا بن عامر، فلما انتهى إلى ساباط رأى أن أهل العراق قد يئسوا من الحرب فقال لهم " أيها النـاس إنى قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة وإنـى أرى ناظر لكم كنظرى لنفسى، وإنى أرى رأياً فلا تـردوا علـى رأيى أن الذى تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون مـن الفرقة، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب وفشل عن القتال ".

ولما سمع الناس مقالة الحسن ثاروا عليه وانتزعوا مصلاه من تحته ونهبوا ثيابه فرحل الحسن إلى المدائن فكمن له أحد الخوارج ويدعى الجراح بن قبيصة وطعن الحسن فى فخـذه ومضى مثخنا حتى دخل المدائن وتم علاجه حتى برئ.

وأقبل معاوية ونزل الأنبار وبها قيس بن سعد بن عبـادة الأنصارى من قبل الحسن فحاصـره معاويـة، ولمـا رأى الحسن تخاذل أصحابه أرسل إلى عبدا بن عامر بشـروطه فى الصلح ليسلم الأمر إلى معاوية وهى :-

---

(٣) نفســه، ص ٣٩٩.

١- أن يجعل للحسن خراج الأهواز.

٢- أن يؤمن الأسود والأحمر ويحتمل مـا يكـون مـن هفواتهم.

٣- ألاّ يأخذ أحداً من أهل العراق بإحنة.

٤- يحمل إلى الحسن بن على فى كل عـام ألفـى ألـف درهم.

٥- أن يفضل بنى هاشم فى العطاء والصلات على بنـى عبد شمس [(١)].

ولما وافق معاوية على هذه الشروط سلم إليه الحسن بـن على مقاليد أمور المسلمين على العمـل بكتـاب ا وسـنة الرسول {ﷺ} وسيرة الخلفاء الراشدون. وليس لمعاويـة أن يعهد لاحد من بعده عهدا، ويكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين [(٢)].

وكتب الحسن إلى قيس بن سعد بالصلح وأمـره بتسـليم الأمر لمعاوية والعودة إلى المدائن فلما وصل كتاب الحسـن

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال، تحقيق / عبد المنعم عامر، مراجعة /جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٠ م، ص ٢١٦.

ابن أعثم الكوفى : كتاب الفتوح، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الندوة، بيروت (د. ت) ص ١٥٤ — ١٥٨

(٢) ابن أعثم الكوفى ٤ / ١٥٩ — ١٦٠.

إلى قيس قـال للجند " أيها الناس أختاروا أحد الأمرين القتال بلا إمام أو الدخول فى طاعة معـاوية فاختـــــــاروا الدخول فى طاعة معاوية..." [1].

سار الحسن من المدائن إلى الكوفة والتقى مـع معاويـة وبايعه وخطب فى أهل الكوفة بقولـه " أيهـا النـاس إن ا هداكم بأولنا وحقن دمائكم بآخرنا وقد سـالمت معاويـة وأن إدرى لعلة فتنة لكم ومتاع إلى حين "[2].

ولما سلم الحسن الأمر إلى معاوية سنة (٤١هـ/٦٦١م) عرف هذا العام بعام الجماعة لإجتماع الأمة بعد الفرقة على إمام واحد ودخل معاوية الكوفة وبايعه أهلها بالخلافة وعـاد الحسن والحسين إلى المدينة[3]. والحق أن موقف الحسـن كان عظيما، حيث أرتفع فوق كـل الآلام والجـراح وآثـر مصلحة المسلمين على نفسه، وجاء فعله هذا مصـدقا لنبـوة

---

(٣) الدينورى ، ص٢١٦،٢١٧. – ابـن أغـثم الكـوفى ٤ / ١٦٠.

(٤) اليعقوبى ٢ / ٢١٤ — ٢١٥ .

– خليفة الخياط : تاريخ خليفة بن خيـاط، تحقيـق / أكـرم ضـياء العمـرى، الطبعـة الثانيـة، بيروت، ١٩٧٧ م، ص ٢٠٣.

(٥) الطبرى ٥ / ١٦٢، ١٦٥. الذهبى ١ / ٣٥.

جده عليه الصلاة والسلام حيث روى عنه أنـه نظـر إلـى الحسن وهو على المنبر ثم قال : " ابنى هذا سيد ولعـل ا يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" (١).

وترتب على هذا الصراع الذى دام نحو سـت سـنوات انتقال الخلافة من الكوفة إلى دمشق، وكان لهذا الانتقال وقع أليم فى نفوس أهل العراق، فقد نزل شأن بلادهـم بعـد أن كانت لهم الدولة فصارت مصراً من الأمصار. ولذلك كانـت أعنف الثورات على الأمويين تأتى من جانب أهـل العـراق وانتخب معاوية ولاةً لحكم العراق من أمهر رجاله كالمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه (٢).

كان زياد بن أبيه (٣) يلى فارس من قبل الخليفة علـى بن أبى طالب وكان من أشد المخلصين لـه وادار شـئون فارس بحكمة وخشى معاوية من ثقل نفوذ زيـاد. وحـاول معاوية استمالة زياد بسياسة اللين والوعيد ولكن زياد أعلـن تحديه لمعاوية. ولما علم الخليفة على بن أبى طالب أرسـل

---

(١) ابن العربى ، ص ١٩٩ – ٢٠٠.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف ، ص٤٠٣.

(٣) ولد زياد بن أبيه عام الفتح بالطائف وكان كاتبا للمغيرة بن شعبة ثم كتب لأبى موسى الأشعرى ثم ولاه على بن أبى طالب فارس. أنظر.. ابن قتيبة، ص ٣٤٦.

إلى زياد يوصيه بتوخى الحذر والحرص من خديعة معاوية [1]، ولما قتل على حدثت فجوة بين زياد ومعاوية وانتهـى الأمر بالصلح بينهما وقام بمهمة الصلح المغيرة بـن شـعبة الذى أقنع زياد بمصالحة معاوية وقدم زياد علـى معاويـة بالشام عام (٤٢ هـ / ٦٦٢ م) [2] والحق زياد بنسب أبى سفيان، وتحول إخلاص زياد إلى معاويـة دفعـة واحـدة، وأضاف إليه معاوية خراسان، وسجستان، والهند، والبحرين، وعمان وخطب زياد فى أهـــــل البصـــرة الخطبـة المعروفة بالبتراء وعامل أهلها بعنف شديد يقول ابن الأثير [3] " وكان زياد أول من شدد أمر السـلطان، وأكـد الملـك لمعاوية وجرد سيفه وأخذ بالظّنة وعاقب على الشبهة.....".

وكان المغيرة بن شعبة على ولاية الكوفة، ولمـا تـوفى المغيرة، ضم معاوية الكوفة إلى زياد وهو أول من جمع لـه الكوفة والبصرة معاً، وكان زياد يقيم فى الكوفة ستة أشـهر وبالبصرة ستة أشهر[4].

---

(٤) ابن أعثم الكوفى ٤ / ١٧١.

(٥) محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولـة الإسـلامية، الطبعـة الرابعة، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧ م، ص ١٨١.

(٦) ابن الأثير : الكامل، جـ٣، ص٢٢٢-٢٢٤.

(١) نفســه، ص ٢٢٨. الدنيورى، ص ٢٢٣.

أما ولاية مصر فكانت من نصيب عمـرو بـن العـاص جعلها معاوية طُعمة أو مكافأة له للمساعدات الجليلـة التـى قدمها لمعاوية يوم صفين وفى قضية التحكيم، ومن المعروف أن عمرو بن العاص حكم مصر عشر سنين منها أربع سنين فى خلافة عمر بن الخطاب وفى عهد عثمان بن عفان سنتين وفى عهد معاوية سنتين وثلاثة أشهر، وكان عمرو أحد دهاة العرب البارزين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة ٤٣هـ/٦٦٣م[١]

كما أسند معاوية ولاية المدينة إلى مروان بن الحكـم ثـم عزله وعين سعيد بن العاص[٢]وعلى مكة خالد بن سعيد[٣]

وأعاد معاوية تنظيم أمور الدولة فى الداخل فاتخذ الحرس وعمل ديوانى الخـاتم والبريـد[٤] وأحسـن إلـى كبـار الشخصيات من شيوخ الصحابة وأبنائهم وعلى الأخص بنـو هاشم الذين كان بعضهم يعتقد أنه أفضـل منـه بالخلافـة. وحرص معاوية على علاقته الطيبه مع معاصريه فكان يقول

---

(٢) اليعقوبى ٢ / ٢٢٢.

(٣) ابن الأثير ٢ / ٢٢٨.

(٤) نفســه، ص ٢١٠ .

(٥) نفســه، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

: " لو أن بينى وبين الناس شعره ما أنقطعت قيل وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا شدوها أرخيتها وإذا أرخوها شددتها " (١)

أما عن سياسة معاوية على الصعيد الخارجى فقد استأنف موجة الفتوحات الإسلامية التى توقفت منذ عهد عثمان بـن عفان فى فارس والمغرب وهادن البيزنطيين، وحرص على نشر الإسلام فى البلاد المفتوحة حيث نقل عدد كبيـر مـن الأسر العربية إلى خراسان وغيرها(٢).

ومن أهم الأمور التى استحدثها معاوية هو محاولته جعل الحكم فى الدولة العربية وراثياً وهذا شئ جديد بالنسبة إلـى العرب والإسلام فقد كانت الرياسة عند العرب تورث داخـل نطاق القبيلة أو العشيرة وكان من الأمور المقررة أن يعـين الأمير من يخلفه بعد وفاته ولكن الشئ الذى لم يكن موجوداً هو البيعة مقدماً قبل وفاة الخليفة (٣).

ويبدو أن معاوية قصد من وراء توريث يزيـد الخلافـة القضاء على افتراق كلمة الأمة الإسلامية ووقوع الفتنـة وأن

---

(٦) ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق / سعيد عاشور، ومراجعة / أحمد السيد دراج، السعودية، ١٩٨٢ م، ص ٥٨.

(٧) عبدالشافى محمد عبداللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الإموى، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٤م، ص ١١٧.

(١) محمد جمال الدين سرور، ص ٩٦.

يضع حلاً للمسألة التى تركها النبى {ﷺ} دون حـل، هـى إيجاد سلطـة دائمة للإسـلام [١].

وكتب معاوية إلى جميع نوابه بأخذ البيعة لابنـه يزيـد، فجاء رد بعضهم بعدم التعجل فى شأن البيعة وعلى رأسـهم زياد بن أبيه والى البصرة [٢] ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد ا بن عامر حتى يعرفوا رأى أهل المدينـة. ولم يزل معاوية يروض الناس على بيعة يزيد يستميل الناس بكل الوسائل " يعطى المقارب ويدانى المتباعد حتى مال إليه أكثر الناس وأجابوه إلى ذلك " [٣].

وفى الواقع أن بيعة معاوية بن أبى سـفيان لابنـه يزيـد خروج على الشورى فى حكم المسلمين حيث خاف الصـلح الذى تنازل بمقتضاه الحسن ابن على بن أبى طالـب عـن

---

(٢) عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية، الطبعة السابعة، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٦٢.

(٣) النويرى : نهاية الأرب، الجزء العشرون، تحقيق / محمد رفعت فتح الله، مراجعة إبراهيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥ م، ص ٣٥٠ – ٣٥١.

(٤) ابن أعثم الكوفى ٤ / ٢٢٤ – ٢٢٥، ٢٢٨.

الخلافة. وهو أن يترك الأمر بعد وفاته شـورى للمسـلمين يختارون من يشاؤون لحكمهم. غير أن معاويـة لـم يلتـزم بذلك، بل عمد إلى أخذ البيعة فى حياته لابنه يزيد.

وكان نظام الوراثى فى الحكم جديدا على المسلمين، ولـم يألفوه من قبل ولهذا السبب أعترض عدد من المؤرخين على تلقيب معاوية ومن جاء بعده من خلفاء بنى أميـة بالخلفـاء. واثروا تلقيبهم بالملوك (١).

ودافع ابن خلدون عن وجهة نظر معاوية فى بيعة يزيد : " والذى دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه انمـا هو مراعاة المصلحة العامة واجتماع الناس واتفاق اهـوائهم باتفاق أهل الحل والعقد من بنى أمية عليه أذ بنو أمية حينئـذ لايرضون سواهم وهم عصابة قريش.

وأهل الملة وأهل الغلب منهم فاثره بذلك دون سواه ممـن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصـا

---

(٥) بدر عبد الرحمن محمد : ولاية العهد من بداية الدولـة الأمويـة حتـى أوائـل القـــــــــرن الثـالـث الهجـرى، مكتبـة الأنجلـو المصرية، القـاهـرة (د . ت)، ص ٣ – ٤.

على الاتفاق واجتماع الاهواء الذى شأنه أهم عند الشارع"[1]
.

كان المغيرة بن شعبة أول من أشار على معاوية بن أبى سفيان ببيعة يزيد ولاية العهد، لما عزله معاوية عن ولاية الكوفة فأعاده معاوية إلى الكوفة ليأخذ البيعة ليزيد.

وفى سنة ٥٩هـ/٦٧٨م وفدت على معاوية وفود الأمصار من العراق والشام لمبايعة يزيد وأرسل معاوية إلى مروان بن الحكم والى المدينة ليأخذ البيعة من أهلها ومن المعروف أن أهل الحجاز عارضوا هذه البيعة بشدة ومن أبرز الثائرين أبناء الصحابة وهم الحسين بن على وعبدا بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبى بكر، وعبدا بن عمر فسار معاوية إلى الحجاز ولما دنا من المدينة لم يحظ بترحابهم ورحلوا إلى مكة ثم وفد عليهم معاوية واتبع معهم سياسة الود واللين فلم تحوز على رضاهم فلجأ معاوية إلى أخذ البيعة بحد السيف والإجبار فبايعوا تحت التهديد. وعاد معاوية إلى الشام [2] واشتد به المرض وتوفى فى شهر رجب سنة ٦٠هـ/٦٧٩م [1].

---

(١) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت.

(٢) ابن الأثير ٥ / ٢٤٩ – ٢٥٢ . ابن اعثم ٤ / ٢٤٨ – ٢٤٩.

وكان لمعاوية ثلاثة أولاد ذكورهم عبد الـ رحمن، يزيـ د، وعبد الملك وأربع إنـ اث هـ ن:هنـ د، ورملـ ة، وصـ فية، وعائشة[2].

ولما مرض معاوية دعا ابنه يزيد فقال " يابنى، إنـ ى قـ د كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأشـ ياء، وذلـ ت لـ ك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمـ ع واحد وإنى لاتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذى استتب لـ ك إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن على، وعبدا ابن عمر، وعبدا بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبى بكر، فأما عبدا بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعـ ك، وأما الحسين بن على فأن أهل العـ راق لـ ن يـ دعوه حتـ ى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فـ أن لـ ه رحماً ماسة وحقاً عظيماً، وأما أن أبن أبى بكـ ر فرجـ ل إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم ليس له همة إلا فـ ى النساء واللهو وأما الذى يجثم لك جثـ وم الأسـ د ويراوغـ ك

– النويرى ٢٠ / ٣٥٨ – ٣٥٩.

(٣) ابن الأثير ٥ / ٢٦٠.

(٤) القلقشندى ١ / ١١٢.

مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إربا إربا " (١).

٢- يـــــزيد بن معـــــاوية

٦٠-٦٣هـ/٦٨٠-٦٨٣ م

تولى يزيد بـن معاويـة عـرش الخلافـة فـى سـنة ٦٠هـ/٦٧٩م، بدمشق بعد وفاة أبيه معاوية (٢). وكانت أم يزيد تدعى ميسون بنت مالك بن بجدل بن أنيف بـن ولجـه الكلبية (٣). وكان يزيد يكنى أبا خالد وكانت ولايتـه ثـلاث سنيين وشهور (٤) وكان والده يرشحه للأمارة فولاه الحـج مرتين، وولاه الصائفة وارسله فـى الجـيش الـذى غـزا

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية، دار صادر بيروت، ص ١١١ – ١١٢.
– الطبرى ٥ / ٣٢٢. – النويرى ٢٠ / ٣٦٥ – ٣٦٦.
– ابن اعثم الكوفى ٤ / ٢٦٠ – ٢٦١. – ابن الأثير ٣ / ٢٥٩ – ٢٦٠.
وأنظر كذلك – الدينورى ، ص ٢٢٦. – ابن خلدون ٣ / ١٨ – ١٩.
– ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الامم والملوك، الجزء الخامس، تحقيق / محمد عبد القادر عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ٣٢٠.
(٢) الطبرى ٥ / ٣٣٨. ابن الأثير ٣ / ٢٦٣. النويرى ٢٠ / ٣٧٦.
(٣) ابن ابى الدم ١ / ٢٠٠. السيوطى ، ص ٢٣٣.
(٤) ابن قتيبة ، ص ٣٥١.

القسطنطينة لأول مرة. وكان يزيد مغرما بالصيد. وهذا مما أخذه عليه الناس [1].

وحدثت فى عهد يزيد بن معاوية بعـض الوقـائع التـى تركت آثارها السيئة فيما بعد على الأمويين. أولهـا انتهـاك حرمة المدينة فى موقعة الحرة وإباحتها لمدة ثلاثة أيام، ثـم محاصرة عبدا بن الزبيـر فـى مكـة وضـرب الكعبـة بالمنجانيق ومقتل الحسين بن على فى كربلاء وسنلقى مزيداً من الضوء على الحادثتين الأخيرتين فى تناولنـا للحركـات المعادية لبنى أمية. وللعلماء فى يزيد رأى حسـن – رغـم مآخذهم عليه – فالليث بن سعد فقيه مصر المشـهور يلقبـه بأمير المؤمنيين. واعتبر أبو بكر العربى هذه شهادة تزكيـة من الليث ليزيد [2].

ومن الرجال الذين اعتمد علـيهم يزيـد فـى الأمصـار الإسلامية سلم بن زياد على خراسان [3]، والوليد بن عتبـة

---

(٥) محمد الخضرى : تاريخ الأمم الإسلامية، الجزء الثانى، القاهرة، ص١٢٤.

(١) عبـد الشـافى محمـد عبـد اللطيـف : دراسـات فـى تـاريخ الدولـة الأمويـة، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٢٣

(٢) اليعقوبى ٢ / ٢٥٢. ابن الأثير الكامل، ٣ / ٣٠٤.

بن أبى سفيان على المدينة، وعبدا بن زياد على العـراق، وعقبة بن نافع على إفريقية [١].

كما استعـان بحسـان بن بجـدل الكلبـ ـى وروح بـن زنبـاح الجذامـى

والنعمان بن بشير وعلى الشرطة عبدا بن عامرالهمدانى [٢]. توفى يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤هـ/٦٨٣م بعـد أن بايع لأبنه معاوية الثانى بالخلافة جميع الناس إلا ابن الزبيـر وأهل مكة [٣].

٣- معاوية بن يزيد

٦٣هـ/٦٨٠م

اعتلى معاوية بن يزيد خلفاً لأبيه، وكان شاباً صالحاً، ولما استُخلف كان مريضا إلى أن مات ولم يخرج إلى الباب وكان زاهدا [٤]، واختلف المؤرخون فى تحديد الفترة الزمنية التى قضاها معاوية الثانى فى الخلافة فقيل أربعين يوما أو أربعة شهور[٥]، وقيل شهرين [١] وقيل ثلاثة أشهر [٢].

---

(٣) ابن الأثير ٣ / ٣٠٥ — ٣٠٦، ٣٠٩.

(٤) اليعقوبى ٢ / ٢٥٣.

(٥) عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية، جـ ٢، ص ٩١.

(٦) السيوطى، ص ٢٣٩.

(٧) عبد الشافى محمد عبدالمطلب ، ص١٣٧.

كما اختلفوا فى تقدير سنه ما بين ثمانيـة عشـر عامـا وواحد وعشرين عاما [٣]، واثنين وعشرين عاما [٤] . وقيل ثلاث وعشرين عاما [٥].

وعبر معاوية بن يزيد عن زهده فى الخلافة حيث خطب فى الناس " أيها الناس فإنا بلينا بكم وبليتم بنـا فمـا نجهـل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وان جدى معاوية بـن ابـى سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه فى القرابة برسـول ا وأحق فى الإسلام" [٦].

---

(٨) المسعودى ٣ / ٨٢.

(٩) ابو الفدا ، ص ٣٥. النويرى ٢٠ / ٥٠١.القلقشندى ١ / ١٢٢.

الروحـى : بلغـة الظرفـاء فـى تـاريخ الخلفـاء، تحقيـق / عمـاد أحمـد هـلال وأخرون إشراف ومراجعة أيمن فؤاد، المجلس الأعلـى للشـئون الإسـلامية، القـاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ١٤٣.

(١) عبد الشافى محمد عبدالمطلب، ص١٣٧.

(٢) المسعودى ٣ / ٨٢.

(٣) النويرى ٢٠ / ٥٠٠.

(٤) اليعقوبى ٢ / ٢٥٤. – ابن طباطبا ، ص ١١٨.

– ابن الأثير ٣ / ٣١٩.– ابن ابى الدم ١ / ٢١٧ – ٢١٨.

– ابو المحاسن : النجوم الزاهـرة، الجـزء الأول، تحقيـق / إبـراهيم طرخـان، وزارة الثقافة، القاهرة (د. ت)، ص ١٦٤.

ومما لايدع مجال للشك أن معاوية الثانى ألغى نظام ولاية العهد الذى احدثه جده. وابطل العمل به ليمنع أل أبى سفيان من أن يتوارثو الخلافة. ويجعل أمر الشورى بيـنهم حتـى يختاروا خليفتهم [1]. وأوصى أن يصلى بالناس الضحاك بن قيس حتى يختاروا لهم خليفة [2].

٤- مـــروان بن الحـــــكم
٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٥م

مروان بن الحكم بن ابى العاصى بن أميـة، يكنـى أبـا عبدالملك، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية وأبـوه الحكم طريد رسول ا {ﷺ}، وسببه أن الحكم كـان يمـر خاف رسول ا ويغمز بعينيه [3]. ولم يـزل طريـدا فـى خلافة أبى بكر وعمر ثم أدخله الخليفة عثمان واعطاه مائـة ألف درهم [4].

– حسين عطوان : الفرق الإسلامية فى بلاد الشام فى العصر الأموى، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦ م، ص ٢٧٥.

(٥) حسين عطوان ، ص ٢٧٧.

(٦) ابن الاثير ٣ / ٣١٩، النويرى ٢٠ / ٥٠٠.

(٧) ابن الأثير ٣ / ٢٢٧.ابن أبى الروحى ١ / ٢٢٧.

(٨) ابن قتيبة ، ص ٣٥٣.

أما عن السيرة الذاتية لمـروان فلقـد ولـد فـى سـنة ٢هـ/٦٢٣م، ونشأ بالطائف وسكن المدينة، واتخذه الخليفـة عثمان كاتباً له [١]، وغزا مروان ابن الحكم أفريقية فى حملة عبد ا بن سعد التى ندب إليها الخليفة عثمان الناس للتوجـه إلى أفريقية [٢]. وبعد مقتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة للمطالبة بدمه، وقاتل مروان فـى موقعة الجمل وانهزم أصحابه، وشهد صفين مع معاوية، ثـم أمنه الخليفة على بن ابى طالب، وعاد إلى المدينة فى سـنة ٤٢هـ/٦٦٢م، وأخرجه منهـا أهل المدينة [٣].

وفى أواخر أيام معاوية بن يزيد اضطربت الأمـور فـى الشام، وأوشك البيت الأموى على الأنهيار، فقد كانت الشـام تضم عصبتين العصبة اليمنية وتمثلها قبيلة كلب [٤]، وهـى من القبائل التى هاجرت قبل الإسـلام إلـى بـلاد الشـام، واستقرت فيه، وعرفوا أيضا بقحطان على اسم قحطان أبـو اليمن كلها، وإن غاب عليها اسم اليمن أو اليمانية.

---

(١) ابو الفدا ، ص ٣٦ — ٣٧.

(٢) ابن الابار : الحلة السيراء، الجزء الأول، تحقيق / حسـين مـؤنس، الطبعـة الثانية، دار المعارف القاهرة، ١٩٨٥ م، ص ٢٨.

(٣) ابو الفداء ، ص ٢٧.

(٤) أحمد إبراهيم الشريف ، ص ٤٤٣.

أما العصبة المضرية وتمثلها قبائل قيس وهى التى وردت إلى الشام أثناء الفتح الإسلامى من بدو الحجاز(١).

وتمكن معاوية بن ابى سفيان من حفـظ التـوازن بـين القبيلتين بفضل سياسته الحكيمة وفطنته واكتساب ودهما معا (٢)، وفقد هذا التوازن بعد وفاة معاوية بن ابى سفيان ممـا سيؤثر على سير الأحداث ويعتبر سبباً جوهريا من أسـباب سقوط الدولة.

على أية حال فقد كره القيسـيون أن يخضـعوا لنفـوذ حسان بن مالك أبن بجدل والى فلسطين وإقلـيم الأردن فـى خلافة معاوية، ثم ظلّ يدبر الأمر باسم ابن أخته طول مـدة خلافته فناصبوا الكلبيين العداء وانتفضوا على حكم بنى أمية وقاموا يبايعون لابن الزبير، فقد ثـار زفـر بـن الحـارث بقنسرين وبايع لابن الزبير وأيده كلاً من النعمان بن بشـير بحمص، وناقل أبن قيس الذى استولى على فلسطين.

وحدثت انتفاضة عارمة فى الولايات الإسـلامية ضـد الحكم الأموى وانضم أكثرها إلى دعوة عبدا بن الزبيـر،

---

(٥) عبد المنعم ماجد ٢ / ٩٢.

(٦) أحمد إبراهيم الشريف ، ص ٤٤٣.

ولم يميل إلى الأمويين غير إقليم واحد هو الأردن [1].

وعندما قدم مروان بن الحكم من المدينة ومن معه من بنى أمية إلى الشام وجد أن الأمور مضطربة فأراد أن يلحق بعبدا بن الزبير ليبايعه ولكن عبيدا بن زياد [2] والى البصرة كان بالشام آنذاك لمراقبة سير الأحداث حذّر مروان من مغبة هذا التصرف قائلاً له " إنك شيخ بنى أمية فلا تعجل " [3].

كما أخبر الحصين بن نمير قائد الجيش الأموى القادم من الحجاز مروان بن الحكم بما جرى بينه وبين ابن الزبير، وقال " أقيمو أمركم قبل أن يدخل عليك شانكم فتكون فتنة عميا " [4].

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، ص٤٤٤ وانظر كذلك: - ابن الأثير ٣ / ٣٢٦ – ٣٢٧

(٢) بايع أهل العراق عبد الله بن زياد عقب وفاة يزيد بن معاوية. ويبدوا أن بيعتهم تمت على كره منهم : " فبايعوه ثم انصرفوا ومسحوا أيديهم بالحيطان، وقالوا : أيظن ابن مرجانة إنا ننقاد له فى الجماعة والفرقة ". كما حاول أخذ بيعة أهل البصرة فترددوا فى أمره وكانوا لاينفذون أوامره حتى اضطر إلى الخروج إلى الشام... النويرى ٢٠/ ٥٠١ – ٥٠٥.

(٣) المسعودى ٣ / ٩٤ – ٩٥. ابن الأثير٣ / ٣٢٦ – ٣٢٧. ابن أبى الدم ١ / ٣٢٦.

(٤) ابن الأثير ٣ / ٣٢٦. النويرى ٢١ / ٨٤.

- مؤتـمر الجابيـة

وسار مروان بن الحكم إلى دمشق وكان عليها الضحـاك بن قيس يصلى بالناس وقد بايعوه على ذلك حتى يتفقوا على إمام وكان يميل سراً إلى دعوة عبد ا بن الزبير. أما حسان بن بجدل الكلبى كان يميل إلى الأمويين [1].

وعزم الأمويون على تصفية الخلافات فيما بينهم فعقـدوا مؤتمراً بالجابية من أرض الجـولان بـين دمشـق والأردن بايعوا فيها مروان بن الحكم بالخلافة على أن ويتولى بعـده خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد بن الأشدق [2] وأن تكـون أمارة حمص من نصيب خالد بن يزيد وأمارة دمشـق مـن نصيب عمرو بن سعيد [3]. وبذلك انتقل الملك من الفـرع السيفانى إلى الفرع المروانى.

ومن الجدير بالذكر أن مروان بن الحكم لم يلتزم بتنفيـذ أتفاق الجابية ففى سنة ٦٥هـ أمر بالبيعة لابنيـه عبـدالملك

---

(٥) النويرى ٢١ / ٨٤.

(٦) المسعودى ٣ / ٩٤ – ٩٥. – ابن الأثير ٣ / ٣٢٧.

هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد مشمس بن عبد مناف ويسمى عمرو اللطيم لميل كان فى فمه فمن أجل ذلك قيل له لطيم الشيطان ويسمى الأشدق لتشدقه فى الكلام. وكان من فصحاء قريش وأهل الخطابة.... النويرى ٢١ / ١٠٠.

(١) ابن الأثير ٣ / ٣٢٧ . النويرى ٢١ / ٨٧.

وعبدالعزيز، ولم يعترض حسان بن ثابت بن بجدل خال خالد بن يزيد نكاية فى عمرو بن سعيد الـذى أدعـى أن البيعـة ستكون من نصيبه بعد مروان [١].

- مـوقعة مرج راهـط

إشتعل فتيل الحرب بين الضحاك بن قيس الفهرى وبـين الأمويين فى مرج راهط على مقربة من دمشق. وكان فـى صف الضحاك بن قيس بعض القادة مثل النعمان بن بشـير والى حمص، وزفر بن الحارث والى قنسرين. أما الأمويون فيتزعمهم مروان بن الحكم وجعل على ميمنة جيشه عمـرو بن سعيد، وعلى ميسرته عبيدا بن زياد ووقف إلى جانبهم قبيلة كلب وغسان والسكاسك. ودار القتال بين الفريقين لمدة عشرين ليلة وقتل الضحاك وحلت الهزيمـة باتباعـه فـى المحرم سنة ٦٥هـ/٦٨٤م [٢].

نتائج موقعة مرج راهط :-

١- أشعلت هذه الموقعة نار العصبية من جديد بين العرب فى الشام وخراسان والمغرب والأندلس.

---

(٢) ابن الأثير ٣ / ٣٤٧.   النويرى ٢١ / ٩٤.

(٣) ابن الأثير ٣ / ٣٢٨.   النويرى ٢١ / ٨٨ – ٨٩.

٢- أنتقل الملك من الفرع السفيانى إلى الفرع المروانى [١]

٣- عادت الشام إلى حوزة بنى أمية [٢].

سياسة مروان إزاء الأمصار

بعد أن أستتب الأمر إلى مروان بن الحكم فى بلاد الشام، أخذ يبسط نفوذه فى الأمصار الإسلامية التى تغلغل فيها نفوذ عبدا بن الزبير فبدأ بمصر التى يليها عبدالرحمن بن عتبة بن جحدم من قبل ابن الزبير حيـث دخلهـا فـى شـعبان سنة ٦٤هـ/٦٨٣م.

ولما بويع مروان بالخلافة سار إلى مصـر فـى غـرة جمادى الأولى سنة ٦٥هـ/٦٨٤م وحاول ابن جحدم منعـه بحفر خندق حول الفسطاط. والتقى الطرفين فـى مناوشـات وأسفر اللقاء عن بعض القتلى من الجانبين، وعـودة مصـر للسيادة الأموية، ونزل مروان بدار الفلفل المواجهة للمسـجد الجامع، ثم أمر ببناء الدار البيضاء لتكون مقر للحكم.

---

(٤) حسن أبراهيم حسن ١ / ٢٩٥. – على ابراهيم حسن، ص ٣٣٢.
– أحمد ابراهيم الشريف، ص ٤٤٦.
(٥) أحمد ابراهيم الشريف ، ص ٤٤٦.

ولم يلبث أن ترك مروان ابنه عبـدالعزيز علـى ولايـة مصر[١]. ثم أرسل مروان حملتين أحداهما إلـى الحجـاز حيث دعا عبدا بن الزبير لنفسه بالخلافة ولكنهـا هزمـت والأخرى إلى العراق حيث كان الشيعة قد نهضوا فى الكوفة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م وأظهر ندمهم على مافرطوا فـى حـق الحسين، وعرفوا باسم " التوابين "[٢] وقد عزمـوا علـى الأخذ بثأر الحسين وانتزاع الخلافة من بنى أمية وإسـنادها إلى أحد رجال البيت[٣].

ولم يمض مروان بن الحكم فى الخلافة سوى تسعة أشهر حيث لقى حتفه على يد زوجته أم خالد، لما أقدم عليـه مـن تصغير شأن ابنها خالد بن يزيد عند أهل الشام لتخلو الساحة لبيعة ابنيه عبدالملك وعبدالعزيز، واشتكى خالد إلى والدتـه فعزمت على التخلص منه بوضع وسادة على وجهـه ولـم ترفعها حتى فارق الحياة[٤]وقيل أنـه مـات مسـموماً[١] وكانت خلافة مروان تسعة أشهر وثمانية عشر يوما[٢]

---

(١) الكنـدى : ولاة مصـر، تحقيـق / حسـين نصـار، دار صـادرات، بـيروت ١٩٥٩م، ص ٦٤، ٦٧، ٦٩

(٢) لمزيد من التفاصيل عن حركة التوابين. أنظر – ابن الأثير ٣ / ٣٣٢، ٣٣٧.

(٣) على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى، ص ٣٣٥.

(٤) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ١١٩ – المسعودى ٣ / ٩٧ – ٩٨.

– الدينورى ، ص ٢٨٥. – ابن قتيبة، ص ٣٥٤.

٥- عبد الملك بن مروان

(٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م)

عبد الملك بن مروان بن أبى العاص، هو المؤسس الثانى للدولة الأموية ولد سنة ٢٦هـ/٦٤٦-٦٤٧م [٣]، وهو أول من سمى بعبد الملك فى الإسلام [٤]، وأول من نهى الرعية عن كثرة الحديث فى حضرة الخلفاء [٥]. وكان يعرف بأبى الملوك لانه تولى من أولاده الخلافة أربعة الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام [٦].

كان عبد الملك أحد فقهاء المدينة الأربع وهم سـعيد بـن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبـدالملك

– ابن الأثير ٣ / ٣٤٧ – ٣٤٨. – ابن ابى الدم ١ / ٢٢٩ – ٢٣٠.

– ابن دقماق، ص ٦٣. القلقشندى ١ / ١٢٥، النويرى ٢١ / ٩٦.

(٥) اليعقوبى ٢ / ٢٥٧. – ابن الأثير: ٣ / ٣٤٧.

(٦) خليفة الخياط، ص ٢٦٢ – ٢٦٣.

(١) السيوطى، ص ٢٤٥. ابن دقماق، ص ٦٤.

(٢) ابن ابى الدم ١ / ٢٣. القلقشندى ١ / ١٢٦.

– النويرى ٢١ / ٩٨. الروحى، ص ١٤٨.

(٣) ابن طباطبا، ص ١٢٢. ابن الأثير ٤ / ١٠٤.

(٤) ابن دقماق، ص ٦٤.

بن مروان [١] يقول الذهبى [٢] " كان قبل الخلافة متعبـداً ناسكاً عالماً فقيهاً واسع العلم " وتولى ديوان المدينة لمعاويـة بن أبى سفيان، ولم يزل به حتى وثب أهل المدينة على بنـى أمية وطردوهم منها، ولم يلبث أن عاد إليها مع والـده مـع جيش يزيد حيث أمد قائد الجيش الأموى مسـلم بـن عقبـة بمعلومات [٣] هامة ليسهل عليه أقتحام المدينة.

ولما عم السخط فى الحجاز على الأمـويين ؛ لمـا حـل بأهلها على أيديهم عاد مروان بن الحكم وأبنائه إلـى الشـام حيث تولى مقاليد الخلافة بعد وفاته وبويع لعبدالملك بعـده[٤] وكان عبد الملك حازماً فى رأيه و لايترك أمره إلى غيره[٥].

---

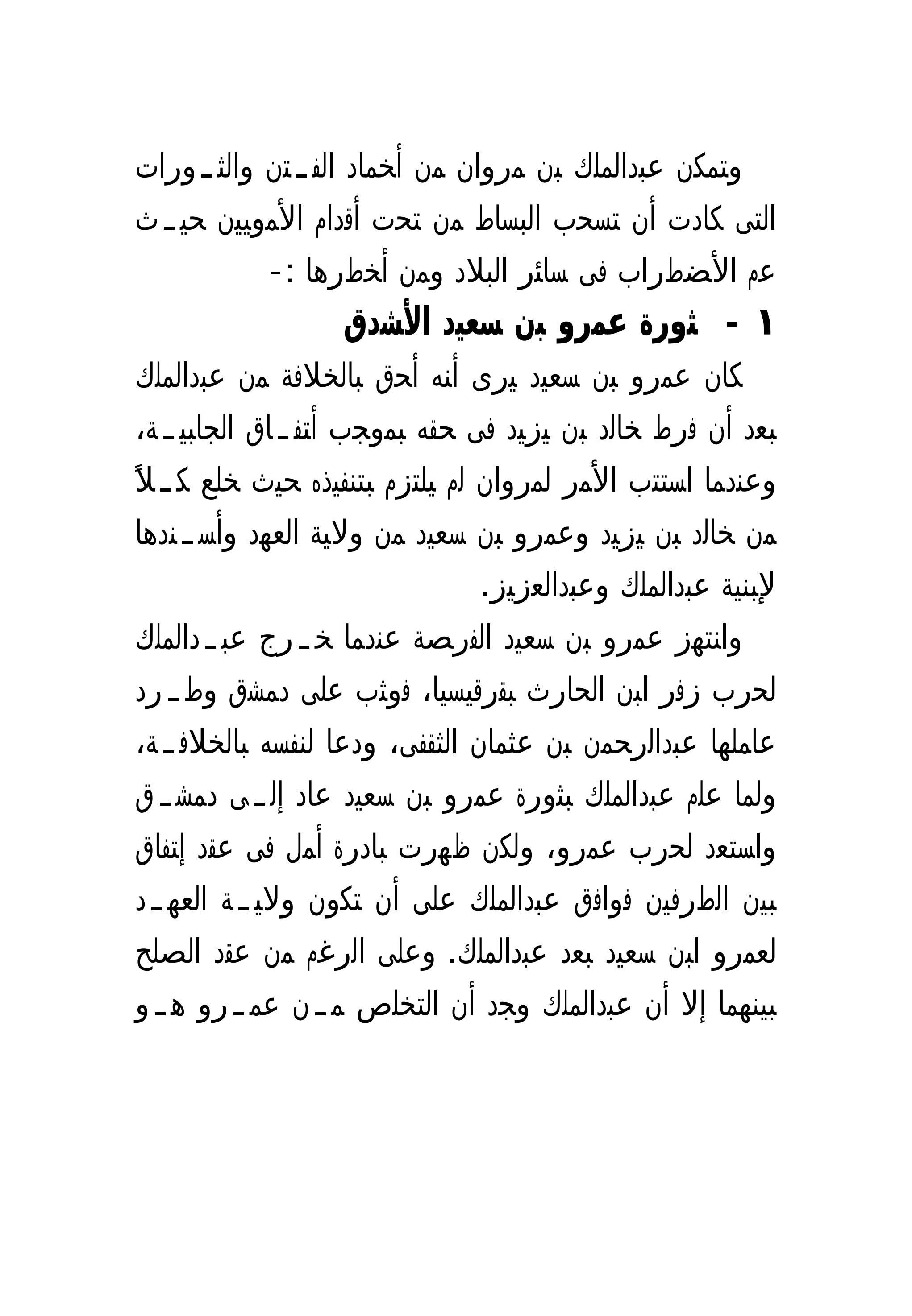
(٥) ابن الأثير ٤ / ١٠٣ – ١٠٤. القلقشندى ١ / ١٢٧.

(٦) دول الإسلام، جـ ١ ، ص ٦١.

(٧) أشار عبد الملك بن مروان إلى مسلم بن عقبة أن يبدأ هجومهُ من الحـرة بشـرق المدينة أثناء طلوع الشمس بقول ابن طباطبا " ثم تستقبل القوم، فإذا استقبلهم وقد طلعـت الشمس عليهم بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم، بل يصيب أهل المدينة أذاها ويرون من أتلاف بيضكم وأسنة رماحكم " الفخرى، ص ١٢٤.

(٨) عبدالمنعم ماجد ٢ / ١٠٤، ١٠٥.

(٩) الروحى، ص ١٤٨.



وتمكن عبدالملك بن مروان من أخماد الفـتن والثـورات التى كادت أن تسحب البساط من تحت أقدام الأمويين حيـث عم الأضطراب فى سائر البلاد ومن أخطرها :-

١ - ثورة عمرو بن سعيد الأشدق

كان عمرو بن سعيد يرى أنه أحق بالخلافة من عبدالملك بعد أن فرط خالد بن يزيد فى حقه بموجب أتفـاق الجابيـة، وعندما استتب الأمر لمروان لم يلتزم بتنفيذه حيث خلع كـلاً من خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد من ولاية العهد وأسـندها لإبنية عبدالملك وعبدالعزيز.

وانتهز عمرو بن سعيد الفرصة عندما خـرج عبـدالملك لحرب زفر ابن الحارث بقرقيسيا، فوثب على دمشق وطـرد عاملها عبدالرحمن بن عثمان الثقفى، ودعا لنفسه بالخلافـة، ولما علم عبدالملك بثورة عمرو بن سعيد عاد إلـى دمشـق واستعد لحرب عمرو، ولكن ظهرت بادرة أمل فى عقد إتفاق بين الطرفين فوافق عبدالملك على أن تكون ولايـة العهـد لعمرو ابن سعيد بعد عبدالملك. وعلى الرغم من عقد الصلح بينهما إلا أن عبدالملك وجد أن التخلص مـن عمـرو هـو

الطريق الوحيد ليأمن جانبه فدبر مؤامرة لقتله بقصـره[1].
فى سنة ٦٩ هـ وقيل سنة ٧٠ هـ[2].

٢- ثورة ابن الأشعـث

كان عبد الرحمن بن محمد الأشعث عامل سجستان مـن قبل الحجاج ابن يوسف الذى أرسله بجيش إلى رتبيل مالـك كابل الذى تأخر فى دفع الأتاواة السنوية.

ولم ينفذ ابن الأشعث الخطة الحربية المرسـومة وأجلهـا للعام القادم، مما أثار سخط الحجاج، ولكن ابن الأشعث لـم يستجب لتهديد الحجاج بل أعلن خلعه وأيده الجند وعاد إلـى العراق ولما اقترب من الأهواز سير الحجـاج إليـه جيشـاً فهزمه أبن الأشعث ثم أنهزم أبن الأشعث فى الجولة الثانية، وسببت ثورة ابن الأشعث أضطراباً عاماً للحجاج فى العراق وأرسل الحجاج إلى عبدالملك بن مروان يطلب النجدة.

وكانت بين الحجاج وابن الأشعث وقـائع كثيـرة كانـت أخرها وقعة مسكن هزمه الحجاج، فمضـى أبـن الأشـعث

---

(١) اليعقوبى ٢ / ٢٠٧ . – المسعودى ٣ / ١٠٩ – ١١٠.
– ابن ابى الدم ١ / ٢٣١ – ٢٣٢.
(٢) النويرى ٢١ / ١٠٦.

صوب الشرق إلى سجستان وقبض عليه والقى بنفسـه مـن فوق سطح عال [1].

٣ – ثورة الجراجمة سنة ٦٩ هـ :

خرج أحد قواد الضواحى فى جبل اللكام وتبعه خلاف كثير من الجراجمة والأنباط وغيرهم وسار إلى لبنان وسانده الروم وتمكن عبد الملك بن مروان من التغلب على تلك الثورة[2].

– إنجازات عبد الملك بن مروان الداخلية :

ومن أعظم إنجازات عبدالملك أصلاح نظام العملة ومـن المعروف أن العملة الرومية و الفارسية كانت شائعة التداول قبل الإسلام، وأكتفى الخلفاء الأوائل المسلمون بهذه العملـة الأجنبية وفى بعض الحالات كانوا يكتبون فوق نقوشها بعض آيات قرآنية.

وكانت القراطيس تدخل بلاد الـروم مـن أرض مصـر فأحدث عبدالملـك أجراء يقضـى بـأن يكتـب فـى رؤس الطواميـر عبارات من ذكر ا ، فكره ملـك الـروم ذلـك وأرسل إلى عبدالملك كتاباً بهذا الشأن، مما أغضب عبدالملك

---

(١) اليعقوبى ٢ / ٢٧٧ – ٢٧٩.

(٢) النويرى ٢١ / ١٠٨ – ١٠٩.

وشاور خالد بن يزيد بن معاوية فأشار عليه بعـدم التعامـل بالدنانير البيزنطية وضرب عملة إسلامية [١].

وكـان أول سـك للعملـة العربيـة الخالصـة سـنة ٧٤هـ/٦٩٢-٦٩٣م وقيل سـنة ٧٥هـ ـ/٦٩٤م أو سـنة ٧٦هـ/٦٩٥م [٢].

ومن الرجال الذين إعتمد عليهم عبدالملك بن مروان يزيد بن كبسه السكسكى على الشرطة ثم عزله وإستعمل عبـدا بن يزيد الحكمى، وعلى الحرس أبو عياش الكهـانى ومـن ولاته الحجاج بن يوسف على العراق وأخيه عبدالعزيز مصر والمغرب [٣].

وتمكن عبدالملك من إعادة الهدوء والأستقرار إلى الدولة بعد أن قضى على ثورات الخوارج والشيعة فهدأ المشـرق وبسط عبدالملك يده عليه.

---

(٣) فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطيـة، دار الكتـاب العربـى، القـاهرة ص ٧٠ — ٧١ . وأنظر : – ابن الأثـير ٤ / ٥٣ — ٥٤. السـيوطى ، تـاريخ الخلفـاء، ص ٢٤٨ — ٢٤٩.

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية، المجلد الخامس، الجزء التاسع، حققه / أحمد أبو ملحم وآخرين الطبعة الأولى، دار الريان القاهرة ١٩٨٨م، ص ١٦.

(٥) اليعقوبى ٢ / ٢٨٠.

وتوفى عبدالملك بن مروان فى نصف شوال عـن عمـر يناهز السابعة والخمسين وقيل أحدى وسـتين وقيـل أربـع وستين سنة [١].

٦- الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)

بويع الوليد بالخلافة فى نصف شوال سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، بعد وفاة أبيه ويكنى أبو العباس، أمه ولادة بنت العباس بـن حر بن الحـارث العبسيـة[٢].

وكان مروان بن الحكم قد بـايع لابنيـه عبـدالملك ثـم عبدالعزيز ولكن عبدالعزيز مات قبل وفاة عبـدالملك فعـين عبدالملك ولدية الوليد ثم سليمان سنة ٨٥هـ/٧٠٤م، وكتـب بذلك إلى الأمصار فبايع الناس ولما مـات عبـدالملك جـدد الناس البيعة للوليد [٣].

وتميز عهد الوليد بالهدوء والإستقرار بفضل تغلب والـده عبدالملك على ثورة عبدا بن الزبير وابن الأشعث، لـذلك

---

(١) ابن ابى الدم ١ / ٢٥٥.

(٢) اليعقوبى ٢ / ٢٨٣ – ابن ابى الدم ١ / ٢٥٦.

– خليفة الخياط ، ص ٢٩٩. النويرى ٢١ / ٢٨١.

– مجهول: العيون والحدائق فى أخبار الحقائق، الجزء الثالـث، مكتبـة المثنـى، بغداد (د. ت) ص ٢

(٣) أحمد شلبى ٢ / ٧٢.

إتسعت أطراف الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً [1] فتم فـتح المغرب والأندلس وبلاد ماوراء النهر وبـلاد السـند [2]، وسنلقى مزيداً من التفاصيل عن تلك الفتوحات فـى القسـم الخاص بها.

وقام الوليد بعدة إصلاحات داخلية فهـو أول مـن عمـل البيمارستانات للمرضى [3]، وتعهد بكفالة الأيتام ورتب لهم المؤدبين والعميان من يقودهم [4].

ومنع الوليد المجذومين من الخروج على الناس، وأجرى لهم الأرزاق [5].

وأعطى كل مقعد خادماً، وكل ضرير قائداً [6]. وأول من اتخذ دار الضيافة [1].

---

(٤) على إبراهيم حسن ، ص ٣٤٩.

(٥) النويرى ٢١ / ٣٣٧.

(٦) اليعقوبى ٢ / ٢٩٠. – ابن ابى الدم ١ / ٢٦٣ — ٢٦٤.

القلقشندى ١ / ١٣٦. – ابو الفدا ، ص ٣٨.

– المقريـزى : النقـود الإسـلامية، تحقيـق / محمـد السـيد علـى، الطبعـة الخامسة، النجف، ١٩٦٧ م، ص ١٦٩.

(٧) السيوطى ، ص ٢٥٦.

(١) النوير ٢١ / ٣١٥، ابن دقماق ، ص ٦٥.

(٢) ابن طباطبا ، ص ١٢٧. ابن الأثير ٤ / ١٣٧. ابن دقماق، ص ٦٦.

– ابـو الفـداء ، ص ٣٨. – مجهـول : العيـون، جـ ٣، ص ١١.

وكان الوليد مهتما بالعمارت والأبنية وإتخـاذ المصـانع والضياع وكان الناس يلتقون فى زمانـه فيسـأل بعضـهم بعضـاً عن الأبنيـة والعمـارت [٢].

ومن أروع إنجازات الوليد فى العمران المسجد الجـامع الذى بدأ فى بنائه سنة ٨٧هـ بدمشق [٣]، كما أضاف بعض الزيادات فى مسجد الرسول {ﷺ} من المنازل التـى حولـه وحجرات أزواج النبى {ﷺ}، وقام بتلـك المهمـــة والـى المدينـة عمـر بن عبـدالعزيز [٤].

وكان الوليد لحانا لايحسن النحو، وعاتبه أبوه عبـدالملك على ذلك، وقال له " لا يلى العرب إلا من يحسـن كلامهـم فدخل الوليد بيتاً وأخذ جماعة من علماء النحو وأقـام مـدة يشتغل فيه، فخرج أجهل مما كان يوم دخوله " [٥]. وتـوفى

---

(٣) القلقشندى ١ / ١٣٦.

(٤) ابن طباطبا ، ص ١٢٧.

(٥) المسعودى ٣ / ١٦٦. ابن الأثير ٤ / ١٣٧.

(٦) اليعقوبى ٢ / ٢٨٤. ابن الأثير : ٤ / ١٠٩. – خليفة الخياط، ص ٣٠١. النويرى ٢١ / ٣١٤ – ٣١٥. – ابن ابى الدم ١ / ٢٥٦ – ٢٥٧. القلقشـندى ١ / ١٣٦.

(٧) ابن طباطبا ، ص ١٢٧. النويرى ٢١ / ٣٣٨.

الوليد فى جمادى الأولى سنة ٩٦هـ/٧١٥م بدمشق ودفـن بباب القصر، وكانت مدة خلافته تسع سنين وأشهر[١].

٧ - سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٤-٧١٧م)

تولى سليمان بن عبدالملك عرش الخلافة بعد وفاة أخيـه الوليد فى جمادى الآخر سنة ٩٦هـ/٧١٤م [٢]، وكان مولده بدمشق سنة٥٤هـ/٦٧٣-٦٧٤م [٣].

وعاش سليمان فى البادية عند أخواله بنـى عـبس [٤]، وكان لتلك التربية أثراً فى ثقافته فتميز بالفصاحة والبلاغة [٥]. وكان سليمان من خيار بنى أمية [٦]، وأستبشـر النـاس

---

(٨) المسعودى ٣ / ١٦٥. ابن الأثير ٤ / ١٣٧. – النويرى ٢١ / ٣٣٥.

(٩) ابن الأثير ٤ / ١٣٨. المسـعود ٣ / ١٨٣. الـدينورى ، ص ٣٢٩.
النويرى ٢١ / ٣٣٨

ابو الفدا ، ص ٣٨. ابـن ابـى الـدم ١ / ٢٦٥.

المقريزى، ص ١٧٠.

ابن دقماق، ص ٧٠. – ابن العبرى ، ص ١١٤.

(١٠) ابن الأثير ٤ / ١٣٨.ابوالفـدا ، ص٣٨ . – المقريزى، ص ١٧٠.

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد، الجزء الخامس، تحقيق محمد سعيد العريـان، الطبعـة الثانية، مطبعة الإستقامة، القاهرة ١٩٥٣م، ص ١٦١. – ابـن قتيبـه ، ص ٣٦٠

(٢) المسعودى ٣ / ١٩٠. الذهبى ١ / ٦٩. القلقشندى ١ / ١٣٩.

(٣) السيوطى ، ص ٢٥٩.

بخلافته خيراً يقول ابن عبد ربه [١] " وكانت ولايتـه يمنـا وبركة افتتحها بخير وإختتمها بخير فاما أفتتاحه فيها بخيـر فرد المظالم وأخرج المسجونين وبغزاة مسلمة بن عبـدالملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينة، أما إختتمها فاستخلافه عمـر بن عبدالعزيز ".

ومن محاسن سليمان أيضاً إحياء الصلاة لمواقيتها بعد أن كان بنو أمية يؤخروها [٢].

وفى عهد سليمان ازدهرت صناعة الوشـى فـى الـيمن والكوفة والأسـكندرية، ولـبس النـاس الوشـى والأرديـة والسراويل والعمائم وأمر أهل بيته وعماله وخدمه بارتـداء الوشى [٣]، وأهتم سليمان بعمارة مدينة الرملة فبنى مسجدها ودار الأمارة [٤].

وكان تغير ولاية العهد فى البيت الأموى مـن أصـعب التحديات التى أدت إلى إنهيار ملكهم فهاهو الوليد يلجأ إلـى

---

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد، جـ ٥، ص ١٦٢.

– ابن قتيبه ، ص ٣٦٠، مجهول : العيون، جـ ٣، ص ١٧.

(٥) السيوطى ، ص ٢٥٩. قـارن ابـن الجـوزى ٧ / ١٣.

(٦) المسعودى ٣ / ١٨٤ – ١٨٥.

(٧) اليعقوبى ٢ / ٢٩٣.

خلع سليمان ويبايع لولده عبدالعزيز وأرسل بهذا الشأن إلـى عمال الأقاليم فلم يجبه إلا الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم [١]، ولكن القدر لم يمهل الوليد لتنفيذ خطته.

وقد كانت حادثة تغير ولى عهد الوليد حادثـة مؤسـفة، صبغت بداية عهد سليمان بالأنتقام من القادة البارعين الـذين رفعوا لواء الإسلام، وقـد كـان الحجـاج يحـس بـالفجوة والكراهية بينه وبين سليمان، وكان يتمنى أن يمـوت قبـل الوليد، وقد حقق ا أمنيته أما آل الحجاج ومحمد بن القاسـم وقتيبة بن مسلم فقد ذاقوا العذاب من سليمان [٢].

ومن مآثر سليمان التى أختتم حياته بها والتـى سـبق أن ذكرناها إختياره عمر بن عبـدالعـزيز لولاية العهـد ثـم أخيـه يزيد بن عبدالمـلك بعـده[٣]. وتوفى سليمان بدابق

---

(٨) ابن خلدون ٣ / ٦٨. ابن الجوزى ٧ / ١٢.

(٩) أحمد شلبى ٢ / ٧٧.

(١) الدينورى ، ص ٣٢٩. – ابن قتيبة ٢ / ١١٢. ابن الأثير ٤ / ١٥٢.

– ابن ابى الـدم ١ / ٢٦٥ – ٢٦٦. السـيوطى ، ص ٢٦٠. – الـذهبى ١ / ٦٩.

ابن خلدون ٣ / ٧٤ – النويرى ٢١ / ٣٥٥ – ٣٥٦.ابن الجوزى ٧ / ٣٢.

– القلقشندى ١ / ١٣٩ – ١٤٠

من أرض قنسرين فى شهر صفر سنة ٩٩ هـ / ٧١٧ م [١].

٨- عمـــر بن عبدالعـزيز
(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)

عمر بن عبدالعزيز بن مروان أبو حفص خامس الخلفـاء الراشدين ولد بحلوان سنة ٦١هـ/٦٨٠م [٢]، وفى روايـة أخـرى فى المدينـة المنورة [٣]. وأمـه أم عاصـم بنـت عاصم بن عمر بن الخطاب ولى الخلافة فـى صـفر سـنة ٩٩هـ/٧١٧م [٤]. وأطلق عليه لقب أشج بنى أمية [٥].

رحل عمر إلى المدينة فى سن مبكر ليتلقى العلـم عـن شيوخها ليتأدب بآدابهم فقد كانت المدينة يومئذ موطن العلـم

(٢) ابن الجوزى ٧ / ٥٠. مجهول : العيون، جـ ٣، ص ٣٣.

(٣) خليفة الخياط، ص ٣٢٢. السيوطى ، ص ٢٦٣. المقريزى، ص ١٦٧.

(٤) عبد المنعم ماجد ٢ / ٢٥٧.

(٥) ابن عبد ربه ٥ / ١٠٨. النويرى ٢١ / ٣٥٥. القلقشندى ١ / ١٤١.

(٧) ابن الأثير ٤ / ١٦١. ابن ابى الدم ١ / ٢٧٠. ابن قتيبه، ص ٣٦٢.

ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز، دراسة وتحقيق / السيد الجميلى، بـــــيروت، ١٩٨٨ م، ص ٢١. – الســيوطى ، ص ٢٦٣. القلقشـــندى ١ / ١٤١.

ابن خلدون ٣ / ٧٦.

والفقه والحديث فتأثر عمر بهـذه البيئـة الصـالحة وروى الحديث عن كثير من التابعين [١].

وتولى عمر إمارة المدينـة فـى خلافـة الوليـد سـنة ٨٧هـ/٧٠٦م، فأحسن السيرة فى الرعية. ولم يلبث أن عزله الوليد للخلاف الذى حدث بين عمر والحجاج بـن يوسـف بسبب وفود أهل الكوفة والبصرة إلى المدينة خوفاً من بطش الحجاج وظلمه [٢]. وكتب الحجاج إلى الوليـد : " إن مـن عندى من المراق وأهل الشقاق قد خلوا عن العراق ولحقـوا بالمدينة ومكة إن ذلك وهن " [٣]. ولما تولى عمر مقاليـد الخلافة بموجب وصية سليمان تلقـى البيعـة مـن النـاس، وخطب فيهم بقوله " أيها الناس إنما نحن مـن أصـول قـد مضت وبقيت فروعها فما بقاء فرع بعد أصله وإنما النـاس فى هذه الدنيا أغراض تتصل فيهم [٤]

وكان عمر بن عبد العزيز أول من جاس للمظالم بنفسـه من الخلفاء وبدأ ببنى أمية فرد الغصوب التى أخـذوها إلـى

---

(٨) عبد الشافى محمد بن عبداللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص ١٧٠.

(١) أحمد شلبى ٢ / ٨٠.

(٢) النويرى ٢١ / ٣٢١.

(٣) المسعودى ٣ / ١٩٤.

أصحابها وحذره بعض خاصته من هذا الأمر خشية أن تتألب عليه قلوبهم، فكان رده فى غاية الجرأة فى الحـق " أبيـوم يسوى يوم القيامة تخوفونى فكل خوف أتقيه قبل يوم القيامـة لا وقيته [1].

كما نهى عماله عن سب على بن ابى طالب وتوعـد المخالف بالعقاب الصارم [2]. وأنشأ عمر بـن عبـدالعزيز ديواناً للسجون وفصل بين حبس الرجال والنساء وبين أهـل الجرائم، ومن حبس فى دين، وقد أمر ألا يقيد أحد فى محبسه [3].

وكانت سياسة عمر بن عبدالعزيز المالية ناجحة إلى حـد كبير فعزل الولاة الذين أساءوا السيرة فـى أقـاليم الدولـة المختلفة ومن هؤلاء يزيد بن المهلب الذى إستأثر بـالأموال فى خراسان وعين بدلاً منه الجراح بن عبدا الحكمى وعين على الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن القرشى وعلى المدينة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم [4] وعلى الأندلس السمح

---

(٤) الدينورى ، ص ٣٣١.

(٥) المسعودى ٣ / ١٩٣. ابن الأثير ٤ / ١٥٤.

– ابن ابى الدم ١ / ٢٧٠ . السيوطى ، ص ٢٧٩.

(٦) عبد المنعم ماجد ٢ / ٢٦٢.

(٧) ابن الأثير ٤ / ١٥٤ — ١٥٥.

بن مالك الخولانى، وعلى إفريقية إسماعيل بن عبدا [1].

ولما شكا إليه بعض الولاة كثرة الدخول فى الإسلام ونقـص إيرادات بيت المال، واستأذنوه فى فرض الجزية عمن أعتنق الإسلام وبخهم بشدة بقوله المشهور أن ا بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً [2].

وكان عمر زاهداً فى أمور الدنيا كلها، فلم يتقاضى أجـراً على عمله من بيت المال[3]، وأمر زوجته فاطمة بـرد مـا تملك من مال وحلى وجوهر إلـى بيـت المـال المسـلمين وحذرها من سوء العاقبة [4].

وأدت سياسة عمر الناجحة إلى إقبال الشعوب المفتوحـة على الدخول فى الإسلام ولقيت دعوة عمر إلى ملوك بـلاد ماوراء النهر إلى الإسلام استجابة سريعة، وأثمرت سياسـة الود والعطف على البربر فى المغرب من واليها إسماعيل بن عبدا أقبالاً منقطع النظير على الدخول فى الإسلام [5].

---

(١) نفســـه ٤ / ١٦٠.

(٢) على إبراهيم حسن ، ص ٣٦٣.

(٣) ابن عبد ربه ٥ / ١٦٩.

(٤) ابن الأثير ٤ / ١٥٣. ابن ابى الدم ١ / ٢٨٠.

(٥) عبد المنعم ماجد ٢ / ٢٦٥، ٢٦٦.

ولم يسلك عمر مع الخوارج سياسة العنف والشـدة كمـا فعل عمه عبدالملك من قبل بل أن أخلاقه الكريمة وحبه للسلم جعلته يقارعهم بالحجة، وقد نجح فى إقناع الرسـل الـذين أرسلهم إليه زعيم الخوارج (١).

وكان عمر بن عبد العزيز شديد التواضـع دخـل عليـه مسلمة بن عبد الملك فى مرضه النى مات فيها. فقـال : إلا توصى يا أمير المؤمنيين ؟ قال فيم : أوصى ؟ فو ا ان لى من مال، فقال : هذه مائة ألف فمر فيها بما أحببت، فقال : أو تقبل ؟ قال : نعم ترد على من أخذت منه ظلما.فبكى مسلمة ثم قال : يرحمك ا ! لقد النت منا قلوب قاسية، وأبقيت لنـا فى الصالحين ذكراً (٢).

وصفوة القول أن عمر بن عبدالعزيز فى خـلال سـنتين وبضعة شهور قام بعدة إصلاحات هائلة فى الداخل، وصحح مسار الدولة الإسلامية وكان موضع الرضا والإحترام حتـى من أشد الفرق عداء للأمويين كالخوارج والشيعة (٣).

---

(٦) حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٣٧.

(٧) المبرد : الكامل فى اللغة والأدب، الجزء الأول، تعليـق / محمـد ابـو الفضـل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة (د. ت) ص ٢٣٧.

(١) عبد الشافى محمد عبد اللطيف ، ص ١٨١.

٩- يزيدبن عبدالملك
(١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م)

ولى يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم عقـب وفـاة عمر بن عبدالعزيز فى شهر رجب سنة ١٠١هـ/٧٢٠م [١]، بناء على وصية أخيه سليمان بـن عبـدالملك [٢] ولمـا أحتضر عمر قيل له " أكتب إلى يزيد فأوصيه بالأمة قـال : بماذا أوصيه ؟ أنه من بنى عبدالملك ثم كتب إليه، أما بعـد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حثن لاتقال العثـرة علـى الرجعة، أنك تترك ماتترك لمن لايحمدك وتصير إلـى مـن لايعذرك [٣] ".

وكان يزيد شغوفاً باللهو والطرب [٤]، مغرم بجـاريتين حبابه وسلامة، ولما توفت حبابه حزن يزيد وظهـر عليـه اليأس وأنشدها :

---

(٢) اليعقوبى ٢ / ٣١٠، ٣١٤.

ابن عبد ربه ٥ / ١٧٥. المسـعودى ٣ / ٢٠٦. الـدينورى، ص ٣٣٢.

ابن أبى الدم ١ / ٣٠٠. – النويرى ٢١ / ٣٧٢ – ٣٧٣.

(٣) ابن الإثير ٤ / ١٦٥. النويرى ٢١ / ٣٧٣. المقريزى ، ص ١٧١.

(٤) ابن الإثير ٤ / ١٦٦.

(٥) ابن العبرى ، ص ١١٥.

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى

منازل من يهوى معطلة قفرا [١]

ويرى أحد الباحثين أن الخيال لعب دوراً كبيراً فى نسـج هذه القصص كما لعب أعداء بنى أميـة دوره فـى عصـر التدوين فأذا بالهفوة تصبح جريمة وبالصغائـ ـر تصبـ ـح كبائـ ـر، وفى هـ ـذه القصة خيـ ـر دلـ ـيل على هذا التصرف [٢].

ومن أهم أعمال يزيد أنه أمر عمر بن هبيرة والى العراق بمسح أقليم السواد سنة١٠٥هـ/٧٢٤م، ومن المعروف أنه لم يمسح منذ خلافة عمر بن الخطاب وفرض ابن هبيرة رسوماً جديدة على النخل والشجر وأعاد السخر والهدايا ومـا كـان يحصل فى النيروز والمهرجان [٣].

وفى عهد يزيد أعلن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الذى فر من سجن عمر بن عبدالعزيز الثورة فى البصرة وأسـر واليها ثم زحف إلى الكوفة وأشتدت شوكته بتأييد الأزد لـه وأهله وبعض خاصته، وسير إليه يزيد بن عبدالملك جيشـاً

---

(٦) ابن الأثير ٤ / ١٩١. ابن الجوزى ٧ / ١١٠ – ١١١.

(٧) أحمد شلبى ٢ / ٣١٣.

(١) اليعقوبى ٢ / ٣١٣.

بقيادة أخيه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد تمكن من قتله وتفريق شمل أتباعه [(١)] فى سنة ١٠٢ هـ / ٧٣١ م بمكان يعرف بـ " العقر " بقرب كربلاء من العراق [(٢)].

وعاد الخلاف بين اليمنية والمضرية من جديد، وأصبحت اليمنية من أشد أعداء الدولة وبعد أن كانت مـن أنصـارها وصار العنصر المضرى حزب الأمويين [(٣)] ؛ لأن يزيد كان متزوجاً بنت أخى الحجاج وأعلن إنضمامه صراحة للمضرية وأنقص يزيد عطاء اليمانية وجعله نصف عطاء المضـرية، مما أدى إلى حدوث أضطراب للأوضاع فى الشام[(٤)] كمـا عاد الخوارج إلى مهاجمة العراق فنجد شوذب الخارجى الذى ظهر فى عهد عمر بن عبدالعزيز وهادنـه يهـاجم الكوفـة ويهزم جيوشها عدة مرات، ولكن مسلمة حينما دخل الكوفـة

---

(٢) نفســـه، جـ٢، ص٣١٠، ٣١١.

المسعودى ٣ / ٢١٠، ٢١١ .– حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٣٨.

(٣) الذهبى : تاريخ الإسلام حوادث سنة ١٠١ – ١٢٠ هـ، تحقيق / محمد عبد السلام تدمرى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٩٠م.

(٤) على إبراهيم حسن ، ص ٣٦٥.

(٥) عبدالمنعم ماجد ٢ / ٢٧٥.

لحرب بن المهاب أرسل نحوه جيشاً ضخماً تمكن من قتلـه بعد معركة حامية الوطيس [1] .

وفى عهد يزيد وصل دعاة بنى هاشـم إلـى خراسـان مرتدين زى التجار، وشك فى أمرهم سعيد بـن عبـدالعزيز واليها فأخبروه بأنهم خرجوا من أجل التجارة فعفا عنهم [2].

ومن الرجال الذين أعتمد عليهم يزيد ولى يزيد بن مسلم على المغرب، وعبدالرحمن بن الضحاك على المدينة، وعمر بن هبيرة على العراق، وكعب بن حامد العبسى على الشرطة.

وجعل يزيد ولاية العهد من بعده لأخيه هشام ثم أبنه الوليد [3] وتوفى يزيد بن عبدالملك بالبلقاء فى شهر شعبان سـنة ١٠٥هـ/٧٢٤م [4].

١٠- هشام بن عبد الملك
(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م)

---

(٦) نفســـه، جـ٢، ص٢٧٦.

(٧) اليعقوبى ٢ / ٣١٢. – ابن الأثير ٤ / ١٨٢.

(١) اليعقوبى ٢ / ٣١١ – ٣١٤.

(٢) ابن عبد ربه ٥ / ١٧٥. – المسعودى ٣ / ٢٠٦. – ابـن الجـوزى ٧ / ١٠٩.

– ابن قتيبه ، ص ٣٦٤. – ابن دقماق ، ص ٧٥.

تولى هشام بن عبدالملك بن مروان الخلافـة فـى آخـر شعبان سنة ١٠٥هـ/٧٢٤م عقب وفاة يزيد [١] حيث وفـد عليه البريد بالرصافة ليخبره ثم رحل هشام إلى دمشق ليتلقى البيعة من الناس [٢].

ومن المعروف أن هشاما ولد سنة ٧٢هـ [٣]، وعد من ساسة بنى أمية البارزين يقول المسعودى [٤] " أن السـواس من بنى أمية ثلاث معاوية وعبدالملك وهشام، وفتحـت بـه أبواب السياسة وحسن السيرة ".

وأهتم هشام بتحصين الثغور وحفر القنوات بطريق مكـة وعـمل الخز [٥]، كما عزل الولاة الذين أسرفو فـى ظلـم

---

(٣) خليفة الجناط ، ص ٣٣١. ابن عبد ربه ٥ / ١٧٩.

مجهول : العيون، جـ٣، ص ٨١. ابن ابى الدم ١ / ٣٠٦.

– ابن دقماق، ص ٧٦. المقريزى : ص ١٧٤.

(٤) اليعقوبى ٢ / ٣١٦. مجهول : العيون، جـ٣، ص ٨٢.

ابن الأثير ٤ / ١٩٢. ابن العبرى ، ص١١٦. النويرى ٢١ / ٤٠٢ — ٤٠٣. القلقشندى ١ / ١٥٠

(٥) ابن الأثير ٤ / ١٩٢. المقريزى ، ص ١٧٤.

(٦) المسعودى ٣ / ٢٢٣.

(٧) نفســه، ص٢١٧.

الرعية، ووضع عليهم العيون والجواسيس للوقـوف علـى أعمالهم [١].

وقد نظم هشام الدواوين وضبط الحسابات بعناية فائقـة، قال عبدا ابن محمد بن على بن عبـدا بـن عبـاس ـ والفضل ماشهدت به الأعداء ـ جمعت دواوين بنى مـروان فلم أر ديوانا أصح ولا أصلح للعامة والسلطان مـن ديـوان هشام [٢].

ويحدثنا السيوطى [٣] عنه " كان لايدخل بيت ماله مـالا حتى يشهد أربعون قسامة لقد أخذ من حقه، ولقد أعطى لكل ذى حق حقه ". وراقب هشام ميزانية الدولة العامة وأحسـن تدبيرها وضبط نفقاتها [٤].

وفى عهد هشام أرتفع شأن اليمنية على حساب المضـرية نتيجة لما حدث فى عصر يزيد بن عبدالملك، فأحب هشام أن يوجد التوازن بين الفريقين فولى على العراق خالد بن عبدا

---

(٨) عبـد الجبـار منسـى العبيـدى : قـراءة جديـدة فـى أسـباب سـقوط الدولـة الأموية،مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، المجلد الخامس، الكويت، ١٩٨١م، ص٢٨٧.

(١) أحمد شلبى ٢ / ٩٦. – عبد الشافى محمد عبداللطيف ، ص١٩٠.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص٢٨٥.

(٣) نبيه عاقل : دراسات فى تاريخ العصر الأموى، الطبعـة الرابعـة، منشـورات جامعة دمشق، ١٩٩٢م، ص ٢٧٥.

القسرى، وفى سنة ١٢٠هـ/٧٣٧-٧٣٨م تغيـرت سياسـة هشام بالنسبة للقبائل فتحول عن اليمنية إلى المضرية [١].

ومن الأحداث الهامة فى عهد هشام إستلاء الجنيـد بـن عبدالرحمن على بلاد السند وغزوة عنبسة بن سحيم الكلبـى بلاد الفرنج [٢]، وتعين عبدا بـن الحجـاب علـى بـلاد المغرب [٣] وغزوة نصر بن سيار إلى بلاد ما وراء النهـر سنة ١٢١هـ/٧٣٨-٧٣٩م [٤].

واهتم هشام منذ توليه الخلافة بجبهة البيـزنطيين، فشـيد الحصون والمسالح. وكان يقوم فى كل صيف بغزوات كبيرة وكان فى كل غزوة يوجه غزوتين أو ثلاثا فى وقت واحـد لتلتقى فى مكان معين. وكان الذى يقود هذه الحملات إبنـاه معاوية وسليمان [٥]. ومن أشهر ولاة هشام على الأقاليم هم : عبد الواحد النضرى على بلاد الحجاز، وخالد القسرى على العراق ومن أشهر القضاة حسين بن حسـن الكـوفى علـى قضاء الكوفة وموسى بن أنس على قضاء البصرة [٦].

---

(٤) على إبراهيم حسن ، ص ٣٦٦.

(٥) ابن الأثير ٤ / ١٩٧.

(٦) نفسه ، ص٢٢٢.

(٧) نفسه ، ص٢٤٣. القلقشندى ١ / ١٥٢.

(٨) نبيه عاقل ، ص ٢٧١.

(٩) ابن الجوزى ٧ / ٩٩ – ١٠٠.

مما يؤخذ على هشام تغافله عن دعاة بنى العباس الـذين نشطوا فى عهده فى الدعوة لآل البيت حتـى وصـلوا إلـى خراسان، وجدوا فى تشويه سمعة الدولة الأموية وإستفحـل أمرهـم، وقد ظهرت أثـار ذلـك قبيـل وفاتـه [1].

وتوفى هشام فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٣م [2].

١١- الوليد بن يزيد بن عبد الملك

(١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م)

كانت بيعـة الوليـد فـى شـهر ربيـع الآخـر سـنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، حيث عقد أبيه ولاية العهد له بعـد أخيـه هشام بن عبدالملك، ولما ولى هشام أكرم الوليد حتى ظهـر من الوليد حب الشراب والأنغماس فـى اللهـو [3] يقـول المسعودى [4] " وكان الوليد صاحب شراب ولهو وطـرب وسماع للغناء، وهو أول من حمل المغنين من البلدان..... ".

---

(١) عبد الشافى محمد عبداللطيف ، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) اليعقوبى ٢ / ٣٢٨.

– ابن قتيبه ، ص ٣٦٥. ابن دقماق ، ص ٧٦ — ٧٧.

(٣) ابن الأثير ٤ / ٢٥٦.

(٤) مروج الذهب، جـ٣، ص٢٢٥.

ويرى أحد الباحثين أن ما ورد فى المصادر عن خلاعـة ومجون وفسق الوليد بن يزيد أمر مبالغ فيه إلى أبعد الحدود. ويمكن التنبيه على أن المؤرخين الـذين كتبـوا فـى ظـل العباسيين وجدوا فى شخصية الوليد نواحى ضعف ومواضع النقد فما كان منهم الا ضخموها وزادوا فيه تقربا من الأسرة العباسية الحاكمة أو بالأسرة الأموية قاتلة الحسـين وعـدوة الشيعة اللدودة [١].

وظهر الوليد منه للناس تهاون بأمور الدين الأمـر الـذى جعل هشام يطمع فى البيعة لإبنـه مسـلمة وخلـع الوليـد وأستخف به [٢].

ثم رحل إلى الأردن حتى وفاة هشام فجاءه البريد وسـلم عليه بالخلافة [٣] وقام الوليد بعزل عمال هشام إلا يوسـف بن عمر الثقفى لأنه وجد فى ديوان هشام كتباً مـن العمـال بعزل الوليد إلا يوسف الذى ثار على هشـام وأمـر الوليـد بحبس خالد بن عبدا ليدفع ماعليه من بقايا خراج العـراق [٤] وكان الوليـد من عشـاق رياضـة سبـاق الخيل فأقام

---

(٥) نبيه عاقل ، ص ٢٧٩.

(٦) ابن الأثير ٤ / ٢٥٦– ٢٥٨.

(٧) اليعقوبى ٢ / ٣٣١.

(١) الدنيورى ، ص ٣٤٧.

حلبة للسباق [1]. ومن أهم أعمال الوليد زيادة اعطيات الناس عشرة دراهم وللشوام عشرين درهما. ورد الأعطيات إلـى أهل مكة والمدينة [2] وأجـرى الارزاق علـى المرضـى والعجزة وكساهم [3].

وتخلص الوليد من يحيى بن زيد بن على الذى فـر إلـى خراسان فأمر نصر بن سيار من بملاحقته وقتله [4].

وعادت الفتنة من جديد بين اليمانية والمضرية فى عهـد الوليد حيث إنحازت مضر إلى جانب الوليد وأستعدت للحرب وأثخنت اليمانية القتل فى مضر وهرب الوليد مـن ميـدان القتال إلى قصره ليحتمى به وأخرجت اليمانية محمد بن خالد من السجن فأرسل إلى ابن عم الوليد وهو يزيد ابن الوليد بن عبدالملك وبايعوه وأرسل إلى أشراف المضـربيين فبـايعوه ومكث الوليد بن يزيد أياماً كثيرة مخلوعا [5].

وأغضبت سياسة الوليد بن يزيد أكبار أهل الشام وأجمعوا على قتله مع غيرهم من رجالات دولته وهجموا عليه، فلمـا

---

(٢) المسعودى ٣ / ٢٣٠.

(٣) نبيه عاقل ، ص ٢٨٢.

(٤) القلقشندى ، ١ / ١٥٧.

(٥) المسعودى ٣ / ٢٢٥. – ابن الأثير ٤ / ٢٥٩.

(٦) الدينورى ، ص ٢٤٩.

أحس بهم دخل داره وفتح المصحف وقال يوم كيوم عثمان ثم تقدم إليه يزيد بن الوليد وقتله [1]. وكان مقتل الوليـد فـى أواخر جمادى الأخرة سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م [2].

١٢- يزيد بن الوليد بن عبد الملك

جمادى الأخرة ـ ذى القعدة سنة ١٢٦هـ

تولى يزيد بن الوليد بن عبدالملك فى أول رجـب سـنة ١٢٦هـ/٧٤٣م وأمه أبنت يزدجرد بن كسرى، سباها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث بها إلى الحجاج بن يوسـف الـذى أرسلها إلى الوليد بن عبدالملك فتزوجها، ولم تنجـب منـه سوى يزيد [3].

وأطلق على يزيد لقب الناقص لأنه أنقص الزيـادة التـى زادها الوليد فى أعطيات الجند [4]، وكان يزيد تقياً ورعـاً

(٧) حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٤١.

(٨) ابن عبد ربه ٥ / ١٨٥. – المسعودى ٣ / ٢٢٤.

– القلقشندى ١ / ١٥٦ – ١٥٧.

(١) ابن عبد ربه : ٥ / ١٩٤. القلقشندى ١ / ١٥٩.

(٢) اليعقوبى ٢ / ٣٣٥.

– المسعودى ٣ / ٢٣٤. – ابن طباطبا ، ص ١٣٦.

– ابن الأثير ٤ / ٢٦٩. – ابن ابى الدم ١ / ٣٣٤.

وأكتسب ود القبائل اليمنية فعزل ولاة القيسية وولى مكـانهم اليمنية [1] وشهدت الدولة إضطراباً فـى مختلـف البلـدان فخرج عليه العباس بن الوليد بحمـص وبشـر بـن الوليـد بقنسرين وعمر بن الوليد بالأردن ويزيد بن سليمان بفلسطين [2].

وتوفى يزيد بن الوليد بدمشق يوم الأحد مستهل ذى الحجة سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م فكانت ولايته حـوالى خمسـة أشـهر ويومين [3]. وقيل ستة أشهر [4] وقيل ثمانية أشهر [5].

١٣- إبـراهيم بن الـوليد

كان إبراهيم بن الوليد مقيماً فى دمشق، ولما مات أخـوه يزيد بن الوليد تولى مقاليد الأمور سـنة ١٢٦هـ/٧٤٣م، وكان ضعيفاً مغلوباً على أمره [6]، فكان يسلم عليـه تـاره بالخلافة، وتاره بالأمارة وتارة لايسلم عليه بواحـدة منهمـا،

– ابن قتيبه ، ص ٣٦٧. – القلقشندى ١ / ١٥٩.

(٣) على إبراهيم حسن ، ص٣٧٠.

(٤) اليعقوبى ٢ / ٣٣٥.

(٥) المسعودى ٣ / ٢٣٣. مجهول : العيون، جـ٣، ص ١٥١.

(٦) الدينورى ، ص ٣٥٠ . ابن دقماق ، ص ٨٢.

(٧) مجهول : العيون، جـ٣، ص ١٥١.

(٨) ابو الفداء ، ص ٤١.

فمكث سبعين يوماً [١] فثار عليه مروان بن محمد وخلعـه وبويع له بالخلافة يوم الأثنين للنصـف مـن صـفر سـنة ١٢٧هـ، ولم يزل مع مروان حتى غرق بالزاب [٢].

١٤- مـــــــروان بن محمـــــــــد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٤٩م)

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء الدولـة الأموية، بويع بالخلافة فى صفر سنة ١٢٧هـ ـ/٧٤٤م [٣]، وكان يلقب بالحمار أو حمار الجزيرة لجرأته فى الحـروب ولقب أيضاً بالجعدى نسبة إلى مؤدبة الجعد بن درهم [٤].

وفى عهد مروان إشتدت الثورات التى قام بها اليمنية ضد الحكم الأموى فى كل أنحاء الشام وفـى العـراق، وتمكـن مروان بفضل مهارته الحربية ومساندة القيسية أن يخمد تلك الثورات الواحدة بعد الأخرى [٥].

---

(٩) ابن طباطبا ، ص ١٣٧. – ابن الأثير ٤ / ٢٧٨. – ابو الفداء ، ص ٤١.

– السيوطى ، ص ٢٩٥.

(١) اليعقوبى ٢ / ٣٣٧.

(٢) المسعودى ٣ / ٢٤٧. – ابن ابى الدم ١ / ٣٣٦.

(٣) السيوطى ، ص ٢٩٧. ابو الفدا ، ص ٤٢.

(٤) على إبراهيم حسن ، ص ٣٧١.

وظهر الخوارج فى العراق فسار مروان لحرب زعـيمهم الضحاك بن قيس الحرورى حتى قتله بعد معارك عديدة. كما وفد خوارج اليمن إلى مكة والمدينة وعلـيهم أبـو حمـزة المختار بن عوف الأزدى وبلخ بن عقبة الأزدى فأرسل لهم مروان جيشاً فرق جمعهم (١).

وإشتد نفوذ أبو مسلم الخراسانى فى الشرق وعلى الأخص فى خراسان وأشتبك مع نصر بن سيار واليها من قبل مروان فى حروب طاحنة ولما تأزم الموقف إستنجد نصر بمـروان بأرسال المدد ولما يأس نصر أرسل إلى والى العراق يزيـد بن عمر بن هبيرة يطلب النجدة ولم يجبه لأن العراق كانـت كالبركان يغلى بالفتن والثورات.

ولذلك سقطت خراسان فى يد والى أبى مسلم وفر نصـر بن سيار ونزل ساوة بين بلاد همذان والرى حتى توفى هناك (٢).

ودخل أبو العباس السفاح الكوفة سـنة ١٣٢هـ ـ/٧٤٩م وبايعه الناس وأظهر دعوته وأرسل جيشاً لمحاصرة يزيد بن هبيرة بواسط ثم نزل الأنبار وسماها الهاشمية.

---

(٥) المسعودى ٣ / ٢٥٧.

(٦) المسعودى ٣ / ٢٥٧، ٢٥٨.

أما مروان بن محمد فزحف إلى الموصل ونزل الـزاب فجهز السفاح إليه جيشاً لحربه وعليه عميه عبدا بن علـى وعبدالصمد بن على، وكان جيش مروان نحو مائة وعشرين ألفا فغرق منه نفر عظيم، وعاد مروان إلى دمشق وعبـدا يلاحقه ثم هرب إلى مصر، وأعلن أهل الموصـل وحـران بيعتهم إلى أبى العباس وسارع أهل منبج وقنسرين وحمـص وبعلبك بأعلان البيعة للعباسيين.

وأقام عبدا بدمشق وبعث أخاه صالح بن علـى خلـف مروان إلى مصر فجرى بينهم قتال حتى قتل مـروان فـى ابوصير من أعمال الفيوم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م فكانت ولاية مروان خمس سنين وشهراً (١).

أسباب سقوط الدولة الأموية

١- مشكلة ولاية العهد

كانت مشكلة ولاية العهد من أخطر العقبات التى أضعفت البيت الأموى. وكان مروان بن محمد أول من سـن توليـة العهد أثنين يلى أحدهما الآخر، فقد ولى عهده أبنه عبـدالملك ثم عبدالعزيز ضارباً باتفاق الجابية عرض الحائط (٢).

---

(١) اليعقوبى ٢ / ٣٤٥، ٣٤٦. – ابن ابى الدم ١ / ٣٣٦ – ٣٤٠.

(٢) حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٤٣.

ولما تولى عبدالملك مقاليد الخلافة فكر فى نقـل ولايـة العهد من أخيه عبدالعزيز إلى أبنه الوليد مقابل جعل مصـر طعمة لعبد العزيز، وقيل أن عبدالملك لم يخلعه ولكنه تـوفى فى المدة التى هم نخلعه فيها، وقيـل أن عبـدالعزيز مـات مسموماً [١].

وحاول الوليد خلع سليمان من ولاية العهد لمصلحة أبنه، ولكن محاولته منيت بالفشل [٢]، كمـا حـاول يزيـد بـن عبدالملك خلع هشام والبيعة بولاية العهد إلى أبنه الوليد مقابل أن يترك حرية التصرف فى أموال الجزيرة لهشـام، ولكـن يزيد خشى من العداوة مع أخيه هشام، فجعل ولايـة العهـد للوليد بعده [٣].

٢- ظهور روح العصبية بين القيسية واليمنية

إشتدت نار العصبية بين القيسية واليمنية فى بلاد الشام فقد أقام معاوية مؤسس الدولة الأموية عرشة على أكتاف اليمنية

---

(٣) اليعقوبى ٢ / ٢٨٠.

(٤) فيليب خورى : تاريخ العرب، المجلد الأول، ترجمة محمد مبروك نافع، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٤٩م، ص ٣٤٦.

(٥) اليعقوبى ٢ / ٣١٤.

فتزوج ميسون بنت بجدل الكلبى أم يزيد التى تنتمى إلى قبيلة كاب اليمنية.

وتملك الحسد القيسية فرفضوا الأعتراف بمعاوية الثـانى ومالوا إلى دعوة عبدا بن الزبير بالخلافة.

وعلا نفوذ القيسية إلى أقصاه فى عهد الوليد بن عبدالملك، أما أخيه يزيد فمال إلى جانب المضرية لأن والدتـه مـنهم فناصر القيسية وسار على هذه السياسة الوليد الثانى، أما يزيد الثالث فأنه أعتمد على سواعد اليمنية فى اغتصاب الخلافـة من يرى سلفه الوليد الثانى.

ومن الجدير بالذكر أن ذلك الأنقسام إلى جانـب اليمنيـة تارة والقيسية تارة أخرى أدى إلى سقوط الدولة الأموية [١].

٣- إنغماس بعض الخلفاء فى الترف

إنشغل بعض الخلفاء بحياة الترف والبذخ عن تصـريف أمور الدولة فكان يزيد بن معاوية صاحب طرب وجـوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب [٢].

أما الوليد بن يزيد فقد أضاع هيبة الخلافة لسوء تصـرفه [١].

---

(١) فيليب خورى ١ / ٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) المسعودى ٣ / ٧٧. – حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٤٩.

٤- تعصب الأمويين للعرب

رفع الموالى راية العصيان على الأمويين الذين فضلوا العرب عنهم فى الحقوق، فانتهز الموالى كل فرصة وتحالفوا مع كل خارج على الأمويين [٢].

٥- الحركات التى واجهت الدولة الأموية

قامت بعض الحركات المعادية التى هزت الحكم الأموى وكادت أن تقوضه فعلى سبيل المثال حركة الخوارج وثورة عبدا بن الزبير وثورة الشيعة فى خراسان وثورة البربر فى شمال إفريقية وثورة ابن الأشعث وحركة عبدا بن الجارود. كل هذه الحركات كانت بمثابة ضربات موجعة لم تجعل الخلافة الأموية تفيق منها أبدا [٣].

وأورد لنا المسعودى [٤] نصاً فى غاية الأهمية عن سقوط الدولة الأموية " سئل بعض شيوخ بنى أمية ومحصيلها عقيب زوال الملك عنهم إلى بنى العباس ماكان سبب زوال ملككم ؟ قال : إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ماكان تفقده يلزمنا،

---

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، جـ١، ص٣٤٩. - على إبراهيم حسن ، ص٣٧٣.

(٤) حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٤٩.

(١) عبدالجبار منسى : قراءة جديدة فى أسباب سقوط الدولة الأموية، ص٢٨٥-٢٩٠.

(٢) المسعودى ٣ / ٢٤١.

فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا، وتمنـوا الراحـة منـا، وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم علـى منافعنـا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جنـدنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتظافروا معهـم علـى حربنا فطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلـة أنصـارنا، وكـان إستتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا..... ".

الفصـل العشرون

الحركات المعـاديـة لبنى أميـة

١- الخـــــوارج

أ – ظهور الخوارج

الخوارج هو الأسم الذى أطلق على الطائفـة [١] التـى إنسحبت من جيش الخليفة على بن إبى طالـب ، لمـا قَبِـل التحكيم فى صفين وأتهموه بأنه يحكم فى دين ا الرجـال، ولذلك أتخذوا مبدأ " لا حكم إلا با " [٢].

وأطلق الخوارج على أنفسهم الشراة بمعنى أنهـم بـاعوا أنفسهم تعالى على أن لهم الجنة [٣] يشيرون بذلك إلـى قوله تعالى " أن ا أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة [٤] " .

---

(١) أحمد شلبى ٢ / ٢٢٧ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف ، ص٤٠٨ .

(٣) عبد الشافى محمد عبداللطيف ، ص٤٥٤

(٤) سورة التوبة : الآية ١١١ .

وأختلاف فى أول من تشرى منهم فقيل عروة بن جـدير ، وقيل يزيد بن عاصم [١] ولما عاد على بن أبى طالب إلـى الكوفة فر الخوارج إلى حروراء ولذلك عرفـوا بـالخوارج الحرورية ، وكانو يومئذ حوالى اثنا عشر ألفا بزعامة عبدا بن الكواء ، وشبث بن ربعى وخرج إليهم على بن أبى طالب ليناظرهم فوضحت حجته عليهم ، فاستأمن إليه عبدا بـن الكواء مع بعض أعوانه .

وفر باقى الخوارج إلى النهروان وولى عليهم عبدا بـن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير الجبلى . وقتلـوا فـى طريقهم الصحابى الجليل عبدا بن خباب بـن الأرت فـنقم عليهم الخليفة على بن أبى طالب وعزم على القصاص مـن قاتل عبدا بن خباب وسار إليهم وطـالبهم بتسـليم القاتـل فأصروا على العناد وقبل أن يبدأ القتال ناقشهم الخليفة علـى بن أبى طالب فى حوار هادئ ، وكان يقارع حججهم بالدليل والبرهان ، حتى صمتوا عن الحديث [٢] ، وسـأل الخليفـة

---

(٥) البغدادى : الفَرق بين الفرق، تحقيق محمد محىالدين عبدالحميد ، دار التراث القاهرة د.ت ص٧٤

(١) البغدادى ، ص٧٧ ، ٧٨ . - ابن الجوزى ٥ / ١٣٤ – ١٣٥ .

على بن ابى طالب الخوارج قائـلا : " فما اخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومتك يوم صفين ، قال : أنشـدكم ا ، أتعلمـون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب ا قلـت لكم إنى أعلم بالقوم منكم دين ولا قران [1] ... " ، وقـال أكثرهم :صدق وا ، واستأمن إليه منهم ثمانية آلاف.

ويبقى من الخوارج أربعة آلاف أصـروا علـى العنـاد وأشتبك على معهم فى موقعة النهروان ، وأنزل بهم هزيمـة ساحقة وقتل قادتهم ، ولم يفلت منهم سوى تسـعة أشـخاص فروا إلى سجستان واليمن وعمان والجزيرة وتل موزن [2] .

ودبر الخوارج مؤامرة للتخلص من على بن أبى طالـب وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، ولم تفلح هذه المؤامرة إلا فى القضاء على على ، حيث نفذّ تلك الجريمـة عبدالرحمن بن ملجم ، وقد عد الخوراج ابـن ملجـم بطـلاً مجاهداً وأعتبروا عمله هذا وسيلة تقربه إلى ا وتضمن لـه الجنة ، وفى ذلك يقول عمران بـن حطـان أحـد شـعراء الخوارج :

---

(٢) ابن الجوزى ٥ / ١٢٦ .

(٣) البغدادى ، ص ٧٨ .

ياضربة من منيب ماأراد بها إلا يبلغ عند العرش رضوانا
إنى لأذكره يوماً فأحسبه   أوفى البرية عند ا ميزانا [١]

وكان الحسن بن على مستهدفاً من الخوارج ففى الوقـت الذى كان مستعداً لقتال معاوية الذى زحف علـى العـراق ، هاجمه الخوارج وجرحوه، مما كان سبباً فـى تنازلـه عـن الخلافة لمعاوية [٢] .

ب – الخوارج فى عهد معاوية

ولما بويع لمعاوية بن أبى سفيان سنة ٤١هـ/٦٦١م فـى الكوفة ، كره الخوارج تلك البيعة وأستعدوا لقتالـه ، وكـان فروة بن نوفل الأشجعى الذى اعتـزل الخليفـة علـى فـى خمسمائة من الخوارج فى شهروزر ، فأرسل إليهم معاويـة جيشاً من أهل الشام وقاتلوهم فانهزم أهل الشام فقال معاويـة لأهل الكوفة " وا   لا أمان لكم عندى حتى تكفوهم " فخـرج أهل الكوفة لقتالهم فقالت لهم الخوارج " أليس معاوية عـدونا وعدوكم ؟ دعونا حتى نقاتله فأن أصبناه كنـا قـد كفينـاكم عدوكم وأن أصابنا كنتم قد كفيتمونا " وأصر أهل الكوفة على

---

(٤) أحمد شلبى ٢ / ٢٣٤ . وأنظر   - البغدادى   ، ص٩٣ .
(٥) عبدالمنعم ماجد   ٢ / ١٣٧ .

قتال الخوارج وتمكنوا من قتل فروة ، وعبـدا بـن أبـى الحوساء الذى تولى أمر الخوارج بعده (١) .

وقام من بعدهم جماعة بزعامة حيان بن ظبيان ودخلـوا الكوفة فى عهد واليها المغيرة بن شـعبة ، واتفقـوا علـى الخروج فى غرة شعبان سنة ٤٣هـ ـ/٦٦٣م . ولمـا علـم المغيرة بأمرهم قبض على جماعة منهم ومن بينهم حيـ ـان وأودعهـم السجـن ، وضيـق على الباقين الخنـاق حتـى غـادروا الكوفة (٢) .

وثار الخوارج فى البصـرة سـنة ٥٠هـ ـ/٦٧٠م بزعامة قريب الأزدى وزخارف الطائى ، وتشدد زياد بـن أبيه فى ملاحقتهم حتى أفناهم وهدد أهل البصرة بقطع العطاء إذ لم يتعاونوا معه على قتال الخوارج (٣) .

ولقد نجح زياد بن أبيه فى كسر شوكة الخوارج ، فلم تقم لهم قائمة مدة ولايته على العراق حتى ولى البصرة عبيـدا

---

(١) ابن الأثير ٣ / ٢٠٥ . - حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٨٨ .

(٢) على إبراهيم حسن ، ص ٣٢٥ .

(٣) ابن الأثير ٣ / ٢٢٩ .

بن زياد ، الذى واصل سياسة أبيه فى أخماد حركتهم فى سنة ٥٨هـ/٦٧٧-٦٧٨م [١] .

ويحدثنا الدينورى عما حل بالخوارج فى البصرة على يد عبيدا بن زياد "واشتد غضب عبيدا بن زياد ، فكان لايدع بالبصرة أحد يميل إلى الخوراج إلا قتله حتى قتـل بالتهمـة والظنة تسعمائة رجل ".

ج – رحيل الخوارج إلى مكة

ولما إشتدت وطأة عبيدا بن زياد على الخوارج بالبصرة فى الوقت الذى أخذ فيه عبدا بن الزبير البيعةلنفسه بمكـة، أشار عليهم أحد زعمـائهم ـ وهـو نـافع بـن الأزرق ـ بالذهاب إلى مكة ليجاهدوا مع ابن الزبير أن كان على رأيهم ويدافعوا عن البيت الحرام ، فلما قدموا علـى ابـن الزبيـر رحب بهم وأخبرهم أنه على رأيهم فقاتلوا معه جنـد الشـام دفاعاً عن البيت .

د – خلاف الخوارج مع عبد ا بن الزبير

ولما توفى يزيد وعاد جند الشـام إلـى دمشـق ، سـأل الخوراج ابن الزبير عن رأيه فى عثمان فقال لهم " إنى ولى

---

(٤) حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٩٠ .

لأبن عفان فى الدنيا والآخرة وولى أوليائه وعـدو أعدائـه " فانصرفوا عنه وسار جماعة منهم إلى البصرة وفيهم نافع بن الأزرق الحنفى ، وذهب آخرون إلى اليمامة حيث ولوا عليهم نجدة بن عامر الحنفى [١] .

هـ - الأزراقة

وبايع الأزراقة نافع بن الأزرق ولقبوه بـأمير المـؤمنين وزادت شوكته لما أنضم إليه خوارج عمان واليمامة فاستولوا على الأهواز وكرمان وحصلوا خراجهـا ، وكـان عامـل البصرة عبدا بن الحارث الخزاعى من قبـل عبـدا بـن الزبير الذى هزمه الخوارج [٢] .

وأسند عبدا بن الزبير مهمة حرب الأزارقة إلى المهلب بن أبى صفرة الذى كان بخراسان ، فأعـد المهلـب جيشـاً وأنزل بهم الهزيمة عند دولاب الأهواز وقتل زعيمهم نـافع بن الأزرق ثم بايع الأزارقة عبدا بن ماجور وكانت الحرب

---

(١) النويرى ٢٠ / ٥٢١ - ٥٢٢ . محمد جمال الدين سرور ، ص١١٧ .

(٢) البغدادى ، ص ٨٥ .

بينه وبين المهلب سجالاً طويلاً حيث دارت الـدائرة علـى الأزارقة وفروا إلى سابور من أرض فارس [١] .

و – الخوارج فى عهد عبد الملك بن مروان

وفى تلك الأثناء قتل عبدا بن الزبير على يد الحجاج بن يوسف الثقفى ثم أرسله الخليفة عبدالملك بن مروان والياً على العراق وطلب الحجاج من المهلب السعى فى إستئصال شوكة الخوارج وأمده بعبد الأعلى ابن عبدا العامرى وعبدالرحمن بن سبرة والتقى المهلب بالخوارج فى كـرمان وقتـل عبـد ا بن ماجـور فولـى الخـوارج عليهـم قطـرى بـن الفجـاءة [٢] .

وسار المهلب إلى الخوارج الذين فروا إلى إصطخر ثـم هرب قطرى بن الفجاءة منهم فولوا عليهم عبد ربه وسار لهم بقومس . ولم يترك المهلب الخوارج لألتقاط الأنفاس وسـار خلفهم حتى إشتد القتال فى جيرفت وقتل زعيمهم عبد ربه[٣]

---

(٣) البغدادى ، ص ٨٥ ، ٨٦ .
(١) الدينورى ، ص ٢٧٥ .
(٢) نفسـه ، ص ٢٧٦ - ٢٧٩ .

ز – الخوارج الصفرية

وبعد أن تم القضاء على الأزارقة قاتل الحجاج الخـوارج الصفرية الذين كان يتزعمهم شبيب وأنزل هـزائم متتاليـة بجيوش الحجاج ، وزحف شبيب حتى أصبح علـى أبـواب الكوفة ، ولكنه تراجع لكثرة جند الحجاج .

ولم يلبث أن هاجم الكوفة بعد أن رحل منها الحجاج إلـى البصرة ودخلها ثم عاد الحجاج إلى الكوفة لما دخلها شـبيب ووقعت بين الطرفين عدة معارك من أهمها وقعة سوق حكمة عند الكوفة ووقعة دجيل وفيهما هزم شبيب وغرق جزء من جيشه ثم مات سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦ م، وبموتـه أنحـط شـأن الخوارج (١) . ولم يتحرك الخوارج فى عهـد الوليـد بـن عبدالملك وأخيه سليمان .

ح – الخوارج فى عهد عمر بت عبد العزيز

ولم يستعمل الخليفة عمر بـن عبـدالعزيز العنـف مـع الخوارج الذين تزعمهم شوذب الخـارجى وأسـمه بسـطام

---

(٣) على إبراهيم حسن ، ص ٣٤٦ .

بالجزيرة ، وتعامل عمر بـن عبـدالعزيز معهـم بالحجـة والبرهان وأرسل إليهم كتاباً بذلك فارسل الخـوارج رجلـين منهم فقال لهم عمر " أخبرانى ما الذى أخرجكم هذا ؟ ومـا نقمتم علينا ؟ فقالوا " وا ما نقمنا عليك فى سـيرتك وإنـك لتجرى بالعدل والإحسان وإن منعتنا فلست مناولنـا منـك ؟ فقال عمر : وما هو ؟ قال رأيناك خالفت أعمال أهل بيتـك وسميتها مظالم ، وسلكت غير سبيلهم فأن زعمت أنك علـى هدى وهم على ضلال فالعنهم وتبرأ منهم ، فهذا الذى يجمع بينا وبينك أو يفرق ".

فقال عمر " إنى قد علمت انكم لم تخرجوا مخرجكم هـذا لدينا ، ولكن أردتم الآخرة وأخطأتم طريقها .... " فقال أحـد الخوارج " ما سمعت كاليوم قط حجة أبين وأقرب مأخذاً من حجتك ، أما أنا فاشهد أنك على الحق ، وأنا برئ ممن برى منك [١] .

---

(١) المسعودى ٣ / ٢٠٠ - ٢٠٢ . - ابن الأثير ٤ / ١٥٥ ، ١٥٦ .

ط – الخوارج فى عهـد يزيـد بـن عبـد الملـك

وفى خلافة يزيد بن عبد الملـك (١٠١ – ١٠٥ هـ ـ / ٧٣٠ –٧٣٤ م) بدأت الحرب مع الخوارج بقيـادة شـوذب وكبد أهل الكوفة خسائر فادحة . وأرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبدالملك على رأس جيش تمكن مـن تقلـيم أظافر الخوارج وقتل شوذب[١]

ى – الخوارج فى عهد هشام بن عبد الملك

وفى عهد الخليفة هشام خرج بهلول بن بشر مـن بنـى شيبان بالموصل وقتل عامل أحد قرى السواد ، وسار إليـه خالد القسرى والى العراق وطلب من جند الشام المتجهين إلى ثغر الهند مساعدته فى القضاء على بهلول . وتمكن بهلـول من هزيمتهم وردهم إلى الكوفة . وإشتد نفوذ بهلول فسار إلى الموصل وطلب عاملها المدد من الخليفة هشام فارسل إلـى

---

(٢) ابن الجوزى ٧ / ٦٦ – ٦٧ ، النويرى ٢١ / ٣٧٤ – ٣٧٥ .

مجهول العيون ٣ / ٦٤ – ٦٥ .

بعض ولاة العراق لمساعدته ودار القتال بين الطرفين ولقـى بهلول مصرعه بعد أن أبلى بلاء حسنا فى القتال [١] .

وفى عهد الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمـويين خرج عليه الضحـاك بن قيس الشيبانـى سنـة ١٢٧هـ ـ / ٧٤٤م وبسط ـام البيهسـى [٢] ،

وحمزة الخارجى وكان فى مستهل الأمر من الأباضية [٣]

ك – رأى الخوارج فى الخلافة

ويرى الخوارج أن الخلافة يجب ألا تقتصر على قـريش ولا على العرب وإنما ينبغى أن يتولاها خير المسلمين تقوى وزهدا حتى لو كان عبداً حبشياً ، وأعط ـوا للجماعـة حـق رقابته ومحاسبته على أعماله فأن غير السيرة وعـدل عـن الحق وجب عزله وقتله . وقد شمل تشـددهم كـذلك عامـة المسلمين وكان لهم مبدأهم فى أعمال الأنسان ؛ فقد جعلـوا

---

(٣) ابن الأثير ٤ / ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٤) ابن الأثير ٤ / ٢٨٩. وردت سنة ١٢٨ هـ عند خليفة الخياط ص ٣٨١ .

(٥) نفسـه ، ص ٢٩٧ .

الأعمال جزءاً مكملاً للإيمان فعدوا مرتكب الكبيرة كـافراً ، وأعتبروا أنفسهم وحدهم هـم المسـلمون ولـذلك إعتزلـوا الجماعة واستحلوا دماء غيرهم من المسلمين بل أنهم قصروا جهادهم على المسلمين وحدهم [1] .

وكانت صبغة الخوارج منذ نشأتهم صبغة سياسية حتـى خلافة عبدالملك بن مروان حيث مزجوا آرائهـم السياسـية بالأبحاث الدينية . فقالوا أن العمل بأوامر الدين مـن صـلاة وصيام وصدق وعدل جزء من الإيمـان ، ولـيس الإيمـان الأعتقاد با   ورسالة محمد فحسب ، فمن اعتقد أن لا إله إلا ا   وأن محمد رسول ا   ثم لم يعمل بمـا يفرضـه الـدين وأرتكب الكبائر فهو كافر . وهكذا كانت أفكار الخوارج فـى الدين لا تقل شدة عن أفكارهم السياسية [2] .

- فرق الخوارج

تفرق الخوارج عشرين فرقة كل منها تخالف الأخرى فى تعاليمها كلها أو بعضها ومن أشهر الفرق :-

---

(١) احمد إبراهيم الشريف ، ص ٤٠٨ .
(٢) حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

١- الأزارقـــة

أتباع نافع بن الأزرق الحنفى المكنى بأبى راشد ، وهـم أكثر فرق الخوارج وأشدهم قوة . وزعم نافع وأتباعـه أن دار مخالفيهم دار كفر ، ويجوز فيها قتل الأطفال والنسـاء ، وأنكرت الأزارقة الرجم ، وأستحلوا كفر الأمانة التى أمر ا بأدائها [١] .

٢- النجـدات

أتباع نجدة بن عامر الحنفى الذى أختلف مع نـافع بـن الأزرق ، لما أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه ، وسماهم مشركين ، واستحل قتـل أطفـال مخالفيـه ونسائهم وفارقه أبو فديك وعطية الحنفى ، وراشد الطويـل وجماعة من أتباعهم ، وذهبوا إلى اليمامة فاستقبلهم نجدة بن عامر فى جند من الخوارج وأخبرهم بما فعله نافع فبـايعوا نجدة بن عامر باليمامة [٢] .

---

(٣) البغدادى ، ص ٨٢ ، ٨٣ . - حسن إبراهيم حسن ١ / ٣٩٩ .

(١) البغدادى ، ص ٨٧ .

٣- الصفـرية

أتباع زياد بن الأصفر الذين يتفقون مع الأزارقة فـى أن أصحاب الذنوب مشركين ، غير أن الصفرية لايـرون قتـل أطفال مخالفيهم [١] .

٤- العـجاردة

أتباع عبدالكريم بن عجرد وكان عبـدالكريم مـن أتبـاع عطية بن الأسود الحنفى وكانت العجاردة عشرة فرق يجمعها القول بأن الطفل يدعى إذا بلغ ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يدعى إلى الإسلام [٢] .

أسباب فشل ثورات الخوارج هى :

١ – كانوا يخرجون فى اعداد قليلة وفى أوقـات متباعـدة . مما سهل على ولاة الدولة الأموية القضاء عليهم .

٢ – طغيان مذهب التشيع على أهل الكوفة ومناقضـة ذلـك لمذهب للخوارج وكره أهل الكوفـة والشـيعة عامـة للخوارج لخروجهم على على بن أبى طالب .

---

(٢) نفسـه ، ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) البغدادى ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

٣ – تصدى أهل البصرة للخوارج والقضاء عليهم ليحافظوا على تجارتهم.

٤ – تفرق الخوارج إلى فرق متعددة . مما أدى إلى ضعفهم وتفتيت وحدتهم .

٥ – الأعمال التخريبية التى كانوا يقومون بها من قتل النساء والأطفال وقتل مخالفيهم واحراق القرى وكسر الخـراج وقطع طرق التجارة [١] .

٢- الشيعـــــة

أ – ظهور الشيعة

ظهر حزب الشيعة عندما استخلاف على بن أبى طالـب ، وظهرت المعارضة له . وكـان الشـيعة فـى أول الأمـر متضامنين مع الخوارج وقد استمر هذا التضامن إلـى يـوم صفين فلما قبل على بن أبى طالب التحكيم أنقسم أصحابه إلى فريقين : فريق أعتزله وهم الخوارج ، وبقى فريـق علـى ولائه وهم الشيعة [٢] .

---

(٤) ثابت إسماعيل الراوى : العراق فى العصر الأموى من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية ، مكتبة الاندلس ، بغداد (د . ت) ، ص ٢٤٣ .

(١) أحمد إبراهيم الشريف ، ص ٤١٠ .

ويرى بعض المؤرخين أن لعلى شـيعة منـذ اللحظـات الأولى بعد وفاة الرسول صلى ا عليه وسلم ، ومن هـؤلاء جابر بن عبدا وحذيفة بن اليمان وسليمان الفارسى وأبو ذر الغفارى وغيرهم [١] .

واشتد ساعد حزب الشيعة بعد أن أتخـذ علـى الكوفـة حاضرة له وإنحازت البصرة إلى جانبه . ولما قتل على بعد ذلك الكفاح الطويل بينه وبين معاويـة ظـل أهـل العـراق يعتزون بتلك الفترة القصيرة التى كانت فيها الكوفة حاضـرة الإسلام كما أصبح على فى نظرهم رمـزاً لسـيادة بلـدهم المفقود [٢] .

وقد ضعف أمر الشيعة فى العراق بعد مقتل على ، كمـا كان للصلح الذى عقده الحسن بن على مع معاوية وتسـليمه الخلافة وقع سىء فى نفوسهم ، فجاهروا بتذمرهم من هـذا الصلح بل صاروا لايعترفون بحق بنى أمية فى الخلافة [٣].

---

(٢) أحمد شلبى ٢ / ١٤٤ .
(٣) محمد جمال الدين سرور ، ص ١٣٢.
(٤) نفســه ، ص ١٣٢ .

ولما توفى الحسن بن على اجتمع الشـيعة فـى الكوفـة بزعامة سليمان بن صرد الخزاعى وأرسلوا إلـى الحسـين يعزونه فى وفاة الحسن [١] .

ب – الشيعة فى عهد معاوية بن أبى سفيان

وعين معاوية بن أبى سفيان على الكوفة المغيرة بن شعبة سنة ٤١هـ/٦٦١م [٢] الذى لم يتورع عن لعن الخليفة على بن أبى طالب على المنبر . وكان حجر بن عـدى الكنـدى وعمرو بن الحمق الخزاعى وأصحابهما من شيعة على بـن أبى طالب ، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أتبـاع معاويـة وهـم يلعنون علياً على المنبـر ، يقومـون فيردون اللعـن عليهم[٣] وحذرهم المغيرة من غضب معاوية عليهم [٤].

ولما ولى زياد بن أبيه الكوفة من قبل معاويـة سـنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م بعد موت المغيرة وخطب خطبته المشهورة . أراد استئصال شوكة المعارضين لبنى أمية من الخـوارج والشيعة . وعلم زياد بتحرش الشيعة وتدبيرهم مؤامرة على

---

(٥) اليعقوبى ٢ / ٢٢٨ .
(١) ابن الأثير ٣ / ٢٠٧ .
(٢) اليعقوبى ٢ / ٢٣٠ .
(٣) الطبرى ٥ / ٢٢٥ .

زياد ومعاوية وحث الناس على كراهية بنـى أميـة بـذكر مسالبهم فارسل زياد صاحب شرطته فقبض علـيهم وقتـل جماعة من الشيعة وهرب عمرو بن الحمق الخزاعـى إلـى الموصل . وأخذ زياد حجر بن عدى الكندى وثلاثـة عشـر رجلا من أصحابه وأرسلهم إلى معاوية وكتـب إليـه أنهـم خالفوا الجماعة فى لعن على بن أبى طالب وخرجـوا عـن الطاعة ولما وصلوا إلى مرج عذراء على مقربة من دمشق أمر معاوية بضرب أعناقهم وعفا عن ستة منهم وقتل حجـر بن عدى الكندى زعيم الشيعة [1] .

ج – الشيعة فى عهد يزيد بن معاوية

ولما تولى يزيد بن معاوية عرش الخلافة عارض أهل الحجاز بيعته فطلب من والى المدينة الوليد بن عتبة بن أبـى سفيان أن يأخذ البيعة بالقوة من الحسين بن على وعبدا بن الزبير وعبدا بن عمر ، ولم يبايع ليزيد سوى عبدا بـن عمر لأنه لم يكن يطمع فى الخلافة.

---

(٤) نفســه ، ص ٢٣١ .

ورأى أن فى بيعته حقناً للدماء ، كما بـايع عبـدا بـن عباس [١] وقال الحسين للوليد بن عتبة " أما البيعـة فـإن مثلى لايبايع سراً ، ولايجتزى بها منى سراً فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً ." [٢]

ولما رفض الحسين بيعة يزيد خرج متخفياً باهله إلى مكة ، وعلم بذلك أهل الكوفة فارسلوا له عدة رسائل يحثوه علـى الرحيل إلى الكوفة لنصرته وتأييده [٣] . وأعتقد الحسين أن أهل الكوفة لن يتخلو عنه ، كما حدث مع والده وأخيه الحسن الأمر الذى جعل الحسين لم يصغ لنصيحة عبدا بن مطيـع وأخيه محمد بن الحنفية اللذان طلبا منه العـدول عـن هـذه الدعوة ، لما عرف عن أهل الكوفة من الغدر وعدم الوفـاء بالعهد [٤] ولكن الحسين لبى دعوة أهل الكوفة وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ليأخذ البيعة من أهلها .

---

(١) ابن الأثير ٣ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ . النويرى ٢٠ / ٣٨٦
(٢) ابن الاثير ٣ / ٢٦٤ . النويرى ٢٠ / ٣٧٩ . ابن الجوزى ٥ / ٣٢٣ .
(٣) اليعقوبى ٢ / ٢٤١ .
(٤) الطبرى ٥ / ٣٣٩ . ابن الأثير ٣ / ٢٦٦ .

على أية حال وصل مسلم بعد رحلة عسيرة إلى الكوفـة والتف حوله أهلها وبايعه أثنا عشر ألفاً مـنهم [1] . وكـان يلى الكوفة النعمان بن بشير ولم يبد أى مقاومة لمسـلم ابـن عقيل ، مما أثار سخط أتباع يزيد بالكوفة وراسـلوه فشـعر بخطورة الموقف ، وضم يزيد بن معاوية ولاية الكوفة إلـى عبيدا بن زياد والى البصرة ، وطلب يزيد مـن عبيـدا الضرب بيد من حديد على مسلم وأتباعه [2] .

وتمكن عبيدا بن زياد من القبض على مسلم بن عقيـل وقتله ، ولم يدرالحسين بما حدث ولما عزم الحسـين علـى الخروج من مكة واستعد لذلك حاول عبد ا بن عبـاس أن يثنيه عن ذلك قائلا له : يا بن عم ، قد بلغنـى أنـك تريـد المسير إلى العراق ... أتسير إلى قوم طردوا أميرهم عنهم ، وضبطوا بلادهم ؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسـر إلـيهم ، وإن كانوا يدعونك إليهم وأميرهم عليهم وعماله يحبونهم ، فـإنهم يدعونك إلى الحرب ، ولا آمنهم أن يخذلوك كما خذلوا أباك

---

(٥) الطبرى ٥ / ٣٤٨ . ابن الأثير ٣ / ٢٦٨ .
(٦) الطبرى ٥ / ٣٥١. ابن أبى الدم ١ / ٢٠٤.
- الدنيورى ، ص ٢٣١ . ابن الجوزى ٥ / ٣٢٥ . النويرى : ٢٠ / ٣٨٩ – ٣٩٠

وأخاك قال الحسين : يا بن عم ، سانظر فيما قلت .. وعـاد عبد ا بن عباس إلى الحسين وطلب منه البقاء بمكة : " يـا بن عم لا تقرب أهل الكوفة ، فانهم قوم غدرة ، وأقم بهـذه البلادة فانك سيد أهلها فإن أبيت فسر إلى أرض اليمن ، فـإن بها حصونا وشعابا ، وهى أرض طويلة عريضة ، ولأبيـك فيها شيعة ، فيكون عن الناس فى عزله وثبت دعاتـك فـى الافاق .... [١] " وعلى أية حال سار الحسين إلـى الكوفـة بحوالى اثنين وستين أو اثنين وسبعين رجلاً من أهـل بيتـه ولقيه الحر بن يزيد التميمى على بعد ثلاثة أميال من القادسية فقال له " أين تريد ؟ قال أريد هذا المصر ، فقال له : أرجع فانى لم أدع لك خلفى خيراً أرجوه فهم أن يرجع وكان معـه أخوة مسلم بن عقيل " ثم لقيته طلائع خيل عبيدا بن زيـاد فتوجه الحسين إلى كربلاء وقدم عمرو بن سـعد بـن أبـى وقاص على راس جيش ابن زياد وأحاط بالحسين فطلب منه العودة أو مقابلة يزيد أو التوجه إلى الثغـور فـرفض هـذه المطالب ودارت الدائرة على الحسين وأصـحابه فـى يـوم

---

(١) الدنيورى ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ ،
النويرى ٢٠ / ٤٠٦ – ٤٠٨ .

عاشوراء سنة ٦١هـ/٦٨٠م بكربلاء وقتل الحسين رجل من قبيلة مذحج وحز رأسه وأرسلها إلى عبيدا بن زياد الـذى أرسلها مع أولاد الحسين إلى الشام ووضعت الرأس بين يدى يزيد وأخذ يقرع ثناياه بالقضيب [١] .

ويشير أحد الباحثين إلى أن مذبحة كربلاء الهبت مشاعر الفزع والهلع فى جميع البلاد الإسلامية ضـد بنـى أميـة ، وأعتبر الحسين شهيداً وتوحدت صفوف الشيعة عقـب تلـك الموقعة وصمموا على الأخذ بثأر الحسين [٢].

لما قتل الحسين بن على أجتمع الشيعة بزعامة سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب ابن نجية للمطالبة بالثأر للحسين ، وأطلقوا على أنفسهم اسم " التوابين " وساروا إلى عين الوردة سنة ٦٥هـ/٦٨٥م حيث اشتبكوا مع عبيدا بن زياد الـذى أرسله مروان بن الحكم للأستيلاء على العراق ، ثـم أمـره

---

(٢) الطبرى ٥ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠. وانظر كذلك

- اليعقوبى ٢ / ٢٤٥. المسعودى ٣ / ٦٧ - ٧١ . ابن طباطبا ، ص ١١٣ ، ١١٤.

- السيوطى ، ص٢٣٤،٢٣٥ . ابن أبى الدم ١ / ٢٠٦ - ٢٠٩

(٣) على إبراهيم حسن ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

عبدالملك بن مروان . وتمكن عبيدا بن زياد مـن هزيمـة الشيعة وقتل سليمان بن صرد [١] ورحلت فلولهم إلى الكوفة ؛ فظلوا بها إلى أن ثاروا مرة أخرى بزعامة المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى عرف بطموحه إلى السلطة ، وأخذ يتنقـل من حزب إلى حزب طمعاً فى تحقيق أغراضه فكان أولاً فى صف على ، لكنه لم يشايع ابنه الحسن وحاول بعض الشيعة قتله ولكن الحسين عفا عنه ، ثم نجده بعد ذلك يبايع مسلم بن عقيل حين قدم الكوفة من قبل الحسين [٢] .

وقبض عبيدا بن زياد على المختار بن أبى عبيد الثقفى وحبسه وضربه حتى شتر عينه وأرسل إلى عبدا بن عمر ليتشفع له عند يزيد بن معاوية فأمر باطلاق سراحه ورحـل المختار إلى الحجاز وأصبح من أنصار عبدا بـن الزبيـر ولكن أبن الزبير كان قليل الثقة فيه . ولـم يلبـث أن عـاد المختار إلى العراق فى الوقت الذى خرج فيه سـليمان بـن صرد الخزاعى وأجتمع بالشيعة وأخبرهم بأنه رسول من قبل محمد بن على بن أبى طالب فبايعه أهل الكوفة .

---

(١) اليعقوبى ٢ / ٢٥٧ . - على إبراهيم حسن ، ص ٢٣٧
(٢) محمد جمال الدين سرور ، ص ١٤١ .

د – الشيعة وعبد ا بن الزبير

وكان يلى الكوفة عبدا بن مطيع من قبل عبـدا بـن الزبير ، ولم يتحمس ابن مطيع فى القـبض علـى الشـيعة واشــتبك المختــار مــع ابــن مطيـــــــع فــى سنة٦٦هـ/٦٨٥م وتغلب المختار على العراق وأرسل عماله إلى الولايات وعين على البصرة عبدالرحمن بـن سعيد بن قيس [١] الذى التقى مع عبيدا بن زياد عند نهـر الخـازر أحد فروع دجله ودارت الدائرة على بن زياد وقتل فى هـذه المعركة وقتل كثير من أشراف أهل الشام ، وتتبع المختـار قتلة الحسين [٢] .

وانتهت حركة المختار على يد مصعب بن الزبير والـى العراق من قبل أخيه عبدا حيث التقى الجيشـان بالمـدائن ولحقت الهزيمة باتباع المختار وعادت فلولهم إليه وقالوا : لم تعدنا بالنصر على عدونا ؟ فقال : إن ا تعالى قد وعـدنى ذلك ، لكنه بدا له فكان هذا سبب قول الكيسانية بالبدء .

---

(٣) اليعقوبى ٢ / ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٤) على إبراهيم حسن ، ص ٣٣٨ .

والتقى المختار فى شهر رمضان سـنة ٦٧هـ ـ/٦٨٦م بضواحى الكوفة بقوات مصعب ، ودارت بينهما معركة حلت فيها الهزيمة بأتباع المختار وقتل هو وكثير مـن أتباعـه . وبذلك استولى مصعب على الكوفة وعاد العراق إلى نفـوذ عبدا بن الزبير .

اتخذت الحركة التى قام بها المختار فى الكوفة صفة دينية بجانب مظهرها السياسى على أثر انضـواء الشـيعة تحـت زعامته ، وانضمام الموالى إليه وانتشار التشـيع بيـنهم ـ وكان التشيع قبل ذلك مقصوراً على العرب ـ وقـد كـون المختار فرقة شيعية من اتباعه تعرف بالمختارية أو الكيسانية [١] ولم تظهر أى حركة للشيعة فى عهد الوليد بن عبدالملك وكذلك الحال فى عهد عمر بن عبدالعزيز الذى كتـب إلـى ولاته بمنع سب على بن أبى طالب فى الخطب الدينية علـى المنابر[٢] .

(١) محمد جمال الدين سرور ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٢) نفســه ، ص ١٤٩ .

هـ – الشيعة فى عهد هشام بن عبد الملك

وفى عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ثار العلويون بقيـادة زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على الذى تنسـب إليه الطائفة الزيدية وكان يمنى نفسه بالخلافة وقـد عـرف هشام ذلك عنه .

وأراد زيد الذهاب إلى المدينة ليتخذها مركزاً لـه وسـار فعلاً فى طريقه إليها ، ولكن أهل الكوفة تبعوه وطلبوا منـه الرجوع فاستجاب لهم .

وهناك أقبلت الشيعة عليه من كل بلدان المشرق والتقـى بيوسف ابن عمر الوالى الأموى ودارت بينهما معركة حامية قتل فيها زيد بعد أن أبلى بلاء حسناً [(١)] .

لم تنته الحركة التى قام بها زيد بن علـى فـى الكوفـة للتخلص من الحكم الأموى بوفاته ، فظل فريق مـن أتباعـه الذين عرفوا بالزيدية موالين له ، وبايعوا أبنه يحيى الذى فر إلى خراسان سنة ١٢٥هـ، فاقام بها حتى خلافة الوليد بـن

---

(١) على إبراهيم حسن ، ص ٣٦٨ .

يزيد، فعمد نصر بن سيار واليه على خراسان إلى مطاردته وقتله عند الجوزجان أحد بلاد بلخ بخراسان[1]

٣- ثورة عبدا بن الزبير

لم يجرؤ عبدا بن الزبير على الجهر بطمعه فى الخلافة والحسين على قيد الحياة لأنه يعلم أن الحسين أحـق منـه ، ولما قتل الحسين أظهر عبدا بن الزبير حقيقة مايرمى إليه ولكنه فى الوقت نفسه أثار السخط على قتل الحسـين وشـاد بذكره[2].

وأعلن عبدا بن الزبير الثورة فى مكة ودعا لنفسه وطرد عامل يزيد بن معاوية من مكة وسانده أهل المدينة وبـايعوه وكان يلى المدينة آنـذاك عثمـان بـن محمـد بـن أبـى سفيان[3] وضيقوا على بنى أمية فى المدينة وهمـوا بقـتلهم وكانوا سبعة عشر رجلا ولكن أهل المدينة رفضـوا قـتلهم وأخذوا عليهم المواثيق أن لا يرجعوا إلى المدينة مع جـيش أبدا وأرسـل عثمـان بن محمد بن أبـى سـفيان قميصـه

---

(١) محمد جمال الدين سرور ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(١) على ابراهيم حسن ، ص ٣٣٠ .

(٢) اليعقوبى ٢ / ٢٥٠. المسعودى ٣ / ٧٩ ، ٨٠ .

مشقوقا إلى يزيد وكتب إليـه : "واغوثـاه ! أن أهـل المدينـة أخرجوا قومنا من المدينة وشقوا ثوبى ... "[1] ، وإشتد غضب يزيد وأرسل جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المرى يقول ابن طباطبا [2] " وكان شيخاً كبيراً مريضـا وأحـد جبابرة العرب " على رأس حملة بلغت حوالى خمسة آلاف ، ونزل فى الحرة الواقعة شمال شرق المدينة ، وبدأ يصـوب ضرباته إلى المدينة ولم تصمد أمام الضربات المتتالية للجيش الأموى ، وقتل كثير من أهل المدينة ، وأباح مسلم بن عقبـة حرمة المدينة لمدة ثلاثة أيام [3] .

- حصار عبدا بن الزبير فى مكة

لما قضى مسلم بن عقبة على ثورة أهل المدينة أمره يزيد بالزحف إلى مكة لقتال عبدا بن الزبيـر ، إلا أن مسـلما أدركه الموت أثناء الطريق فتولى قيـادة جيـوش يزيـد مـن بعده الحصين بن نمير السكونى ، وكان يزيـد قـد

---

(٣) البيهقى : المجاسن والمساوى ، قدم له / محمد سويد ، الطبعة الأولى ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، ص ٨٧ .

(٤) الفخرى

(٥) المسعودى ٣ /٨١ . البيهقى ، ص ٨٧ . ابن دقماق ، ص ٦٠ حسن ابراهيم حسن ١ / ٢٩٢ . على ابراهيم حسن ، ص ٣٣٢

أوصى بتوليته إذا مات مسلم ، فسار بـالجيش إلـى مكـة وحاصرها فى أوائل سنة ٦٤هـ/٦٨٣م ، وهـذه أول مـرة تحاصر فيها مكة فى التاريخ الإسلامى .

ولاذ عبدا بن الزبير بالبيت الحرام ولذلك عرف بالعائذ ، ونصب الحصين على جبل أبى قبـيس المواجـه للكعبـة المنجانيق ، بينما تحصن أصحاب عبدا بن الزبير فى بيت ا الحرام ، وكان قد أجتمع إليه عدد من أهل المدينة خرجوا إليه بعد الحرة ، وكذلك قدم عليه نجدة بن عامر الحنفى فـى أناس من الخوارج للدفاع عن البيت [١] وأثنـاء حصـار الجيش الأموى الكعبة علم الحصين بوفاة يزيد فـى صـفر ٦٤هـ/٦٨٣م ، فأرسل الحصين إلى ابن الزبير " ان الـذى وجهنا إلى محاربتك قد هلك ، فهل لك فى الموادعة وتفتح لنا الأبواب فنطوف بالبيت ويختلط الناس بعضهم ببعض".

وافق عبدا بن الزبير على طلبه ووقفت الحـرب بـين الفريقين وبعث الحصين إلى عبدا بن الزبير ليبايعه بشرط أن يخرج معهم إلى الشام [٢] . ولكن عبدا بـن الزبيـر

---

(١) أحمد ابراهيم الشريف ، ص ٤٤١ .
(٢) ابن الأثير ٣ / ٣١٩ . وراجع

طلب من الحصين أن يبايعه ومن معه فـى مكـة فـرفض الحصين ومعنى ذلك أن الحصين كان يريد أن تبقى عاصمة الخلافة فى دمشق وهو بذلك يعبر عـن رأى أهـل الشـام ورغبتهم ، وكان ابن الزبير يريد أن تنتقل العاصـمة إلـى الحجاز وهو بذلك يعبر عن رأى أهل الحجاز ورغبتهم (١)

وهكذا تعارضت وجهات النظر بـين الـرجلين ورحـل الحصين بجيشه عائداً إلى الشام . وأرتفع شأن ابـن الزبيـر فأعلن نفسه خليفة وبايعه أهل الحجاز والجزيرة العربية كلها ، ثم ساعدته الظروف فبايعه العراق ومصر ومعظم أقـاليم الشام (٢) .

وأعاد عبدا بن الزبير بناء الكعبة فجلب الفسيفساء مـن صنعاء وبناها على قواعد إبراهيم وجعل لهـا بـابين بـاب للدخول وآخر للخروج (٣) .

المسعودى ٣ / ٩١ . الذهبى ١ / ٤٦. على ابراهيم حسن ، ص٣٣٢ .

(٣) أحمد ابراهيم الشريف ، ص ٤٤٠ .

(٤) أحمد أبراهيم الشريف ، ص ٤٤١ .

(٥) المسعودى ٣ / ٩٢ .

وتغلغل نفوذ عبدا بن الزبير فى مصر والعراق وبـلاد الشام ولم يبق بيد الأمويين سوى دمشق والأردن .

وكانت ثورة عبدا بن الزبير من أخطر الثورات التـى واجهت عبدالملك بن مروان فأراد التغلب عليها فبدأ بالعراق لقتال مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ/٦٩٠م بعد أن صـالح القيسيين ، واستعد مصعب لملاقاته ولكن لم يسـتطع جنـده الوقوف أمام عبدالملك الذى راسل قواد مصـعب ويميـنهم ليفرق شمله وبالفعل نجح فى إستمالتهم إليه إلا أن إبـراهيم ابن الأشتر قائد جيش مصعب أخبره بكتاب عبـدالملك إليـه وطلب منه التخلص من القواد الذين أخفـو كتـبهم ، ولكـن مصعب رفض وأمر بحبسهم ، وكان لهذه السياسة أثرها فقد خان القواد مصعبا ونشب القتال بين الفريقين عند بـاخمرا ، وهزم مصعب ومن كان معه وقتل ودخل عبدالملك الكوفـة وبايعه أهلها سنة ٧١هـ/٦٩٠م وولى على البصرة عمـالاً من قبله [١] .

---

(١) على إبراهيم حسن ١ / ٣٤٠ ، ٣٤١ . وراجع - ابن الأثير ٤ / ٩ ، ١٠ .

وسير عبدالملك إلى الحجاز الحجاج بن يوسف للـتخلص من ثورة عبدا   بن الزبير سنة ٧٢هـ/٦٩١م فأقام الحجـاج بضعة شهور بالطائف مسقط رأسه ثم زحـ ـف إلـى مكـة وفرض عليها الحصار ووجه ضرباته إلى الكعبة التى أحتمى فيها ابن الزبير حتى تفرق أتباعه ، وقتل ابن الزبيـر فـى جمادى الأولى سنة ٧٣هـ/٦٩٢م ، وأقام الحجاج والياً على مكة والمدينة واليمن لمدة ثلاث سنين ثم جمع له عبـدالملك العراق بعد موت بشر بن مروان بالبصرة سنة ٧٥ هـ ـ / ٦٩٤ م [(١)].

٤- الثـورة العباسية

كانت الثورة العباسية مـن أخطـر الثـورات المناوئـة للأمويين ؛ لأنها كانت ثورة مخططة تخطيطاً سليماً لم يسبق له مثيل فى تاريخ الثورات التى واجهت الأمـويين طـوال تاريخهم [(٢)].

---

(٢) المسعودى ٣ / ١١٩- ١٢٢ . - ابن قتيبة ، ص ٣٥٦ .
الدينورى ، ص ٣١٤ – ٣١٥
- النويرى ٢١ / ١٣٣ – ١٤٢ ، ١٤٦ . القلقشندى ١ / ١٣٠ .
(٣) عبدالشافى محمد عبداللطيف ، ص ٥٣٢ .

ومما ساعد على نجاحها إتباعها عنصر السرية خصوصاً بعد الكوارث التى نزلت بآل البيت منذ مصرع الحسين ، وما عمدت إليه الدولة الأموية من تصـفية الحركـات العلويـة والقضاء على زعمائهم بكل وسيلة ممكنة [١] .

ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبدالمطلب عم الرسول صلى ا عليـه وسـلم الـذى تـرك بعـد وفاتـه سـنة ١٣٢هـ/٧٤٩م عدد من البنين اشتهر منهم عبدا بن عباس الذى جاء من نسله خلفاء بنى العباس ووقف عبـدا إلـى جانب على بن أبى طالب الذى ولاه البصرة وأعمالها ، ثـم عاد إلى الحجاز بعد استشهاد على وأقـام بالطـائف . ولـم يشارك فى الثورات التى قامت ضد بنى أمية حتى وفاته سنة ٦٨هـ/٦٨٧م [٢].

---

(١) حسن أحمد محمود أحمد الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، الطبعة الخامسة دارالفكر العربى ، القاهرة د.ت ، ص١٢ .

(٢) رشيد عبدا الجميلى : دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية ،الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف الرباط ، ١٩٨٤ م ، ص٩ .

- أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية ١٩٨٢م ، ص١٨ .

وقد خلف عبدا عدداً من الذكور من بينهم على وكـان أصغرهم والتقى على بالخليفة عبدالملك بن مروان فذم إليـه ابن الزبير ورحل إلى الشام وأقـام بدمشـق وأحسـن إليـه عبدالملك ثم أقطعه الوليد الحميمة سنة ٩٥هـ/٧١٣م ، وقيل إن الوليد أساء معاملة على فانتقل إلى الحميمة [١] .

وفى أواخر القرن الأول الهجرى آل أمر الشـيعة إلـى محمد بن على بن أبى طالب الملقب بأبى هاشم أمام الشـيعة الكيسانية والملقب بالمهدى وأخذ يدعو إلى نفسه سراً وفـى كتمان شديد وكان له العديد من الأنصار الذين يـدعون لـه ويروجون للفكرة فى سرية تامة [٢] .

وقام أبو هاشم بزيارة الخليفة سليمان بن عبدالملك الـذى لمس فى أبى هاشم ذكاء ونشاطاً علمياً وفصاحة فتخوف منه لعلمه أن الشيعة هو الحزب المنافس لبنى أمية ، ودس مـن تعقبه وسقاه لبناً مسوماً وشعر أبو هاشم بالسم يسرى فى بدنه فذهب إلى الحميمة ولقى على بن عبدا بن العباس فـأخبره

---

(٣) رشيد عبدا الجميلى ، ص٩ .

(٤) عبدالشافى محمد عبداللطيف ، ص ٥٣٣ .

بأنه هالك ولاعقب له وأنه متنازل عن حقه فى الخلافة وسلم زمام الدعوة الكيسانية [1] .

وعلى أساس هذه الوصية ورث محمد بن على العباسـى جميع الخطط والدعاية السرية التى كانت للشيعة الكيسـانية واستغلها لصالحه كصاحب حق فى الخلافة .

وقد حرص العباسيون على أخفاء أطماعهم نحو الخلافة ، فلم تكن البيعة تؤخذ باسم العباسيين بل تحت هـذا السـتار البراق الغامض " الرضى من آل البيت " يعنى لشخص معين من آل البيت يتفق عليه فيما بعد . فالدعوة العباسية على هذا النحو بدأت شيعية فى الأصل ثم تحولت بعد نجاحهـا إلـى خلافة سنية كما يبدو من سير الحوادث [2] .

وقد مرت الدعوة العباسية بمرحلتين :

١- المرحلة الأولى السرية من سنة ١٠٠هـ -١٢٩هـ التى انتشرت فيها الدعاة يجوبون البلاد فى خراسان وماوراء النهر على هيئة تجار ولكن مهمتهم الحقيقية الدعوة العباسية وإثارة مشاعر الناس ضد بنى أمية وإتهام خلفائهـا بـالظلم

---

(١) أحمد مختار العبادى ، ص ١٩ .

(٢) نفسـ ـه ، ص ٢١ .

والجور عن المنهج الإسلامى [١] . وكانت الدعوة العباسـية تنشط فى حالة خلو الساحة من رؤساء علويين ، وتضعف إذا ظهر منهم أحد [٢] .

وأبرز دعاة العباسيين فى العراق ميسرة العبدى ومحمـد بن خنيس ، وتولى أمر الدعوة فى العراق بعد وفاة ميسـرة العبدى [٣] أحد الأثرياء ويدعى بكير بن ماهان الذى أنفـق أموالاً طائلة فى سبيل نشر الدعوة [٤] .

وفى سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م توفى الإمام محمد بـن علـى بالحميمة وخلفه ابنه إبراهيم كما توفى بكير بن ماهان بالكوفة وخلفه صهره أبو سلمة الخلال الذى لقب فيما بعد بوزير آل محمد [٥] .

أما عن دعاة خراسان نذكر مـنهم سـليمان بـن كثيـر الخزاعى وأبو عكرمة السـراج وحيـان العطـار وكانـت خراسان حقل خصب لبث الدعوة العباسية ولما شك فى أمر

---

(٣) عبدالشافى محمد عبداللطيف ، ص ٥٣٤ .
(٤) حسن أحمد محمود وأحمد الشريف ، ص ١٤.
(٥) ابن الأثير ٤ / ١٥٩ .
(٦) الدينورى ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ . ابن الأثير ٤ / ١٩٣ .
(٧) أحمد مختار العبادى ، ص ٢٣ .

الدعاة سعيد بن عبدالعزيز عامل الأمويين علـى خراسـان فأخبروه بأنهم تجار ولاهم لهم إلا التجارة [١] .

ولما انكشف أمر بعض الدعاة فى ولاية أسد بن عبـدا على خراسان أمر بقتلهم[٢] وكان الدعاة يفدون إلى خراسان بانتظام فهـاهو ابـن الأثيـر يشـير لهـم فـى حـوادث سنة ١١٧هـ/٧٣٥م،١١٩هـ/٧٣٧م ، ١٢٠هـ/٧٣٨م [٣].

ويتولى أمر الدعوة فى خراسان شخصية فذة الذى تلقـى أصول الدعوة بالكوفة ، فاسترعى انتبـاه رجـال الحـزب العباسى فأخذوه إلى الإمام إبراهيم الذى لمس فيه ذكاء خارقاً وأرادة قوية فولاه رئيساً للدعاة فى خراسان وأوصى شـيوخ الدعوة بطاعته [٤] .

وكانت وصية الإمام إبراهيم بن محمد إلى أبـا مسـلم " أنظر هذا الحى من اليمن فالزمهم ، وأسكن بين أظهرهم فإن ا لايتم هذا الأمر إلا بهم وأتهم ربيعة فى أمـرهم ، وأمـا

---

(١) ابن الأثير ٤ / ١٨٢ .

(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٠١ .

(٣) الدينورى ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ . - ابن الأثير ٤ / ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ .

(٤) أحمد مختار العبادى ، ص ٢٤ .

مضر فأنهم العدو القريب الدار وأقتل من شـككـت فيـه ، وإن استطعـت أن لاتـدع بخراسـان من يتكلـم العربيـة فافعـل [١] .

٢- المرحلة الثانية من سنة ١٢٩هـ/١٣٢هـ هى مرحلة إعلان الثورة والعمل المسلح والقضاء على الدولة الأموية ، وتمكن أبو مسلم من قيادة الثورة بنجاح واستفاد من الصراع الدائر هناك بين العرب اليمنية وربيعة بزعامة على بن جديع الكرمانى ، والمضريون بزعامة نصر بـن سـيار الـوالى الأموى [٢] .

وقد حاول نصر بن سيار أن يجمع كلمة العـرب ضـد الفرس ، كما حاول تسوية الخلاف مع اليمنية فباءت محاولته بالفشل أمام دسائس أبى مسلم فرفض اليمنية الصلح واشترط عزل زعيمهم على بن جديع الكرمانى وعزل نصر بن سيار من ولاية خراسان[٣]

---

(٥) ابن الأثير ٤ / ٢٩٥ .
(٦) عبدالشافى محمد عبداللطيف ، ص ٥٣٦ .
(٧) أحمد مختار العبادى ، ص ٢٥ .

ولما تأزم الموقف بخراسان أرسل نصر بن سـيار إلـى الخليفة مروان بن محمد يطلب مسـاعدته وكـان مـروان مشغولاً بحرب الخوارج وأمر عامله على دمشق بالمسير إلى الحميمة للقبض على الأمام إبراهيم بن محمد وزج بـه فـى السجن ثم قتله وهرب أخوته أبو جعفر والعباسـى وعبـدا وإسماعيل وعيسى وداود بنوعلى بن عبدا إلـى العـراق وأقاموا بالكوفة عند أبى سلمة الخلال [١] .

ويبدو أن أبا سلمة لم يعترف بأبى العباس فقد كـان ولاءه لإبراهيم الإمام ، لذلك عمد إلى إخفاء أمر أبى العباس ومـن معه وحاول ترشيح غيره لرئاسة الدعوة وقيل بـل ارادهـا للعلويين ورشح اثنان منهم لهذا المنصب ولم ينفذ فكرته [٢]

واستطاع أبو مسلم الخراساني من حشد جيوش من سائر بلدان المشرق بلغ عددهم حوالى مائة ألف ، واشـتبك مـع نصر بن سيار وأنزل به هزيمة واستولى على مدينة مـرو عاصمة خراسان سنة ١٣١هـ/٧٤٨م واضطر نصـر بـن سيار من الهرب إلى العراق ولاحقته الجيوش العباسية ولكنه

---

(١) الدينورى ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٢) رشيد عبدا الجبيلى ، ص ١٧ ، ١٨ .

مات فـى الطريـق بنـواحى الـرى فـى نفـس السـنة ١٣١هـ/٧٤٨م بينما كان أبو مسلم يقوم بإتمام فتح خراسان ، واصلت جيوشه زحفها نحو العراق بقيادة قحطبة بن شبيب ، واضطر عامل العراق يزيد بن هبيـرة إلـى الانسـحاب والتقهقر نحو مدينة واسط جنوبى العراق وتحصن بها.

أما عامل الكوفة محمد بن خالد فإنه لم يستطع الصـمود أمام العباسيين ، فسلم لهم المدينـة. ولمـا فقـد الأمـويين سيطرتهم على العراق ظهر أبو العباس ودخل مسجد الكوفة وطلب أبو سلمة الخلال من الناس مبايعته بالخلافة فبـايعوه فى ربيع الأول سنة ١٣٢هـ/٧٤٨م [١] .

واستعد مروان بن محمد للقضاء على العباسيين وأرسـل إليه أبو العباس عمه عبدا بن على ليقوده للمعركة الفاصلة مع مروان والتقى الجيشان عند نهر الزاب الكبير أحد روافد دجلة وحلت الهزيمة بجيش مروان الـذى حـاول اسـتعادة الموقف بطلب المساعدة من أهل الشام فخذلوه ولم يتحمسـوا لنجدته [٢] .

---

(٣) أحمد مختار العبادى ، ص ٢٧ .

(٤) عبدالشافى محمد عبداللطيف ، ص ٥٣٨ .

وبعد ذلك واصل الجيش العباسى زحفه إلى الشـام وفـر مروان إلى مصر فطارده صالح بن علـى القائـد العباسـى واشتبك معه فى بوصير بالفيوم وقتله سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م [١] وبذلك سقطت الدولة الأموية .

---

(١) الدينورى ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

الفـصل الحادى والعشرون
الفتوحات الإسلامية فى العصر الأموى

١- فتـــوح المغـــرب

أ – حملة عمرو بن العاص

عندمـا انتهـى عمـرو بن العـاص من فتـح مصـر سنـة ٢١هـ / ٦٤٢م [١]، فكر فى السير غرباً لفتح برقـة وطرابلس لسببين :

١- أن برقة كانت تعتبر امتداداً لمصر وإقليماً متميز لها ، إذ هى تجاور لوبيا ومراقية وهما كورتان من كور مصـر الغربية .

٢- رغبة عمرو فى تطبيق سياسة الاستمرار فى الفـتح صوب الغرب لنشر رسالة الإسلام السامية [١] .

---

١) الكندى : ولاة مصر ، ص٣٣ .- ابن عذارى : البيان المغرب ، الجزء الأول ، نشر وتحقيق
ج . س .كولان وبروفنسال ، ليدن ، ١٩٤٨م ، ص٨ .
- محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ، دار المعارف ، القاهرة د.ت ، ص١٣٧ .

سار عمرو بن العاص إلى برقة وحاصرها ، واستسلمت لدفع الجزية ومقدارها ثلاثة عشر ألف دينار [٢] .

ثم بعث عمرو بن العاص حملة بقيادة عقبة بن نافع إلـى المناطق الجنوبية فوصل إلى زويلة ، وأصـبحت المنطقـة الممتدة مابين برقة وزويلة خاضعة للسيادة الإسـلامية [٣].

---

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى التعصر الإسلامى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ١٩٨٢م ، ص٥٥ .

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ١٩٦١م ، ص٢٦ .

- حسين مؤنس : فتح العرب للغرب ، مكتبة الأداب ، القاهرة د.ت ، ص٥١ ، ٥٢ .

- محمد محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، دار المنار ، القاهرة ١٩٨٨م ، ص١٨ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق هنرى ماسيه ،ليدن،ص١٧٠.

- البلاذرى : فتوح البلدان ، الجزء الأول ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، القاهرة (د . ت) ، ص٢٦٤ .

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ .

- البكرى : المغرب فى ذكر بلاد إفريقا والمغرب ، مكتبة المثنى،بغداد(د.ت) ، ص١٠ . _ ابن ابى دينار : المؤنس فى أخبار

وبعد ذلك سار عمرو بن العاص إلى طـرابلس فـى سـنة ٢٢هـ/٦٤٢م وفتحها بعد أن حاصرها لمـدة شـهر [١] ، وأسرع بإرسال فرقة من جيشه لمفاجأة مدينة سبرت علـى حين غرة ؛ فسقطت بدون عناء كبير [٢] .

وكان عمرو قد بعث أثناء حصاره لطرابلس القائد بسر بن أبى أرطاه ففتحها سنة ٢٣هـ/٦٤٣م [٣] ، واضطر عمرو بن العاص إلى العودة لمصر سنة ٢٥هـ/٦٤٥م ، ثـم عزل عن مصر فى خلافة عثمان بن عفان . وعين عبدا بن سعد بن أبى السرح والياً على مصر ثم تطلع إلى المغرب فكـان

إفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، الطبعة الثانية ، تونس ١٩٧٦م ، ص٢٦ . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين ، ص٢٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

-البكرى ، ص ٩ . - ابن الأثير ٣ / ١٢ .

- التجانى : رحلة التجانى ، تحقيق حسن حسنى عبدالوهاب ، تونس ١٩٥٨م ، ص٢٣٩

(٣) ابن عبد الحكم ، ص ١٧٢ .

- ابن الأثير ٣ / ١٣ .

(٤) البكرى ، ص ١٢ ، ١٣ . ابن ابى دينار ، ص ٢٦ .

يبعث المسلمين فى جرائد الخيل لشن الغارت على أطـراف إفريقيا وتعود محملة بالغنائم الكثيرة [١].

ب – حملة عبد ا بن سعد بن أبى السرح

وأرسل عبدا بن سعد إلى الخليفة عثمان يستأذنه فى فتح إفريقيا فرفض فى مستهل الأمر ، ولما استشـار الصـحابة منهم عبدا بن الزبير ، وعبدا بن عمر وبسر بـن أبـى أرطاة [٢] وافق على ارسال المدد إلى إفريقيا .

وعندما وصل جند الخليفة عثمان إلى مصـر كـان عبدا بن سعد قد جمع جيشاً آخر فبلغت عدة جيش المسلمين عشرين ألفا [٣] ، وزحف عبدا بالجيش الإسـلامى إلـى طرابلس وحاصرها وغنم المسلمون من سفن الروم الراسية ، ثم مضى إلى قابس [٤] واشتبك مع جيرجير حاكم إفريقيـة من قبل هرقل فى سبيطلة التى تبعد عن القيروان سبعين ميلاً

---

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ . البلاذرى ١ / ٢٦٧.

- المالكى : رياض النفوس ، الجزء الأول ، تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، النهضة المصرى ، القاهرة ١٩٥١م ، ص٨

(٦) البلاذرى ١ / ٢٢٨. ابن عذارى ١ / ٩ .

(٧) ابن عذارى ١ / ٩ . ابن ابى دينار ، ص ٢٦ .

(١) المالكى ١ / ١٠. ابن الأثير ٣ / ٤٥ .

[١] ، وحلت الهزيمة على جيش جرجير ثم بعث عبدا بن سعد السرايا لشن غارات سـريعة علـى قصـور قفصـة ومرمجنة [٢] وهرب الروم إلى القلاع والحصون .

ولما وجد الروم أنه لاقبل لهم بمقاومة المسـلمين طلبـوا الصلح مقابل دفع ثلاثمائة ألف دينار من الذهب واشـترطوا عليه أن يخرج من بلادهم فقبل ذلك [٣].

وعاد عبدا بن سعد إلى مصر ولم يعهد إلى أحد بولاية إفريقيا ولم يشيد حاضرة للمسلمين هناك [٤] .

ولقد توقف مشروع الفتوحات الإسلامية فى المغرب عقب الأحداث التى مرت بها الدولة الإسـلامية حيـث استشـهد الخليفة عثمان بن عفان والنزاع بين على بـن أبـى طالـب ومعاوية بن أبى سفيان .

ج – حملة معاوية بن حديج

---

(٢) المالكى ١ / ١١ . ابن الدباغ ١ / ٣٢ .
(٣) المالكى ١ / ١٢ . ابن عذارى ١ / ١٢ . ابن ابى دينار ، ص ٢٧ .
(٤) المالكى ١ / ١٢ . ابن الدباغ ١ / ٣٣ .
- ابن عذارى ١ / ١٢ .
ابن ابى دينار ، ص ٢٧ .
(٥) ابن عبد الحكم ، ص ١٨٣ . البلاذرى ١ / ٢٦٨ .

ولما قامت الدولة الأموية أدراك معاوية بن أبـى سـفيان أهمية إفريقيا ودورها المؤثر فى البحـر المتوسـط فأرسـل معاوية بن حديج الكندى على رأس حملة لمواصلة الجهاد [١].

وزحف معاوية بن حديج إلى إفريقيا علـى رأس حملـة مكونة من عشرة آلاف جندى فى سـنة ٤٥هـ ـ/٦٦٥ [٢] ويبدو أن الذى حفز معاوية على سير هذه الحملة أنه وردت أخبار إليه بتحرش الأسطول البيزنطى بالسواحل الإفريقية [٣] بقيادة نجفور بثلاثين ألف مقاتل [٤] ونزل على السـاحل فيما بين سفاقس وسوسة [٥] .

---

(٦) حسن على حسن : تاريخ المغرب فى عصر الولاة ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ص٣٣ .

(٧) المالكى ١ / ١٨ . ابن الدباغ ١ / ٣٩ . - ابن عذارى ١ / ١٦

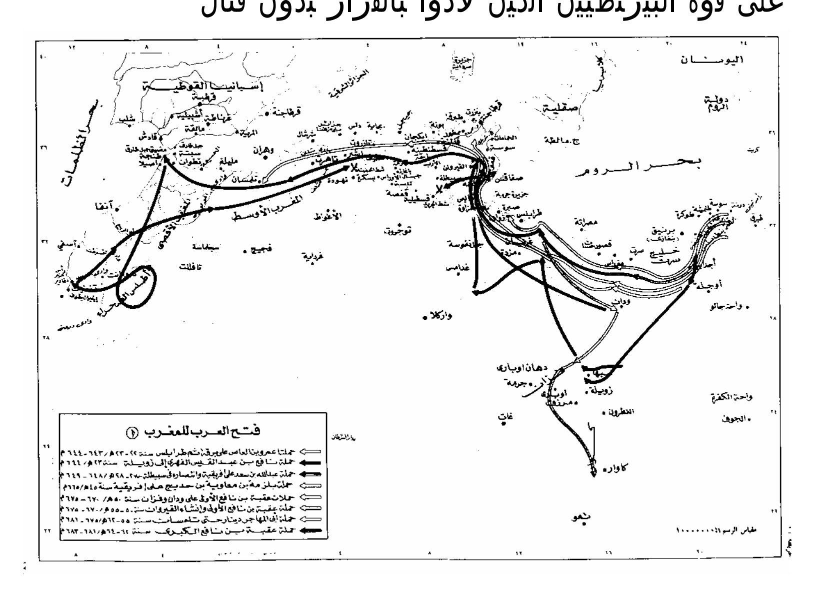
- النويرى : نهاية الأرب ، الجزء الرابع والعشرون ، تحقيق حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣م ، ص١٩ .

(١) حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ، الجزء الأول ، الدار السعودية للنشر، ص٨٥ .

(٢) ابن عذارى ١ / ١٦ . النويرى ٢٤ / ٢٠ .

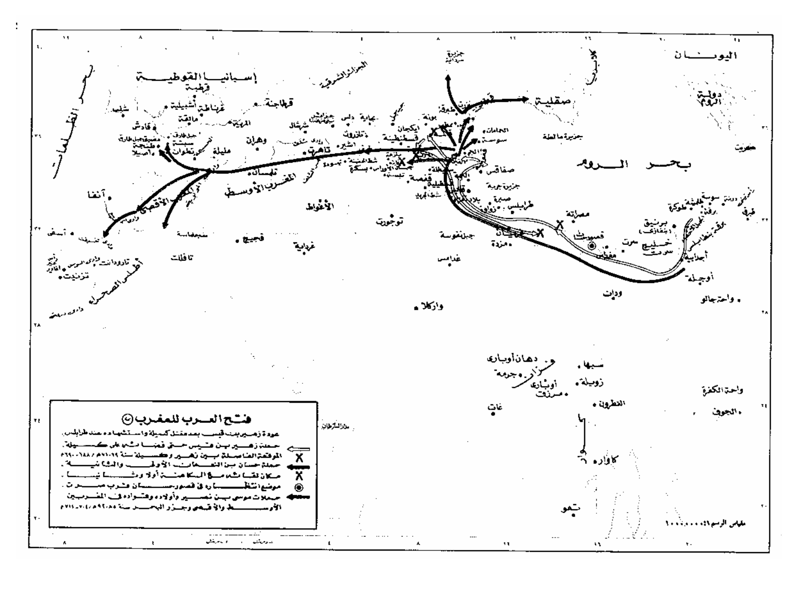
(٣) حسين مؤنس ١ / ٨٥ .

ونزل معاوية بن حديج فى قمونية التى تشرف على سفح الجبل وأرسل عبدا   ابن الزبير بحملة استطلاعية للتعـرف على قوة البيزنطيين الذين لاذوا بالفرار بدون قتال [١]



---

(٤) ابن عذارى ١ / ١٦ . النويرى ٢٤ / ٢٠ .



شكل (٢٦) خريطة فتح بلاد المغرب .

د - ولاية عقبة بن نافع الأولى (٥٠ - ٥٥ هـ / ٦٧٠ - ٦٧٤ م)

عين معاوية بن ابى سفيان فى سنة ٥٠هـ/٦٧٠م على ولاية إفريقية عقبة بن نافع الفهرى الذى أقام ببرقة وزويلة منذ أيام عمرو بن العاص(١). ولايخفى علينا أن عقبة كان من أوائل الجند الذين دخلوا برقة مع عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ/٦٤٣م ، وظل مرابطاً هناك منذ ذلك الوقت وخلال

---

(١) ابن الأثير ٣ / ٢٣٠ . النويرى ٢٤ / ٢١، ٢٢ .

إقامته التى بلغت حوالى ربع قرن من الزمان فى هذا الثغـر كان عقبة جاداً فى العمل على توطيد دعائم الإسـلام [1] .

كما حرص على إنشاء قاعدة إسلامية تنطلق منها الجيـوش فشيد مدينة القيروان سنة٥٠هـ/٦٧٠م .

ويقول أحد الباحثين ان تفكير عقبة فى إنشاء القيروان يدل على تفكير سياسى سليم فإن إنشاء مصر إسلامى فى وسـط ولاية إفريقية معناه تحول الولاية إلى بلد إسـلامى أو إلـى جزء من دولة الإسلام [2] .

وكان بناء القيروان بداية لترسيخ أقـدام المسـلمين فـى إفريقية لأن عقبة أدرك طبيعة أهل إفريقية " إذ دخلها إمـام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان منهم علـى دين ا إلى الكفر فأرى لكم يامعشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر [3] ".

---

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب الغربى ، الجزء الأول ، منشأة المعارف الأسكندرية ، ص ١٧٦ .

(٣) حسين مؤنس ١ / ٨٨ .

(٤) ابن الأثير ٣ / ٢٣ . ابن عذارى ١ / ١٩ . النويرى ٢٣ / ٢٢ .

وكان هدف عقبة من بناء القيروان أن تكون مركزاً لنشر الدعوة الإسلامية ويظهر ذلك بوضوح من دعاء عقبة " اللهم املاها علما وفقهاء وإعزها بالمطيعين والعابـدين واجعلهـا عزاً لدينك وذلاً على من كفر وأعز بها الإسلام وأمنعها من جبابرة الأرض [1] .

واستغرق بناء القيروان أربع سنوات ، وفى تلك الأثناء لم يهمل عقبة أمر الفتوحات الإسلامية ، فكان يرسل السرايا إلى مناطق مختلفة وتعود بالمغانم والأسلاب [2]

هـ – ولاية أبى المهاجر دينار

وأرسل معاوية بن أبى سفيان فى سنة٥٥هـ/٦٧٤م أبـو المهاجر دينار بدلاً من عقبة بن نافع ، وكانت ولايـة أبـو المهاجر بداية للغزو المنظم حيث كان الولاة السابقون علـى عقبة يغزون إفريقية ثم يعودون منها إلى الفسطـاط ، وأول من أقـام بهـا أبو المهاجـر دينـار حيـث مكث بها طول

---

(٥) المالكى ١ / ٦ .

- ابن الرقيق : تاريخ إفريقيا والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، تونس ١٩٦٧م ، ص٤٠ .

(٦) سعد زغلول عبد الحميد ١ / ١٨٧ .

العام [١] ، وواصل أبو المهاجر دينار زحفه إلـى تلمسـان فهـ ـ ـ ـو أول أمير وطأت قدماه المغـرب الأوسـط [٢] واتبع سياسة اصطناع البربر باللين والـود وعـادت تلـك السياسة بنتائج إيجابية حيث دخل زعيم البربر كسـيلة فـى الإسلام وتبعه كثير من بنى جلدته [٣] .

و – ولاية عقبة بن نافع الثانية

وفى خلافة يزيد بن معاوية أعاد عقبة بن نافع على ولاية إفريقية حيث قام بحملة لفتح باغاية [٤] وبلاد الجريـد [٥] وتوغل فى بلاد الزاب واستولى على تاهرت [٦] ثم دخـل المغرب الأقصى [٧] ووصل إلى طنجـة [١] ثـم سـار

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٩٧ .

(٢) ابن خلدون ٤ / ١٨٦ . - السلاوى ١ / ٣٧ .

(٣) ابن الدباغ ١ / ٤٢.

- السلاوى ١ / ٣٧ .

- صابر محمد دياب : بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص٨٢ .

(٤) ابن الرقيق ، ص ٤١ .

- ابن عذارى ١ / ٢٤ .

(٥) السلاوى ١ / ٣٨ .

(٦) ابن الأثير ٣ / ٣٠٨ .

(٧) السلاوى ١ / ٣٨ .

صوب الجنوب إلى بلاد درعة ومنها إلى أغمات وريكـة ، وعاد عقبة إلى المغرب الأوسط ، ولما وصل عقبة إلى مدينة طبنة أمر أصحابه بالانصراف إلى القيروان على شكل أفواج ، وسار إلى تهوده فى قلة من جنده فانتهز الروم تلك الفرصة وتحالفوا مع البربر للتصدى إلى عقبة بن نافع وحشدو جيشاً كبيراً ودارت معركة حامية الوطيس بين الفريقين عند تهوده ، وقتل فى هذه المعركة عقبة وأبو المهاجر ولم ينجـو مـن المسلمين سوى قلة ضئيلة ، وفى عام ٦٤هـ/٦٨٣م زحـف كسيلة إلى القيروان واستولى عليها [٢] .

ز – ولاية زهير بن قيس البلوى

ولما آلت مقاليد الخلافة إلى عبد الملك بن مروان أرسـل إلى المغرب زهير بن قيس البلوى للثأر من الهزيمـة التـى لحقت بالمسلمين فى تهوده ، والتقى زهير مع كسـيلة فـى معركة فاصلة قتل فيها كسيلة ومنى جيشه بهزيمـة قاسـية وعاد زهير إلى القيروان ، ولكنه لم يمكث بها طويلاً لأنـه فضل العودة إلى دمشق .

---

(٨) ابن عذارى ١ / ٣٥ ، ٣٦ .

(٩) ابن عذارى ١ / ٢٩- ٣١ .

وعندما علم الروم بماحل بأهل إفريقية على يد زهير بـن قيس قاموا بغارة سريعة على شواطئ المغرب للسلب والنهب من جزيرة صقلية على برقة لزعزعة الاستقرار ، وصادف ذلك عودة زهير إلى الشرق فاشتبك معهم بمن معه من قـوة قليلة فتمكن الروم من الفتك بهم [1] واستشهد زهيـر ومـن معه وقبورهم هناك تدعى بقبور الشهداء [2] .

ح – ولاية حسان بن النعمان

وأرسل عبد الملك بن مروان إلى المغـرب حسـان بـن النعمان فى سـنة ٧٤ هـ ـ / ٦٩٣- ٦٩٤ م فاستـ ـولى علـى مدينـة قرطاجنـة دار ملـك البيزنطييـن [3] ، ثم زحف لملاقاة الكاهنة زعيمة البربر التى التفوا حولها عقـب مقتل كسيلة [4] فى معركة حامية الوطيس هزم فيها حسـان وأسرت الكاهنة من المسلمين ثمانين رجلاً [5] .

---

(١) المالكى ١ / ٣٠ ، ٣١ . ابن الرقيق ، ص ٥٣ .
ابن الأثير ١ / ٣١٠ . ابن عذارى ١ / ٣٢ .
(٢) البلاذرى ١ / ٢٧٠ .
(٣) ابن عذارى ١ / ٣٥ .
(٤) ابن الأثير ٤ / ٣١ .
النويرى ٢٤ / ٣٥ ، ٣٦ .
(٥) المالكى ١ / ٣٣ .

وعاد حسان إلى برقة و قضى بها حوالى خمس سنوات (1) ، وقام ببعـض الإصلاحـات كتداويـن الدواويـن [2] وأنشاء دار لصناعة الأسطول [3] ولما تخلص الخليفة عبـد الملك بن مروان من التغلب على ثورات الخوارج جهز حملة وسيرها إلى إفريقية لنجدة حسان [4] .

ولما وصلته زحف لملاقاة الكاهنة وأنزل بالبربر هزيمـة ساحقة وقتلت الكاهنة ، وطلب البربر الأمـان مـن حسـان فأمنهم [5] .

ط – ولاية موسى بن نصير

ولم يستمر حسان بن النعمان على ولاية إفريقيـا حيـث عزله عبد العزيز بن مروان والى مصر وعين أحـد ثقاتـه

ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٠ . البكرى ، ص ٨ .

- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١، ص٣٦ .

(٦) ابن الأثير ٤ / ٣٢ .

(٧) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠١ .

ابن عذارى ١ / ٣٨ .

(٨) المالكى ١ / ٣٧ .

(٩) زاهر رياض : شمال إفريقيا ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(١) ابن الرقيق ، ص ٦٤ . ابن الأثير ٤ / ٣٢ .

ابن عذارى ١ / ٣٨ .

وهو موسى بن نصير فى سنة ٨٥هـ/٧٠٥م [١] ، وتمكن موسى من فتح قلعة زعوان [٢] وأرسل أبنيه عبـدا إلـى جزيرة ميورقة ، ومروان بحملة إلى منـاطق أخـرى مـن المغرب وعادت بغنائم كثيرة [٣] . واستولى موسى علـى طنجة وعين عليها مولاه طارق بن زياد [٤] .

ومن أهم أعمال موسى تشييد دار لصناعة السفن بتـونس لتكون نواة لترسانة إسلامية فى بلاد المغرب [٥] ، وحرص على نشر الإسلام بين صفوف البربر [٦] ، والتخطيط لفـتح الأندلس وانتهاز الفرصة المناسبة لتنفيذ هذا المشروع العظيم ونندهش من موقف الخلافة الأموية لقادة الفـتح الإسـلامى الذين أبلو بلاء حسنا فى مد السيادة الإسلامية إلـى منـاطق جديدة ، فلم تنصفهم وتشد من أزرهم بل كانت نهاية البعض

---

(٢) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثانى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية (د.ت) ، ص٣٧٢ .

(٣) ابن عذارى ١ / ٤٠ .

(٤) ابن الأثير ٤ / ١١٢ . ابن عذارى ١ / ٤٠ . السلاوى ١ / ٢٧٢

(٥) البلاذرى ١ / ٢٧٢ .

(٦) ابن قتيبة ٢ / ٦٩ . ابن ابى دينار ، ص ٣٦ .

(٧) ابن عذارى ١ / ٤٣ .

منهم قاسية ومن هؤلاء موسى بن نصير الـذى الـح عليـه الخليفة الوليد بن عبدالملك بأن يشد ركبه ويعود إلى دمشـق .وبعودة موسى تبدأ صفحة جديـدة فـى تـاريخ المغـرب الإسلامى تعرف بعصر الولاة .

ى – بلاد المغرب فى عصر الولاة

ولما تولى الخليفة سليمان بن عبدالملك عين على المغرب محمد بن يزيد (٩٧-١٠٠هـ/٧١٦-٧١٨م) الذى نقم علـى أسرة موسى بن نصير واهتم بتحصين الثغور [١] .

وفى خلافة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ ـ/٧١٩-٧٢١م) عين على المغرب إسماعيل بن أبى المهاجر الـذى تميز بعدله وحسن سيرته ، ممـ ـا جـذب البربـ ـر إلـى الدخـول فى الإسـلام [٢] ، يقول ابن عذارى [٣] عنه . " هو الذى علم أهل إفريقيا الحلال والحرام " .

وفى عهد يزيد بن عبـدالملك (١٠١-١٠٥هـ ـ/٧٢١-٧٢٤م) عين على المغرب يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج

---

(٨) ابن عذارى ١ / ٤٧ . السلاوى ١ / ٤٦ .
(١) ابن الرقيق ، ص ٩٧. النويرى ٢٤ / ٥٦ .
(٢) البيان المغرب ، جـ١ ، ص٤٨ .

بن يوسف الثقفى سنة ١٠١هـ/٧٢١م وتشدد مع أهالى المغرب متأثراً فى ذلك بسياسة الحجاج مع أهل العراق [١] فوضع الجزية على من دخل فى الإسلام [٢] ؛ مما أثار سخط أهل المغرب فتخلصوا منه ، وعينوا عليهم محمد بن يزيد مولى من الأنصار ولم يعترض الخليفة يزيد بن عبدالملك على ذلك [٣] ثم عزله وعين بشر بن صفوان الكلبى (١٠٣-١٠٩هـ-٧٢٢-٧٢٧م)[٤] الذى تمكن من إعادة الهدوء النسبى إلى المغرب ، وقام بحملة لغزو جزيرة صقلية ثم توفى بالقيروان سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م ، فعين الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ-٧٢٤-٧٤٣م) عبيدة بن عبدالرحمن الذى اضطر إلى عزل عمال بشر بن صفوان الكلبى ، وكان من بينهم أبو الخطار بن ضرار الكلبى الذى أرسل يستغيث بالخليفة هشام مما لحق بالكلبيين فأمر هشام بعزله [٥] . وعين بدلاً منه عبيدا بن الحبحاب

---

(٣) ابن الأثير ٤ / ١٨٢ . ابن خلدون ٤ / ١٨٨ .
(٤) ابن عذارى ١ / ٤٨ .
(٥) ابن الأثير ٤ / ١٨٢ .
(٦) ابن الرقيق ، ص ١٠٢ . النويرى ٢٤ / ٥٦ ، ٥٧ .
(٧) ابن عذارى ١ / ٥٠ ، ٥١ .

مولى بنى سلول (١١٦-١٢٣هـ-٧٣٤-٧٤٠م) وكـان من بلغا العرب فى حفظه لأيام العرب وشعرها ووقائعها [١] ، ومن أهم أعماله بناء الجامع ودار الصناعة بتونس [٢] .

وشهدت بلاد المغرب فى ولايته انتفاضة عارمة فحـدثت أول فتنة بإفريقيا فى الإسلام من جراء السياسة التى اتبعهـا فى جمع الأموال بكل الوسائل المتاحة[٣] وخرج عليه ميسرة الدغرى وظهرت دعوة الخوارج فى المغرب [٤] .

وكان عبدالرحمن بن حبيب الفهرى(١٢٧هـ/٧٤٥م) آخر ولاة الأمويين ، وسيظل والياً على المغرب حتى قيام الدولـة العباسية حيث دخل فى طاعة أبى العباس السفاح ولم يستمر الود فى عهد ثانى خلفاء الدولة العباسية أبو جعفر المنصور حيث أعلن عبدالرحمن خلع طاعته من بلاد المغرب [٥] .

٢- فتوح الأندلـس

---

(٨) ابن عذارى ١ / ٥١ . - السداوى ١ / ٤٨ .
(٩) ابن عذارى ١ / ٥١ . - ابن خلدون ٤ / ١٨٨ .
(١) ابن عذارى ١ / ٥٢ .
(٢) ابن عذارى ١ / ٥٤ .
(٣) نفسـ ـ ـه ، ص٦٧ . رشيد عبدا الجميلى ، ص ٣٧٥ .

طلب يليان حاكم سبته من قبل القوط من موسى بن نصير أن يمده بقوة لفتح الأندلس مبيناً أهميتها وضعف أهلها [١] ، فأرسل موسى بن نصير إلى الخليفة الوليد يستشيره فى هـذا الأمر فجاء رد الخليفة " أن خضها بالسـرايا حتـى تختبـر ولاتغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال فأرسل إليه موسى أنه ليس ببحر، وإنما هو خليج يتبين للناظر ما وراءه " .

ووافق الخليفة الوليد على فتح الأندلس بشرط ارسال حملة استطلاعية لاستكشاف الأمر وأرسل لموسى " وإن كان فلابد من اختباره بالسرايا [٢] " .

أ – حملة طريف بن ماك

أرسل موسى بن نصير حملة استطلاعية بقيادة طريف بن مالك يكنى بأبى زرعة فى رمضان سنة ٩١هـ/يوليه٧١٠م مكونة من أربعمائة رجل ومائة فارس ، عبر مضيق الزقاق على متن أربع سفن قدمها يليان لهم . ونـزل طريـف فـى جزيرة الأندلس بالقرب من الموضع الذى ستقوم فيـه بلـدة

---

(٤) ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، تحقيق عبدا أنيس الطباع ، القاهرة (د . ت) ص٤٥ .

(٥) ابن الأثير ٤ / ١٢٢ .

تحمل إسم طريف [١] . وقام المسلمون بشن سلسلة مـن الغارات على الجـزيرة الخضـراء ، وعـادت الحملـة بغنائـم كثيـرة [٢] إلى المغـرب ، لذا تسـابق المسـلمين على الغزو [٣] .

ب – حملة طارق بن زياد

فأرسل موسى بن نصير حملة لفتح الأندلس ، وأسند إلـى طارق بن زياد والى طنجة القيام بتلك المهمة . فعبر طـارق إلى الأندلس فى رمضان ٩٢هـ ـ/٧١١م ، بقـوة إسـلامية

---

(٦) تقع جزيرة طريف فى أول الحجاز المسمى بالزقاق .
أنظر الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، نشر بروفنسال ، الطبعة الثانية دار الجيل ، بيروت ١٩٩٨م ص١٢٧ .

(١) " وأصاب سبيا لم يرى موسى ولا اصحابه قبله حسنا ، ومالا جسيما وأمتعة "
- مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، الطبعة الأولى دارالكتاب المصرى ، القاهرة ١٩٨١م ، ص١٧ .
- المقرى ١ / ٢٤٢ .

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١٦ ، ١٧ . ابن الأثير ٤ / ٤٥ .
- ابن عذارى ٢ / ٥ . النورى ٢٤ / ٤٥ . الحميرى ، ص ٨ ، ١٢٧ .

مكونة من سبعة آلاف مقاتل معظمهم من البربر والمـوالى وقلة من العرب [١].

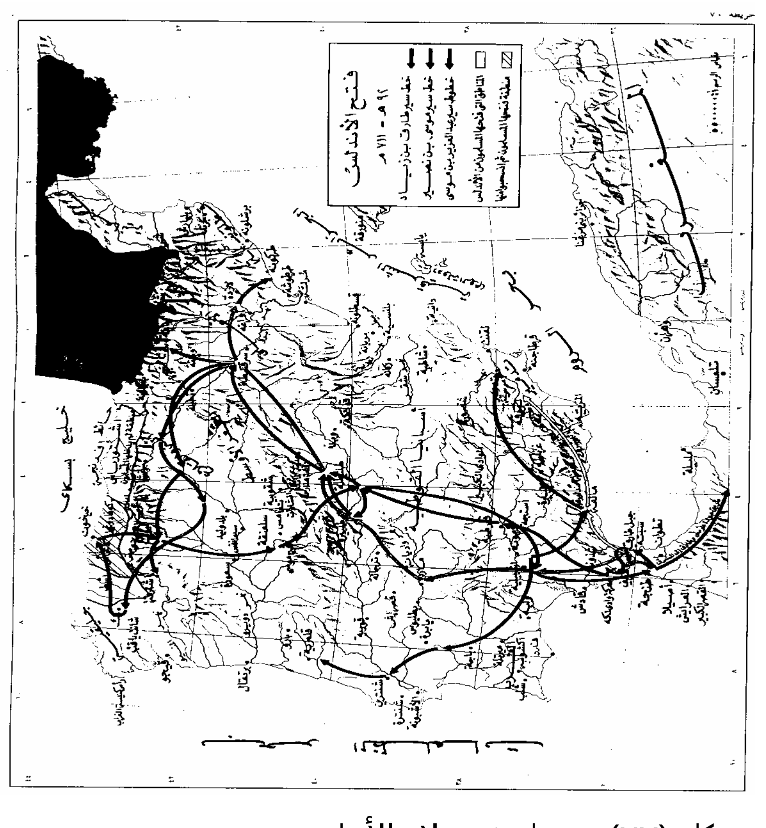
ونزل طارق على الجبل المتصل بالبر فسمى جبل طارق [٢] وأقام هناك عدة أيام بنى خلالها سور أحـاط بجيوشـه سماه سور العرب [٣].

وكانت قرطاجنة من أولى المدن التى سقطت فـى أيـدى المسلمين [٤] ومن حسن الحظ أن وقت عبور طـارق إلـى

---

(٣) مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٧ . ابن الأثير ٤ / ١٢٢ .
- النويرى ٢٤ / ٤٥ . الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص٩ .
- المقرى ١ / ٢٢١ ، ٢٤٣ . و ذكر بن خلدون " أن عدد العرب قدر بحوالى ثلاثمائة "
العبر ، جـ٤ ، ص١١٧ .
(٤) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٥ .
- ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية،
مدريد ١٩٧١م ، ص ٤٦ .
- ابن خلدون ٤ / ١١٧ .
(٥) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية، ص ٢٩ .
(٦) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٦ .

الأندلس كان مناسباً تماماً فكان القوطى لذريق مشغولا بالقضاء على بعض الأضطرابات الداخلية فى أقصى الشمال فى بنبلونة لقتال البشكنس [1] .



شكل (٢٧) خريطة فتح بلاد الأندلس .

---

(٧) نفسه ، ص ٢٠٦ .

ولما علم لذريق بنزول المسلمين إلى الأندلس عبأ جيشـاً ضخماً وصل تعداده إلى مائة ألف [1] ، وجعلها ابن قتيبة [2] سبعين ألفا ، وابن خلدون [3] أربعين ألفا .

ولقد وصلت أنباء حشود لـذريق للتصـدى للمسـلمين ، فأرسل طارق بن زياد إلى موسى بن نصير يطلب منه المدد " إن الأمم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث [4]

وأمده موسى بخمسة آلاف جندى وأرسل معهـم يليـان " يدلهم على العورات وتجسس لهم الأخبار [5] " .

وحدث اللقاء الفاصل بين المسلمين والقوط فى يوم الأحد ٢٨من رمضان ٩٢هـ/١٩يوليو ٧١١م فى وادى البرباط أو

---

(١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٧ .   ابن الكردبوس ، ص ٤٧ .
- النويرى ٢٤ / ٤٧ .   المقرى ١ / ٢٢١ .
(٢) الإمامة والسياسة ، جـ٢ ، ص٧٤ .
(٣) العبر ، جـ٤ ، ص١١٧ .
(٤) ابن قتيبة ٢ / ٧٤ .
(٥) النويرى ٢٤ / ٤٧ .
المقرى ١ / ٢٢١ .

وادى لكة[١]، واستمر القتال بين الطرفين لمدة ثمانية أيام[٢] وانتهى اللقاء بهزيمة ساحقة للقوط [٣] .

وجنى المسلمون غنـائم كثيـرة مـن الـذهب والفضـة والجواهر [٤] ، وواصل طارق زحفه إلى أسـتحة للقضـاء على بقايا جند القوط الذين فروا إليها [٥] .

وأشار يليان على طارق أن يفرق جيشه إلى فـرق لفـتح مدن الأندلس الأخرى [٦] فأرسل مغيـث الرومـى مـولى عبدالملك بن مروان إلى قرطبة بقوة مكونة مـن سـبعمائة فارس ودبر حيلة للإستيلاء على قرطبة ونجحت خطته وفر حاكم قرطبة إلى إحدى الكنائس بغرب المدينة وتحصن بهـا

---

(٦) ابن القوطية ، ص ٣٣ . المقرى ١ / ٢٣٨ .

(٧) ابن الكردبوس : تاريخ ابن الكردبوس (مقدمة المحقق ، ص٢٧) .

(٨) مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٨ .

(٩) ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار إفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، الطبعة الثانية ، تونس ١٩٧٦م ، ص ٣٦ .

(١٠) مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٩ . ابن الأثير ٤ / ١٢٢ . - النويرى ٢٤ / ٤٧

(١١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٩ . ابن عذارى ٢ / ٩ .

لمدة ثلاثة شهور ثم يأس من الحصار وفر إلى أحدى الجبال المحيطة بقرطبة ولكن مغيث قبض عليه وأخذه أسيراً [١] .

كما أرسل طارق جيشاً لفتح مالقة وبلادان رية [٢] ، أمـا طارق فزحف بجيش إلى طليطلة ولم يجد فيه سوى اليهـود وقلة من سكانها لأن غالبيتهم هربوا إلى مدينة خلف الجبـل المحيط بطليطلة ، وتتبـع طـارق فـلولهـ ـم إلـى وادى الحجـارة وقطع الجبـل من فـج يطلـق عليـه الآن فـج طارق[٣]. وعاد طارق إلى طليطلة ليقضى فصل الشتاء [١١]

---

(١٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٠ ، ٢١ . ابن عذارى ٢ / ١٠٧ .

- المقرى ١ / ٢٤٩ – ٢٥١ .

(١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢١ . ابـن عذارى ٢ / ١١ .

- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، حققه محمد عبدا عنان ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص١٠٧ . - المقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٥٢

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٣ ، ٢٤ . ابن الأثير ٤ / ١٢٣ .

- ابن عذارى ٢ / ١٢ . ا لمقرى : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٥٣ .

ج – حملة موسى بن نصير

كما عبر موسى بن نصير إلى الأندلس فى سنة ٩٣هـ ، بحملة مكونة من ثمانية عشر ألفا [٢] وبصحبته مجموعـة من وجوه العرب نخص بالذكر منهم حبيب بن أبـى عبـدة الفهرى ، وعلى بن رباح اللخمى ، وحيوة بن رجاء التميمى ، وحنش بن عبدا الصنعانى ، وبعض المـوالى وعرفـاء البربر [٣] .

ولقد نزل موسى فى الجزيرة الخضراء وبنى فيها مسجداً عرف بالرايات نسبة إلى اكتمـال رايـات المسـلمين [٤] ،

---

(٣) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص٧٩ .

(٤) ذكر ابن الشباط أن عدد جند موسى عشرة الألف (وصف الأندلس ، ص١٤٥).

(٥) ابن عبد الحكم ، ص ٢٠٧ .
مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٤ .
- ابن خلدون ٤ / ١١٧ .
المقرى ١ / ٢٥٧ .

(٦) حسين مؤنس ، ص٩١ .

وسلك طريقاً غير الذى فيه طـارق [1] ليـؤمن الأجـزاء الأخرى من الأندلس .

وفتح موسى شذونة عنوة [2] ثم زحف إلـى قرمونـة ودخلها من وجهة باب قرطبة [3] ثم زحف إلـى أشـبيلية وحاصرها لمدة شهر ، وكانت من أعظـم مـدن الأنـدلس تحصناً ، وضم موسى يهودها إلى حامية المدينة .

وسار موسى إلى ماردة وأستولى فى طريقه على لقنـت التى سلم أهلهـا بدون مقاومة[4] وفتحـت ماردة صلحـاً فى آخـر رمضـان سنة ٩٤هـ . وفى تلك الأثناء انتهـز عجم اشبيلية فرصة انشغال طارق بحصار مـاردة وثـاروا على الحامية الإسلامية وقتلوا منهم نحو ثمانين رجلاً [5] .

---

(٧) مجهول : أخبار المجموعة ، ص٢٤ . ابن الأثير ٤ / ١٢٣ . - المقرى ١ / ٢٥٧ .

(٨) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٤ . ابن القوطية ، ص ٣٥ .
- ابن عذارى ٢ / ١٣ . المقرى ١ / ٢٥٧ .

(٩) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٤ . ابن الأثير ٤ / ١٢٣ .
- ابن عذارى ٢ / ١٢ .

(١) حسين مؤنس ، ص ٩٢ .

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٦ . المقرى ١ / ٢٥٨ .

ولما علم موسى أرسل حملة بقيادة ابنه عبدالعزيز وأعـاد فتحها ثم زحـف عبدالعزيز إلى لبلة وعاد مرة ثانيـة إلـى اشبيلية[1] وسار موسى إلى طليطلة والتقـى بطـارق عنـد طلبيرة[2]

ولقد بالغ المؤرخون فيما حدث بـين القائـدين موسـى وطارق عند لقائهما حيث ذكرو أن موسى وضع السوط على رأس طارق ووبخه[3].

ولكن الثابت أن عتاباً رقيقاً أو اختلافاً فى وجهات النظـر فى بعض الأمور التى كانت تحتاج إلى توضيح وانتهى الأمر باعتذار طارق بقوله " إنما أنا موالاك، وهذا الفتح لك[4]

---

(٣) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٦ .
ابن الأثير ٤ / ١٢٣ .
- ابن عذارى ٢ / ١٥ .
المقرى ١ / ٢٥٨ .
(٤) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٦ .
المقرى ١ / ٢٥٨ .
(٥) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٢٦ .
ابن الأثير ٤ / ١٢٣ .
- ابن عذارى ٢ / ١٦ .
النويرى ٢٤ / ٥١ .
(٦) ابن الرقيق ، ص ٧٨ .

وبعد ذلك سار موسى وطارق صوب الشمال لفتح مدنـه ففتحت سرقسطة سنة٩٤هـ/٧١٢م وأسس بها حـنش بـن عبدا الضعانى مسجدا ، ثم غزا موسـى لاردة وطركونـة ووشقة [١] .

ولما عزم موسى على اقتحام جليقية وفـد عليـه مغيـث الرومى رسولاً من الخليفة الوليـد بـن عبـدالملك يـأمره بالخروج من الأندلس والتوجه إلى دمشق وماطل موسى حتى ينفذ خطته لغزو جليقية مقابل أن يكون شريكه فـى الأجـر والغنيمة ثم أوفد الخليفة الوليد رسولاً آخر يطلب من موسى العودة إلى دمشق [٢] .

على أية حال عاد موسى وطارق من جليقية علـى الفـج المعروف بفج موسى وساروا معاً إلى اشبيلية التى اسـتخلف

- المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، الطبعة الأولى ،
القاهرة ١٩٤٩م ، ص٣٤ .

(٧) حسين مؤنس ، ص ١٠٣ السيد عبد لعزيز سالم ، ص١٠١

(٨) المقرى ١ / ٢٦٣ .

موسى عليها ابنه عبدالعزيز وأقره والياً على الأندلس وأختار موسى هذه المدينة لتكون مقر حكم الأندلس لاتصالها بالبحر[1].

ويشير أحد الباحثين إلى أن أصرار الخلافة الأموية بعودة موسى ضيع على المسلمين فرصة ذهبية للأمتداد فى قلـب أوربا ليكون الوجود الإسلامـى فى مأمـن مـن تلـك الغـارات التى انطلقـت على أسبانيـا من الشمال [2] .

د – الأندلس فى عصر الولاة

أهتم عبدالعزيز بن موسى بتنظيم أمور الأندلس وحمايـة ثغورها[3] وتزوج أمراة لذريق التى أشارت عليـه بلـبس التاج فشك بعض قادة الجند فى إسلام عبدالعزيز وثاروا عليه فقتلوه [4] .

ومن المرجح أن قتل عبدالعزيز تم بمؤامرة دبرها والـى المغرب محمد بن يزيد من قبل سليمان بن عبدالملك وبـين

---

(١) نفســه ، ص٢٦٣ .
(٢) محمد عبدا عنان ، ص ٥١ .
(٣) ابن الأثير ٤ / ١٤٤. ابن عذارى ٢ / ٢٤ .
(٤) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

حبيب بن عبدة الفهرى ونفـراً من الجنـد قرروا قتلـه دون الرجوع إلى الخليفـة سليمان بن عبدالمـلك[1] .

وعين أهل الأندلس عليهم أيوب بن حبيب الذى نقل مقـر حكم الأندلس من أشبيلية إلى قرطبة ودامت ولاية أيوب على الأندلس سنة وأشهر ثم عزله محمد بن يزيد والى المغـرب وأرسل بدلاً منه الحر بن عبدالرحمن واستمرت ولاية الحـر ثلاث سنين [2].

وفى خلافة عمر بن عبدالعزيز أراد أن يجعـل الأنـدلس ولاية مستقلة عن إفريقية تتبع الخلافة مباشرة فعـين عليهـا السمح بن مالك الخـولانى سـنة ١٠٠هـ ـ/٧١٨م وأمـره بتخميس أراضى المسلمين ، ويخرج منها ما فتح عنوة خمساً من أرضها وعقارها . كما طلب الخليفة عمر من السـمح أن يكتب تقريـراً عن حال المسلميـن فى الأندلـس لأنـه راودته فكرة ترك الأندلس [3] ، ولكـن السمـح طمـأن الخليـفة عمر على وضع المسلميـن هنـاك[4] ونشـطت

---

(٥) حسين مؤنس ، ص ١٣٢ .

(٦) ابن عذارى ٢ / ٢٥ .

(١) مجهول : أخبار مجموعة ، ص٣٠ . ابن عذارى ٢ / ٢٦ .

(٢) ابن القوطية ، ص ٣٩ .

حركة الفتح الإسلامى فى ولاية السمح فيمـا وراء البرتـات فتوغل فى غالة حتى أدرك طرسونة وواصل زحفـه حتـى وصل إلى طولوشة والتقى الجيش الإسلامى مع جيش الدوق أودو بالقرب من طولوثة واشتد القتال بين الجـانبين وهـزم المسلمين فى هذه المعركة واستشهد السمح بن مالك فى يـوم عرفة سنة ١٠٢هـ/٧٢١م [١] .

وتولى قيادة الجيش عبدالرحمن بن عبدا الغافقى الـذى ارتد إلى الجنوب وتم اختياره والياً على الأندلس، وأفلح فـى إخماد الثورات التى ظهرت فى شمال الأندلس[٢] ثم عزلـه عامل إفريقية وعين على الأندلس عنبسة بن سـحيم الكلبـى ومن المعروف أن الأندلس عادة ولاية تابعة إلى إفريقية فـى عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك [٣] .

وقام عنبسة بحملة لغزو الفرنج ونزل مدينـة قرقسـونة وسيطر عليها وصالحه أهلها على نصف أعمالها وأن يعطوا الجزيـة ثـم تـوفى عنبسـة فـى شـهر شـعبان سـنة

---

(٣) حسين مؤنس ، ص ٢٤٥ . السيد عبدالعزيز سالم ، ص ١٣٧ ، ١٣٨

(٤) محمد عبدا عنان ، ص ٧٧ .

(٥) حسين مؤنس ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

١٠٧هـ/٧٢٥م[١] ثم تولى حكم الأندلس عبدالرحمن الغافقى فغزا بلاد الفرنجة وتوغل فى أرضهم وجنى غنائم كثيرة ثـم قام بحملة أخرى إلى بلاد الفرنجة فى سنة١١٤هـ ـ/٧٣٢م والتقى معهم فى المعركة الشهيرة المعروفـة باسـم بـلاط الشهداء فاستشهد عبدالرحمن ومعه كثيراً من جنده [٢] .

٣- فتوح السـند

تقع السند شرقى إيران على ساحل بحر الهند [٣] عرفها ياقوت [٤] بقوله "السند بلاد بين الهند وكرمان وسجستان ، وبعض العلماء يجعل مكران منها ، وهى خمس كور فأولها من قبل كرمان مكران ثم خوران ، ثم السند ثـم الهنـد ثـم الملتان " .

واتصل العرب بالهند اتصالاً مباشراً قبل الإسـلام عـن طريق التجارة البرية والبحرية، ولهذا السـبب كـان لـدى

---

(٦) ابن الأثير ٤ / ١٩٧ .
(٧) نفسـ ـ ـه ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .
(١) عبد المنعم ماجد ٢ / ٢٢٨ .
(٢) ياقوت : معجم البلدان ، الجزء الثالث ، دار صادر ، بيروت د.ت ، ص٢٦٧ .

العرب معرفة كبيرة بـبلاد الهنـد وحضـارتها ومواردهـا الاقتصادية[١] .

ولقد بدأت أولى حملات الفتح إلى السند منذ خلافة عمـر بن الخطاب حيث قام والى البحرين عثمان بن أبى العـاص الثقفى سنة ١٥هـ/٦٣٦م بحملة للغارة على السـند . كمـا أوفد عبدا بن عامر والى العراق من قبل الخليفة عثمان من لديه خبرة بثغر الهند فأرسل حكيم بن جبلة العبرى وأرسـل الخيلفة على بن أبى طالب إلى ثغر الهند الحارث بـن مـرة العبدى وجنى من غزوته غنائم كثيرة ثم قتـل ومـن معـه بأرض القيقان من بلاد السند سنة ٤٢هـ/٦٦٢م[٢]. ووجه عبدا بن عامر سنة ٤٣هـ/٦٦٣م[٣] عبدا بـن سـوار العبدى ويقال أن الذى ولاه معاوية فغزا القيقان وعاد بغنـائم كثيرة على معاوية فاهدى له خيلاً قيقانية ثم قتل فى غزوتـه الثانية للقيقان بمساعدة الترك سنة ٤٧ هـ / ٦٦٧ م[٤]

---

(٣) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص٣٥٧ .
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، القسم الثالث ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١
(٥) وردت سنة ٤٥ هـ عند خليفة الخياط ،ص ٢٠٥ .
(٦) ابن الأثير ٣ / ٢١٨ .   ياقوت ٤ / ٤٢٣ .
- ابن خلدون ٣ / ٦   وانظر أيضا ..

وفى سنة ٤٤هـ/٦٦٤م غزا المهلب بن أبى صفرة ثغـر السند فأتى بنة والأهواز وهما بين الملتان وكابل واشتبك مع أهلها [١] وفـى خلافـة الوليـد بـن عبـدالملك أرسـل الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق محمد بن القاسم الثقفى لفتح بلاد السند سنة٩٢هـ/٧١٠م بحملة مكونة مـن سـتة آلاف فارس فاستولى على مكران وفنزبور ثم زحـف إلـى الديبل وعبر نهر السند وسار نحو شط مهران وعلـم داهـر ملك السند بذلك فوجه إليه جيشاً أنزل به محمد بـن القاسـم هزيمة ساحقة ثم أعد داهر جيشاً آخر للدفاع عن بلاده ولكنه منى بالهزيمة .

وحقق محمد بن القاسم انتصارات ساحقة فى بلاد السـند حتى وصل إلى الرور وهى أعظم مدن السـند ، وفـرض عليها الحصار ثم استسلم أهلها وفتحوا أبواب المدينة وطلبوا الأمان [٢].

- محمد نصر مهنا : انتشار الإسلام فى آسيا ، الجزء الأول ، المكتب الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ م ، ص ١٠٩ .

(٧) ابن الأثير ٣ / ٢٢١ .

(١) اليعقوبى ٢ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

وفى خلافة سليمان بن عبدالملك عين على بـلاد السـند حبيب بن المهلب ، ولبى أهل السند دعوة الخليفة عمر بـن عبدالعزيز إلى الدخول فى الإسلام مقابل أن يملكهـم علـى بلادهم ويكون لهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات ، وتسموا بأسماء العرب وكان عمرو بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر ثم أسندت إلى الجنيد بن عبدالرحمن فـى خلافـة هشام بن عبدالملك [١] .

٤- فتح بلاد ما وراء النـهر

ما وراء النهر لفظ استخدمه المؤرخـون والجغرافيـون المسلمون للتعبير عن المنطقة المحصورة بين نهرى جيحون فى الجنوب ، وسيحون فى الشمال ، وتقع فى الشمال الشرقى من حدود الدولة الفارسية القديمة . وسكان هذه المنطقة مـن العنصر التركى الذى انحدر إليها من الشرق [٢] .

وتنقسم بلاد ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم هى :

١ – الصغد وهو صغديانا القديمة مـع قصـية بخـارى وسمرقند .

---

(٢) البلاذرى ٣ / ٥٤٠ . ابن الأثير ٤ / ١٣٤ .

(٣) عبد الشافى محمد عبد اللطيف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص٣٣ .

٢ – خوارزم وهو الاقليم المعروف اليوم بـ " خيـوة " ويشتمل على دلتا نهر جيحون .

٣ – الصغانيان فى الجنوب الشرقى ومعه الختل وغيرهما من الكورة الكبيرة التى تقع فى أعالى جيحون . وإليه أيضـا تعود بذخشان وإن وقعت فى ضفته اليسرى ، أى الجنوبيـة فإن المنعطف الكبير للنهر فيما وراء طخارستان يكاد يطوقها .

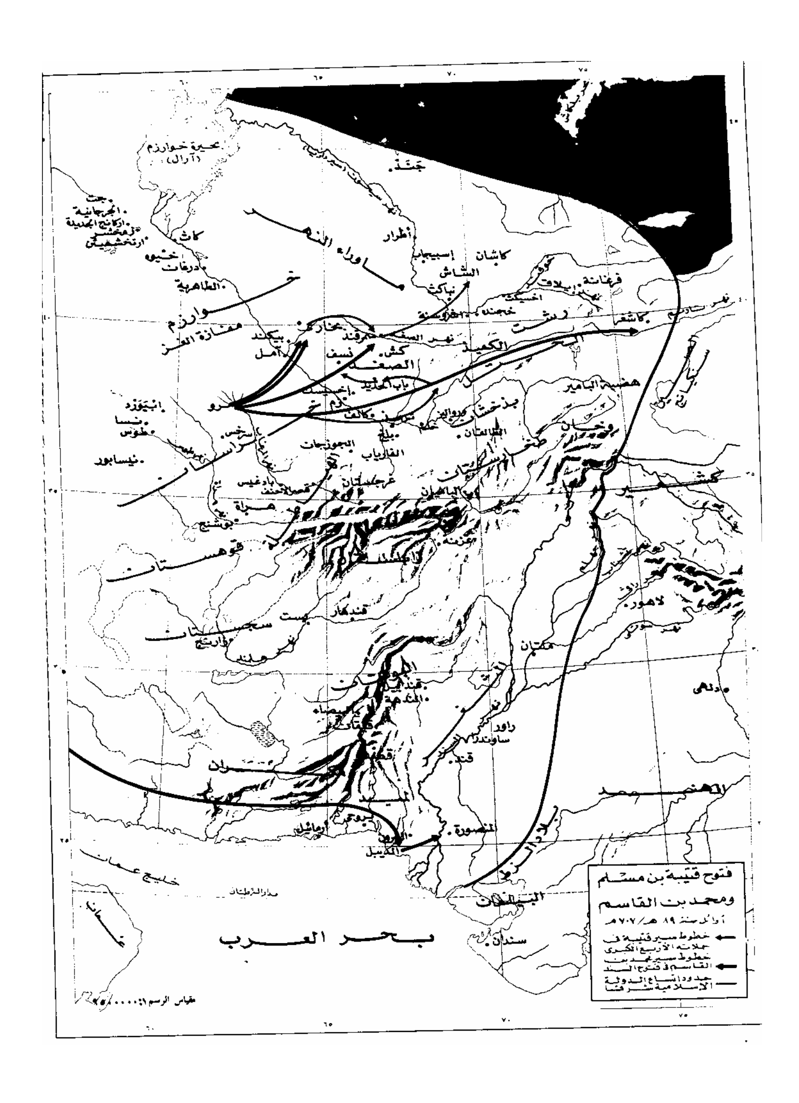
٤ – إقليم فرغانة فى أعلى نهر سيحون .

٥ – إقليم الشاش وهو اليوم إقليم طشقند مع النواحى التى فى الشمال الغربى الممتدة حتى مصب سيحون فـى منـاقع بحر أرال [(١)].

ولما استقرت أمور الدولة الأموية فى عهد معاوية بن أبى سفيان تطلع إلى غزو بلاد ماوراء النهر عن طريق السـرايا والبعوث وأتخذ مرو قاعدة للغزو .

---

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة / كوركيس عواد الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٧٦ – ٤٧٧ .
- محمود شيت خطاب : بلاد ما وراء النهر ، الطبعة الرابعة ، دار قتيبة ، بيروت ، ١٩٩٠ م
ص ٥ – ٦ .



شكل (٢٨) خريطة فتح بلاد ما وراء النهر .

وكان أول من عبر النهـر عبيـد الله بـن زيـاد سـنة ٥٤هـ/٦٧٤م ، ومـن بعـده سـعيد بـن عثمـان سـنة ٥٥هـ/٦٧٥م ، وفى عهد يزيد بن معاوية عبر مسـلم بـن زياد ومعه المهلب بن أبى صفرة سنة ٦١هـ/٦٨٠م [١] .

وفى سنة ٧٧هـ/٦٩٦م عبر النهر أمية بن عبـدالله بـن خالد عامل خراسان . وغزاها المهلب بن أبى صفرة الـذى وليها بعد عزل أمية سنة ٧٨هـ / ٦٩٧م .

وفى عهد الوليد بن عبدالملك أرسل الحجاج بن يوسـف والى العراق القائد قتيبة بن مسلم الباهلى إلى بـلاد مـاوراء النهر [٢] .

ويمكننا أن نقسم الفتح العربى لبلاد ماوراء النهر إلى عدة مراحل هى:-

المرحلة الأولى سنة ٨٦هـ/٧٠٥م وفيها استعاد العـرب منطقة طخارستان السفلى وأخمدوا الثورات التى نشبت فيها ، كما استولى على الطالقان وبلخ .

---

(١) عبد المنعم ماجد ٢ / ٢٢١ .
(٢) نفسـه ، جـ٢ ، ص٢٢٢ ، ٢٢٣ .

المرحلة الثانية من سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥-٧٠٦م إلى سـنة ٩٠هـ/٧٠٨م وفيها استولى قتيبة علـى بخـارى ، وكـان لسقوط بخارى أثر كبير فى البلاد كلها ، فقد أبرز مدى قـوة العرب فى هذه المرحلة الجديـدة وسـارع ملـك سـمرقند بالأتصال بقتيبة لوضع شروط للصـلح وتجديـد المعاهـدة القديمة التى كانت قد عقدت مع سلم بن زياد .

المرحلة الثالثة مـن سـنة ٩١هـ ـ/٧٠٩م إلـى سـنة ٩٣هـ/٧١١م ، وفيها امتد النفوذ العربى إلى وادى جيحون وبلاد الصغد .

المرحلة الرابعة مـن سـنة ٩٤هـ ـ/٧١٢م إلـى سـنة ٩٧هـ/٧١٤م اتجهت الحمـلات العربيـة إلـى إخضـاع المقاطعات الواقعة على نهر سيحون.

وأرسل حملات لفتح مدن أخـرى كفرغانـة وخـوارزم وكرمنية وتوغل قتيبة فى غزواته حتى كاشغر مقتربـاً مـن حدود الصين [١] .

---

(٣) حسن أحمد محمود : الإسلام فى أسيا الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٢م
ص ١٤٧ - ١٤٩ .
- عبد الشافى محمد عبد المطلب ، ص ٣٤٣ - ٣٤٩ .

٥- الحـصار الإسلامى للقسطنطينية

ا- حصار القسطنطينية الأول(٤٨-٥٠هـ/٦٦٨-٦٧٠م)

عندما استقر الأمر لمعاوية بن أبى سفيان استأنف جهـاده ضد الروم ، فقد أوغل فى بلاد الروم وهو وال على الشـام زمن الراشدين ، وقد كانـت الطلائـع المبكـرة لحصـار القسطنطينية الجديد فى عهد الخليفة معاوية تتمثل فى حملات الشواتى والصوائف [١] حتى قيل أن بسر بن أبـى أرطـاة غزا الروم وشتى بأراضيهم سنة ٤٣هـ/٦٦٣م .

ولقد تعددت حملات الشواتى والصوائف سنوياً حتى نهاية حكم معاوية ، ويجوز أن يكون حصـار القسـطنطينية قـد استغرق أكثر من صائفة بسبب الإختـلاف فـى سنـة

- عبد المنعم ماجد ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٧ .

- حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربى القاهرة ، ص١٣١ .

(١) كانت الصوائف أحب إلى العرب لأنهم كانوا أكثر احتمالاً للحر من عدوهم وأقل صبرا على البرد ويبدو أن العرب لم يستقروا فى شمال الشام وراء انطاكية .

عمر فروخ : العرب والإسـلام فى الحوض الشرقـى من البحر الأبيض المتوسط ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٩٢ .

أستشهـاد أبى أيوب الأنصـارى مابيـن سنتـ ـى ٤٨ – ٥٢ هـ [١] . وقد دفن خارج المدينة قريبـا مـن سـور القسطنطينة و لا يزال قبرة بها يزار للآن وعليه مسجد [٢] .

٢- الحصـ ـ ـ ـارالثانى للقسـ ـ ـطنطينية (٥٤-٦٠هـ/٦٧٤-٦٨٠م)

كان الغـزو الإسلامى للقسطنطينية الثانى يعرف بحرب السـنوات السـبع التـى دارت رحاهـ ـا بـين المسـلمين والبيزنطيين أمام أسوار القسطنطينية ، وقاست القسـطنطينية كثيراً من جراء هذا الحصار ، ولكنها نجت مـن الحصـار الإسلامى بفضل النار الأغريقية التى كانت تشتعل على سطح الماء [٣] . علاوة على مناعـة المدينـة الطبيعيـة، وقـوة تحصينها، ورداءة الطقس [٤] .

---

(٢) فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، ص٤٥ .
(٣) محمد الخضرى ٢ / ١١٥ .
(٤) على إبراهيم حسن ، ص٣٢٤ .
- إبراهيم أحمد العدوى: الأمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة النهضة، القاهرة،
ص٥٦ . فتحى عثمان ، ص٤٩ .
(٥) عبد الشافى محمد عبد اللاطيف ، ص ١١٥ – ١١٦ .

وكانت خطة المسلمين الحربية فى تلـك الفتـرة قضـاء الشتاء فى جزيرة كيزيكـوس وفـى الربيـع يحاصـرون القسطنطينية براً وبحراً حتى يقبل الخريف فيعودون لقضـاء الشتاء فى كيزيكوس وظل المسلمون يجاهدون علـى هـذا المنوال دون أن تتمكن أساطيلهم أو جيوشهم من الإسـتيلاء على المدينة (١) .

ولما توفى معاوية أنشغل خلفاؤه بالأضطرابات الداخليـة فكانت فرصة ذهبية هيأت للدولة البيزنطية أن تلتقط أنفاسـها من الخطر الإسلامى ، وتمكن الإمبراطور قسطنطين الرابع من شن إغارات على الشام نفسها بواسطة أعوانـه المـردة سكان اللكام فى شمال الشام (٢) .

٣- الحصـــار الثالــث للقســطنطينية (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م)

تابع الخليفة سليمان بن عبدالملك سياسـة أخيـه الوليـد الرامية إلى توجيه ضربة كبيرة للقسطنطينية (٣) ، فلم يتوان فى أرسال تلك الحملة وشجعه على ذلـك أن القسـطنطينية

---

(١) إبراهيم أحمد العدوى ، ص ٥٦ .
(٢) نفســه ، ص ٥٩ .
(٣) فتحى عثمان ، ص ٨٦ .

كانت فى حالة ضعف تام فارسل سنة ٩٨هـ ـ/٧١٦م قـوة برية تبلغ ثمانين ألفا إلى إسيا الصغرى تحـت قيـادة أخيـه مسلمة بن عبدالملك كما أمر عمر بن هبيرة قائد الإسـطول العربى على القوة البحرية بالأبحار إلى القسطنطينية ، ورابط سليمان بقوة حربية عند دابق بالقرب من حلب ليمد الحملـة بما يلزمها وقت الحاجة [١] .

واتم مسلمة بن عبد الملك استعداده مـن حيـث العتـاد العسكرى والطعام للجند والدواب، والأخشاب اللازمة لإقامة بيوت تقى الجند من برد الشتاء .

تحرك الجيش الإسلامى الذى كان عدده حوالى ثمانين ألفاً وكان معهم ١٨٠٠ سفينة كبيرة ، عدا سفن صغيرة أخـرى كثيرة ، وأخذ مسلمة ينظم التعـاون بـين القـوات البريـة والبحرية لاتمام خلقة الحصار على القسطنطينة فاضـطلعت قوات مسلمة البرية بحصار أسوار المدينة من الناحية البرية ، على حين عمد سليمان أمير البحر إلى سد المنافذ والمسالك

---

(٤) النويرى ٢١ / ٣٤٧ – ٣٤٨ . قارن مجهول : العيون جـ ٣ ، ص٣٤ – ٣٥ .

- على إبراهيم حسن ، ص ٣٥٩ . إبراهيم أحمد العدوى ، ص ٦٠ .

المائية التى يمكن أن تحصل منها العاصمة علـى الإمـداد والمؤن ثم حاصر أسوار المدينة البحرية كذلك [١] .

وفى تلك الأثناء إجتاح مسلمه اسيا الصغرى ووصل إلى بلادة عمورية وحاصرها فلجأ القائد البيزنطى ليـو الأزورى الذى كان يتولى أمر الدفاع عن المدينة إلى عقد صـلح مـع مسلمة مقابل جزية سنوية يدفعها للمسلمين .

ولم يف ليو الأزورى بما قطعه على نفسـه مـن وعـد وفرض مسلمة الحصار على القسطنطينية ولكنها نجت بفضل النار الأغريقية ونفاذ المؤن والذخيرة وعلـم بحـال الجنـد الخليفة عمر بن عبدالعزيز فأمر بعودة الحملة إلى الشام [٢]

وقد عادت القوات البرية فى بداية سنة ٩٩هـ ـ/٧١٧م ، وفى أثناء الأنسحاب حاول الروم التصدى للجيش الإسلامى .

كما حاول أمير طوانة البيزنطى مع قـوة مـن ٦٠٠٠٠ رجل أرسلها ليو مفاجأة المسلمين ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل [٣] .

---

(١) عبد الشافى محمد عبد اللطيف ، ص ١١٦ – ١١٧ .
(٢) على إبراهيم حسن ، ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ وراجع
- إبراهيم أحمد العدوى ، ص ٦٠- ٦٢ .
(٣) فتحى عثمان ، ص ٩٦ .

المصادر والمراجع

أولاً المصادر

١ – ابن أبى الدم : (أبو أسحاق شهاب الدين إبراهيم ١١٨٧ – ١٢٤٤ م) التاريخ الإسلامى المعروف بالتاريخ المظفرى، الجزء الأول، حققه / حامد زيان، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٥ .

٢ – ابن أبى دينار : (أبو عبد ا محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى) المؤنس فى ذكر بلاد إفريقيا وتونس، تحقيق / محمد شمام، الطبعة الثانية، تونس، ١٩٧٦ م .

٣ – ابن الأبار : (أبو عبد ا محمد بن عبد ا القضاعى ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) الحلة السيراء، الجزء الأول، تحقيق / حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥ م .

٤ – ابن الأثير : (أبى الحسن على بن عبد الواحد الشيبانى ت ٦٣٠ هـ / ٢ – ١٢٣٣ م) الكامل فى التاريخ، ١٠ أجزاء دار الفكر، بيروت،(د . ت) .

٥ – الازرقى : (أبى الوليد محمد بن عبدا بن أحمد) أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار، الجزء الأول ، تحقيق / رشدى الصالح ملحس، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩ م .

٦ – ابن إسحاق : (محمد بن إسحاق بن يسار ت ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدا

والمبعث والمغازى، تحقيق وتعليق / محمد حميد ا ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، فاس، ١٩٧٦ م .

٧ – الاصفهانى : (حمزة بن الحسن) كتاب تاريخ سنى ملوك الأرض والانبياء، مطبعة كاويانى، برلين .

٨ – ابن أعثم الكوفى : (أبو محمد أحمد بن ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) كتاب الفتوح، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الندوة بيروت (د . ت) .

٩ – البغدادى : (عبد القادر بن ظاهر بن محمد ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) الفرق بين الفرق، تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد دار التراث، القاهرة (د . ت) .

١٠ – البكرى : (أبو عبيد البكرى ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد (د . ت) .

١١ – البيهقى : (إبراهيم بن محمد عاش فى القرن الرابع الهجرى) المحاسن والمساوئ، قدم له / محمد سويد، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٨ م .

١٢ – البلازرى : (أحمد بن يحيى ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) فتوح البلدان،

٣ أجزاء، تحقيق / صلاح الدين المنجد النهضة المصرية، القاهرة (د . ت) .
١٣ - البلازرى : أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق / محمد حميد ا ، دار المعارف، القاهرة (د . ت) .
١٤ – التجانى : (أبو محمد عبد ا بن محمد إبراهيم) رحلة التجانى، تحقيق / حسن حسنى عبد الوهاب، تونس ١٩٥٨ م .
١٥ – الجهيشارى : (أبو عبد ا محمد بن عبدوس ت ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م) الوزراء والكتاب، تحقيق / مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٣٨ م .
١٦ – ابن الجوزى : (ابى الفـرج عبد الرحمن بن علـى بـن محمـد ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق / محمد عبد القادر عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م .
١٧ - ابن الجوزى : عمر بن عبد العزيز، دراسة وتحقيق / السيد الجميلى، بيروت، ١٩٨٨ م .
١٨ – ابن حبيب : (أبى جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمى

(ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) كتاب المخبر، اعتنى بتصميمه / إيلزه ليخثن، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت (د . ت) .

١٩ – ابن حجر العسقلانى : (شهـاب الدين أبى الفضـل أحمد بن على ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) فتح البارى بشرح صحيح البخارى، الجزء السابع، رقم كتبه / محمد فؤاد عبد الباقى، قام بأخراجه / محى الدين الخطيب، مراجعة / قصى محمد الخطيب، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٦ م .

٢٠ – ابن حزم : (ابن حزم الاندلسى ت ٤٥٦ هـ / ٣ – ١٠٦٤ م) جوامع السيرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م .

٢١ – الحلبى : (على بن برهان) السيرة الحلبية فى سيرة الأمين والمأمون، جزئين، بيروت، ١٩٨٠ م .

٢٢ – الحميرى : (أبو عبـد ا محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) صفة جزيرة الأندلس، قطعة مأخوذة من الروض المعطار فى خبر الأقطار، نشر، بروفتسال، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت (د . ت) .

٢٣ – ابن حوقل : (أبو القاسم بن حوقل متوفى فى

النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) صورة الأرض، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٣٨ م .
٢٤ – ابن الخطيب : (لسان الدين أبو عبد ا محمد بن عبد ا السلمانى ت ٧٧٦ هـ / ٤ – ١٣٧٥ م) الأحاطة فى أخبار غرناطة، المجلد الأول، تحقيق / محمد عبد ا عنان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥ م.
٢٥ – ابن خلدون : (عبـد الرحمن بن محمد الحضرمى ت ٨٠٨ هـ / ٥–١٤٠٦م) العبر وديوان المبتداء والخبر، الجزء الأول والثانى ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩ م .
٢٦ – خليفة بن الخياط : (توفى سنة ٢٤٠ هـ / ٩٥١ م) تاريخ خايفة بن خياط، تحقيق / أكرم ضياء العمرى، الطبعة الثانية، مطبعة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧ م .
٢٧ – ابن الدباغ : (عبـد الرحمن بن محمـد بن عبـد ا الأنصـارى ت ٦٠٥ هـ / ٨ – ١٢٠٩ م) معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، الجزء الأول، تونس، ١٣٢٠ هـ .
٢٨ – ابن دقماق : (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) الجوهر الثمين فى سيرة الخلفـاء والملوك والسلاطين تحقيق / سعيد عاشور، مراجعة / أحمد السيد دراج، السعودية، ١٩٨٢ م .

٢٩ – الدينورى : (أبو حنيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) الأخبـار الطـوال، تحقيق / عبد المنعم عامر، ومراجعة / جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٩ م .

٣٠ – الذهبى : (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) تـاريخ دول الإسلام حوادث سنة ١٠١ – ١٢٠ هـ تحقيق / عمر عبد السلام تدمرى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٩٠ م .

٣١ – الذهبى : تاريخ الإسلام، المجلد الأول، تحقيق / محمد محمود حمدان، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ١٩٨٥ م .

٣٢ – الذهبى : دول الإسلام، الجزء الأول، تحقيق / فهيم محمد شلتوت وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤ م .

٣٣ – ابن الرقيق : (إبراهيم بن القاسم المتوفى بعد سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق / المنجى الكعبى، تونس، ١٩٦٧ م .

٣٤ – الروحى : (على بن أبى عبد ا بن أبى السرور بن عبد الرحمن عاش فى القرن السادس الهجرى) بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق / عماد أحمد جلال

وآخرين، مراجعة / أيمن فؤاد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣ م .

٣٥ – ابن زنجويه : ابن زنجويـه (لحميد بن زنجويه ت ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م) الأموال، الجزء الأول، تحقيق / شاكر ذيب فياض، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث، السعودية، ١٩٨٦ م .

٣٦ – ابن سعد : (ابى عبـد ا محمد بـن سعـد بن منيـع البصـرى ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) الطبقات الكبرى، جزئين، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م . الجزء الثالث، دار الفكر العربى، القاهرة (د . ت) .

٣٧ – السهيلى : (أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد ا بن أحمد ابن أبى الحسن الخثعمى ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ٤ مجلدات، علق عليه / مجدى منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م .

٣٨ – السلاوى : (أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م) الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، القاهرة، ١٣١٢ هـ .

٣٩ – ابن سيد الناس : (محمد بن عبد العزيز بن يحيى ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م) عيون الأثر فى فنون المغازى

والشمائل والسير، المجلد الأول، مؤسسة عز الدين، بيروت ١٩٨٦ م .
٤٠ – السيوطى : (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) تاريخ الخلفاء، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة .
٤١ – ابن الشباط : (محمد بن على بن محمد التوزرى ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) وصف الأندلس، تحقيق / أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧٤ م.
٤٢ – الصولى : (أبو بكر محمد بن يحيى ت ٣٣٥ هـ / ٦ – ٩٤٧ م) أدب الكتاب، المطبعة السلفية، القاهرة (د . ت) .
٤٣ – ابن طباطبا : (محمد بن على بن طباطبا لمعروف بابن الطقطقى)الفخرى فى الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت .
٤٤ – الطبرى : (أبى جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ / ٢ – ٩٢٣ م)تاريخ الطبرى، المجلد الأول والثانى، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١ م. الجزء الخامس، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣ م .
٤٥ – ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد ا ت ٢٥٧ هـ / ٧٠ – ٨٧١ م) فتوح مصر وأخبارها،

تحقيق / هنرى ماسيه، ليدن .
٤٦ – ابن عبد ربه : (شهاب الدين أحمد) العقد الفريد، الجزء الخامس، تحقيق محمد سعيد العريان، الطبعة الثانية، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٥٣ م .
٤٧ – ابن العبرى :(جريجوريوس ابى الفرج بن هارون الطيب الملطى) تاريخ مختصر الدول، بيروت (د . ت).
٤٨ – ابن عذارى : (أبو العباس أحمد المراكشى كان حيا سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٤ م) البيان المغرب، الجزء الأول والثانى، تحقيق / ج . س كولان وبروفنسال، ليدن، ١٩٤٨م
٤٩ – أبو العرب : (محمـد بن أحمد بن تميم المتوفى سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٣ م) طبقات علماء افريقية و تونس، تحقيق / على الشابى وآخرين، تونس، ١٩٦٨ م .
٥٠ – ابن العربى : (القاضى أبى بكر ت ٥٤٣ هـ / ٨ – ١١٤٩ م) العواصم من القواصم، حققه / محب الدين الخطيب المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٦ م .
٥١ – عروة بن الزبير : (ت ٩٤ هـ / ٢ – ٧١٣ م) مغازى الرسول صلى ا عليه وسلم، جمعه وحققه / محمد مصطفى الأعظمى، الطبعة الأولى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، ١٩٨١ م .
٥٢ – ابو الفداء : (عماد الدين إسماعيل بن على ت ٧٣٢ هـ / ١ – ١٣٣٢ م) المختصر فى أخبار البشر،

الجزء الأول، تقديم / حسين مؤنس، تحقيق / محمد زينهم محمد عزب ، دار لمعارف القاهرة، ١٩٩٨ م .
٥٣ - ابو الفداء : التبر المسبوك فى تاريخ الملوك، حققه / محمد زينهم الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٥٥م .
٥٤ – ابن قتيبة : (أبو عبد ا بن مسلم ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) الإمامة والسياسة، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٦٩ م .
٥٥ - ابن قتيبة : المعارف، تحقيق / ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة (د . ت) .
٥٦ – قدامة بن جعفر : (أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق / محمد حسين الزبيدى دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١ م .
٥٧ – القلقشندى : (شهاب الدين أبى العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ/١٤١٨) صبح الأعشى فى صناعة الانشاء، ١٤ جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة (د . ت)
٥٨ - القلقشندى : مأثر الاناقة، الجزء الأول، تحقيق / عبد الستار فرج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤ م .
٥٩ – ابن القوطية : (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد

العزيز ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) إفتتـاح الأندلس، تحقيق / عبد ا أنيس الطياع، القاهرة (د . ت) .

٦٠ – ابن قيم الجوزية: (محمد بن أبى بكر ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) زاد المعاد فى هدى خير العباد، الجزء الأول والثانى، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، (د . ت)

٦١ – ابن كثير : (الحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) البداية والنهاية، الجزء الثانى والثالث، دار إحياء الكتب العربية، بيروت (د . ت) .

٦٢ – ابن كثير : الفصول فى سيرة الرسول، تحقيق وتعليق / محمد العبد الخطراوى وآخرين، الطبعة الرابعة، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٥ م .

٦٣ – ابن الكردبوس : (أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزرى توفى فى أواخر القرن السادس الهجرى) تاريخ الأندلس، تحقيق / أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١ م .

٦٤ – الكندى : (أبو عمر بن محمد بن يوسف المتوفى بعد سنة ٣٥٥ هـ / ٥ – ٩٦٦ م) ولاة مصـر، تحقيق / حسين نصار، دار صادر، بيروت، ١٩٥٩ م .

٦٥ – المالكى : (أبوبكر عبد ا بن أبى عبد ا توفى

حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى) رياض النفوس، الجزء الأول، تحقيق / حسين مؤنس، الطبعة الأولى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١ م .

٦٦ – الماوردى : (أبو الحسن بن على محمد البصرى ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د . ت).

٦٧ – المبرد : (محمد بن يزيد ت ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) الكامل فى اللغة والأدب، الجزء الأول، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة (د . ت).

٦٨ – مجهول : العيون والحدائق فى أخبار الحقائق، الجزء الثالث مكتبة المثنى، بغداد (د . ت) .

٦٩ – مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، تحقيق / إبراهيم الأبيارى الطبعة الأولى، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٨١ م .

٧٠ – أبو المحاسن : (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الاتابكى ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول، تحقيق / إبراهيم طرخان، القاهرة (د . ت) .

٧١ – المراكشى : (عبد الواحد المراكشى ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق /

محمد سعيد العريان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٩ م
٧٢ – المسعودى : (ابى الحسن على بن الحسين ت ٤٣٦ هـ /١٠٤٤م) مر وج الذهـب ومعـادن الجوهر، المجلد الثانى، تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣ م .
٧٣ - المسعودى : التنبية والإشراف، جزئين، دار التراث، بيروت، ١٩٦٨ م .
٧٤ – المقرى : (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى ت ١٠٤١ هـ / ١٣٦١-١٣٦٢ م) نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، الجزء الأول، تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت (د . ت) .
٧٥ – المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م)إمتاع الاسماع، الجزء الأول، تحقيق وتعليق / محمد عبد المنعم النمس، مراجعة وتعليق محمد جميل غازى، الطبعة الأولى، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٨١ م .
٧٦ - المقريزى : الخـطـط، الجـزء الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د . ت)
٧٧ - المقريزى : كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، حققه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة (د. ت)
٧٨ - المقريزى : النقود الإسلامية، تحقيق / محمد السيد

على، الطبعة الخامسة، النجف، ١٩٦٧ م .
٧٩ – ابن منظور : (جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقى المصرى ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) لسان العرب، الجزء الأول، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ م .
٨٠ – ابن النعمان : (القاضى النعمان بن محمد ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م)الجوهرة النيرة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٢٢ هـ .
٨١ – النووى : (محى الدين النووى ت ٦٧٦ هـ / ٧ – ١٢٧٨ م) صحيح مسلم بشرح الإمام محى الدين النووى، حقق أصوله وخرج أحاديثه / خليل مأمون شيحا، الجزء الثانى عشر، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦ م.
٨٢ – النويرى: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ / ١ – ١٣٣٢ م) نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجزء السادس عشر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة (د . ت) . نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجـزء العشـرون، تحقيق / محمد رفعت فتح ا ، مراجعة / إبراهيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥ م . الجزء الرابع والعشرون، تحقيق / حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣ م .

٨٣ – ابن هشام : (أبى محمد عبد الملك المعافرى ت ٢١٣ هـ / ٨ – ٨٢٩ م) السيرة النبوية، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى، دار التقوى، القاهرة، ١٩٩٩ م .

٨٤ – الهمدانى : (ابى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف)صفة جزيرة العرب، تحقيق / محمد على الأكوع، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٨٣ م .

٨٥ – ابن الوردى : (زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) تاريخ ابن الوردى، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م .

٨٦ – ياقوت : (شهاب الدين أبى عبد ا الحموى ت ٦٢٦ هـ / ٨ – ١٢٢٩م) معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩ م .

٨٧ – اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر ت ٢٨٤ هـ / ٧ – ٨٩٨ م) تـاريـخ اليعقوبـى، المجلد الثانى، دار صادر، بيروت (د . ت) .

٨٨ – ابن يوسف : (يعقوب بن إبراهيم الأنصارى ت ١٩٢ هـ / ٧ – ٨٠٨ م) الخراج، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٣٩٢ هـ .

ثانياً المراجع العربية الحديثة

١ - إبراهيم أحمد العدوى : الأمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة النهضة، القاهرة .

٢ – إبراهيم فؤاد على : الموارد المالية فى الإسلام، القاهرة، ١٩٧٠ م .

٣ - أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٨ م .

٤ - أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة، دار الفكر العربى، القاهرة.

٥ - أحمد إبراهيم الشريف : الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربى، القاهرة ، ١٩٨١م .

٦ - أحمد إبراهيم الشريف : دولة الرسول فى المدينة، دار الفكر العربى، القاهرة(د . ت) .

٧ - أحمد إبراهيم الشريف: الفتوح الإسلامية، مجلة منبر الإسلام، " فتوح فارس والعراق " .

٨ – أحمد أبو الفضل : دراسات فى العصر الجاهلى، المجلس الأعلى للفنون، القاهرة (د . ت) .

٩ – أحمد أمين : فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦ م .

١٠ – أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٠ م .
١١ – أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠ م . الجزء الثانى، الطبعة الثالثة، النهضة المصرية، القـاهرة، ١٩٦٩ م .
١٢ - أحمد فؤاد سيد : تاريخ الدعوة الإسلامية، الطبعة الثالثة، مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر،القاهرة، ١٩٩٩ م .
١٣ – أحمد عبد الرازق : الحضارة الإسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٠ م
١٤ - أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د . ت) .
١٥ - أحمد مختار العبـادى: فـى التـاريخ العباسـى والفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٨٢م .
١٦ – إسماعيل راجى الفاروقى وآخرون : أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة / عبد الواحد لؤلؤه، مراجعة / رياض نور ا ، مكتبة العبيكان، الرياض .
١٧ - أكرم ضياء العمرى : السيرة النبوية الصحيحة، جزأين، الطبعة الخامسـة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة

المنورة، ١٩٩٣ م .
١٨ – أكرم ضياء العمرى: عصر الخلافة الراشدة، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، ١٩٩٤ م .
١٩ - السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثـارهم فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦١م .
٢٠ - السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصـر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م .
٢١ - السيد عبدالعزيز سالم: تـاريخ الدولـة العربيـة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية .
٢٢ - المبار كفورى : الرحيق المختوم، دار الصحابة، جدة ١٩٩٠ م .
٢٣ – أمين القضاة وآخرون : محاضرات فى التاريخ الإسلامى، الطبعة الثانية، دار عمار، الأردن، ١٩٩٢ م .
٢٤ – أنور الرفاعى : الإسلام فى نظمه وحضارته، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣ م .
٢٥ - بدر عبد الرحمن محمد : ولاية العهد مـن بدايـة الدولة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجـرى، الأنجلـو المصرية، القاهرة .
٢٦ – بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة /

نبيه أمين فارس وآخرين، الطبعة الحادية عشر، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٠ م .

٢٧ - ثابت إسماعيل الراوى : العـراق فـى العصـر الأموى من الناحية السياسية والإدارية والإجتماعية، مكتبـة الأندلس، بغـداد (د . ت) .

٢٨ – جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام، تعليق / حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة (د . ت) .

٢٩ – جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام، الأجزاء ١، ٢، ٣، ٥، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٩٥٥ م .

٣٠ – حتى و آخرون: تاريخ العرب، الجزء الأول، دار الكشاف، بيروت، ١٩٤٩ م

٣١ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، الجزء الأول، الطبعة الثامنة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٦ م .

٣٢ - حسن إبراهيم حسن وآخرون : النظم السياسية، النهضة المصرية، القاهرة(د . ت) .

٣٣ - حسن أحمد محمود : الإسلام فى أسيا الوسـطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م .

٣٤ - حسن أحمد محمـود وأحمـد الشـريف : العـالم الإسلامى فى العصر العباسى، الطبعة الخامسة، دار الفكرى العربى، القاهرة (د . ت) .

٣٥ - حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الإسـلامية، دار النهضة العربية القاهرة (د . ت).

٣٦ - حسين عطوان : الفرق الإسلامية فى بلاد الشام فى العصر الأموى الطبعة الأولى، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٦ م

٣٧ - حسن على حسن : تاريخ المغرب فى عصر الـولاة، مكتبة الشباب، القاهرة .

٣٨ - حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب، مكتبة الأداب، القاهرة.

٣٩ - حسين مؤنس : فجر الأندلس، الطبعـة الأولـى، القاهرة، ١٩٥٩م .

٤٠ - حسين مؤنس: دراسات فى السيرة النبوية، الطبعة الثـالثـة، الزهراء للاعلام العربى، القاهرة ١٩٨٨ م .

٤١ - حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، الجـزء الأول، الدار السعودية للنشر، السعودية .

٤٢ - حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسـلام، الزهـراء للإعلام العربى، القاهرة .

٤٣ – رجب عبد الحليم : الردة فى ضوء مفهوم جديـد، دار النهضة العربية القاهرة (د . ت) .
٤٤ - رشيد عبد ا الجميلى : تاريخ العرب، مطبعة الرصافى، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٧٦ م .
٤٥ - رفاعة رافع الطهطاوى : نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز، الجزء الأول، حققه حسن محمد وآخرون، مكتبة الآدب، القاهرة (د . ت) .
٤٦ - زاهر رياض : شـمال إفريقيـا فـى العصـور الوسطى، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١ م .
٤٧ - سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى، الجزء الأول، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م .
٤٨ – سعيد عاشور وآخرون : دراسات فى الحضارة العربية الإسلامية، الطبعة الثانية، دات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦ م .
٤٩ – سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م .
٥٠ – شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول الهجرى، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٩٢ م .
٥١ – شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى - العصر الجاهلى،الطبعة الثامنة عشر، دار المعارف، القاهرة(د. ت)

٥٢ - صابر محمد دياب : بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ١٩٨٤م .
٥٣ - صابر محمد دياب: تاريخ الدولة الإسـلامية فـى عصر الراشدين، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١ م .
٥٤ – صالح أحمد العلى : محاضرات فى تاريخ العرب، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٨ م .
٥٥ -صالح أحمد العلى: الدولة فى عهد الرسول، المجلد الأول، مطبعة المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٩٨٨ م .
٥٦ - طه عثمان الفراء : جغرافية موقعة بدر، بحث منشور فى كتب الجزيرة العربية فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين الجزء الأول، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعـود ١٩٨٩ م .
٥٧ - عبد الجبار منسى العبيدى : قـراءة جديـدة فـى أسباب سقوط الدولة الأموية، مجلة عالم الفكر، العدد الثالـث المجلد الخامس عشر، الكويت، ١٩٨١م .
٥٨ – عبد الشافى محمد عبد اللطيف : العالم الإسـلامى فى العصر الأموى الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٤م .
٥٩ - عبد الشافى محمد عبد اللطيـف : دراسـات فـى تاريخ الدولة الأموية، القاهرة، ١٩٩٧ م .

٦٠ – عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة (د . ت) .

٦١ - عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح : المسلمون فى عصر الرسالة، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠١ م .

٦٢ – عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية، الجزء الأول، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ م . الجزء الثانى، الطبعة السابعة، الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٨٢م.

٦٣ – عصام محمد شبارد : الدولة العربيـة الإسـلامية الأولى، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥ م .

٦٤ - على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام، النهضة المصرية، القاهرة(د . ت) .

٦٥ – على إبراهيم حسن: مصر فى العصور الوسطى، الطبعة الخامسة، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤ م .

٦٦ – على حسين السليمان : النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، الطبعة الأولى، الأنجلو المصرية، القاهرة (د . ت) .

٦٧ - على محمد الصلابى : السيرة النبوية، الجزء

الأول، الطبعة الأولى القاهرة، ٢٠٠١ م .
٦٨ – علية عبد السميع الجنزورى : هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى، سلسلة تاريخ المصريين، رقم (١٥٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٩٩ م .
٦٩ - عماد الدين خليل : دراسات فى السيرة، دار الوفاء للطباعة، المنصورة(د . ت) .
٧٠ - عمر فروخ : العرب والإسلام فى الحوض الشرقى من البحر الأبيض المتوسط، الطبعة الثالثة، بيروت١٩٨١ م
٧١ - فايد حماد عاشور وآخرون : تاريخ دولة الإسلام الأولى فى عصر الرسول والراشدين، الطبعة الأولى، دار قطرى بن الفجاءة، قطر، ١٩٨٩ م .
٧٢ - فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطيـة، دار الكتاب العربى القاهرة(د . ت) .
٧٣ - فلهوزن : تاريخ الدولة العربية، ترجمة / محمد عبـد الهادى أبو ريدة مراجعة حسـين مـؤنس، لجنـة التـأليف، القاهرة، ١٩٥٨م .

٧٤ - فيليب خورى : تـاريخ العـرب، المجلـد الأول، ترجمة / محمد مبروك نافع، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٨ م .

٧٥ – قطب إبراهيم محمد : الماليـة العامـة للدولـة الإسلاميـة، القاهرة (د . ت).

٧٦ - لسترنج : بلـدان الخلافـة الشـرقية، ترجمـة / كوركيس عواد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسـالة، بيـروت، ١٩٨٥ م .

٧٧ – لوبون : حضارة العرب، ترجمة / عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م .

٧٨ - محمد أحمد زيود : تاريخ العرب والإسلام، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٥ م.

٧٩ – محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩ م .

٨٠ - محمد الخضرى : نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين، الفتح للإعلام العربى، القاهرة ١٩٩٢ م .

٨١ - محمد جمال الدين سرور : قيام الدولة العربية، دار الفكر العربى، القاهرة(د . ت) .

٨٢ - محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسـية فـى الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة(د. ت)

٨٣ - محمد حسين هيكل : حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ٢٠٠٠ م .

٨٤ - محمد سعيد البوطى : فقه السيرة النبوية، الطبعة العاشرة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١ م .

٨٥ - محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، الطبعة الرابعة، دار الأنصـار، القـاهرة، ١٩٧٢ م .

٨٦ – محمد عبد الجواد الاصمعى : العرب واطوارهم، الجزء الأول، مصر (د . ت)

٨٧ - محمد عبد الحليم أبو غزالة : الأنتصارات العربية الكبرى فى صدر الإسلام، مؤسسة الشعب،القاهرة،١٩٨٣م .

٨٨ - محمد عبد ا عنان : دولة الإسلام فى الأنـدلس، القسم الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٣م .

٨٩ - محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ م .

٩٠ – محمد مبروك نافع : عصر ما قبل الإسلام، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٢ م .



٩١ – محمد محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، ١٩٨٤ م .

٩٢ - محمد محمد زيتـون : القيـروان ودورهـا فـى الحضارة الإسلامية الطبعة الأولى، دار المنـار، القـاهرة، ١٩٨٨ م .

٩٣ - محمد محمد زيتون : السراج المنير فى سيرة سيد المرسلين، القاهرة، ١٩٩٤م

٩٤ - محمد نصر مهنا : انتشار الإسلام فى أسيا، الجزء الأول، المكتب الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨ م .

٩٥ - محمود شيت خطاب : بلاد ما وراء النهر، الطبعة الرابعة، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٠ م .

٩٦ – محمود عرفه محمود : العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى، عين للدراسات، القاهرة، ١٩٩٥ م .

٩٧ - محمود كامـل : الدولـة العربيـة الكبـرى، دار المعارف القاهرة.

٩٨ - مهدى رزق ا أحمد : السيرة النبوية، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ١٩٩٢ م .

٩٩ – ناجى معروف : اصالة الحضارة العربية، الطبعة الثالثة، دار الثقافة بيروت، ١٩٧٥ م .

١٠٠ - ناجى معروف : مدارس مكة، بغداد، ١٩٦٦ م .
١٠١ – نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار القاء، دمشق، ١٩٨٣ م .
١٠٢ - نبيه عاقل و آخرون : تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى، الطبعة الثالثة، دار الكتاب، دمشق، ١٩٩١م .
١٠٣ - نبيه عاقل : دراسات فى تاريخ العصر الأموى، الطبعة الرابعة، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٢ م .
١٠٤ - هاشم يحيى الملاح : الوسيط فى السيرة النبوية و الخلافة الراشدة مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩١م .
١٠٥ – يوسف على يوسف وآخرون : دراسات فى عصر الخلفاء الراشدين، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٧٨ م .
١٠٦ – ولفنسـون : تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ م .